

مكتبة دار المنهاج للنشر والتوزيع بالرياض

(١٧٦)

# المغربي

في

## شرح العقيدة القيروانية

(مقدمة الرسالة لابن أبي زيد القيرواني المرقبي ت ٣٨٦ هـ)

وهو ما نقله القيرواني من قول مالك ، ولما وثم من مذهبه  
وما عليه أهل السنة وأئمة الناس في الفقه والحديث

تأليف

عبد العزيز بن مرزوق الطريفي

غفر الله له ولوالديه وللمؤمنين

مكتبة دار المنهاج للنشر والتوزيع

للنشر والتوزيع بالرياض

مخفض السعر

المغربيين

في

شرح العقيدة القديراتية

جميع حقوق الطبع محفوظة لدار المنهاج بالرياض  
الطبعة الأولى  
١٤٣٨ هـ

مكتبة دار المنهاج  
للنشر والتوزيع

المملكة العربية السعودية - الرياض

المركز الرئيسي - الدائري الشرقي - تخرج ١٥ - جنوب أسواق المجد

ت : ٤٤٥٦٢٢٩ - فاكس : ٤٩٦٢٠١٤ - ص ب : ٥١٩٩٩ - الرياض ١١٥٥٣

الفرع - طريق خالد بن الوليد (الكامب سابقاً) ت : ٢٢٢٢٠٩٥

مكة المكرمة - الجميزة - الطريق النازل للحرم - ت : ٥٧٢٦١٢٧٧

المدينة النبوية - أمام الجامعة الإسلامية من جهة الجنوب - ت : ٤/٨٤٦٧٩٩٩

حساب الدار في موقع تويتر : @Alminhaj

لِإِسْلَامِهِ مَبْنُوعًا وَكَتَبَهُ كِتَابُكَ كِتَابُكَ لِلنَّبِيِّ وَالنَّبِيِّ بِالْأَوَّلِ ١٧٦

# الْمَغْرِبِيَّة

فِي

## شَرْحِ الْعَقِيدَةِ الْقَدِيرَةِ

(مَقَدِّمَةُ الرِّسَالَةِ لِابْنِ أَبِي زَيْدٍ لَهْفَرَوَانِي الْمَغْرِبِيِّ ت ٣٨٦ هـ)

وَهُوَ مَانِقَلُهُ لَهْفَرَوَانِي مِنْ قَوْلِ سَالِكِهِ ، وَلِعَالِمِهِ مِنْ مَذْهَبِهِ  
وَمَاعَلِيهِ أَهْلُ الثَّنَةِ وَأُمَّةُ النَّاسِ فِي الْفِقْهِ وَالْهَدْيِ

تَأَلَّفَ

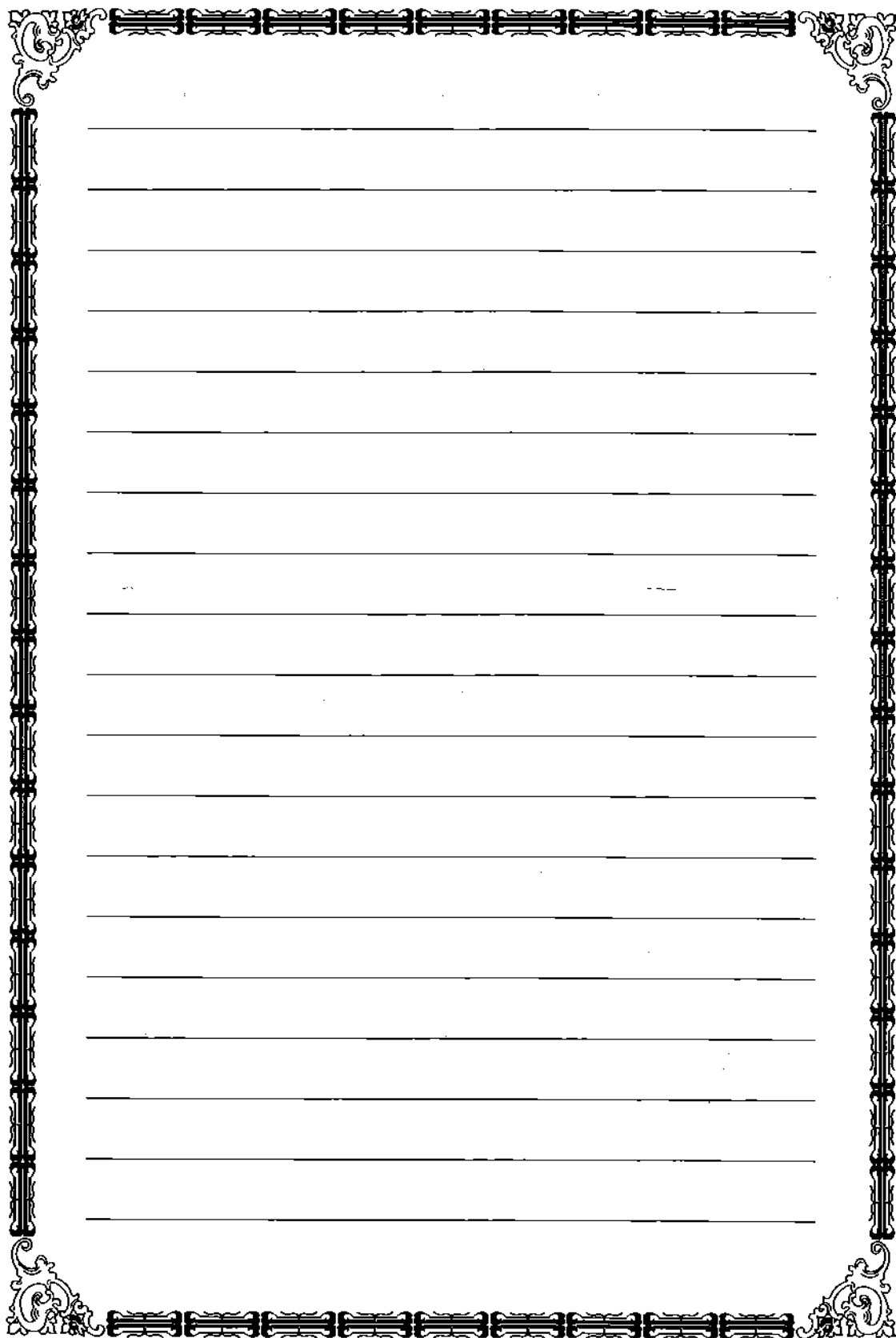
عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنِ مَرْزُوقِ الطَّرِيفِيِّ

غَفَرَ اللَّهُ لَهُ وَلِوَالِدَيْهِ وَلِلْمُسْلِمِينَ

مَكْتَبَةُ كِتَابِكَ كِتَابُكَ لِلنَّبِيِّ وَالنَّبِيِّ بِالْأَوَّلِ

لِلنَّبِيِّ وَالنَّبِيِّ بِالْأَوَّلِ





# بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## الْمُقَدِّمَةُ الْعَقْدِيَّةُ، لِلرِّسَالَةِ الْفِقْهِيَّةِ

قَالَ الْإِمَامُ أَبُو مُحَمَّدٍ عَبْدِ اللَّهِ بْنُ أَبِي زَيْدٍ الْقَيْرَوَانِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى  
(ت ٣٨٦هـ):

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي ابْتَدَأَ الْإِنْسَانَ بِنِعْمَتِهِ، وَصَوَّرَهُ فِي الْأَرْحَامِ بِحِكْمَتِهِ،  
وَأَبْرَزَهُ إِلَى رَفِيقِهِ، وَمَا يَسَّرَهُ لَهُ مِنْ رِزْقِهِ، وَعَلَّمَهُ مَا لَمْ يَكُنْ يَعْلَمُ، وَكَانَ  
فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْهِ عَظِيمًا.

وَنَبَّهَهُ بِآثَارِ صَنْعَتِهِ، وَأَعَذَرَ إِلَيْهِ عَلَى أَلْسِنَةِ الْمُرْسَلِينَ الْخَيْرَةِ مِنْ  
خَلْقِهِ، فَهَدَى مَنْ وَفَّقَهُ بِفَضْلِهِ، وَأَصْلَلَ مَنْ خَذَلَهُ بِعَدْلِهِ، وَيَسَّرَ الْمُؤْمِنِينَ  
لِلْيُسْرَى، وَشَرَحَ صُدُورَهُمْ لِلذِّكْرِ، فَأَمَّنُوا بِاللَّهِ بِأَلْسِنَتِهِمْ نَاطِقِينَ،  
وَبَقَلُوبِهِمْ مُخْلِصِينَ، وَبِمَا أَنْتَهُمْ بِهِ رُسُلُهُ وَكُتُبُهُ عَامِلِينَ، وَتَعَلَّمُوا مَا  
عَلَّمَهُمْ، وَوَقَفُوا عِنْدَ مَا حَدَّ لَهُمْ، وَاسْتَعْنَوْا بِمَا أَحَلَّ لَهُمْ عَمَّا حَرَّمَ  
عَلَيْهِمْ.

أَمَّا بَعْدُ:

أَعَانَنَا اللَّهُ وَإِيَّاكَ عَلَى رِعَايَةِ وَدَائِعِهِ، وَحِفْظِ مَا أَوْدَعَنَا مِنْ شَرَائِعِهِ.  
فَإِنَّكَ سَأَلْتَنِي أَنْ أَكْتُبَ لَكَ جُمْلَةً مُخْتَصَرَةً مِنْ وَاجِبِ أُمُورِ الدِّيَانَةِ؛

مِمَّا تَنْطَلِقُ بِهِ الْأَلْسِنَةُ، وَتَعْتَقِدُهُ الْقُلُوبُ، وَتَعْمَلُهُ الْجَوَارِحُ، وَمَا يَتَّصِلُ  
بِالْوَاجِبِ مِنْ ذَلِكَ مِنَ الشُّنَنِ؛ مِنْ مُؤَكِّدِهَا وَنَوَافِلِهَا، وَرَعَائِيهَا وَشَيْءٍ مِنْ  
الْآدَابِ مِنْهَا، وَجُمَلٍ مِنْ أَصُولِ الْفِقْهِ وَفُتُونِهِ؛ عَلَى مَذْهَبِ الْإِمَامِ مَالِكِ بْنِ  
أَنَسٍ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى وَطَرِيقَتِهِ.

مَعَ مَا سَهَلَ سَبِيلَ مَا أَشْكَلَ مِنْ ذَلِكَ؛ مِنْ تَفْسِيرِ الرَّاسِخِينَ، وَبَيَانِ  
الْمُتَفَقِّهِينَ؛ لِمَا رَغِبْتَ فِيهِ مِنْ تَعْلِيمِ ذَلِكَ لِلْوِلْدَانِ؛ كَمَا تُعَلِّمُهُمْ حُرُوفُ  
الْقُرْآنِ؛ لِيَسْبِقَ إِلَى قُلُوبِهِمْ مِنْ فَهْمِ دِينِ اللَّهِ وَشَرَائِعِهِ؛ مَا تُرْجَى لَهُمْ  
بَرَكَتُهُ، وَتُحَمَّدُ لَهُمْ عَاقِبَتُهُ؛ فَأَجَبْتُكَ إِلَى ذَلِكَ؛ لِمَا رَجَوْتُهُ لِنَفْسِي وَلَكَ مِنْ  
ثَوَابٍ مَنْ عَلَّمَ دِينَ اللَّهِ أَوْ دَعَا إِلَيْهِ.

وَاعْلَمْ: أَنَّ خَيْرَ الْقُلُوبِ: أَوْعَاها لِلْخَيْرِ، وَأَرْجَى الْقُلُوبِ لِلْخَيْرِ:  
مَا لَمْ يَسْبِقِ الشَّرُّ إِلَيْهِ.

وَأَوَّلَى مَا عُنِيَ بِهِ النَّاصِحُونَ، وَرَغِبَ فِي أَجْرِهِ الرَّاعِبُونَ: إِيْصَالُ  
الْخَيْرِ إِلَى قُلُوبِ أَوْلَادِ الْمُؤْمِنِينَ، لِيَرَسَخَ فِيهَا، وَتَنْبِيهِهُمْ عَلَى مَعَالِمِ  
الدِّيَانَةِ، وَخُدُودِ الشَّرِيعَةِ؛ لِيُرَاضُوا عَلَيْهَا، وَمَا عَلَيْهِمْ أَنْ تَعْتَقِدَهُ مِنَ الدِّينِ  
قُلُوبُهُمْ، وَتَعْمَلَ بِهِ جَوَارِحُهُمْ؛ فَإِنَّهُ رُوِيَ أَنَّ تَعْلِيمَ الصَّغَارِ لِكِتَابِ اللَّهِ،  
يُطْفِئُ غَضَبَ اللَّهِ، وَأَنَّ تَعْلِيمَ الشَّيْءِ فِي الصَّغَرِ؛ كَالنَّفْسِ فِي الْحَجَرِ.

وَقَدْ مَثَلْتُ لَكَ مِنْ ذَلِكَ مَا يَنْتَفِعُونَ - إِنْ شَاءَ اللَّهُ - بِحِفْظِهِ،  
وَيَسْرُقُونَ بِعِلْمِهِ، وَيَسْعَدُونَ بِاعْتِقَادِهِ وَالْعَمَلِ بِهِ.

وَقَدْ جَاءَ أَنْ يُؤْمَرُوا بِالصَّلَاةِ لِسَبْعِ سِنِينَ، وَيُضْرَبُوا عَلَيْهَا لِعَشْرِ،  
وَيُفَرَّقَ بَيْنَهُمْ فِي الْمَضَاجِعِ؛ فَكَذَلِكَ: يَنْبَغِي أَنْ يَعْلَمُوا مَا فَرَضَ اللَّهُ عَلَى  
الْعِبَادِ مِنْ قَوْلٍ وَعَمَلٍ قَبْلَ بُلُوغِهِمْ؛ لِيَأْتِيَ عَلَيْهِمُ الْبُلُوغُ، وَقَدْ تَمَكَّنَ ذَلِكَ مِنْ  
قُلُوبِهِمْ، وَسَكَنَتْ إِلَيْهِ أَنْفُسُهُمْ، وَأَنْسَتْ بِمَا يَعْمَلُونَ بِهِ مِنْ ذَلِكَ جَوَارِحُهُمْ.

وَقَدْ فَرَضَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ عَلَى الْقَلْبِ عَمَلًا مِنَ الْاِغْتِقَادَاتِ، وَعَلَى  
الْجَوَارِحِ الظَّاهِرَةِ عَمَلًا مِنَ الطَّاعَاتِ.

وَسَأَفْضَلُ لَكَ مَا شَرَطْتُ لَكَ ذِكْرُهُ بَابًا بَابًا؛ لِيَقْرُبَ مِنْ فَهْمِ مُتَعَلِّمِيهِ  
إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى، وَإِيَّاهُ نَسْتَخِيرُ، وَبِهِ نَسْتَعِينُ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ  
الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ.

وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ نَبِيِّهِ، وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّم تَسْلِيمًا كَثِيرًا







## بَابُ مَا نُنْطِقُ بِهِ أَلَّا لِسِنَهُ، وَتَعْتَقِدُهُ الْأَفْعِدَةُ مِنْ وَاجِبِ أُمُورِ الدِّيَانَاتِ

مِنْ ذَلِكَ: الْإِيمَانُ بِالْقَلْبِ، وَالنُّطْقُ بِاللِّسَانِ: أَنَّ اللَّهَ إِلَهٌ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ غَيْرُهُ، وَلَا شَبِيهَ لَهُ، وَلَا نَظِيرَ لَهُ، وَلَا وَلَدَ لَهُ، وَلَا وَالِدَ لَهُ، وَلَا صَاحِبَةَ لَهُ، وَلَا شَرِيكَ لَهُ.

لَيْسَ لِأَوَّلِيَّتِهِ ابْتِدَاءٌ، وَلَا لِآخِرِيَّتِهِ انْقِضَاءٌ.

لَا يَبْلُغُ كُنْهَ صِفَتِهِ الْوَاصِفُونَ، وَلَا يُحِيطُ بِأَمْرِهِ الْمُتَفَكِّرُونَ.

يَعْتَبِرُ الْمُتَفَكِّرُونَ بِآيَاتِهِ، وَلَا يَتَفَكَّرُونَ فِي مَا هِيَ ذَاتُهُ.

﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

الْعَالِمُ الْخَبِيرُ، الْمُدَبِّرُ الْقَدِيرُ، السَّمِيعُ الْبَصِيرُ، الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ.

وَأَنَّهُ فَوْقَ عَرْشِهِ الْمَجِيدِ بَدَاتُهُ، وَهُوَ فِي كُلِّ مَكَانٍ يَعْلَمُهُ.

خَلَقَ الْإِنْسَانَ، وَيَعْلَمُ مَا تُوسَّوِسُ بِهِ نَفْسُهُ، وَهُوَ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ، ﴿وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٌ فِي ظُلْمَتٍ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٌ وَلَا يَابِسٌ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ [الأنعام: ٥٩].

عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى، وَعَلَى الْمُلْكِ اخْتَوَى.

وَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى، وَالصِّفَاتُ الْعُلَا، لَمْ يَزَلْ بِجَمِيعِ صِفَاتِهِ وَأَسْمَائِهِ؛ تَعَالَى أَنْ تَكُونَ صِفَاتُهُ مَخْلُوقَةً، وَأَسْمَاؤُهُ مُحَدَّثَةً.

كَلَّمَ مُوسَى بِكَلَامِهِ الَّذِي هُوَ صِفَةُ ذَاتِهِ، لَا خَلْقٌ مِنْ خَلْقِهِ.  
وَتَجَلَّى لِلْجَبَلِ فَصَارَ دَكًّا مِنْ جَلَالِهِ.  
وَأَنَّ الْقُرْآنَ كَلَامُ اللَّهِ، لَيْسَ بِمَخْلُوقٍ فَيَبِيدُ، وَلَا صِفَةُ لِمَخْلُوقٍ  
فَيَنفَدُ.

وَالْإِيمَانُ بِالْقَدَرِ خَيْرٌ وَشَرٌّ، حُلُوهُ وَمَرَّةٌ، وَكُلُّ ذَلِكَ قَدْ قَدَّرَهُ اللَّهُ  
رَبُّنَا، وَمَقَادِيرُ الْأُمُورِ بِيَدِهِ، وَمَصْدَرُهَا عَنْ قَضَائِهِ.  
عَلِمَ كُلَّ شَيْءٍ قَبْلَ كَوْنِهِ؛ فَجَرَى عَلَى قَدَرِهِ، لَا يَكُونُ مِنْ عِبَادِهِ قَوْلٌ  
وَلَا عَمَلٌ إِلَّا وَقَدْ قَضَاهُ، وَسَبَقَ عِلْمُهُ بِهِ؛ ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ  
الْخَبِيرُ﴾ [الملك: ١٤].

يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ فَيُخْذِلُهُ بِعَذْلِهِ، وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ فَيُؤَفِّقُهُ بِفَضْلِهِ؛ فَكُلُّ  
مَيْسَرٍ بِتَيْسِيرِهِ، إِلَى مَا سَبَقَ مِنْ عِلْمِهِ وَقَدَرِهِ، مِنْ شَقِيٍّ أَوْ سَعِيدٍ.  
تَعَالَى أَنْ يَكُونَ فِي مُلْكِهِ مَا لَا يُرِيدُ، أَوْ يَكُونَ لِأَحَدٍ عَنْهُ غِنًى، أَوْ  
يَكُونَ خَالِقٌ لَشَيْءٍ إِلَّا هُوَ، رَبُّ الْعِبَادِ وَرَبُّ أَعْمَالِهِمْ، وَالْمُقَدَّرُ لِحَرَكَاتِهِمْ  
وَأَجَالِهِمْ.

الْبَاعِثُ الرُّسُلَ إِلَيْهِمْ؛ لِإِقَامَةِ الْحُجَّةِ عَلَيْهِمْ.  
ثُمَّ خَتَمَ الرُّسَالَ وَالنَّذَارَةَ وَالنُّبُوَّةَ بِمُحَمَّدٍ ﷺ؛ فَجَعَلَهُ آخِرَ  
الْمُرْسَلِينَ، بَشِيرًا وَنَذِيرًا، وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِآذِنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا.  
وَأَنْزَلَ عَلَيْهِ كِتَابَهُ الْحَكِيمَ، وَشَرَحَ بِهِ دِينَهُ الْقَوِيمَ، وَهَدَى بِهِ الصِّرَاطَ  
الْمُسْتَقِيمَ.

وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا، وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ يَمُوتُ، كَمَا  
بَدَأَهُمْ يَعُودُونَ.

وَأَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ضَاعَفَ لِعِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ الْحَسَنَاتِ، وَصَفَحَ لَهُمْ بِالتَّوْبَةِ عَنْ كَبَائِرِ السَّيِّئَاتِ، وَغَفَرَ لَهُمُ الصَّغَائِرَ، بِاجْتِنَابِ الْكَبَائِرِ، وَجَعَلَ مَنْ لَمْ يَتُبْ مِنَ الْكَبَائِرِ صَائِرًا إِلَى مَشِيئَتِهِ؛ ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [النساء: ٤٨].

وَمَنْ عَاقَبَهُ اللَّهُ بِنَارِهِ، أَخْرَجَهُ مِنْهَا بِإِيمَانِهِ، فَأَدْخَلَهُ بِهِ جَنَّتَهُ؛ ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾ [الزلزلة: ٧].

وَيُخْرِجُ مِنْهَا بِشَفَاعَةِ النَّبِيِّ ﷺ، مَنْ شَفَعَ لَهُ مِنْ أَهْلِ الْكَبَائِرِ مِنْ أُمَّتِهِ.

وَأَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ قَدْ خَلَقَ الْجَنَّةَ فَأَعَدَّهَا دَارَ خُلُودٍ لِأَوْلِيَائِهِ، وَأَكْرَمَهُمْ فِيهَا بِالنَّظَرِ إِلَى وَجْهِهِ الْكَرِيمِ، وَهِيَ الَّتِي أَهْبَطَ مِنْهَا آدَمَ نَبِيَّهُ وَخَلِيفَتُهُ إِلَى أَرْضِهِ، بِمَا سَبَقَ فِي سَابِقِ عِلْمِهِ.

وَخَلَقَ النَّارَ فَأَعَدَّهَا دَارَ خُلُودٍ لِمَنْ كَفَرَ بِهِ، وَأَلْحَدَ فِي آيَاتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ، وَجَعَلَهُمْ مَحْجُوبِينَ عَنْ رُؤْيَتِهِ.

وَأَنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَجِيءُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، ﴿وَالْمَلَكُ صَفًا صَفًا﴾ [الفجر: ٢٢]؛ لِعَرْضِ الْأَمَمِ وَحِسَابِهَا، وَعُقُوبَتِهَا وَثَوَابِهَا.

وَتُوَضُّعِ الْمَوَازِينِ لَوْزَنِ أَعْمَالِ الْعِبَادِ؛ ﴿فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الأعراف: ٨].

وَيُؤْتَوْنَ صَحَائِفَهُمْ بِأَعْمَالِهِمْ؛ فَ: ﴿مَنْ أَوْفَى كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ ۖ فَسَوْفَ يُحَاسِبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾ [الانشقاق: ٧ - ٨]، وَمَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ فَأُولَئِكَ يَصْلَوْنَ سَعِيرًا.

وَأَنَّ الصِّرَاطَ حَقٌّ، يَجُوزُهُ الْعِبَادُ بِقَدْرِ أَعْمَالِهِمْ؛ فَتَاجِدُونَ مُتَقَاتِلِينَ فِي سُرْعَةِ النَّجَاةِ عَلَيْهِ مِنْ نَارِ جَهَنَّمَ، وَقَوْمٌ أَوْفَقَتْهُمْ فِيهَا أَعْمَالُهُمْ.



وَالْإِيمَانُ بِحَوْضِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، تَرِدُهُ أُمَّتُهُ؛ لَا يَظْمَأُ مَنْ شَرِبَ مِنْهُ، وَيُدَادُ عَنْهُ مَنْ بَدَّلَ وَغَيَّرَ.

وَأَنَّ الْإِيمَانَ: قَوْلٌ بِاللِّسَانِ، وَإِخْلَاصٌ بِالْقَلْبِ، وَعَمَلٌ بِالْجَوَارِحِ، يَزِيدُ بِزِيَادَةِ الْأَعْمَالِ، وَيَنْقُصُ بِنَقْصِهَا؛ فَيَكُونُ فِيهَا النِّقْصُ، وَبِهَا الزِّيَادَةُ.

وَلَا يَكْمُلُ قَوْلُ الْإِيمَانِ إِلَّا بِالْعَمَلِ، وَلَا قَوْلٌ وَعَمَلٌ إِلَّا بِنَبِيَّةٍ، وَلَا قَوْلٌ وَعَمَلٌ وَنَبِيَّةٌ إِلَّا بِمُوَافَقَةِ السُّنَّةِ.

وَأَنَّهُ لَا يَكْفُرُ أَحَدٌ بِذَنْبٍ مِنْ أَهْلِ الْقِبْلَةِ.

وَأَنَّ الشُّهَدَاءَ أَحْيَاءَ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ، وَأَرْوَاحُ أَهْلِ السَّعَادَةِ بَاقِيَةٌ نَاعِمَةٌ إِلَى يَوْمٍ يُنْعَثُونَ، وَأَرْوَاحُ أَهْلِ الشَّقَاوَةِ مُعَذَّبَةٌ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

وَأَنَّ الْمُؤْمِنِينَ يُقْتَنُونَ فِي قُبُورِهِمْ وَيُسْأَلُونَ؛ ﴿يُسْأَلُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾ [إبراهيم: ٢٧].

وَأَنَّ عَلَى الْعِبَادِ حَفَظَةَ يَكْتُبُونَ أَعْمَالَهُمْ، وَلَا يَسْقُطُ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ عَنْ عِلْمِ رَبِّهِمْ.

وَأَنَّ مَلَكَ الْمَوْتِ يَقْبِضُ الْأَرْوَاحَ بِإِذْنِ رَبِّهِ.

وَأَنَّ خَيْرَ الْقُرُونِ: الْقَرْنُ الَّذِينَ رَأَوْا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، وَآمَنُوا بِهِ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ.

وَأَفْضَلُ الصَّحَابَةِ: الْخُلَفَاءُ الرَّاشِدُونَ الْمَهْدِيُّونَ: أَبُو بَكْرٍ، ثُمَّ عُمَرُ، ثُمَّ عُثْمَانُ، ثُمَّ عَلِيٌّ؛ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَجْمَعِينَ.

وَأَلَّا يُذَكَّرَ أَحَدٌ مِنْ صَحَابَةِ الرَّسُولِ ﷺ إِلَّا بِأَحْسَنِ ذِكْرٍ، وَالْإِمْسَاكُ عَمَّا شَجَرَ بَيْنَهُمْ، وَأَنَّهُمْ أَحَقُّ النَّاسِ أَنْ يُلْتَمَسَ لَهُمْ أَحْسَنُ الْمَخَارِجِ، وَيُظَنَّ بِهِمْ أَحْسَنُ الْمَذَاهِبِ.

وَالطَّاعَةُ لِأَيِّمَةِ الْمُسْلِمِينَ؛ مِنْ وُلَاةِ أُمُورِهِمْ وَعُلَمَائِهِمْ.  
وَاتِّبَاعُ السَّلَفِ الصَّالِحِ، وَاقْتِفَاءُ آثَارِهِمْ، وَالِاسْتِغْفَارُ لَهُمْ.  
وَتَرْكُ الْمِرَاءِ وَالْجِدَالِ فِي الدِّينِ، وَتَرْكُ مَا أَحَدَثَهُ الْمُحَدِّثُونَ.

وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَأَزْوَاجِهِ وَذُرِّيَّتِهِ، وَسَلَّمْ تَسْلِيمًا كَثِيرًا







## المُقَدِّمَة

الحمد لله؛ له الحمد كله، أَوَّلُهُ وَآخِرُهُ، ظَاهِرُهُ وَبَاطِنُهُ، وله الشكر كله على ما أفاض به وتكرَّم، وتفضَّل به على عباده وأنعم. ونشهد أن لا إله إلا الله، وأنَّ مُحَمَّدًا عبده ورسوله. وصلى الله وسلَّم على النبيِّ الأَمِين، مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

أَمَّا بَعْدُ:

فإنَّ أعظمَ الواجباتِ على الإنسانِ: مَعْرِفَةُ مُوجِدِهِ، وَغَايَةِ وَجُودِهِ، وَحَقِّ مُوجِدِهِ - وهو الله - عليه؛ وذلك أنَّ هذا هو دعوة جميع الرسل؛ قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيْهِ إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢٥]، وقال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦].

وبيانُ الحقِّ يكونُ بأخذه من أصولِهِ والتدليلِ عليه به، وبيانه يكونُ بلا جدالٍ ولا مرأى؛ فإنَّ الجدالَ والمرأى الزائدَ عن البيِّنة يُورِثُ العنادَ والمكابرةَ، ويُحْدِثُ في نفوسِ المخالِفينَ العِزَّةَ بالاثمِ حتى وإن استبانوا الحقَّ.

فمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ الْخَطَأَ بِلا قَنَاعَةٍ، فإذا جادَلَهُ أَحَدٌ عَانَدَ وَكَابَرَ؛ فيكونُ جِدَالُهُ تَثْبِيْثًا لِلْخَطَأِ فِي نَفْسِهِ! ومِثْلُ هذا يَبِيْنُ لَهُ الصَّوَابُ وَيُتْرَكُ بِلا جِدالٍ.



وقد نهج الأئمة من السلف بيان الحق والبعد عن الجدال الزائد فيه، وقد قيل لمالك: الرجل له علم بالسنة يجادل عنها؟ قال: «لا، ولكن يُخبر بالسنة؛ فإن قيل منه، وإلا سكّ»<sup>(١)</sup>.

وإيضاح الحق بلا جدال ولا وراء زائد عن الحجة، يُبقي في قلب المخالف قسماً منه وإن لم يُظهر قبوله، وربما حمل ذلك على المراجعة في السر؛ تهيئاً من الرجوع في العلن؛ فللنفس سلطان وعزة لا يغلبها بالحق إلا الندرة من أصفياء الناس.

والواجب على المتكلم: بيان الحق بحجته بما يفهمه السامع والقارئ بلا تكلف، مع الأخذ في الحسبان: المعانيد، وضعيف الفهم، والتفريق بينهما؛ فإن بعض من يعجز عن الفهم، يظن أن القائل يعجز عن التعبير؛ وهذا يمكن تقريبه بالرفق، ويمكن أن يُبعد فيصنع منه الإبعاد معانداً بالشدة.

ولم يزل العلماء يعرفون الإنسان ويدّكرونه بذلك، ويعرفونه بحق ربّه عليه، وذلك في كل بلد، وفي كل زمن، ولم تخل بلد من بلدان الإسلام مشرقاً ومغرباً من مبلغ عن الله مقيم للحجة على الخلق؛ وهذا مقتضى حفظ الله لدينه أن سخر له حَفَظَةً يحفظونه ويبلغونه.

وفي المغرب أئمة على آثار من سلف؛ فقد نزلها صحابة وتابعون، وأئمة مهتدون، وأخذ عنهم أهلها، ومنهم أبو محمد عبد الله بن أبي زيد القيرواني، وله كتب على آثار من السلف في الأصول والفروع، ومنها كتاباه: «الرسالة»، و«الجامع»، وقد أبان فيهما اعتقاد السلف في

(١) «جامع بيان العلم» (١٧٨٤).

مَعْرِفَةِ اللَّهِ وَحَقَّهُ عَلَى عِبَادِهِ، وَقَدْ تَعَدَّى نَفْعُ كِتَابِهِ أَهْلَ بَلَدِهِ؛ فَاثْنَفَعَ بِهَا أَهْلُ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ.

هَذَا؛ وَقَدْ زُرْتُ الْقَيْرَوَانَ عَامَ ثَلَاثَةِ وَثَلَاثِينَ وَأَرْبَعِ مِائَةٍ وَأَلْفٍ، وَكَانَ فِي أَهْلِهَا حُبٌّ لِلْعِلْمِ وَحِرْصٌ عَلَى تَلْقَائِهِ فِيمَا كَانَ مِنْ مَجَالِسَ فِي جَامِعِ الْقَيْرَوَانَ: (عُقْبَةُ بْنُ نَافِعٍ)، وَغَيْرِهِ.

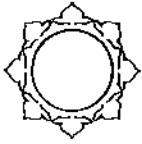
وَقَدْ رَغِبَ إِلَيَّ بَعْضُ مَنْ لَقِيتُ: شَرَحَ مَعْتَقِدَ ابْنِ أَبِي زَيْدٍ، وَبَيَّانَ مَا عَلَيْهِ أَسْلَافُهُ مِنَ الْأَثْمَةِ الْمَهْدِيِّينَ مِنَ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ، وَمَا عَلَيْهِ الْإِمَامُ مَالِكٌ وَأَصْحَابُهُ؛ خَاصَّةً مِنْ أَهْلِ الْمَغْرِبِ الَّذِينَ لَا يَخْتَلِفُونَ عَنْ طَبَقَتِهِمْ مِنَ الْأَثْمَةِ فِي شَيْءٍ مِنَ الْأَصُولِ إِلَّا بِاخْتِلَافِ الْأَرْضِ، وَتَبَاعُدِ الْقُطْرِ.

وَقَدْ كَانَ التَّعْلِيقُ عَلَى مَقْدَمَةِ «الرِّسَالَةِ»؛ مِنْ غَيْرِ إطَالَةٍ تُمَلِّ، وَلَا اخْتِصَارٍ يُخَلِّ، حَتَّى يَتَحَقَّقَ الْمَقْصُودُ، وَمِنْ اللَّهِ التَّوْفِيقُ وَالتَّسْدِيدُ.

وَصَلَّى اللَّهُ وَسَلَّمْ عَلَى النَّبِيِّ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ

عبد العزيز الطريفي





## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، مستوجب كمال الشكر لتفريده بالنعم،  
والصلاة والسلام على سيد ولد آدم المبعوث لجميع الأمم:  
أَمَّا بَعْدُ:

فإنَّ توفيق الإنسان يكون بمقدار علمه وصدق فيه؛ فلا ينال التوفيق  
إلا بالعلم بالحق، وكما أن التوفيق إصابة الحق عن علم به، وذلك أنه قد  
يُصيب الإنسان الحق وهو جاهل؛ وذلك بالصدفة والتقليد، ومن أصاب  
الحق بالصدفة والتقليد لا يثبت عليه، وإنما يتغير بحسب عوامل الصدفة  
وسير المتبوعين وما يلحقه من خوف أو طمع في طريقه.

وقد ينشأ الإنسان في بلد أو مجتمع ويكون على ما كان عليه  
منشؤه، وقد يُصيب الحق وقد لا يُصيبه، وقد يُصيبه عن علم، وقد يُصيبه  
عن جهل، كما أنه قد يُخطئه عن علم، وقد يُخطئه عن جهل.

## ❦ فضل العلم وأفضله:

ولا يختلف الناس على فضل العلم، وأنَّ زيادة اليقين تكون - من  
بين ما تكون - بمقدار زيادة العلم، وأعظم مراتب اليقين اليقين بالله،  
ففضل العلوم بفضل المعلوم، وأفضل العلوم نوعان:

الأول: العلم بالمعبود؛ وهو الله تعالى.

الثاني: العلم بحق المعبود، وحقه: أن يُعبد وحده بما شرع؛



فالعبادة هي الصلوة التي تكون بين العابد ومعبوده، والمخلوق وخالقه.  
وأدنى دَرَكَاتِ الْجَهْلِ: الجهل بالمعبود، ثُمَّ الجهل بعبادته؛ فَمَنْ  
كان جاهلاً بالله، صَرَفَ العبادة لغير الله، وَمَنْ كان عالماً بالله، وجاهلاً  
بالعبادة، عَبَدَ الله بغير ما شَرَعَ، وَمَنْ كان جاهلاً بالعبادة والمعبود، وَقَعَ  
في الشرك والبدعة كِلَيْهِمَا.

وقد أوجَدَ الله الإنسان في الأرض، وجَعَلَ له عقلاً لِيُبْصِرَ به دنياه،  
وَأَنْزَلَ إليه النقل (الوَحْي) لِيُبْصِرَ به دينه؛ فَمَنْ عَطَلَ العقل، فَسَدَتْ دنياه؛  
كما تَفْسُدُ دنيا المجنون، وَمَنْ عَطَلَ النقل، فَسَدَ دينه؛ كما يَفْسُدُ دينُ  
المُحْرِفِينَ وأهلِ الْإِهْوَاءِ، وَمَنْ أَبْصَرَ فسادَ دنيا فاقِدِ العقل، عَرَفَ كيف  
يكونُ فسادُ دينٍ فاقِدِ النقل.

### ﴿حَفْظُ الْعَقْلِ وَالنَّقْلِ﴾

وقد فَطَرَ الله الإنسان على الاحترازِ مِمَّا يُفْسِدُ عقله مِنَ الأمراضِ  
وَالْعِلَلِ؛ حتى لا تَوَثَّرَ على دنياه، وبمثل ذلك جاءت حِيَاظَةُ النقلِ مِنَ الْإِهْوَاءِ  
وَالْبِدْعِ؛ حتى لا تَوَثَّرَ على الدين، ولكن لما كانت لَذَّةُ الدنيا عاجلة، ومتعةُ  
الآخرة آجلة، غَلَبَ على الناسِ حمايةُ الدنيا أَكْثَرَ مِنْ حمايةِ الدين.

وقد وَصَفَ الله مَيْلَ الإنسانِ وَحْبَهُ لِلذَّةِ الْعَاجِلَةِ في مواضع؛ قال  
تعالى: ﴿كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ﴾ [القيامة: ٢٠]، وقال: ﴿إِنَّ هَؤُلَاءِ يُحِبُّونَ  
الْعَاجِلَةَ﴾ [الإنسان: ٢٧]، وقال: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ﴾  
[الإسراء: ١٨].

فالنفسُ مِيَالَةٌ لِلْمَتَاعِ الْعَاجِلَةِ؛ فَإِنَّ المَتَاعَ الْعَاجِلَةَ تَسْلُبُ الحَوَاسَّ  
وَتَجْذِبُهَا إِلَيْهَا؛ ولهذا أَمَرَ الله بعدمِ مَدِّ البَصَرِ إِلَيْهَا حتى لا تَجْذِبَهُ  
وَتَحْرِفَهُ، وقد قال الله لنبيه المعصوم: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ

أَزْوَاجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْسِهِمْ فِيهِ وَرَزَقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَى ﴿طه: ١٣١﴾،  
والتوشُّعُ بالمتعة العاجلة يُنسي النعيم الآجل؛ كما قال تعالى: ﴿وَلَكِنَّ  
مَتَّعْتَهُمْ وَعِيبَاءَهُمْ حَتَّىٰ سَوُوا لِلذِّكْرِ وَكَانُوا قَوْمًا بُورًا﴾ [الفرقان: ١٨].

وسيرُ الإنسان لتحقيق المتعة الدنيوية والاكتفاء بذلك، قَدْرُ يُشَارِكُهُ  
فيه الحيوان؛ كما قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ  
وَالنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ﴾ [محمد: ١٢]، بل إِنَّ الحيوان أكملُ في تحقيق كمالِ متعته  
من الإنسان، ولكنَّ الله اختصَّ الإنسان بالعبودية له؛ وهي التي يُفَارِقُ  
الإنسانُ بها الحيوان؛ ولهذا فإنَّ الله إذا ذَكَرَ الإنسانَ في القرآنِ ذَكَرَهُ  
مذمومًا، وإذا وصفَهُ بالإيمانِ مدحه.

وقد أنزلَ الله الوحيَ ليحفظَ العقولَ من سطوةِ النفوسِ واستبدادِها  
على الإنسان.

### ﴿فَضْلُ قُرْبِ الزَّمَانِ وَالْمَكَانِ الْأَوَّلِ﴾

وأصحُّ الناسِ اعتقادًا وأسلمَهم فهمًا: أصحابُ القرونِ الثلاثةِ  
الأولى؛ لقوله ﷺ: (خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ  
يَلُونَهُمْ)، وقد أنزلَ الله الوحيَ على نبيه ﷺ بلسانِ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ، وكان  
وضعه على وضعِ قُرَيْشٍ ولسانِهِمْ، وأقربُ الناسِ إلى الحقِّ وفهمِهِ: مَنْ  
تحقَّقَ فيه القُرْبَانِ مِنَ الوحيِ:

القربُ الأولُ: قربُ الزمانِ.

والقربُ الثاني: قربُ المكانِ.

وقد كان طَلَّابُ الحقِّ في القرونِ الأولى يعظُمونَ أهلَ الفقهِ في  
الحجازِ، ويقدمونَ فهمَهم:

فَكَلَّمَا كَانَ الْوَاحِدُ مِنْهُمْ أَسْبَقَ زَمَنًا وَأَقْرَبَ مَكَانًا، كَانَ أَقْرَبَ إِلَى الصَّوَابِ مِنْ غَيْرِهِ؛ لِأَنَّ الْوَحْيَ نَزَلَ بَيْنَ أَظْهَرِهِمْ وَبِلِسَانِهِمْ أَوْ لِسَانِ مَنْ حَوَّلَهُمْ.

وَكَلَّمَا تَقَادَمَ الزَّمَانُ، وَتَبَاعَدَ الْمَكَانُ، ضَعُفَ اللِّسَانُ. وَقَدْ يُوجَدُ صَحِيحُ الْإِعْتِقَادِ بَعِيدَ الْمَنْزِلِ، وَقَرِيبَ الْمَنْزِلِ فَاسِدُ الْإِعْتِقَادِ.

### ❦ الْمَغْرِبُ فِي زَمَنِ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ:

دَخَلَ الْإِسْلَامُ الْمَغْرِبَ فِي خِلَافَةِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ، ثُمَّ تَوَسَّعَ فِي خِلَافَةِ مَنْ بَعْدَهُ؛ كَعُثْمَانَ، ثُمَّ فِي إِمَارَةِ مُعَاوِيَةَ، وَيزِيدَ، وَعَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ:

فَإِنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ قَدْ بَعَثَ عَمْرُو بْنَ الْعَاصِ، وَعُثْمَانَ بَعَثَ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ أَبِي السَّرْحِ، وَمُعَاوِيَةَ بَعَثَ رُوَيْفِعَ بْنَ ثَابِتٍ، وَمُعَاوِيَةَ بْنَ حُذَيْجٍ، وَعَبْدَ اللَّهِ بْنَ الزُّبَيْرِ، وَعُقْبَةَ بْنَ نَافِعٍ، وَجَاءَ يَزِيدُ وَأَتَمَّ أَمْرَ عُقْبَةَ بْنَ نَافِعٍ.

وَكُلُّ أُولَئِكَ الْمَبْعُوثِينَ صَحَابَةً؛ إِلَّا عُقْبَةَ، فَمَوْلُودُ زَمَنِ النَّبِيِّ ﷺ؛ وَبِهِ دَخَلَ الْإِسْلَامَ عَامَّةُ الْمَغْرِبِ الْأَدْنَى وَالْأَوْسَطِ، حَتَّى بَلَغَ مُحِيطَهُ الْأَطْلَسِيَّ، وَمِمَّا اشْتَهَرَ عَنْهُ قَوْلُهُ: «اللَّهُمَّ، اشْهَدْ أَنِّي قَدْ بَلَغْتُ الْمَجْهُودَ، وَلَوْلَا هَذَا الْبَحْرُ، لَمَضَيْتُ فِي الْبِلَادِ أَقَاتِلُ مَنْ كَفَرَ بِكَ؛ حَتَّى لَا يُعْبَدَ أَحَدٌ دُونَكَ»<sup>(١)</sup>.

ثُمَّ اتَّسَعَ الْإِسْلَامُ بَعْدَ بَيْدِ زُهَيْرِ بْنِ قَيْسٍ، وَمُوسَى بْنِ نَصِيرٍ، وَطَارِقِ بْنِ زِيَادٍ؛ حَتَّى جَاوَزَتْ الْأَنْدَلُسُ إِلَى جَنُوبِ فَرَنْسَا.

(١) «رياض النفوس» (١/٣٩).

وكل هذا قبل تمام المئة من الهجرة.

وقد دخل بلدان المغرب جماعة من الصحابة فاتحين، وقد سمي أهل السير خلقاً منهم متفرقين؛ يقرؤون أو يزيدون على خمسين نفساً، وقد أخرج ابن عبد الحكم عن سليمان بن يسار؛ قال: «عزونا إفريقية مع معاوية بن حديج، ومعنا بشر كثير من أصحاب رسول الله من المهاجرين والأنصار»<sup>(١)</sup>.

وأما التابعون: فخلق كثير لا يحصون، وقد ارتحل إلى المغرب جماعة من فقهاء التابعين ممن سمع أو أدرك جماعة من أصحاب النبي ﷺ - كابن عباس، وابن عمر، وعبد الله بن عمرو، وطبقتهم - لنشر العلم في المغرب؛ كحبي بن موهب المصافري، وجبان بن أبي جبلة القرشي، وإسماعيل بن عبيد الله القرشي، وبكر بن سودة الجذامي، وعبد الرحمن بن رافع التَّنُوخي، وعبد الله بن يزيد المصافري، وإسماعيل بن عبيد الله بن أبي المهاجر، وجعثل بن عاهان الرعيي، وسعد بن مسعود التَّجِيبِي، وطلق بن جعبان الفارسي.

وهؤلاء أرسلهم عمر بن عبد العزيز لتعليم أهل المغرب.

وكذلك في المغرب من التابعين: عبد الله بن أبي بردة القرشي، وعلي بن رباح اللخمي.

وعامة هؤلاء سكن القيروان بلد ابن أبي زيد، وأكثرهم توفي فيها، وخلفهم في ذلك تلامذتهم، وكان السلف يسمون القيروان بإفريقية، وقد قال مالك: «توفيت حفصة عام فتحت إفريقية»<sup>(٢)</sup>؛ يريد: القيروان،

(١) «فتوح مصر» (ص ٢٢٠).

(٢) «تاريخ أبي زرعة» (٤٨٩ و ١٢٨٢).

وهكذا في «المدونة» إذا أُطْلِقَ إفريقية، فالمراد بها: القيروان؛ لأنها أظهرُ معالِمها وعواميرها<sup>(١)</sup>.

### السُّنَّةُ وَالْأَثَرُ وَعِلْمُ الْكَلَامِ فِي الْمَغْرِبِ:

وكان الناسُ في إفريقية والمغربِ على السُّنَّةِ والأثرِ، ولم تَظْهَرْ فيهم البدعُ متمكنةً، ولا علمُ الكلامِ والفلسفةِ، وقد كان الفيلسوفُ أبو بكرٍ محمدُ بنُ الطُّفَيْلِ القَيْسِيُّ في القرنِ السادسِ يصفُ نُذْرَةَ الفلسفةِ في المغربِ بأنها أَعْدَمُ مِنَ الْكِبَرِيَّةِ الْأَحْمَرِ<sup>(٢)</sup>، وكانتِ المغربُ آخِرَ بلدانِ الإسلامِ يَنْتَظِمُ فيها علمُ الكلامِ، وقد كانتِ بلدانُ الإسلامِ على جهاتٍ ثلاثٍ:

الأولى: بلادُ المَشْرِقِ؛ وهي: مِن عِرَاقِ الْعَجَمِ إِلَى خُرَاسَانَ وما وراءَها، وهي موضعُ الفلاسفةِ في الإسلامِ، وفيها ظَهَرَ علمُ الكلامِ، ودَخَلَ في تقريرِ مسائلِ الدِّينِ؛ كأقوالِ الجَهْمِ بنِ صَفْوَانَ، والجَعْدِ بنِ دِرْهَمٍ، وهي مَوْطِنُ الْفَارَابِيِّ، وابنِ سِينَا، وابنِ مُسْكَوَيْهِ، وهي مَوْطِنُ الْأَئِمَّةِ الْمُتَكَلِّمِينَ؛ كَابْنِ فُورَكَ، وَأَبِي إِسْحَاقَ الْإِسْفَرَايِينِي، وَأَبِي الْقَاسِمِ الْقُشَيْرِيِّ، وَالْجُونِيِّ، وَالْغَزَالِيِّ.

الثانية: بلادُ الْمَغْرِبِ؛ وهي: الْمَغْرِبُ الْأَدْنَى؛ وتُسَمَّى إفريقيةً، وهي الْقَيْرَوَانُ وما حَوْلَهَا، وَالْمَغْرِبُ الْأَقْصَى؛ وهي الْأَنْدَلُسُ وما وراءَها.

الثالثة: ما بَيْنَهُمَا؛ وهي: جَزِيرَةُ الْعَرَبِ وما اتَّصَلَ بِهَا مما بَيْنَ

(١) «حاشية العدوي بهامش شرح مختصر خليل» (٣/١٨٦).

(٢) «حي بن يقظان» (ص ٢٠).

المشرق والمغرب، وما يربط بهما من عراق العرب والشام، وإن كان العراق يعدُّه أهل الحجاز شرقاً، والشام يعدُّونه غرباً.

### ❦ أثر المشرق على المغرب:

والمذاهب الإسلامية في المغرب في الأصول والفروع، إنما أخذت من المشرق؛ حتى مذهب أهل الظاهر لم ينشأ في المغرب؛ وإنما نشط فيه، ونشأته مشرقية.

ومن نظر في عامة متكلمي الأشاعرة في المشرق، وجد أنهم لا يكادون يذكرون متكلميهم في المغرب؛ بخلاف المغاربة مع متكلميهم في المشرق، حتى القرن التاسع.

### ❦ فلسفة اليونان وأثرها على المتكلمين:

وبعض العلوم كالفلسفة أصلها في الغرب؛ فقد كان رؤوس الفلاسفة يونانيين، ولكن لم تؤسَلَم فلسفتهم إلا في المشرق أول الأمر، ثم أخذها المغاربة بعد أسلمتها من الشرق، ولم يؤسَلِموها بأنفسهم.

وقد ذكر الفيلسوف اليهودي ابن ميمون القرطبي<sup>(١)</sup>: أن كل ما قالته المعتزلة والأشاعرة في علم الكلام مبني على مقدمات مأخوذة كلها من كتب اليونانيين والشريانيين، الذين راموا مخالفة آراء الفلاسفة الذين يظعنون في دينهم النصراني، ودعمهم ملوك يريدون منهم حماية دينهم من تلك الآراء الفلسفية التي تهدد قواعد شريعتهم؛ فنشأ فيهم علم الكلام، وعنهم أخذ المعتزلة، ثم الأشاعرة، وطبقوه بزعمهم حماية للدين من تلك الآراء، واختاروا من آراء الفلاسفة ما رأوه مستقيماً على طريقتهم؛

(١) «دلالة الحائرين» (١/ ١٨٠).

حتى قال ابن ميمون: «إنه نظر في كتب المتكلمين والفلاسفة كلهم حسب طاقته - من اليهود والنصارى والمسلمين - فوجد أن طريق المتكلمين كلهم طريق واحد بالنوع، وإن اختلفت أصنافه، وأنهم في مواضع كثيرة يتبعون الخيال، ويسمونه عقلاً»<sup>(١)</sup>.

### ❦ اعتقاد أهل المغرب:

ولم يكن الناس في المغرب أهل جدل، بل أهل سنة وأثر، حتى في المغرب الأقصى الأندلس، وكما قال الباجي: «كانوا عن سنن المجادلة عادلين»<sup>(٢)</sup>، وقلة الجدل في متقدمي أهل المغرب لا تعني عدمه فيهم؛ فلا بن سحنون كتاب في «أدب المتناظرين»، وكانوا على معتقد السلف، فنقل إليهم اعتقاد مالك، كما نقل إليهم فقهه، ونقل إليهم اعتقاد أحمد بن حنبل؛ فقد أدخله المغرب الأقصى والأدنى: أسلم بن عبد العزيز قاضي قضاة الأندلس، وقد ارتحل ولقي أصحاب أحمد، وأصحاب الشافعي؛ كالمزني، والربيع، ويونس بن عبد الأعلى، وغيرهم، كما أسند عقيدة أحمد بن حنبل برواية أسلم وسنده: محمد بن الحارث الحسني القيرواني في كتابه: «أخبار الفقهاء والمحدثين بالأندلس»، وفيها عقيدته بصفات الله؛ كالاستواء، وكلام الله، وعلوه، ومعيته، ومسائل الإيمان والبعث، وابن الحارث ناقل عقيدة ابن حنبل تلك، هو شيخ ابن أبي زيد القيرواني.

والاعتزال لم يكن منتشرًا في المغرب في القرن الثاني والثالث والرابع لدى العلماء؛ يعقدون له المجالس، ويصنفون فيه الكتب؛ فلم

(٢) «المنهاج» (ص ٧).

(١) «دلالة الحائرين» (ص ١٨٢).

يَتَّبَعُهُ عَالَمٌ مُعْتَبَرٌ، وَلَا رَأْسٌ فِي الشَّرِيعَةِ؛ وَهَذَا فِي الْمَغْرِبِ عَامَّةً الْأَقْصَى وَالْأَدْنَى، وَخَاصَّةً مِنَ الْمَالِكِيَّةِ أَتْبَاعَ مَالِكٍ، حَتَّى قِيلَ: «إِنَّهُ لَا يُوجَدُ مَالِكِيٌّ مُعْتَزِلِيٌّ إِلَّا أَبَا إِسْحَاقَ إِبْرَاهِيمَ الْغَافِقِيَّ»؛ كَمَا قَالَ أَبُو الْعَبَّاسِ أَحْمَدُ الْمَقْرِي فِي «النَّفْحِ»<sup>(١)</sup>.

وَقَدْ قَالَ ابْنُ حَزْمٍ فِي «رَسَائِلِهِ»<sup>(٢)</sup>: «وَأَمَّا عِلْمُ الْكَلَامِ: فَإِنَّ بِلَادَنَا وَإِنْ كَانَتْ لَمْ تَتَجَادَبْ فِيهَا الْخُصُومَ، وَلَا اخْتَلَفَتْ فِيهَا النُّحُلُ، فَقَلَّ لَذَلِكَ تَصَرُّفُهُمْ فِي هَذَا الْبَابِ؛ فَهِيَ عَلَى كُلِّ حَالٍ غَيْرُ عَرَبِيَّةٍ عَنْهُ، وَقَدْ كَانَ فِيهِمْ قَوْمٌ يَدْهَبُونَ إِلَى الْإِعْتِزَالِ».

وَبِنْحَوْه قَالَ ابْنُ جُبَيْرٍ صَاحِبُ «الرَّحْلَةِ»<sup>(٣)</sup>: أَنَّ الْمَغْرِبَ عَلَى جَادَةٍ وَاضِحَةٍ، لَا بُنْيَاتٍ لَهَا، وَلَيْسَ فِيهِ مَا فِي الْجِهَاتِ الشَّرْقِيَّةِ مِنْ أَهْوَاءٍ وَبِدْعٍ، وَفَرَقَ ضَالَّةً وَشَيْعًا.

### ﴿وجود الاعتزال في المغرب، وموقف العلماء منه:﴾

وَالْإِعْتِزَالُ فِي الْمَغْرِبِ مُوجُودٌ، وَوُجُودُهُ لَا يَعْنِي أَنَّ لَهُ شَوْكَةً وَرَأْسًا فِي عِلْمٍ؛ كَمَا قَالَ ابْنُ عَبْدِ الْبَرِّ فِيهِمْ: «لَا يُعَدُّونَ عِنْدَ الْجَمِيعِ فِي جَمِيعِ الْأَمْصَارِ فِي طَبَقَاتِ الْعُلَمَاءِ»؛ كَمَا فِي كِتَابِهِ «الْجَامِعُ»<sup>(٤)</sup>، وَقَدْ كَانَ الْعُلَمَاءُ لَا يَرُدُّونَ عَلَيْهِمْ بِالتَّصْنِيفِ رَدًّا ظَاهِرًا؛ لِأَنَّهُمْ لَا يُعَدُّونَ خِلَافَهُمْ خِلَافًا؛ كَمَا قَالَ ابْنُ عَبْدِ الْبَرِّ فِي «الْإِسْتِذْكَارِ»<sup>(٥)</sup>.

وَوُجُودُهُمْ فِي تِلْكَ الْقُرُونِ فِي طَبَقَتَيْنِ:

الطَّبَقَةُ الْأُولَى: حَمَلَةٌ مِنَ الْعَامَّةِ وَأَوَاسِطِ الْمُتَعَلِّمِينَ، لَا يُنْسَبُونَ إِلَى

(٢) «رسائل ابن حزم» (٢/١٨٦).

(٤) «جامع بيان العلم» (٢/٩٤٢).

(١) «نفح الطيب» (٢/٦٠٤ - ٦٠٥).

(٣) «رحلة ابن جبير» (ص ٥٥ - ٥٦).

(٥) «الاستذكار» (٢٤/٥٢).



العلم بالشرعية والفهم فيها؛ وهذا وُجِدَ في أوَّلِ ظهورِ الاعتزالِ في المَشْرِقِ؛ فقد ارتَحَلَ بعضُ أصحابِ واصلِ بنِ عَظَاءٍ إلى المَغْرِبِ؛ كعبدِ اللهِ بنِ الحارِثِ، وتأثَّرَ بهم بعضُ عَوَامِّ المَغْرِبِ وَجُهَاِلِهِمْ؛ خاصَّةً مِنَ البَرْبَرِ في تَاهَرَتَ في المَغْرِبِ الأَوْسَطِ الجَزَائِرِ اليومَ.

**الطبقة الثانية:** بعضُ أمراءِ المَغْرِبِ؛ ككثيرٍ مِنَ الأَعَالِيَةِ؛ فقد كانوا على الاعتزالِ؛ اقتداءً ببعضِ أمراءِ المَشْرِقِ مِنَ بني العَبَّاسِ؛ كالمأمونِ، والمعتصمِ، والواثقِ، وبعضِ قُضَاتِهِمْ؛ وذلك لِمَا جَعَلَهُ اللهُ مِنْ تَأَثُّرِ النفوسِ بِالْعِلْيَةِ والكُبْرَاءِ؛ فيَقْتَدِي الأَدْنَى بالأَعْلَى فيحَاكِيهِ، فحَاكَى بعضُ أمراءِ المَغْرِبِ أمراءَ المَشْرِقِ، وحَاكَى بعضُ قُضَاةِ المَغْرِبِ قُضَاةَ المَشْرِقِ؛ فحَمَلَ بعضُ أمراءِ الأَعَالِيَةِ - وهم أولادُ الأَغْلَبِ بنِ سَالِمِ التميميِّ، قائدِ بني العَبَّاسِ في غَزْوِ المَغْرِبِ - النَّاسَ على الاعتزالِ؛ كَمُحَمَّدٍ وأحمدَ ابْنَي الأَغْلَبِ، وَمِنَ القُضَاةِ والمنسوبيينَ إلى العلمِ المَغَارِبَةِ: ابنُ أَبِي الجَوَادِ، ومُحَمَّدُ بنُ الأَسْوَدِ الصَّدِّيقيِّ، وسُلَيْمَانُ بنُ عُمَرَ العِرَاقِيِّ القَيْرَوَانِيِّ، وَمِنَ أَشْهَرِهِمْ: سُلَيْمَانُ بنُ أَبِي عَصْفُورِ الحَنْفِيِّ شَيْخُ الاعتزالِ بالقَيْرَوَانِ، وَيُعْرَفُ بالقُرَّاءِ؛ فَقَدْ كَتَبَ فِي خَلْقِ الْقُرْآنِ، وَكَانَ مَقَامُهُ قَرِيبًا مِنْ مَقَامِ بَشْرِ المَرِيسِيِّ عِنْدَ المَشَارِقَةِ؛ فَهُوَ مِنْ أَصْحَابِ بَشْرِ، وَأَبِي الهُدَيْلِ، وَمِنَ الرَّاحِلِينَ إِلَيْهِمْ.

وقد امْتَحَنَ فِي المَغْرِبِ العُلَمَاءُ والعَامَّةُ؛ كسُحْنُونِ بنِ سَعِيدٍ، وموسَى بنِ مَعَاوِيَةَ، وَكَانَ سُحْنُونُ بنُ سَعِيدٍ عَصْرِيًّا لِأَحْمَدَ بنِ حَنْبَلٍ، وَقَامَ وَثَبَتْ فِي فِتْنَةِ خَلْقِ الْقُرْآنِ فِي المَغْرِبِ؛ كَمَا قَامَ ابْنُ حَنْبَلٍ وَثَبَتْ فِي المَشْرِقِ.

وَكَانَ العُلَمَاءُ والعَامَّةُ يَهْجُرُونَ أَهْلَ الْكَلَامِ وَمَنْ يَقُولُ بِقَوْلِهِمْ؛ فَقَدْ

كان يُهلُولُ بْنُ رَاشِدٍ، وسُحْنُونُ بْنُ سَعِيدٍ، وعليُّ بْنُ زِيَادٍ: لا يَسْلُمُونَ عليهم، وكان سُحْنُونُ بْنُ سَعِيدٍ لا يَصَلِّي خَلْفَهُمْ، بل كان عبدُ اللَّهِ بْنُ قُرُوحٍ، وابنُ غَانِمٍ، وبُهلُولُ بْنُ رَاشِدٍ، لا يَصَلُّونَ على جَنَائِزِهِمْ، وقد حكى بعضُ علماء المغرب اتفاقَ علماء السُّنَّةِ المغاربة على أنه لا تجوزُ الصلاةُ على مَنْ يَدِينُ بالاعتزال.

### ❦ بداية ردِّ المغاربة على المشاركة في الفروع لا في الأصول:

والمذاهبُ الفقهيَّة - ومنها: المذاهبُ الأربعة المشهورة - مذاهبُ فقهيَّة، وليست طُرُقًا عقديَّة؛ فليس كلُّ مَنْ انتسبَ إلى إمامٍ في الفروع، فهو على طريقتِهِ في الاعتقاد، ولا يُنسبُ للإمام اعتقادُ قرَّره بعضُ أتباعِهِ في الفروع.

ومَنْ نظَرَ في كثيرٍ من رؤوس الاعتزال، وجَدَهُم حنفيَّة في الفروع، وأبو حنيفة بريءٌ من اعتزالهم، وهكذا في بعضٍ من ينتسبُ لمالكٍ والشافعيٍّ وأحمد؛ فتؤخذُ مذاهبُ الفروع بما أخذ غير طرائق العقائد.

ولم تظهِرِ الأهواءُ في المغربِ منتظمةً مبكرةً؛ كما ظهرت في المشرق والعراق والشام، وقد كانت غاية البدع الكلامية يحملها أفراد، وربما يتهيبون من الدعوة إليها والكتابة بها، وكان عامة ردود المغاربة ومناظراتهم في القرن الثالث والرابع - خاصة المالكية - في الفروع، ودفاعاً عن مالكٍ ومذهبه من ردود بعض المشاركة وغيرهم عليه؛ خاصة من أبي حنيفة والشافعيٍّ وأصحابهما، وخاصة في كتاب محمد بن الحسن «الحجة على أهل المدينة»، وكتاب الشافعي «اختلاف مالك»، وغيرهما.

وقد ردَّ جماعة من المغاربة على الشافعي، منهم: محمد بن سُحْنُونٍ في كتابه «الجوابات»، ويحيى بْنُ عُمَرَ الكِنَانِيُّ الأندلسي

الْقَيْرَوَانِي فِي كِتَابِهِ «الْحُجَّةُ فِي الرَّدِّ عَلَى الشَّافِعِيِّ»، وَرَدَّ عَلَى الشَّافِعِيِّ: يُوسُفُ الْمُغَامِي الْأَنْدَلُسِيُّ، وَأَبُو عَثْمَانَ سَعِيدُ الْحَدَّادِ، وَرَدَّ مُحَمَّدُ بْنُ سُحُنُونٍ عَلَى أَبِي حَنِيفَةَ وَأَصْحَابِهِ فِي كِتَابِهِ «الرَّدُّ عَلَى أَهْلِ الْعِرَاقِ».

وهذه الردود كلها في القرن الثالث.

وقد كانوا يُرَدُّونَ الاحتجاجَ بكتبِ داوُدَ الظَاهِرِيِّ وأقوالِهِ قبلَ دخولِ بعضِ رجالِ المَغْرِبِ في مذهبه، وقبلَ ولادةِ ابنِ حَزْمٍ، وأوَّلُ مَنْ أَدَخَلَ كِتَابَ دَاوُدَ الْأَنْدَلُسِيِّ تِلَامِذُهُ: عَبْدُ اللَّهِ بْنُ قَاسِمٍ بْنُ هَلَالٍ الْقُرْطُبِيُّ، وَمُنْذِرُ بْنُ سَعِيدِ الْبَلُّوطِيِّ، ثُمَّ أَدَخَلَ كِتَابَ دَاوُدَ مَغْرِبَ إفريقياة: مُحَمَّدُ بْنُ خَيْرُونَ الْقَيْرَوَانِي فِي «رَحِلَتِهِ إِلَى الْعِرَاقِ»، الَّتِي لَقِيَ فِيهَا أَصْحَابَ أَحْمَدَ، وَابْنَ مَعِينٍ، وَابْنَ الْمَدِينِيِّ؛ وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ أَدَخَلَهَا الْقَيْرَوَانُ؛ وَهَذَا قَبْلَ وَلادةِ ابْنِ حَزْمٍ بِنَحْوِ قَرْنٍ.

وقد تكلَّم أبو عُثْمَانَ سَعِيدُ بْنُ الْحَدَّادِ فِي مَسْأَلَةٍ، فَقِيلَ لَهُ: إِنَّ دَاوُدَ قَالَ فِيهَا كَذَا وَكَذَا، فَقَالَ: «لَوْ كَانَ نَوْمِي كَيْفَظَةَ دَاوُدَ، مَا تَكَلَّمْتُ فِي الْعِلْمِ»<sup>(١)</sup>.

وَابْنُ الْحَدَّادِ شَيْخُ شَيْوْخِ ابْنِ أَبِي زَيْدٍ.

وَرَدَّ ابْنُ أَبِي زَيْدٍ نَفْسَهُ عَلَى الظَاهِرِيَّةِ وَخِلَافِهِمْ لِمَالِكٍ فِي كِتَابِهِ «الذَّبُّ عَنْ مَذْهَبِ مَالِكٍ»، وَكَانَ كِتَابُهُ رَدًّا عَلَى كِتَابِ لِأَحَدِ الظَاهِرِيَّةِ سَمَّاهُ: «التَّنْبِيهُ وَالْبَيَانُ»، عَنْ مَسَائِلَ اخْتَلَفَ فِيهَا مَالِكٌ وَالشَّافِعِيُّ؛ حَيْثُ ذَكَرَ صَاحِبُ «التَّنْبِيهِ» مَخَالَفَةَ مَالِكٍ لِلسُّنَّةِ فِي بَعْضِ أَصُولِ فِقْهِهِ، وَسَبْعًا وَثَلَاثِينَ مَسْأَلَةً مِنْ فُرُوعِهِ، وَكَانَ الْمَغَارِبَةُ يَسْمُونُ دَاوُدَ بِالْقِيَاسِيِّ؛ لِأَنَّهُ يَنْفِي الْقِيَاسَ.

وَأَمَّا قَوِيَّتُ شَوْكَةِ أَهْلِ الظَّاهِرِ فِي الْمَغْرِبِ الْأَقْصَى بَعْدَ ابْنِ حَزْمٍ،  
وَانْتِشَارَ مَذْهَبِهِمْ حَتَّى الْقَرْنِ السَّابِعِ؛ فَضَعُفُوا حَتَّى كَأَنَّ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ فِيهَا  
أَثَرٌ.

وَكُتِبَ الْأُثْمَةُ الْمَشَارِقَةُ السَّابِقِينَ فِي الْعَقَائِدِ مَعْرُوفَةً، وَلَمْ يَكُنْ أَهْلُ  
الْمَغْرِبِ يَرُدُّونَ عَلَى شَيْءٍ مِنْهَا، وَمِنْ ذَلِكَ: كُتِبَ أَبِي جَعْفَرِ الطَّحَاوِيِّ  
الْحَنْفِيُّ؛ فَقَدْ كُتِبَ رِسَالَتُهُ فِي «مَعْتَقِدِهِ وَمَعْتَقِدِ أُثْمَةِ مَذْهَبِهِ أَبِي حَنِيفَةَ  
وَأَصْحَابِهِ»، وَكُتِبَ فِي فُرُوعِهِمْ وَأَدْلَتِهَا: «مُشْكِلَ الْأَثَارِ»، و«مَعَانِي  
الْأَثَارِ»، وَغَيْرَهُمَا.

وَلَمْ يَرُدَّ عَلَيْهِ الْمَالِكِيُّونَ إِلَّا فِي الْفُرُوعِ؛ كَمَا رَدَّ عَلَيْهِ شَيْخُ ابْنِ أَبِي  
زَيْدٍ الْقَيَّرَوَانِيُّ: أَبُو الْفَضْلِ الْعَبَّاسُ الْمُمَسِّيُّ فِي تَحْرِيمِ الْمُسْكِرِ.  
وَكَثْرَةُ رَدُّوهُمْ فِي الْفُرُوعِ فِي تِلْكَ الطَّبَقَةِ دَلِيلُ انْتِفَاقِهِمْ فِي  
الْأَصُولِ؛ فَإِنَّهُمْ لَمْ يَكُونُوا يَخْتَلِفُونَ مَعَ الشَّافِعِيِّ وَلَا أَصْحَابِهِ فِي  
عَقَائِدِهِمْ، وَلَا لَهُمْ فِي الْقَرْنِ الثَّالِثِ كَبِيرُ شَيْءٍ مِنْ كُتُبِ فِي أَصُولِ  
الدِّينِ؛ لِاسْتِقْرَارِ الْأَمْرِ عَلَى السُّنَّةِ، وَجَرْيَانِهِ عَلَى الْفِطْرَةِ.

### ❦ أَسْبَابُ تَأَخُّرِ ذِيُوعِ عِلْمِ الْكَلَامِ فِي الْمَغْرِبِ:

وَقَدْ كَانَ مَا بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ مِنَ الْبُلْدَانِ - كَجَزِيرَةِ الْعَرَبِ وَمَا  
عَلَاهَا مِنْ عِلْمَاءِ الْعِرَاقِ وَالشَّامِ - حَائِلًا عَنْ وَصُولِ عِلْمِ الْفَلَسَفَةِ وَالْكَلَامِ  
إِلَى الْمَغْرِبِ؛ فَشَعَلُوا فَلَاسِفَةَ الْمَشْرِقِ الْأَقْصَى وَمَتَكَلِّمِيهِمْ بِالرَّدِّ وَالنَّقْضِ  
وَالْتَحْذِيرِ، وَنَارَعُوهُمْ بِالْحُجَّةِ وَالْبِرْهَانِ؛ فَحُبِسَتْ تِلْكَ الْبِدْعَةُ فِي الْعِرَاقِ  
وَالشَّامِ، وَلَمْ تَنْتَقِلْ إِلَى الْمَغْرِبِ إِلَّا بَعْدَ نَحْوِ مِئَتَيْ سَنَةٍ مِنْ ظَهْوَرِهَا فِي  
الْمَشْرِقِ؛ عَلَى يَدِ الْجَعْدِ بْنِ دِرْهَمٍ، فَالْجَهْمِ بْنِ صَفْوَانَ، فَبِشْرِ الْمَرْبِيسِيِّ،  
فَأَحْمَدَ بْنِ أَبِي دُوَادٍ، وَطَبَقَتِهِمْ وَأَصْحَابِهِمْ مِنَ الْمَعْتَزِلَةِ، وَكَذَلِكَ: مَنْ

أَخَذَ بَعْلِمَ الْكَلَامِ مَمَّنْ لَمْ يَجْرِ مَجْرَى الْمَعْتَزِلَةِ، وَإِنَّمَا رَدَّ عَلَيْهِمْ؛ كَأَبِي الْحَسَنِ الْأَشْعَرِيِّ، فَضْلاً عَنِ الْفَلَّاسَةِ الْمَشَائِيْنِ وَأَشْبَاهِهِمْ مِنَ الْمَشَارِقَةِ؛ كِيَعْقُوبَ بْنِ إِسْحَاقَ الْكِندِيِّ.

وَإِنْ كَانَ فِي الْمَغْرِبِ فَلَاسِفَةٌ؛ كَابْنِ مَسْرَّةَ الْجَبَلِيِّ بِقَرْطُبَةَ مِنْ أَتْبَاعِ أَنْبَازِ وَقْلَيْسَ أَحَدِ حُكَمَاءِ الْيُونَانِ السَّبْعَةِ، وَكَانَ يَزْعُمُ الْإِنْتِسَابَ إِلَى مَذْهَبِ مَالِكٍ، وَاخْتَصَرَ «الْمَدْوَنَةَ»، وَكَانَ يَحْفَظُ مَسَائِلَهَا وَيَسْرُدُهَا، وَهُوَ مِنْ فَلَاسِفَةِ الْمُتَصَوِّفَةِ، وَتَبِعَهُ تَلَامِذُهُ نُذْرَةُ عَلَى مَذْهَبِهِ؛ كَمُحَمَّدِ الْخَوْلَانِيِّ ابْنِ الْإِمَامِ، وَعَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ حَكَمٍ، وَكَانَ الْخَلِيفَةُ يَتَّبِعُ أَتْبَاعَهُ بِالْحَبْسِ وَالنَّفْيِ.

وَقَدْ رَدَّ ابْنُ أَبِي زَيْدٍ الْقَيْرَوَانِيُّ عَلَى ابْنِ مَسْرَّةَ فِي كِتَابِهِ «الرَّدُّ عَلَى ابْنِ مَسْرَّةَ الْمَارِقِ»، وَبَقِيَ مَذْهَبُ ابْنِ مَسْرَّةَ فِي الْمَغْرِبِ، وَهُوَ الَّذِي آلَ إِلَيْهِ ابْنُ عَرَبِيٍّ فِي الْقَرْنِ السَّادِسِ بِالْأَنْدَلُسِ.

وكَذَلِكَ: فَإِنَّ فِيهِمْ مَعْتَزِلَةً قَلِيلِينَ؛ كَخَلِيلِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ كَلْبٍ الْقَرْطُبِيِّ، الْمَعْرُوفِ بِخَلِيلِ الْعُقْلَةِ، وَقَدْ شَدَّدَ عَلَيْهِ جَمَاعَةٌ؛ كَبَقِيٍّ بْنِ مَخْلَدٍ، وَابْنِ وَضَّاحٍ.

وَمِنَ الْمَعْتَزِلَةِ: أَبُو طَالِبٍ شَيْخُ الْمَعْتَزِلَةِ وَلِسَانُهُمْ، وَفِيهِمْ أَهْلُ خُرَافَةٍ فِي الْكِرَامَاتِ؛ كَأَبِي الْقَاسِمِ الْبَكْرِيِّ الصَّقْلِيِّ الْقَيْرَوَانِيِّ، وَقَدْ رَدَّ عَلَيْهِ ابْنُ أَبِي زَيْدٍ بَكْتَابَهُ: «الرَّدُّ عَلَى الْبَكْرِيَّةِ».

وَلَيْسَ لَهُؤُلَاءِ الْمُبْتَدِعَةُ كُتُبٌ، وَإِنَّمَا هِيَ أَقْوَالٌ تَفَوَّهُوا بِهَا.

وَقَدْ كَتَبَ ابْنُ أَبِي زَيْدٍ الْقَيْرَوَانِيُّ إِلَى الْبَاقِلَانِيِّ - مَعَ كَوْنِ ابْنِ أَبِي زَيْدٍ أَسَرَّ مِنْهُ - يَسْأَلُهُ عَنِ الْكِرَامَاتِ لِعِلْمِهِ بِأَقْوَالِ الْمَعْتَزِلَةِ، وَرَدَّهُ عَلَيْهِ؛ حَيْثُ نُسِبَ ابْنُ أَبِي زَيْدٍ فِي «رَدِّهِ عَلَى الْبَكْرِيِّ» بِمَشَابَهَةِ قَوْلِ الْمَعْتَزِلَةِ

بنفي الكرامات؛ فانتصر الباقلاني لابن أبي زيد، وبين قوله<sup>(١)</sup>؛ وقد قال في ابن أبي زيد: «شئنا»<sup>(٢)</sup>.

### ❦ أسباب انتشار علم الكلام في المغرب:

وقد كانت غالب البدع الكلامية في المغرب يحملها أفراد، وربما يتهيئون الدعوة إليها، والكتابة بها، حتى إذا كان القرن الرابع والخامس، حملها بعض المغاربة إلى بلدانهم من بعض شيوخ المشرق، وبدأ الخوض في الكلام والفلسفة، وبدأت رياح المشرق الكلامية تصل وتؤثر في المغرب، بأسباب ثلاثة:

**أولها:** ارتحال المغاربة إلى المشرق الأدنى والأقصى، والأخذ والسماع من علمائها؛ فسمعوا منهم القرآن والسنة والأثر، والفقه والكلام، ورحل فرج بن سلام القرطبي، ولقي الجاحظ، وأخذ كتبه، ورحل عبد الله بن مسرة بن نجيج، وأبو بكر يحيى بن السمينة، وإبراهيم القلايسي، ودراس بن إسماعيل؛ القيروانيون، وغيرهم.

ولم يأخذ - فيما أعلم - أحد من أعيان المغاربة المعتمدين من أبي الحسن الأشعري علم الكلام مباشرة، وإنما كان هناك من التقى ببعض أصحابه؛ كابن مجاهد الطائي؛ فقد ارتحل إلى العراق: أبو بكر إسماعيل بن إسحاق بن عذرة، ومحمد بن خلدون؛ وكلاهما من تلامذة ابن أبي زيد القيرواني، والتقيا ابن مجاهد من جملة من التقيا بالعراق، وقد استجاز ابن مجاهد كتاب «المختصر» لابن أبي زيد القيرواني، وأرسل إليه مع تلاميذه بذلك، ورحل إلى المشرق: أبو بكر محمد بن موهب، وهو جد أبي الوليد الباجي، وحكم بن منذر البلوطي.

(١) «البيان» (ص ٥).

(٢) في نفس الموضع السابق.

وَأَكْثَرُ الْمُتَكَلِّمِينَ أَثَرًا فِي الْمَغْرِبِ: أَبُو بَكْرٍ الْبَاقِلَانِيُّ، وَصَاحِبُهُ  
أَبُو ذَرٍّ الْهَرَوِيُّ، ثُمَّ الْجَوْنِيُّ:

فَالأَوَّلُ: أَخَذَ عَنْهُ الْمَغَارِبَةُ فِي الْعِرَاقِ، وَبَلَغَتْ بَعْضُ كُتُبِهِ الْمَغْرِبَ،  
كَ«الْتَمْهِيدِ»؛ فَقَدْ شَرَحَهُ أَبُو الْقَاسِمِ عَبْدُ الْجَلِيلِ الرَّبْعِيُّ الْقَيْرَوَانِيُّ، وَسَمَّى  
شَرْحَهُ: «التَّسْهِيدَ»، فِي شَرْحِ التَّمْهِيدِ، وَكَانَ مُتَنَصِّفَ الْقَرْنِ الْخَامِسِ.

وَالثَّانِي: أَخَذُوا عَنْهُ فِي مَكَّةَ؛ لِأَنَّهُ جَاوَرَ فِيهَا، وَأَسْمَعَ الْبَخَارِيَّ  
وَالْفَقْهَ وَالْكَلَامَ أَزِيدَ مِنْ ثَلَاثِينَ عَامًا، وَكَانَ يَمِيلُ إِلَى مَذْهَبِ مَالِكٍ،  
وَكَانَ يُعْجَبُ مِنْ مَذْهَبِهِ، وَهُوَ هَرَوِيُّ، وَكَانَ يُسَالُّ: مِنْ أَيْنَ تَمَذُّبْتَ  
بِمَذْهَبِ مَالِكٍ وَرَأَيْ الْأَشْعَرِيَّ، مَعَ أَنَّكَ هَرَوِيُّ؟!

وَأَمَّا الثَّالِثُ: فَقَدْ انْتَشَرَتْ كُتُبُهُ وَتَلَامِيذُهُ فِي الْمَغْرِبِ وَغَيْرِهِ.

وَقَدْ سَمِعَ مِنَ الْبَاقِلَانِيِّ جَمَاعَةٌ مِنْ أَهْلِ الْمَغْرِبِ وَسَاكِنِيهَا؛ كَأَبِي  
عِمْرَانَ الْفَاسِيِّ، وَأَبِي طَاهِرٍ الْبَغْدَادِيِّ، وَالْحُسَيْنِ بْنِ حَاتِمٍ الْأَكْرِيَّ نَزِيلِ  
الْقَيْرَوَانِ، وَأَبِي عَمْرٍو الدَّانِي.

وَسَمِعَ مِنْ تَلَامِيذِ الْبَاقِلَانِيِّ جَمَاعَةٌ مِنَ الْمَغَارِبَةِ؛ كَعَبْدِ الْجَلِيلِ  
الرَّبْعِيِّ الْقَيْرَوَانِيِّ.

وَسَمِعَ مِنْ أَبِي ذَرٍّ الْهَرَوِيِّ - وَقَدْ سَكَنَ مَكَّةَ عَقُودًا - وَأَخَذَ عَنْهُ جَمَاعَةٌ  
كَثِيرَةٌ مِنْ أَهْلِ الْمَغْرِبِ، وَكَانَ يُقْصَدُ لِرَوَايَتِهِ لِلْبَخَارِيِّ، وَصَحَّةِ ضَبْطِهِ لَهُ،  
وَكَانَ أَكْثَرَ مَنْ أَدْخَلَ أَهْلَ الْحَدِيثِ الْمَغَارِبَةَ فِي عِلْمِ الْكَلَامِ؛ فَقَدْ أَخَذَ عَنْهُ  
أَبُو عِمْرَانَ الْفَاسِيُّ، وَأَبُو الْوَلِيدِ الْبَاجِيُّ، وَمَكِّيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ، وَجَمَاعَةٌ.

وَسَمِعَ مِنَ الْجَوْنِيِّ جَمَاعَةٌ مِنَ الْمَغَارِبَةِ؛ كَابْنِ أَبِي حَمْرَةَ الْأَنْدَلُسِيِّ،  
وَمُحَمَّدِ الْمَيُورَقِيِّ، وَأَبِي الْقَاسِمِ الْمَعَاوِرِيِّ، وَرَحَلَ بَعْضُ أَصْحَابِهِ  
الْمُشَارِقَةَ إِلَى الْمَغْرِبِ مُعَلِّمِينَ؛ كَأَبِي نَضْرٍ سَهْلٍ بْنِ عَثْمَانَ النَّيْسَابُورِيِّ، ثُمَّ

لَقِيَ أَبُو بَكْرٍ بْنُ الْعَرَبِيِّ أَصْحَابَ الْجَوْنِيِّ فِي الْمَشْرِقِ؛ كَالْغَزَالِيِّ، وَلَكِنَّهُ لَمْ يَلْقَ الْجَوْنِيَّ نَفْسَهُ؛ فَأَخَذَ عِلْمَهُ وَنَشَرَهُ فِي الْمَغْرِبِ وَاتَّسَعَ.

وَلَمْ يَكُنْ مَذْهَبُ الْمُتَكَلِّمِينَ - التَّأْوِيلُ وَالتَّفْوِيضُ التَّامُّ - مُنْتَظِمًا فِي الْمَغْرِبِ الْأَقْصَى وَالْأَدْنَى، وَلَا رَوَاجَ لَهُ مُسْتَمِرًّا، وَإِنَّمَا فِي أَفْرَادٍ وَزَوَايَا، حَتَّى آخِرِ الْقَرْنِ الْخَامِسِ؛ كَمَا قَالَ ابْنُ حَزْمٍ: «إِنَّ الْأَشْعَرِيَّةَ قَامَتْ لَهُمْ سُوقٌ بِصِفَلِيَّةٍ وَالْقَيْرَوَانِ، ثُمَّ رَقَّ أَمْرُهُمْ»<sup>(١)</sup>.

وَكَانَ أَوَّلُ أَمْرِهِمْ وَإِدْخَالِهِمْ عِلْمَ الْكَلَامِ فِي الْإِعْتِقَادِ يَسْتَنْكِرُهُ عُلَمَاءُ الْمَغْرِبِ، وَرَبَّمَا بِالْغَوَا فِي ذَلِكَ، وَقَدْ كَانَ الْأَنْدَلُسِيُّ أَبُو مُحَمَّدٍ عَبْدُ اللَّهِ الْقَحْطَانِيُّ يَصِفُهُمْ فِي «قَصِيدَتِهِ» بِـ «الزَّنادِقَةِ»، وَكَانَ ذَلِكَ فِي مُنْتَصَفِ الْقَرْنِ الرَّابِعِ<sup>(٢)</sup>، وَمِنْ بَعْدِهِ فَعَلَ ابْنُ حَزْمٍ، وَسَمَّى مَقَالَتَهُمْ بِـ «الْمَلْعُونَةِ»<sup>(٣)</sup>، حَتَّى ذَكَرَ الْمَرَّاكُشِيُّ فِي «الْمُعْجَبِ»: أَنَّ أَهْلَ الْمَغْرِبِ أَوَّلَ الْأَمْرِ كَفَرُوا كُلَّ مَنْ دَخَلَ فِي عِلْمِ الْكَلَامِ<sup>(٤)</sup>، وَكَانَ بَعْضُ الْأَثَمَةِ يُسْأَلُ عَنْ حُكْمِ لَعْنِ مَنْ اسْتَعْمَلَ عِلْمَ الْكَلَامِ وَسَبَّهُمْ؛ كَمَا سُئِلَ ابْنُ أَبِي زَيْدٍ، وَابْنُ رَشِيدٍ<sup>(٥)</sup>.

وَالْإِشَارَاتُ فِي تَفْوِيضِ الْحَقِيقَةِ فِي كَلَامٍ بَعْضِ أَثَمَةِ الْمَغَارِبَةِ، لَا تَعْنِي: أَنَّهُمْ يُؤْصِلُونَ لِدَلَالَةِ، وَإِنَّمَا هِيَ تَقْرِيرَاتٌ عَارِضَةٌ يَقْرُرُونَ فِي نِظَائِرِهَا خِلَافَهَا؛ مِمَّا يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُمْ لَمْ يَكُونُوا عَلَى أَصُولِ الْكَلَامِ فِي التَّأْوِيلِ وَالتَّفْوِيضِ التَّامِّ، وَإِشَارَاتُ التَّفْوِيضِ عِنْدَ بَعْضِ الْمَغَارِبَةِ الْمُتَقَدِّمِينَ نَظِيرُ إِشَارَاتِ التَّشْبِيهِ فِي كَلَامٍ بَعْضِ الْمَشَارِقَةِ الَّتِي لَيْسَتْ أَصْلًا لَدَيْهِمْ؛ يَقْرُرُونَ خِلَافَهَا فِي مَوَاضِعَ أُخْرَى مِنَ النِّظَائِرِ.

وَقَدْ كَانَ الْمُتَقَدِّمُونَ مِنَ الْمَالِكِيَّةِ عَلَى إِثْبَاتِ حَقِيقَةِ الصِّفَاتِ وَإِمْرَارِ

(١) «الفصل» (٤/١٥٥).

(٢) «النونية» (١٨٧).

(٣) «الفصل» (٤/٣٤).

(٤) «المعجب» (ص ١٣١).

(٥) «مسائل ابن رشد» (١٥٣ و ٢١٥).



نصوصها؛ بلا تكيف ولا تفسير ولا تشبيه؛ حتى كانوا يُسمَّون من خُصومهم بـ: «الحشوية»؛ كما قال أبو القاسم بن حوقل في أهل الشوس: «والمالكية من فُظَّاظ الحشوية»<sup>(١)</sup>.

وكلما تقدَّم الزمن في المغرب، اتَّسع القول بالكلام مع الأعراف، حتى تفرَّرت وثبتت ورسخت أصوله في مجالس العلم والكتب بأيدي المغاربة أنفسهم، بعدما كان بأيدي غيرهم.

وثانيها: انتقال كتب المشاركة إلى المغرب مع الرُّسل والنُّسَّاح، وقد كان بعض المعتزلة ممن يزعم اتباع مذهب مالك في العراق، يُكاتب أصحاب مالك بالمغرب بالاعتزال ويدعوهم إليه؛ فقد كتب علي بن أحمد البغدادي رسالة إلى أهل المغرب بالقيروان يدعوهم إلى الاعتزال، ونفي القدر، وخلق القرآن، ويزعم أن هذا مذهب مالك بن أنس؛ لأنه يعلم إجلالهم لمالك وقوله، وقد ردَّ عليه جماعة من المغاربة، ومنهم ابن أبي زيد في رسالته «الرد على القدرية»<sup>(٢)</sup>.

وكانت بعض كتب ابن مجاهد صاحب أبي الحسن قد أُدخلت المغرب؛ ككتابه: «عقود أهل السنة»، ورسالته فيما التمسهُ أهل الثغر من شرح أصول مذاهب المتعبدين.

وثالثها: انتقال بعض المشاركة إلى المغرب ممن له نظر في الفلسفة والكلام، وهذا قليل؛ كالحسين بن حاتم الأدربي نزيل القيروان، صاحب أبي بكر الباقلائي<sup>(٣)</sup>، ولكن الأدربي موصوف بالضعف في علم الكلام، وكان أبو محمد بن عطية الأندلسي في فهرسه يصفه ببلادة الذهن في علم

(١) «صورة الأرض» (١/١٩١).

(٢) انظر: «ترتيب المدارك» (٦/٢١٨)، و«شجرة النور» (ص ٩٦).

(٣) «تاريخ دمشق» (٤١/٤٧١).

الأصول، وكان نحوياً يأذن له شيخه الباقلاني أن يصحح كتبه من جهة النحو، وينهاه عما عدا ذلك<sup>(١)</sup>.

### ✽ أثر الاعتزال في قبول علم الكلام على طريقة الأشاعرة:

وقد بلغت المعتزلة المغرب بالكلام والنظر، وعامة أهل المغرب أهل حديث وأثر، وكان دخول علم الكلام على طريقة الأشاعرة مؤثراً في تلقى المغاربة له؛ لأنه الحجة التي يردون بها على المعتزلة؛ فيردون عليهم بلغتهم، ولو دخل علم الكلام المغرب على طريقة الأشاعرة أول الأمر، لم يكن له قبول ولا نظر ولا تمكّن، ولكن سبقه شر الاعتزال وفتنته؛ ففرق علم الكلام بعضه بعضاً.

وقد ذكر الفيلسوف ابن ميمون القرطبي في القرن السادس<sup>(٢)</sup>: أن علم الكلام على طريقة المعتزلة نشأ في مسلمي المغرب قبل دخوله على طريقة الأشاعرة فيهم، حتى أخذ يهود الأندلس علم الكلام من المعتزلة.

### ✽ مراتب المخالفين تقتضي مدح الأقرب واللبن معه:

ومن هذا الباب: مدح جماعة من الأئمة بعض المنظرين من المتكلمين على طريقة الأشاعرة؛ لأن غالبه كان مقترناً بزمين شدة النزاع بين المعتزلة والأشاعرة، وكان لهم فضل في صد عادية المعتزلة، وكان ابن أبي زئيد يئني على الأشعري، مع كونه ليس من أهل الكلام ولا النظر فيه، بل كان محدثاً منه.

ونناؤه على الأشعري وأصحابه إنما كان لأثرهم على أهل البدع، وردهم على المعتزلة والجهمية، وقد قال في أبي الحسن الأشعري لما وقع فيه المعتزلة: «هو رجل مشهور؛ أنه يرد على أهل البدع وعلى

(٢) «دلالة الحائرين» (١/ ١٨٠ - ١٨١).

(١) «فهرس ابن عطية» (ص ٥٥).

الْقَدَرِيَّةُ وَالْجَهْمِيَّةُ، مَتَمَسِّكٌ بِالسُّنَنِ»<sup>(١)</sup>.

ومثلَ هذا قاله في الذَّبِّ عن ابنِ كُلابٍ<sup>(٢)</sup>.

وهذا من فقه ابن أبي زَيْدٍ ودرايته؛ أَنَّ مَنْ انْبَرَى مِنَ الْمُخَالِفِينَ لَصِدِّ عَادِيَةِ الزَّناذِقَةِ وَمَنْ هُمْ أَشَدُّ مِنْهُمْ مُخَالَفَةً، لَيْسَ مِنَ الْفَقْهِ دَفْعُهُ بِذَاتِهِ؛ لَأَنَّهُ بَابٌ لَوْ كُسِرَ، لَفُتِحَ عَلَى السُّنَّةِ بَعْدَهُ شَرٌّ أَعْظَمُ لَا يَقُومُ بِهِ غَيْرُهُ، وَبَعْضُ الْمُتَمَسِّكِينَ بِالسُّنَّةِ وَالْأَثَرِ يَعْمَلُ كُلُّ مُخَالِفٍ بِالنَّظَرِ إِلَى مُخَالَفَتِهِ، وَلَا يَنْظُرُ إِلَى مَا وَرَاءَهُ مِنْ شُرُورٍ مَدْفُوعَةٍ بِهِ، وَكَانَ يَسْعُهُ بَيَانُ السُّنَّةِ مِنَ الْبِدْعَةِ، وَعَدَمُ كَسْرِ بَابِ بِدْعَةٍ يَدْخُلُ عَلَى الْإِسْلَامِ مِنْهُ بِدْعَةٌ أَكْبَرُ مِنْهَا.

وهذه طَرِيقَةُ الْأَثْمَةِ فِي التَّعَامُلِ مَعَ الْمُخَالِفِينَ؛ يَحْفَظُونَ السُّنَّةَ مِنَ الْبِدْعَةِ، وَمِنْ حِفْظِهَا: تَقْدِيرُ مَرَاتِبِ الْمُخَالِفِينَ وَأَحْوَالِهِمْ؛ ففَرَّقَ بَيْنَ مُخَالِفٍ وَجْهَهُ إِلَى بِدْعَةٍ أَشَدَّ مِنْ بَدْعَتِهِ يُحَارِبُهَا، وَبَيْنَ مُخَالِفٍ وَجْهَهُ إِلَى سُنَّةٍ يُحَارِبُهَا، وَلَوْ كَانَتْ مُخَالَفَةُ الثَّانِي أَخَفَّ، فَرُبَّمَا شَدَّدُوا عَلَى الثَّانِي، وَخَفَّفُوا فِي الْأَوَّلِ.

وقد كان أبو عُثْمَانَ الصَّابُونِيُّ يُثْنِي عَلَى أَبِي مَنْصُورِ الْبَغْدَادِيِّ، وَيُعْظِمُهُ؛ لِمَقَامِهِ فِي الرَّدِّ عَلَى الْمُعْتَزِلَةِ، مَعَ كَوْنِهِ مِنْ أَهْلِ الْكَلَامِ<sup>(٣)</sup>.

وقد كان ابنُ أَبِي زَيْدٍ عَلَى هَذَا النَّهْجِ، وَمَعْتَقِدُهُ يَبَيِّنُهُ مَا كَتَبَهُ وَقَالَهُ، وَلَا يُؤْخَذُ مِنْ مَضَامِينِ الثَّنَاءِ وَالْمَدْحِ لِلْأَعْلَامِ.

وقد كان ابنُ أَبِي زَيْدٍ عَلَى طَرِيقَةِ مَالِكٍ وَأَحْمَدَ، وَكَانَ مُعْظَمًا لِأَحْمَدَ، وَكَانَ يَقُولُ: «أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ حَنْبَلٍ بِهِ يُقْتَدَى، وَقَدْ أَنْكَرَ هَذَا، وَمَا أَنْكَرَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ أَنْكَرَنَاهُ»<sup>(٤)</sup>.

(٢) «تبين كذب المفترى» (ص ٤٠٥).

(٤) «تبين كذب المفترى» (ص ٤٠٨).

(١) «تبين كذب المفترى» (ص ١٢٣).

(٣) «تبين كذب المفترى» (ص ٢٥٣).

ونسبُهُ ابنُ أبي زيدٍ في المَغْرِبِ لطريقةِ الأشعريِّ قديمةٌ؛ بسببِ ما تقدَّم ذكرُهُ من نُصرةِ الأشعريِّ وأصحابِهِ في سياقِ صدِّ المعتزلةِ والجهميةِ.

وقد بينَ أبو نُصيرٍ عُبَيْدُ اللَّهِ السَّجْزِيُّ وهو في أوائلِ القرنِ الخامس - في رسالَتِهِ «الرَّدُّ على مَنْ أنكَرَ الحرفَ والصوتَ» - خطأَ ظنِّ بعضِ المغاربةِ أشعريَّةَ ابنِ أبي زَيْدٍ، وأبي الحسنِ القَابِسِيِّ؛ فرسالَتُهُ على طريقةِ السلفِ؛ كما في «رسالَتِهِ»، و«جامِعِهِ»، وبقيةِ كتبه، ومثلهُ القَابِسِيُّ كما في كتابِهِ في «الاعتقاد».

وابنُ أبي زَيْدٍ يُثَبِّتُ الصفاتِ لله على ظاهرٍ يليقُ بالخالقِ، لا بالمخلوقِ، بلا تَكْيِيفٍ؛ وهذا ظاهرٌ في إثباتِهِ لصفةِ اليَدَيْنِ، والرُّضَا والسَّخَطِ والغَضَبِ، والنزولِ والمجيءِ، والضَّحِكِ وغيرها.

### ❦ كتابةُ أهلِ المَغْرِبِ في العقائد:

وبهذا بدأ علمُ الكلامِ يَظْهَرُ في المَغْرِبِ وَيَفْشُو في تقريرِ بعضِ علمائِهِ؛ على سبيلِ الاستطرادِ، لا على سبيلِ التَّأصيلِ؛ فيكونُ منشوراً في ثنايا بعضِ كلامِهِم وفتاويهِم، وربَّما جرى في كلامِ بعضِ أئمتِّهِم في أواخرِ القرنِ الرابعِ والخامسِ ممَّن هو على طريقةِ السلفِ، ويحذَرُ من علمِ الكلامِ؛ فأدركَهُ بعضُهُ في فروعِ تقريراتِهِ، لا في تأصيلاتِهِ.

ولهذا بدأ المغاربةُ بالكتابةِ في العقائدِ وأصولِ الدِّينِ وبيانِ الحقِّ فيما اعتَقَدَ خلافاً مِنَ الباطلِ، مِنْ غيرِ تخصُّيصِ القائلِ بتلكِ البدعةِ، وهذه عادةُ العلماءِ عندَ بدءِ ظهورِ البدعِ مِنَ المغمورِ: تقريرُ السُّنَّةِ وإبطالُ البدعةِ، مِنْ غيرِ ذكرِ صاحبِها؛ حتى لا يُدَلَّ عليه:

فمنهم: مَنْ كَتَبَ بأعيانِ البدعِ؛ كمحمَّدِ بنِ سُحْنُونٍ في كتابِهِ «الحُجَّةُ على القَدَرِيَّةِ»، وكيحيى بنِ عُمَرَ الكِنْدِيِّ السُّوسِيِّ في كُتُبِهِ: «الرَّدُّ

على المُرْجِئَةِ، و«الرُّوْيَةِ»، و«المِيزَانِ»، وكأبي عُثْمَانَ الحَدَّادِ في كتابه: «الاستواء»، وأبي عبد الله مُحَمَّد بن مَحْبُوب الزَّنَاتِي، وابن أبي زَيْدَ لهما كُتِبَ في: الرد على القَدَرِيَّةِ.

ومنهم: مَنْ أَجْمَلَ بَيَانَ معتقِدِ السلفِ، وكان مِنْ أوائلِ المَغَارِبَةِ الذين كَتَبُوا في تقريرِ أصولِ العقائدِ عامَّةً: أبو القاسِمِ مَسْلَمَةُ بنُ القاسِمِ القرطُبِيُّ في كتابه: «تبيينِ أصولِ الشُّنَّةِ»، وحفظ ما لا بُدَّ للعملِ منه بشاهدِ القرآنِ والحديثِ<sup>(١)</sup>، وقد تُوفِّيَ منتصفَ القرنِ الرابعِ قبلَ ابنِ أبي زَيْدَ بثلاثةٍ وثلاثينَ عامًا، وضمَّنَ كتابَهُ ردًّا على أهلِ الأهواءِ، واشتكى مِنْ فُسُوقِ البِدْعَةِ، وبَيَّنَ قولَ السلفِ في كلامِ الله، والنظرِ إليه، وعلوِّهِ واستوائِهِ على عرشِهِ، ونزولِهِ إلى السماءِ الدنيا، وإثباتِ صفاتِهِ سبحانه، وفضلِ الصحابةِ وتفاضُلِهِمْ، وغير ذلك مِنْ مسائلِ الاعتقادِ.

### ❦ أصولُ مالِكٍ وفروعه، وأحوالُ أصحابِهِ في المَغْرِبِ:

وقد كانت عامَّةُ أهلِ المَغْرِبِ في القرنِ الثالثِ والرابعِ على مذهبِ مالِكٍ في الأصولِ والفروعِ، في الاعتقادِ والفقه، وقد شاع مذهبُ مالِكٍ في المَغْرِبِ في حياته، وكان أَقْرَبُ الناسِ إلى مذهبه وأصولِهِ أَقْرَبَهُمْ مِنْهُ زمانًا ومكانًا، وأقْرَبُ أهلِ المَغْرِبِ إلى أصولِهِ وفروعه أَقْرَبَهُمْ إليه زمانًا، وقد كان أصحابُ مالِكٍ مِنَ المَغَارِبَةِ على طائفتينِ:

\* الطائفةُ الأولى: المتقدِّمونَ مِمَّنْ سَمِعَ مالِكًا وأخذَ عنه، وَمَنْ انتَهَجَ نَهْجَهُمْ؛ كعبدِ الله بنِ قُرُوحِ الفارسيِّ القَيْرَوَانِيِّ، وقد كان مالِكٌ يُجِلُّهُ ويعظِّمُهُ، وقيل: «إنه كان يسمِّيهِ فقيهَ أهلِ المَغْرِبِ»<sup>(٢)</sup>.

(١) مطبوع بتحقيق: رضوان بن صالح الحصري.

(٢) «رياض النفوس» (١/١٧٧).

وكُتُهْلُولِ بْنِ رَاشِدِ الْقَيْرَوَانِيِّ، وَأَبِي الْحَسَنِ عَلِيِّ بْنِ زِيَادِ التُّونِسِيِّ،  
وقد قال أبو سعيد بن يونس: «إِنَّهُ أَوَّلُ مَنْ أَدْخَلَ «الْمَوْطَأَ»، و«جَامِعَ  
سُفْيَانَ» الْمَغْرِبَ»<sup>(١)</sup>، وَفَسَّرَ لَهُمْ قَوْلَ مَالِكٍ، وَلَمْ يَكُونُوا يَعْرِفُونَهُ، وَكَانَ  
قَدْ دَخَلَ الْحِجَازَ وَالْعِرَاقَ فِي طَلَبِ الْعِلْمِ، وَهُوَ مُعَلِّمٌ سُخُنُونِ الْفَقْهَةِ.

وَكَانَ سَخُنُونٌ لَا يَقْدُمُ عَلَيْهِ أَحَدًا مِنْ أَهْلِ إِفْرِيقِيَّةَ، وَيَقُولُ: «وَمَا  
أَنْجَبَتْ إِفْرِيقِيَّةٌ مِثْلَ عَلِيِّ بْنِ زِيَادٍ»<sup>(٢)</sup>، وَقَدْ فَضَّلَهُ عَلَى الْمَصْرِيِّينَ.

وَمِنْ هَذِهِ الطَّبَقَةِ: عَبْدُ اللَّهِ بْنُ غَانِمِ الْإِفْرِيقِيِّ الْقَيْرَوَانِيِّ، وَكَانَ مَالِكٌ  
يُحِبُّهُ وَيُجِلُّهُ، وَإِذَا اتَّقَاهُ، اشْتَغَلَ بِهِ عَنْ أَصْحَابِهِ؛ حَتَّى قِيلَ: «إِنَّهُ عَرَضَ عَلَيْهِ  
ابْتِنَتُهُ، وَيَقِيمُ عِنْدَهُ»، فَأَبَى<sup>(٣)</sup>، وَكَانَ أَصْحَابُ مَالِكٍ إِذَا رَأَوْهُ، قَالُوا: «شَغَلَهُ  
الْمَغْرِبِيُّ عَنَا»<sup>(٤)</sup>، وَلَمَّا وَلِيَ قِضَاءَ الْمَغْرِبِ، أَعْلَمَ مَالِكٌ بِذَلِكَ أَصْحَابَهُ،  
وَسَرَّ بِهِ، وَكَانَ مَالِكٌ يَكَايَتُهُ وَهُوَ فِي الْقَيْرَوَانِ؛ كَمَا جَاءَ فِي «الْمَدُونَةِ»<sup>(٥)</sup>.

وَمِنْهُمْ: أَبُو مُحَمَّدٍ الْغَازِي بْنُ قَيْسِ الْأَمْوِيِّ الْقُرْطُبِيُّ، وَصِفْلَابُ بْنُ  
زِيَادِ الْهَمْدَانِيِّ الْقَيْرَوَانِيِّ، وَأَبُو جَعْفَرٍ مُوسَى بْنُ مُعَاوِيَةَ الصُّمَادِجِيِّ،  
وَأَسَدُ بْنُ الْفَرَاتِ الْحَرَّانِيُّ الْقَيْرَوَانِيُّ قَاضِي الْقَيْرَوَانِ، وَعَيْسَى بْنُ دِينَارِ  
الْقُرْطُبِيِّ، وَعَبَّاسُ بْنُ أَبِي الْوَلِيدِ الْفَارِسِيِّ التُّونِسِيِّ، وَأَبُو مَسْعُودِ بْنُ  
أَشْرَسَ التُّونِسِيِّ، وَأَبُو خَارِجَةَ عَنَبْسَةُ بْنُ خَارِجَةَ الْغَافِقِيِّ، وَأَحْمَدُ بْنُ  
أَبِي مُحَرَّرٍ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي حَسَّانِ الْيَحْصَبِيِّ، وَيَحْيَى بْنُ يَحْيَى اللَّيْثِيُّ  
الْأَنْدَلُسِيُّ، وَأَبُو عَبْدِ اللَّهِ زِيَادُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْقُرْطُبِيُّ، وَأَبُو عَبْدِ اللَّهِ  
مُحَمَّدُ بْنُ سَعِيدِ بْنِ بَشِيرِ بْنِ شَرَّاحِيلَ.

(٢) «رياض النفوس» (١/٢٣٥).

(٤) «ترتيب المدارك» (٣/٦٦).

(١) «رياض النفوس» (١/٢٣٤).

(٣) «رياض النفوس» (١/٢١٧).

(٥) «المدونة» (٢/٥٩٥).

وهؤلاء كلهم سَمِعُوا مِنْ مَالِكِ بْنِ أَنَسٍ، وَنَقَلُوا قَوْلَهُ إِلَى الْمَغْرِبِ، يَرَوْنَ عَنْ مَالِكِ السُّنَّةَ وَالْأَثَرَ وَالْفَقْهَ، وَكَانُوا يَكْرَهُونَ الْكَلَامَ وَمَعَارِضَةَ السُّنَّةِ بِالرَّأْيِ، وَأَصُولُهُمْ أَصُولُ مَالِكٍ، وَفُرُوعُهُمْ فُرُوعُهُ، وَكَانُوا فِي الْعَقَائِدِ يَجْرُونَ عَلَى أَصْلٍ وَفِرْعٍ وَاحِدٍ، وَلَمْ يَكُنْ بَيْنَهُمْ فِيهِ نِزَاعٌ، وَإِنَّمَا اخْتَلَفُوهُمْ فِي الْفُرُوعِ، وَيَذُلُّ عَلَى ذَلِكَ: أَنَّهُمْ لَا يَكْتُبُونَ فِي الْعَقَائِدِ إِلَّا تَبَعًا؛ لِاسْتِقْرَارِ الْأَمْرِ عَلَى الْأَمْرِ الْأَوَّلِ.

وَلَمَّا بَلَغَ أَسَدُ بْنُ الْفُرَاتِ قَاضِيَ الْقَيْرَوَانِ: أَنَّ بِشْرًا الْمَرْيَسِيَّ كَتَبَ كِتَابَهُ «التَّوْحِيدَ»، قَالَ: «أَوْجَهَلُ النَّاسُ التَّوْحِيدَ حَتَّى يَضَعَ لَهُمْ بِشْرٌ فِيهِ كِتَابًا؛ هَذِهِ نُبُوَّةٌ ادَّعَاهَا»<sup>(١)</sup>.

وَكَانُوا يَعْرِفُونَ مَصْدَرَ الْبِدْعِ الشَّرِيعَةِ وَأَصُولَهَا، وَقَدْ كَانَ ابْنُ أَبِي حَسَّانٍ صَاحِبُ مَالِكٍ قَالَ فِيمَنْ يَفَاضِلُ بَيْنَ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ: «لَيْسَ هَذَا دِينَ قَرِيشٍ، وَلَا دِينَ الْعَرَبِ؛ هَذَا دِينُ أَهْلِ قُمْ»<sup>(٢)</sup>.

### ❦ الْحَدِيثُ وَالْكَلَامُ، وَأَثَرُهُمَا فِي الْخِلَافِ:

وَأَهْلُ الْكَلَامِ أَكْثَرُ نِزَاعًا مِنْ أَهْلِ الْحَدِيثِ وَالْأَثَرِ؛ فَأَهْلُ الْحَدِيثِ نِزَاعُهُمْ فِي الْفُرُوعِ، وَأَهْلُ الْكَلَامِ نِزَاعُهُمْ فِي الْأَصُولِ وَالْفُرُوعِ، وَإِذَا تَنَازَعُوا فِي أَصْلٍ، تَنَازَعُوا فِي فُرُوعِهِ، وَالنَّازِرُ فِي مَذْهَبِ الْأَشَاعِرَةِ: يَرَى تَشْدِيدَهُمْ فِي الْخِلَافِ فِي الْعَقَلِيَّاتِ، وَأَنَّهُمْ يَرَوْنَ الْمَخَالَفَ يَتَرَدَّدُ بَيْنَ الْكُفْرِ وَالْإِبْتِدَاعِ وَالْإِثْمِ، وَبَيْنَ أَثْمَتِهِمْ خِلَافٌ فِي أَصُولِهِمْ؛ فَقَدْ خَالَفَ رِوَسٌ مِنْهُمْ فِي أَصُولِهِمْ؛ كَأَبِي الْمَعَالِي الْجَوْنِي، وَالْفَخْرُ الرَّازِي، وَجَلَالَ الدِّينِ الدَّوَانِي:

(٢) «رياض النفوس» (١/٢٨٧).

(١) «رياض النفوس» (١/٢٦٤).

فالجوئني: يرى أنَّ القدرة الحادثة تؤثرُ في مقدورها، واستحلَّ إطلاقَ القولِ بأنَّ العبدَ خالقُ أعماله، وأنَّ فعلَ العبدِ واقعٌ بقدرته قطعاً، وقدرته منفردةٌ بالتأثير فيه<sup>(١)</sup>.

وكذلك قولُ الرازي في «الأربعين»، و«المطالب العلية»: إنَّ الصفات إنما هي نسبٌ وإضافاتٌ تحصلُ بين ذاته تعالى، وبين المعلوم والمقدور والمراد<sup>(٢)</sup>.

وكذلك الجلال الدواني: فإنه يقولُ بعينية الصفات، وأنَّ الصفات عيُن الذات، وأنَّ الحوادث لا أوَّل لها؛ كما في «شرح العقائد العُصْدية»<sup>(٣)</sup>، إلى غير ذلك من أنواع النزاع.

### ❦ ثباتُ أهلِ المغرب، وامتحانُهم بعلمِ الكلام:

ولم يكن أحدٌ من أصحابِ مالكٍ يخوضُ في الكلام، ولا بقرُّه في أصول الدين، ولما امتحَنَ الناسُ بخلق القرآن في العراق، اقتدى كثيرٌ من السلاطين بذلك في المغرب، وامتحنوا علماءهم؛ فامتحَنَ بعضُ أصحابِ مالكٍ؛ كموسى بن معاوية الصَّمَادِجِي، وأحمد بن يزيد، وسُخُون بن سعيد، وخلق، وتولَّى المحنة قضاة؛ كقاضي القيروان ابن أبي الجَوَاد، وكان مقامه في القيروان قريباً من مقام أحمد بن أبي دُوَاد في العراق في هذه الفتنه، وكان يسميه سُخُون: «فِرْعَوْنَ هذه الأمة وجبارها»<sup>(٤)</sup>.

(١) «النظامية» (ص ٤٢).

(٢) «الأربعين في أصول الدين» (ص ١١٧ وما بعدها)، و«المطالب العلية» (٢/ ١٠٦ -

١٠٨)، وانظر: تفسيره «مفاتيح الغيب» (٧/ ٣٠٩).

(٣) (١/ ٢٧٧ وما بعدها)، وانظر: رسالته «إثبات الواجب» (ص ٩).

(٤) «البيان المغرب» (١/ ١٠٩).



وتبع هؤلاء طبقة تلامذتهم ممن جرى مجراهم، وسلك سبيلهم؛  
كزيد بن بشر الأزدي القيرواني؛ حيث سكن القيروان لما هرب من مضر  
بعدما امتحن في خلق القرآن، وزيد بن سنان الأسدي القيرواني،  
ومحمد بن نصر بن حنظل القيرواني، ومحمد بن سحنون، وبكر بن حماد  
الزنتاني التاهرتي، وأبي العباس بن عبد الله بن طالب، ومحمد بن وضاح  
القرطبي، ويحيى بن عمر الكناني، وأبي عثمان سعيد الحداد القيرواني،  
وأحمد بن نصر بن زياد الهواري، ولقمان بن يوسف الغساني.

وقد استمسك هؤلاء الأئمة بالسنة والأثر، وما علموه من السلف  
في مسألة خلق القرآن، وعلموا الله، وكانوا على معتقد من سبقهم،  
ولا يرون الخوض في الكلام عما زاد عن الوارد في النصوص؛ لا بتأويل  
ولا تشبيه، وقد كان سحنون يقول: «من العلم بالله: الجهل بما لم  
يخبر الله به عن نفسه»<sup>(١)</sup>.

وهذا نظير ما يقرره الشافعي في علم الكلام؛ أن: «الفقه في  
الكلام الجهل به»<sup>(٢)</sup>؛ لأن علم الكلام يؤدي إلى القول على الله بلا علم  
نفياً وإثباتاً، ومنتهى الفقه في ذلك: الكلام عند ورود النص، والوقوف  
عند عدم وروده.

وبقيت شواهد القبور بالقيروان شاهدة على ذلك إلى اليوم؛ حيث  
كُتِبَ عليها بعد الشهادتين: «وأن القرآن كلام الله، وليس بمخلوق»،  
والشواهد مؤرخة بصفر عام اثنين وتسعين ومئتين، ومن شواهد القبور:  
شواهد مكتوب عليها اليوم بعد الشهادتين: «وأن الله ﷻ يرى يوم  
القيامة»، ومؤرخ ذلك في شعبان عام اثنين وتسعين وثلاث مئة.

(١) «التمهيد» لابن عبد البر (١٤٦/٧). (٢) «صون المنطق» (ص ١٥٠).

وقد يَرْتَفِعُ الشرُّ، وَيَقْوَى الباطلُ، حتى إذا ظَنَّ بعضُ الناسِ أن لا قائمةَ للحَقِّ، أدار الله الدائرةَ للحَقِّ وأهله؛ فالمعتزلةُ بذلوا الدِّينَ، وتسَلَّطوا بالسلطانِ على المسلمينَ شرقاً وغرباً:

• ففي المَشْرِقِ: حُرِّفَ القرآنُ على كِسْوةِ الكُفَّةِ؛ فكَتَبَ عليها: «ليس كَمِثْلِهِ شيءٌ وهو اللطيفُ الخبيرُ»؛ أزالوا: «السَّمِيعُ البَصِيرُ»؛ يقولُ حَنْبَلٌ: حَجَجْتُ فَرَأَيْتُ ذلكَ، فلَمَّا قَدِمْتُ، أَخْبَرْتُ أَحْمَدَ، فقال: قَاتِلْهُ اللهُ! الخِيثُ - يعني: ابنُ أبي دؤادٍ - عَمَدَ إلى كتابِ اللهِ، فغَيَّرَهُ»<sup>(١)</sup>.

• وفي المَغْرِبِ: أوصى العلماءُ أن يُكْتَبَ الحَقُّ على شواهِدِ القبورِ، لَمَّا عَجَزُوا عنه على المَنابرِ؛ فواجبُ العلماءِ أن يَبَيِّنُوا الحَقَّ حسبَ المقدورِ، واللهُ كَفِيلٌ بإظهاره.

وبدأ الأئمةُ يصنِّفونَ ويكتبونَ في بيانِ المعتقدِ الحَقِّ في ذلك إجمالاً وتفصيلاً؛ ككتابِ مُحَمَّدِ بْنِ وَضَّاحٍ: «رسالةٌ في رؤيةِ اللهِ»، وكتابِ مُحَمَّدِ بْنِ سُحُنُونِ كتابُ «الحُجَّةِ على القدريةِ»، وسعيدُ بْنُ الحَدَّادِ كتابُ «الاستواء»، وله أيضاً مناظراتٌ مع المعتزلةِ بالقَيروانِ.

وقد دَخَلَ سُحُنُونٌ على ابنِ القَصَّارِ وهو مَرِيضٌ، فقال: «ما هذا القَلَقُ؟ قال له: الموتُ والقُدومُ على اللهِ، قال له سُحُنُونٌ: أَلَسْتُ مُصَدِّقاً بالرُّسُلِ والبعثِ، والحسابِ والجَنَّةِ والنارِ، وأنَّ أَفْضَلَ هذه الأُمَّةِ أبو بكرٍ، ثُمَّ عُمَرُ، والقرآنُ كلامُ اللهِ غيرُ مخلوقٍ، وأنَّ اللهَ يُرَى يومَ القيامةِ، وأنَّه على العرشِ استوى، ولا تَخْرُجُ على الأئمةِ بالسَّيفِ، وإن جاروا؟ قال: إي والله، فقال: مَتَّ إذا شئتَ، مَتَّ إذا شئتَ»<sup>(٢)</sup>.

(٢) «رياض النفس» (١/٣٦٧ - ٣٦٨).

(١) «طبقات الحنابلة» (١/٣٨٦).

وكان أبو العباس عبد الله بن طالب يقول في خطبته على منبر جامع القَيْرَوَانِ، والعلماء والعامة شهوداً: «الحمد لله الذي يُشكرُ على ما به أنعم، والحمد لله الذي عذب على ما لو شاء منه عصم، والحمد لله الذي على عرشه استوى، وعلى ملكه احتوى، وهو في الآخرة يرى»<sup>(١)</sup>.

وتبع هؤلاء أئمة في المغرب؛ كابن أبي زيد القَيْرَوَانِي صاحب «الرسالة»، وفي المغرب الأقصى من الأندلس: أبو القاسم مسلمة بن القاسم، وابن أبي زَمِين، وأبو عَمَرَ الطَّلَمَنْكِي، وابن عبد البر، ولم يَجْروا في أصولهم مَجْرَى أهل الكلام والفلسفة.

وقد مرَّ المَغْرِبُ بِمَحَنٍ شديدة، ومن أشدَّ ما مرَّ به أصحابُ مالك في المَغْرِبِ من محنٍ في تلك القرون: حُكْمُ الْأَغَالِيَةِ، وحُكْمُ الْفَاطِمِيِّينَ، وحُكْمُ الْمُوَحِّدِينَ؛ الْأَوَّلُ: حَنْفِي - معتزلي وغير معتزلي -، والثاني: باطني، والثالث: أشعريٌّ غالٍ.

### ❦ التَّأْوِيلُ وَالتَّفْوِيضُ فِي كَلَامِ بَعْضِ أَهْلِ السُّنَّةِ:

وقد يُوجَدُ في تَقَرِيرَاتِ بَعْضِ هَذِهِ الطَّبَقَةِ تَفْرِيعَاتٌ كَلَامِيَّةٌ، لَا تَأْصِلَاتٌ، أَوْ مَا يَشَابُهُ فُرُوعَ أَهْلِ الْكَلَامِ وَلَمْ يَخْرُجْ عَلَى أَصُولِهِمْ، وَتَأْتِي فِي سِيَاقِ كَلَامِهِمْ وَثَنًا يَسْتَطْرِدُّهُمْ، وَلَا يَذْكُرُونَ تِلْكَ الْفُرُوعَ تَقْرِيرًا، وَرَبَّمَا ظَنَّ مَنْ يَقْرَأُ بَعْضَ اسْتِطْرَادَاتِهِمْ وَتَفْرِيعَاتِهِمْ: أَنَّ أَصُولَهُمْ كَلَامِيَّةٌ، وَلَيْسَ كَذَلِكَ:

• فابن عبد البر قرَّرَ عَقِيدَةَ السَّلَفِ وَأَهْلِ السُّنَّةِ فِي الصِّفَاتِ فِي قَوْلِهِ: «أَهْلُ السُّنَّةِ مُجْمِعُونَ عَلَى الْإِقْرَارِ بِالصِّفَاتِ الْوَارِدَةِ كُلِّهَا فِي الْقُرْآنِ

والسُنَّة، والإيمان بها، وحملها على الحقيقة، لا على المجاز<sup>(١)</sup>، وأثبت علو الذات، واستواء الله على عرشه، وأبطل قول المتكلمين بتفسير الاستواء بأنه الاستيلاء<sup>(٢)</sup>، ولكنّه في النزول حكي عنه في أحد المواضع أنه نزول الأمر والرحمة، وهذا ليس موافقاً للمتكلمين في أصلهم في الصفات الاختيارية؛ فإنه ينقض أصلهم في ذلك في مواضع، وفي مواضع أخرى يثبت نزول الله تعالى على الحقيقة على ما يليق به سبحانه ويكره غيره.

ويوجد من هذه الطبقة بعض الأئمة الذين ربّما وافقوا المتكلمين في بعض الأصول لا كلّها؛ كأبي عمرو الداني، فهو من تلاميذ الباقلاني، وله ميل إلى بعض كلامه في «الرسالة الوافية»، وفي «الأزجوزة»، ورسالته «الوافية» أخذ معانيها من كتاب «الإنصاف» للباقلاني، وقد وافق فيها الباقلاني في الصفات.

وربّما كان فيهم من خالف في الإثبات؛ كما في قول أبي عمر الظلمنكي في إثبات الجنب لله<sup>(٣)</sup>؛ لقوله: ﴿بَحَسَرْتَنِي عَلَى مَا قَرِطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ﴾ [الزمر: ٥٦]؛ وذلك أنه نظر لمجرد الإضافة لله، ومجرد الإضافة لا تفيد إثبات الصفة؛ فللسياق معنى يجب الأخذ به؛ كما هو معروف في لسان العرب عند نزول الوحي، ولا ينظر لمجرد اللفظ، فقد يضيف الله إليه شيئاً، وليس منه، بل هو مخلوق من مخلوقاته؛ كقوله تعالى: ﴿نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا﴾ [الشمس: ١٣]، وقوله: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ﴾ [الفرقان: ٦٣]، وقوله ﷺ في خالد بن الوليد: (سَيِّفٌ مِنْ سَيُوفِ اللَّهِ)<sup>(٤)</sup>.

(٢) «التمهيد» (٧/ ١٣٠ - ١٣١).

(١) «التمهيد» (٧/ ١٤٥).

(٣) «سير أعلام النبلاء» (١٧/ ٥٦٩).

(٤) البخاري (٣٧٥٧ و ٤٢٦٢) من حديث أنس.

والمراد من جنب الله: هو القرب؛ فمن فرط فيما يقربه من أحد، فقد فرط في جنبه.

\* الطائفة الثانية: طائفة كثر فيها تقرير العقائد على طريقة أهل الكلام، وكان ذلك في كثير من أصولهم، ولم يكن ذلك في فرع منها ولا في أصل واحد، وإنما كان ذلك كثيراً أو غالباً؛ وذلك كأبي الوليد الباجي، وأبي بكر بن العربي، وتلميذه القاضي عياض، ومن هؤلاء من يرد على المتقدمين ويخطئهم كابن العربي في رده على ابن أبي زيد في قوله في استواء الذات، وعلى ابن عبد البر وغيره؛ كما في كتابه «العارضة»، و«العواصم».

وهذا يدل على البون بين الطائفتين، وسير الأولين على طريقة السلف.

\* وبين الطائفتين: من له أصول يوافق في بعضها أهل الكلام، وله أخرى أكثر: خلاف ذلك؛ كأبي الحسن القاسمي في جعل الإيمان هو التصديق فقط، وينص على إخراج العمل منه، وله كتاب «المنقذ في شبه التأويل»، ولم أره، وله كتاب في الاعتقاد، ذكر فيه: «أن الاعتماد على السمع، وأن الجدال وعلم الكلام مذموم، وأن الله يدين؛ كما يقول أهل الحديث والأثر»<sup>(١)</sup>؛ ولهذا عدّه أبو نصر السجزي ممن سلك طريق السلف في الاعتقاد.

ومنهم: من يقرر على أصول بعض أهل الكلام في موضع، وفي مواضع على أصول السلف وأهل الأثر؛ كمكي بن أبي طالب؛ فإن له شيئاً من التأويل في كتابه: «الهداية، إلى بلوغ النهاية»، وكان من تلاميذ

أبي ذرّ الهروي، وابن أبي زيد، وقد تأوّل الاستواء وصفة اليد؛ فجعلهما بمعنى القُدرة في موضع<sup>(١)</sup>، والأكثرُ تصرّيحُه بالإثبات، وقد قال: «وأحسنُ الأقوال في هذه: «عَلَا»، والذي يعتقده أهلُ السُنّة ويقولونه في هذا: أن الله جلّ ذكره: فوقَ سَمَواتِه على عرشِه دونَ أرضِه، وأنّه في كلِّ مكانٍ بعلمِه، وله - تعالى ذكره - كُرْسِيٌّ وَسِعَ السَّمَواتِ والأَرْضَ؛ كما قال جلّ ذكره؛ وكذلك ذكرَ شيخنا أبو محمّد بن أبي زيد رحمته الله<sup>(٢)</sup>.

ومن الأئمّة: من يفسّر الخبرَ بما يظهرُ منه التأويلُ، وهو أرادَ معنى من معانيه، لا حقيقته؛ فإنّ من معاني العلوّ: القُدرة؛ فلا يعلو إلا قادرٌ قاهرٌ؛ كما أنّ من معاني القُدرة والقهر: العلوّ؛ فلا يقهرُ ويُقدّرُ إلا عالٍ؛ فيُظنُّ أنه يتأوّل، ولو نُظِرَ إلى قولِه في موضعٍ آخرَ، لبانَ معتقده، وإنّ قَصَرَ قولُه في موضعٍ آخرَ.

والكلامُ في المتأخّرينَ من المالكيّة أكثرُ من المتقدمينَ، حتى كان من هذه الطّبقَةِ: من يُنكِرُ على من لم يَجِرْ على طريقةِ أهلِ الكلام؛ كما حطَّ ابنُ العربيّ على ابنِ خُوَيزَمَة مناداً، وابنِ أبي زيد.

وإنما ظهرَ بعضُ كلامِ الأشعريّ في قليلٍ من كلامِ أبي الحسنِ بنِ القابسيّ، وبعضُ تلامذته؛ كأبي عمرانَ الفاسيّ على ما تقدّم، وتوسّع في بعضِ تلامذة أبي عمرانَ؛ كأبي محمّد عبد الحميد بن الصائغِ القيروانيّ، وفي بعضِ تلامذة الصائغِ؛ كمحمّد بن عليّ المازريّ شارِحِ «مسليم» بكتابه «المُعَلِّم».

ومن طبقةِ الصائغِ في المغرب: أبو بكرٍ محمّد بن الحسنِ المراديّ الحضرميّ القيروانيّ، صاحبُ «التجريد»، في علمِ الكلام، وتلاميذه؛

كَأَبِي الْحَجَّاجِ يُوسُفَ بْنِ مُوسَى الْكَلْبِيِّ، وَأَبِي عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدَ بْنَ خَلْفِ  
الْإِلْبِيرِيِّ صَاحِبِ «الْأُصُولِ»، إِلَى مَعْرِفَةِ اللَّهِ وَالرَّسُولِ»، وَ«الرَّدُّ عَلَى  
أَبِي الْوَلِيدِ بْنِ رُشْدٍ، فِي مَسْأَلَةِ الْإِسْتِوَاءِ»، وَكَانَ الْإِلْبِيرِيُّ مُعَظِّمًا لِلْجُونِيِّ.

وَقَدْ أَخَذَ عِلْمَ الْكَلَامِ عَنْ هَذِهِ الطَّبَقَةِ: الْقَاضِي عِيَّاضٌ؛ فَقَدْ أَخَذَ  
عَنْ أَبِي الْحَجَّاجِ يُوسُفَ بْنِ مُوسَى الضَّرِيرِ، وَقَدْ كَانَ نَظَمَ «الْإِرْشَادَ»  
لِلْجُونِيِّ وَتَأَثَّرَ بِهِ.

وَقَدْ أَذَاعَهُ ابْنُ تُوْمَرْتٍ فِي مُنْتَصَفِ الْمِئَةِ السَّادِسَةِ بِسُلْطَانِهِ،  
وَأَبُو بَكْرٍ بْنُ الْعَرَبِيِّ بِمَنْقُولِهِ؛ وَكِلَاهُمَا أَخَذَ عَنِ الْغَزَالِيِّ فِي الْمَشْرِقِ.

وَلَيْسَ فِي عَامَّةِ الْمَغْرِبِ الْأَدْنَى وَالْأَقْصَى حَتَّى الْمِئَةِ الْخَامِسَةِ  
أَشْعَرِيٌّ خَالِصٌ الْأَشْعَرِيَّةَ عَلَى طَرِيقَةِ الْمُتَأَخِّرِينَ، وَإِنْ قِيلَ، فَهِيَ ظَنُونٌ  
لَا بُرْهَانَ عَلَيْهَا؛ فَلَيْسَ الشَّائِءُ وَلَا التَّلْمِذَةُ يُدْخِلُ أَحَدًا فِي مَذْهَبِ أَحَدٍ،  
وَلَا الْمُوَافَقَةُ فِي قَوْلٍ يُدْخِلُ أَحَدًا مَعَ أَحَدٍ فِي الْمُوَافَقَةِ عَلَى الْأُصُولِ.

وَإِنْ كَانَ بَعْضُ الْمُتَكَلِّمِينَ عَلَى طَرِيقَةِ الْأَشْعَرِيِّ مِنَ الْمُتَأَخِّرِينَ  
يُنْسَبُ بَعْضُ الْمُتَقَدِّمِينَ لَطَرِيقَتِهِمْ، فَلِأَنَّهُ وَافَقَهُمْ فِي مَوْضِعٍ أَوْ مَوَاضِعَ،  
وَلَيْسَ لَهُمْ كِتَابٌ وَلَا أُصُولٌ مَنْقُولَةٌ تَدُلُّ عَلَى تِلْكَ النِّسْبَةِ النَّامَةِ.

وَمِنْ ذَلِكَ: مَا يُنْسَبُ إِلَى إِبْرَاهِيمَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الزُّبَيْرِيِّ الْقَلَانِسِيِّ،  
وَدَرَّاسِ بْنِ إِسْمَاعِيلَ؛ الْقَبْرَوَانِيِّينَ، وَكَانَا قَبْلَ ابْنِ أَبِي زَيْدٍ، وَلَيْسَ لَهُمَا  
كِتَابٌ فِي الْعَقَائِدِ بَيْنَ أَيْدِي النَّاسِ الْيَوْمَ، وَوُجُودُ بَعْضِ الْمَسَائِلِ الْمَنْقُولَةِ  
عَنْهُمْ الْمَشَابِهُةَ لِمَا عَلَيْهِ الْأَشَاعِرَةُ شَبِيهَةٌ بِمَا عَلَيْهِ بَعْضُ الْأَئِمَّةِ قَبْلَ  
الْأَشْعَرِيِّ بِمَا يُشَابِهُهُ فِي بَعْضِ أُصُولِهِ؛ فَالْمُوَافَقَةُ فِي مَسَائِلَ لَا تَعْنِي  
الْمُوَافَقَةَ فِي الْمَدْرَسَةِ وَالْأُصُولِ.

وَلَمَّا تَمَكَّنَ مُحَمَّدُ بْنُ تُوْمَرْتٍ فِي الْقَرْنِ السَّادِسِ مِنَ الْمَغْرِبِ، نَشَرَ

الأشعرية المتأخرة المفوضة بالجملة والمتأولة، وأطر الناس عليها، وفتن المخالفين وشرذهم، وسمى أتباع مذهبه: «الموحدون»؛ لَمَزَا للمخالفين، وكان يسمي من سبقه من أهل المغرب بـ: «المجسمة»؛ يُريدُ: المثبتة التي لا تتأول، من المرابطين وغيرهم.

وفي زمن ابن تومرت وما بعده: قوي علم الكلام في المغرب، وأطر الناس على الظاهرية في الفروع، وعلى الأشعرية في الأصول، وشنع على المخالفين، وأحرقت كتب المالكية، وكفر أهل السنة بحجة أنهم مجسمة، وذكر أبو بكر البندقي: أنه سببت نساؤهم لأجل ذلك، وانتشرت كتب ابن تومرت «المرشدة»، و«أعز ما يطلب»، وشاع تدريس كتاب «الإرشاد» للجويني.

ثم جاء أبو عمرو السلاجي في القرن السادس، وتصدى لتعليم عقيدة ابن تومرت، وألف «العقيدة البرهائية»<sup>(١)</sup>، وبقيت عمدة المغاربة في علم أصول الدين إلى اليوم، ولا يزاحمها إلا كتب المتأخرين؛ كالسنوسي في القرن التاسع في رسالته «أم البراهين»، و«العقيدة الصغرى»، وقد كانت في المغرب دولة المرابطين، وكان أولها خيراً من آخرها، ثم تبعها دولة الموحدين، وكان آخرها خيراً من أولها.

وكان في المغرب قبل الموحدين من يصنف في الاعتقاد على طريقة المتكلمين؛ كأبي بكر المرادي الحضرمي، وكان يعده عياض من أدخل علم العقائد بهذه الطريقة إلى المغرب.

وقد أخذ ابن تومرت مذهبه من رحلته إلى المشاركة المتكلمين؛

(١) وهو مطبوع بتحقيق: نزار حمادي.



كما ذكر ذلك: أبو الحجاج بن طمْلُوس<sup>(١)</sup>، والناصري<sup>(٢)</sup>، وابن خلدون<sup>(٣)</sup>، وابن نيمية<sup>(٤)</sup>.

ولم يكن ابن تومرت يدعي الاعتزال، وقد نسبته إلى الأشعرية جماعة؛ كالشُبكي<sup>(٥)</sup> وغيره، وربما نسبته إلى الاعتزال بعض من يستبشع أفعاله وظلمه وبغية من الأشاعرة، وعلم الكلام سبق إليه المعتزلة، ومنهم أخذوا الأشاعرة، والاعتزال فكر انتشر في طوائف، وليست جماعة منتظمة لها أصولها وفروعها؛ لأن الاعتزال علم كلامي، وقد تغلغل في الرافضة والزيدية والإباضية، والأشاعرة وغيرهم.

والمذهب الأشعري تدرج حتى آل إلى ما آل إليه، ولم يكن أئمة في المبتدئ كأئمة في المنتهى، ومذهب المتأخرين غير مذهب المتقدمين.

وعلم العقائد علم ثابت لا يتوسّع كعلم الفقه، وإنما اتسع لدى المتكلمين وتدرجوا في تطويره؛ لأنهم أجروا فيه علم الكلام، كما أجرى الفقهاء في الفقه علم الرأي.

فالمتقدمون الأشعري وأصحابه؛ كأبي الحسن الطبري، وابن مجاهد، وتلامذتهما؛ كالقاضي الباقلاني: يُشْتَوْنَ الصفات الخبرية، ولا يتأولونها؛ كالوجه واليد، والعلو والاستواء، وأما الطبقة التي تليهم؛ كالجويني، والغزالي، فينفونها.

والأشاعرة منهج قبل أبي الحسن الأشعري، وإن سُمي به، وهو

(١) «المدخل لصناعة المنطق» (ص ١٠).

(٢) «الاستقصا» (١/١٩٦).

(٣) «تاريخ ابن خلدون» (٦/٣٠١ - ٣٠٢).

(٤) «مجموع الفتاوى» (١١/٤٧٦).

(٥) «طبقات الشافعية الكبرى» (٦/١٠٩ و ٨/١٣٨).

مسلك جرى عليه بعض أهل العربية؛ كأبي زكريا يحيى بن زياد الفراء، وأبي العباس محمد المبرّد، وغيرهم، ثم بدأ يلتئم شعثه ويجمع شتاته بعد ذلك.

### علم الكلام والإمام مالك بن أنس:

وقد كان مالك من المعظمين للأثر، المحذرين من علم الكلام؛ وذلك أن الأثر يقيّد العقل للوقوف عمّا لا يحسنه، وعلم الكلام يُطلقه ويجسّره باسترسال على ما لا بُرهان له به؛ حتى يكون منتهاه على حالين:

• إمّا أن يقرّر ما لا بُرهان له به من مشابهة الخالق للمخلوق، ويُحدّث من لوازم الصفات صفات وتفسيرات، حتّى لو كان في صفة ثابتة بالدليل، لم يُجزّ له ذلك الأخذ بتلك اللوازم بإطلاق.

• وإمّا أن يستحضر باسترساله معاني باطلة؛ فيرجع على أصوله بالنفي والنقض، ويتحايل على الحقائق بالتأويل والتفويض التام.

والوقوف على الحديث والأثر براءة من الخوض فيما لا علم للإنسان به، وأسلم لدينه، وأجمع للمسلمين، من التفرّق في معرفة ربهم وصفاته.

ومعلوم أن الرؤوس الذين نشأت فيهم الفلسفة والكلام يقلّ فيهم علم الأثر؛ لأن الأثر يحدّ العقل من الخوض فيما لا يعلم، والكلام يُرسله، ثمّ إنّه لا حدّ لخيال العقل في الغيبيات ولا منتهى له، وكثير من فرعيّات المتكلّمين في الأسماء والصفات والغيبيات، لا رأي لأهل السنّة فيه، ويظنون أن هذا علم يعجزون عنه، وإنما يُمسك أهل السنّة عنه؛ تعظيمًا لله، وأن يقولوا على الله ما لا يعلمون: ﴿وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٦٩]، والمتكلّمون لا ينتهون إلى فرع.

ولهذا فما من فرقة كلامية إلا كان أئمتها الأولون أخف من المتأخرين؛ لأنهم يتوسعون جيلاً بعد جيل، وقد قال مالك: «من طلب الدين بالكلام، تزندق»<sup>(١)</sup>؛ يعني: منتهاه إلى ذلك، وأما الآثار: فإنها تحكّمهم، وقد قال مالك بن أنس: «ما قلت الآثار في قوم إلا ظهرت فيهم الأهواء، ولا قلت العلماء إلا ظهر في الناس الجفاء»<sup>(٢)</sup>.

وقد كان مالك يحذر أصحابه من علم الكلام لأجل ذلك؛ ومن قوله: «إياكم والبدع، قيل: يا أبا عبد الله، وما البدع؟ قال: أهل البدع الذين يتكلمون في أسماء الله وصفاته، وكلامه وعلمه وقدرته، ولا يسكتون عما سكت عنه الصحابة والتابعون لهم بإحسان»<sup>(٣)</sup>.

وقد كان أهل المدينة ينهون عن الخوض في علم الكلام، وهم أعلم الناس بأثره على الحديث، وقد قال مالك ومُصعب الزبيري: «أبى أهل بلدنا - يعني: أهل المدينة - ينهون عن الكلام في الدين»<sup>(٤)</sup>.

### الرأي وعلم الكلام:

والسلف يطلقون «الرأي»، و«علم الكلام»، والأصل في كلامهم: أنهم يقصدون بعلم الكلام: ما يستدل به من المعقول في الأصول من العقائد، ويقصدون بالرأي: ما يستدل به من المعقول في الفروع من الفقه، وكانوا ينهون عن الرأي، وهو باب للخوض في فروع أمرها أيسر

(١) «ذم الكلام» للهرابي (٨٥٩).

(٢) «الفقيه والمتفقه» (٣٩٠)، و«ذم الكلام» للهرابي (٨٦٩).

(٣) «ذم الكلام» للهرابي (٨٥٨).

(٤) «شرح أصول الاعتقاد» (٣٠٨ و ٣٠٩).

من الأصول؛ وذلك تعظيمًا للوحي قرآنًا وسنةً، وانتهاءً إلى ما بلغه الله  
لنبيه، وكلُّ مَنْ شَدَّدَ في الرأيِ من السلفِ، فهو في علمِ الكلامِ أشَدُّ،  
ولا يوجدُ إمامٌ منهم نَهَى عن الرأيِ، ثم أذِنَ بالكلامِ، حتى كان من  
أصحابِ مالكٍ - وخاصةً المغاربة - مَنْ دَخَلَ العراقَ، ولم يَسْمَعْ من أهلِ  
الرأيِ، ولم يأخُذْ عنهم الفقهَ، بل كانت تلك الطَّبَقَةُ من أهلِ الرأيِ يَنْهَوْنَ  
عن علمِ الكلامِ؛ كما قال أبو يُوسُفَ: «مَنْ طَلَبَ الدِّينَ بالكلامِ،  
تَزَنَّقَ»<sup>(١)</sup>، وهؤلاء كانوا مَحَلَّ إنكارٍ كثيرٍ من السلفِ، مع أنَّهم أَدخَلُوا  
الرأيَ في الفروعِ، لا في الأصولِ.

### ❦ نهي مالك عن علم الكلام، ومراده:

وقد كان مالكٌ ينهى عن علمِ الكلامِ كُلِّه، ولا يَسْتَثْنِي منه شيئًا؛ فهو  
- وإنْ لم يَظْهَرْ في زمنِهِ وفي بَلَدِهِ عِلْمُ الكلامِ تامًّا، كما هو عليه بعدَهُ  
بقرون - إلَّا أنَّ مالكا نَهَى عن الكلامِ، ولم يَسْتَثْنِ، وربَطَ نهيَهُ عنه بِعِلَلٍ  
هي متَحَقِّقَةٌ في كُلِّ علومِ الكلامِ؛ سواءً ما كان عليه الجَهْمِيَّةُ أو المَعْتَرِلةُ  
أو المتكَلِّمونَ مِنَ الأشاعِرَةِ.

وبهذا فَسَّرَهُ جماعةٌ من أتباعِ مالكٍ المتقدِّمينَ؛ كابن خُوَيْزَمٍ مِندَادَ،  
وأبي عُمَرَ بنِ عَبْدِ الْبَرِّ، وقد كان ابنُ خُوَيْزَمٍ ينهى عن قَبُولِ شَهادَةِ أَهلِ  
الكلامِ كَافَّةً، وكان ابنُ عَبْدِ الْبَرِّ يَنْقُلُ كَلامَهُ مَعْتَمِدًا عليه؛ فقد نَقَلَ عَنْهُ  
قَوْلُهُ في تَأْوِيلِ قولِ مالِكٍ: «لا تَجُوزُ شَهادَةُ أَهلِ الْبِدْعِ وَأهلِ الْأَهْواءِ»؛  
قال: «أهلُ الْأَهْواءِ عِنْدَ مالِكٍ وسائِرِ أَصحابِنَا هم أَهلُ الكلامِ؛ فَكُلُّ  
مُتَكَلِّمٍ، فهو مِنْ أَهلِ الْأَهْواءِ وَالْبِدْعِ؛ أَشْعَرِيًّا كان أو غيرَ أَشْعَرِيٍّ،

(١) «الإبانة» لابن بطّة (٦٧١/ كتاب الإيمان).

ولا تُقبَلُ له شهادة في الإسلام أبداً، ويُهجَرُ ويُؤدَّبُ على بدعته؛ فإن تَمَادَى عليها، اسْتُتِيبَ منها»<sup>(١)</sup>.

ولابن عبد البرّ كلامٌ في غير موضعٍ من كتبه، لا يَرَى تقريرَ ما يتعلّقُ بالغيباتِ ومسائلِ الصفاتِ بالنظر، ولا يَرَى المناظرةَ فيها، ومن ذلك قوله: «ليس في الاعتقادِ كلّهُ في صفاتِ الله وأسمائه إلا ما جاء منصوصاً في كتابِ الله، أو صَحَّ عن رسولِ الله، أو أَجْمَعَتْ عليه الأُمَّة، وما جاء من أخبارِ الأحادِ في ذلك كلّهُ أو نحوه: يُسَلَّمُ له، ولا يُناظَرُ فيه»<sup>(٢)</sup>.

ولمّا كان التوسُّعُ في البدعِ الكلاميّةِ لم يكن في زمنِ مالك، ولم يدخل فيه أهلُ السُّنّةِ والأثرِ إلا ما نذر، ولم يستعمله كبيرُ أحدٍ في الردِّ على أهلِ الأهواءِ والكلامِ في عصره -: جعلَ بعضهم كلامَ مالكٍ لا يُريدُ به طوائفَ من المتكلمين الذين استعملوا علمَ الكلامِ للردِّ على المعتزلةِ والفلاسفةِ؛ لأنهم رأوا أثرَ هؤلاء المتكلمين في الردِّ على الفلاسفةِ والمعتزلةِ.

فقد كان البيهقي يَحْمِلُ كلامَ مالكٍ على أنه يُريدُ كلامَ الغلاةِ، لا الكلامَ الذي سلكه بعضُ أهلِ السُّنّةِ من بعده؛ قال: «إنّما يريدُ - والله أعلم - بالكلامِ: كلامَ أهلِ البدعِ؛ فإنّ في عصرهما<sup>(٣)</sup> إنّما كان يُعرفُ بالكلامِ أهلُ البدعِ، فأما أهلُ السُّنّةِ، فقلّما كانوا يَخوضونَ في الكلامِ، حتى اضطُّروا إليه بعد»<sup>(٤)</sup>.

وهذا صحيحٌ في أنّ مالكا قصَدَ البدعَ الكلاميّةَ التي أظهرها الزنادقةُ

(١) «جامع بيان العلم» (١٨٠٠).

(٢) الموضع السابق.

(٣) يعني: عصرَ أبي يوسفٍ ومالكٍ.

(٤) «تبين كذب المفتري» (ص ٣٣٤).

والمعتزلة والجهمية؛ لأنها هي التي ظهرت في زمنه، ولكن قول مالك ونهيه عن علم الكلام لا يُحصَرُ فيها؛ لأن دخول بعض أهل السنة في علم الكلام - مع نُذْرَتِهِ - كان في طبقة شيوخ مالك وتلاميذهم، وكان مالك يعلم أنه في بعض شيوخه وبعض تلاميذه، وكان يَحْمَدُ رَدَّهُم على أهل البدع به، وسلامة معتقديهم منه، ويحذّرهم من الخوض فيه بلا علم من الأثر، ولا تمكّن منه؛ حيث يُفَحِّمُونَ لِجَهْلِهِمْ به، فيفتّر المبطّل بباطله ليجهلهم؛ كما حذر مالك تلميذه ابن فروخ من ذلك<sup>(١)</sup>.

وقد اتخذته تلك الطبقة لإبطال باطل المبطّلين، لا لإحقاق حق المؤمنين، وظهوره على هذا النحو في شيوخ مالك في ابن هرْمُزٍ عبد الله بن يزيد المدني، وقد قال مالك: «كان ابن هرْمُزٍ رجلاً كنت أحب أن أفتدي به، وكان قليل الكلام، قليل الفتيا، شديد التحفظ، وكان كثيراً ما يُعْتَبِي الرجل، ثم يبعث في أثره، فيُرْذُءُ إليه حتى يُخْبِرَهُ بغير ما أفتاه؛ قال: وكان بصيراً بالكلام، وكان يرُدُّ على أهل الأهواء؛ قال: وكان من أعلم الناس بما اختلفت الناس فيه من هذه الأهواء»<sup>(٢)</sup>.

وظهوره في تلامذة مالك على هذا النحو أيضاً: في عبد الله بن فروخ القيرواني، وقد كتب إلى مالك من المغرب يُخْبِرُهُ أَنَّ بَلَدَهُ كَثِيرُ الْبِدْعِ، وَأَنَّهُ أَلْفَ لَهُمْ كِتَابًا فِي الرَّدِّ عَلَيْهِمْ؛ فَكَتَبَ إِلَيْهِ مَالِكٌ يَقُولُ: «إِنْ ظَنَنْتَ ذَلِكَ بِنَفْسِكَ، خِفْتُ أَنْ تَزِلَّ فَتَهْلِكَ؛ لَا يَرُدُّ عَلَيْهِمْ إِلَّا مَنْ كَانَ ضَابِطًا عَارِفًا بِمَا يَقُولُ لَهُمْ، لَا يَقْدِرُونَ أَنْ يُعَرِّجُوا عَلَيْهِ؛ فَهَذَا لَا بَأْسَ بِهِ، وَأَمَّا غَيْرُ ذَلِكَ، فَإِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَلِّمَهُمْ فَيُخْطِئُوا؛ فَيَمْضُوا عَلَى خَطِيئِهِ، أَوْ يَظْفَرُوا مِنْهُ بِشَيْءٍ؛ فَيَطْعَمُوا وَيَزِدَادُوا تَمَادِيًا عَلَى ذَلِكَ»؛ كَمَا نَقَلَهُ أَبُو الْعَرَبِ فِي «طَبَقَاتِهِ».

(١) «رياض النفوس» (١/١٧٧).

(٢) «تبين كذب المفتري» (ص ٣٥٢).

وكلامُ مالكٍ ونهْيُهُ هو لجميعِ علمِ الكلامِ في الغيبيَّاتِ؛ كالأسماءِ والصفاتِ والقَدَرِ؛ قليله وكثيره؛ سواءً ما كان عند الفلاسِفةِ وغلَّةِ المتكلِّمينَ؛ كالمعتزليَّةِ، أو كالذي يتخذُه الأشاعرةُ والماتريديةُ، يَرُدُّونَ به على غلَّةِ المتكلِّمينَ والزنادقةِ، ثم يقرُّرونَ به الحقَّ لأهلِ الحقِّ؛ فهو ينهى عن ذلك كلُّه، وقد قال مالك: «أهلُ البدعِ الذين يتكلَّمونَ في أسماءِ الله وصفاته، وكلامِهِ وعلمِهِ وقدرتِهِ، ولا يسكُتونَ عَمَّا سَكَتَ عنه الصحابةُ والتابعونَ لهم بإحسانٍ».

فهو يرى أنَّ كلَّ قَدَرٍ زائدٍ يؤدِّيه الكلامُ عَمَّا كان عليه الصُّدُرُ الأوَّلُ؛ صحابةُ وتابعينَ -: فهو بدعة، مع علمِهِ بما اتَّخَذَهُ بعضُ شيوخِهِ وتلامذتِهِ لَرَدِّ الباطلِ، لا لتقريرِ الحقِّ، وهذا الذي يَتَفَقُّ عليه مَنْ بعده؛ كالشافعيِّ، وأحمدَ.

وقد فَهَمَ مِنْ نهْيِ مالكٍ عن علمِ الكلامِ العمومَ بلا استثناءٍ: جماعةٌ؛ كالغزاليِّ في «الإحياء»<sup>(١)</sup>، بل جعله قولَ مالكٍ والشافعيِّ وأحمدَ.

وقد كان أبو حنيفةً مِنْ أهلِ الرأيِ في الفقه، وينهى عن الكلامِ في الغيبيَّاتِ، ويشدُّدُ فيه، ويقولُ: «لَعَنَ اللهُ عَمْرَو بْنَ عُبَيْدٍ؛ فَإِنَّهُ فَتَحَ لِلنَّاسِ الطَّرِيقَ إِلَى الْكَلَامِ فِيمَا لَا يَغْنِيهِمْ مِنَ الْكَلَامِ»<sup>(٢)</sup>، وقد كان ينهى أصحابَهُ عنه؛ كما قال محمَّد بن الحسن: «كان أبو حنيفةً يَحُثُّنا على الفقه، وينهانا عن الكلامِ»<sup>(٣)</sup>.

وكان الأئمةُ مِمَّنْ سَبَقَ مالِكًا وَمَنْ فِي طَبَقَتِهِ وَمَنْ جَاءَ بَعْدَهُمْ:

(١) «الإحياء» (١/ ٩٤ - ٩٥).

(٢) «ذم الكلام» (١٠٢٠).

(٣) الموضع السابق.

يَعْلَمُونَ أَنَّ عِلْمَ الْكَلَامِ دَرَجاتٌ وَخُطواتٌ، وَأَنَّ لَهُ مُبْتَدَى، وَلَهُ مُنْتَهَى، وَقَدْ يُدْرِكُ بَعْضُ الدَّاخِلِينَ فِيهِ آخِرَهُ، وَبَعْضُهُمْ يُدْرِكُ مِنْ أَوَّلِهِ شَيْئًا، وَيَمْنَعُهُ مِنَ الْاِسْتِرْسَالِ فِيهِ بِشَاعَةً مَا يَوْوُلُ إِلَيْهِ مِنْ نَفْيٍ وَتَعْطِيلٍ؛ وَلِذَا يَقُولُ ابْنُ مَهْدِيٍّ: «مَنْ طَلَبَ الْكَلَامَ، فَأَخَّرَ أَمْرَهُ زُنْدَقَةً»<sup>(١)</sup>.

وَكثِيرٌ مِمَّنْ وَصَلَ إِلَى نِهَايَتِهِ، نَدِمَ مِنْ بَدَايَتِهِ؛ لِأَنَّ أَصْلَ عِلْمِ الْكَلَامِ يُنَى عَلَى الْقِيَاسِ، وَاللَّهُ تَعَالَى لَا مَثِيلَ لَهُ يُشَابِهُهُ.

### ❦ الْاِسْتِرْسَالُ فِي عِلْمِ الْكَلَامِ وَآثَرُهُ:

وَالْحَقُّ: أَنَّ تَوَخُّدَ مَسَائِلِ الصِّفَاتِ وَالْغَيْبِيَّاتِ عَلَى ظَاهِرِهَا الَّذِي بَلِيقُ بِاللَّهِ وَحْدَهُ، وَيُتْرَكُ مَا سِوَاهُ، وَكَثِيرٌ مِنَ الْأَثَمَةِ خَاضَ وَسَبَّحَ ذَهْنُهُ فِي بَحُورِ الْخِيَالِ، وَانْتَهَى إِلَى التَّسْلِيمِ بِالْفِطْرَةِ، وَأَخَذَ النَّصَّ عَلَى ظَاهِرِهِ اللَّائِقِ بِالْخَالِقِ لَا بِالْمَخْلُوقِ، وَالْإِمْسَاكِ عَنْ غَيْرِهِ؛ وَهَذَا لَا يَحْتَاجُ إِلَى كَبِيرِ عَقْلٍ؛ فَالَّذِينَ لَمْ يُنَزِّلْهُ اللَّهُ لِلْأَذْكِيَاءِ، بَلْ أَنْزَلَهُ اللَّهُ لِلْأَسْوِيَاءِ؛ فَكُلُّ مُكَلَّفٍ قَادِرٌ عَلَى تَكْمِيلِ مَعْتَقِدِهِ بِمَا يَرُدُّ عَلَيْهِ مِنَ النُّصُوصِ.

وَقَدْ قَالَ هَذَا وَأَقَرَّ بِهِ أَثَمَةُ أَهْلِ الْكَلَامِ فِي نِهَايَةِ طَوَائِفِهِمْ فِي الْمَعْقُولَاتِ الْكَلَامِيَّةِ؛ كَمَا قَالَ الْمُتَكَلِّمُ الْوَلِيدُ بْنُ أَبَانَ الْكَرَّابِيسِيُّ لِمَا حَضَرَتْهُ الْوَفَاءُ لَبْنِيهِ: «هَلْ تَعْلَمُونَ أَحَدًا أَعْلَمَ بِالْكَلامِ مِنِّي؟ قَالُوا: لَا، قَالَ: فَتَتَّهِمُونِي؟ قَالُوا: لَا، قَالَ: فَإِنِّي أَوْصِيكُمْ بِمَا عَلَيْهِ أَصْحَابُ الْحَدِيثِ؛ فَإِنِّي رَأَيْتُ الْحَقَّ مَعَهُمْ»<sup>(٢)</sup>، وَقَالَ أَبُو الْمَعَالِي الْجَوْنِيُّ: «أَمُوتْ عَلَى مَا يَمُوتُ عَلَيْهِ عَجَائِزُ نَيْسَابُورٍ»<sup>(٣)</sup>، وَيَقُولُ أَبُو الْوَفَاءِ بْنُ

(١) «أَحَادِيثُ فِي ذِمِّ الْكَلَامِ» (ص ٩٧ - ٩٨).

(٢) «الْحُجَّةُ فِي بَيَانِ الْمَحْجَةِ» (١/ ٢٢٥ - ٢٢٦).

(٣) «طَبَقَاتُ الشَّافِعِيَةِ الْكُبْرَى» (١٩١/٥).



عَقِيل: «عُدْتُ الْقَهْقَرَى إِلَى مَذْهَبِ الْمَكْتَبِ»<sup>(١)</sup>، ويقول الشَّهْرَسْتَانِي: «عَلَيْكُمْ بِدِينِ الْعَجَائِزِ»<sup>(٢)</sup>، ويقولُ الْفَخْرُ الرَّازِي: «لَقَدْ اخْتَبَرْتُ الطَّرُقَ الْكَلَامِيَّةَ، وَالْمَنَاهَجَ الْفَلَسَفِيَّةَ، وَالْعُلُومَ الْمُخْتَلِفَةَ؛ فَمَا رَأَيْتُ فِيهَا فَائِدَةً تَسَاوِي الْفَائِدَةَ الَّتِي وَجَدْتُهَا فِي الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ؛ لِأَنَّهُ يَسْعَى إِلَى تَسْلِيمِ الْعَظَمَةِ وَالْجَلَالِ بِالْكَلِيَّةِ لِلَّهِ تَعَالَى، وَيَمْنَعُ مِنَ التَّمَعُّنِ فِي إِيرَادِ الْمَعَارِضَاتِ وَالْمُنَاقِضَاتِ»<sup>(٣)</sup>.

وقد روى الشاطبي في كتابه «الإفادات والإنشادات»<sup>(٤)</sup> بإسناده إلى الرازي، أبحاثاً يبين فيها حُسْرَتَهُ وَوَحْشَتَهُ مِنْ مَبَاحِثِهِ الْعَقْلِيَّةِ.

### ﴿التعريف على الله بعلم الكلام يورث الوحشة:﴾

وَالْمُنْكَلِّمُونَ يُحَاوِلُونَ التَّعْرِيفَ عَلَى اللَّهِ مِنْ غَيْرِ طَرِيقِ اللَّهِ، وَمَا دَلَّ اللَّهُ عَلَى نَفْسِهِ بِهِ، وَمِنْ أَظْهَرِ فَسَادِ تِلْكَ الْعُلُومِ الْكَلَامِيَّةِ: أَنَّ الْعِلْمَ الصَّحِيحَ يُورِثُ خَشْيَةَ اللَّهِ؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [فاطر: ٢٨]، وَلَا يَكَادُ دَاخِلٌ فِي عِلْمِ الْكَلَامِ لِيَتَعَرَّفَ عَلَى اللَّهِ بِهِ، إِلَّا ضَعُفَتْ خَشْيَةُ اللَّهِ فِي قَلْبِهِ، وَرَقَّ دِينُهُ؛ لِأَنَّهُ بَعْلِمِ الْكَلَامِ عَرَفَ شَيْئًا غَيْرَ اللَّهِ، فَلَوْ عَرَفَ اللَّهَ، لَازْدَادَ لَهُ خَشْيَةً لَا وَحْشَةً.

وَالْفَلَاسِفَةُ كُلَّمَا تَعَمَّقُوا فِي الْفَلَسَفَةِ، أَزْدَادُوا حُزْنَاً وَحَبِيرةً، لَا طَمَآنِينََّةً وَبَقِيَّةً؛ يَبْدَأُ الدَّاخِلُ فِي الْفَلَسَفَةِ وَعِلْمِ الْكَلَامِ بِنَشْوَةٍ، ثُمَّ يَنْتَهِي بِحَبِيرةٍ؛ كَمَا كَانَ يَقُولُ أَرِسْطُو طَالِيْس: «لَمَّاذَا كُلَّمَا تَجَاوَزْنَا الْمُسْتَوَى الْمُتَوَسِّطَ فِي الْفَلَسَفَةِ، تَمَلَّكْنَا الْأَحْزَانَ، وَلَا زَمَنَّا الْأَمْرَاضَ».

(١) «ذيل طبقات الحنابلة» (١/٣٣٧). (٢) «نهاية الإقدام» (ص ٧).

(٣) «طبقات الشافعية الكبرى» (٨/٩١).

(٤) «الإفادات والإنشادات» (ص ٨٤ - ٨٥).

## ﴿ اعتقاد السلف في الصفات :

ولَمَّا كَانَ السَّلَفُ يُمَرُّونَ آيَاتِ الصِّفَاتِ وَأَحَادِيثَهَا، وَلَا يَزِيدُونَ عَلَى قِرَاءَتِهَا، وَلَمَّا ظَهَرَتْ الْبِدْعُ الْكَلَامِيَّةُ، وَظَهَرَ التَّأْوِيلُ وَالتَّشْبِيهُ وَالتَّعْطِيلُ - :  
تَوَهَّمُ بَعْضُ النَّاسِ : أَنَّ السَّلَفَ يَرِيدُونَ نَفْيَ الْحَقِيقَةِ كُلِّهَا، وَأَنَّ كِتَابَتَهُمْ لِلنُّصُوصِ مِنْ غَيْرِ كَلَامٍ ؛ يَعْنِي الْإِيمَانَ بِالْحُرُوفِ فَقَطْ، لَا مَجَرَّدَ أَنَّهُمْ يَنْفُونَ كَيْفِيَّةَ الصِّفَةِ وَبَيَانَ كُنْهَهَا، وَالسَّلَفُ إِنَّمَا يُشَبِّتُونَ الْحَقِيقَةَ لِلصِّفَةِ اللَّائِقَةِ بِاللَّهِ، لَا اللَّائِقَةَ بِالْعَبْدِ، وَإِبْثَاتُهُمْ لِلْحَقِيقَةِ تِلْكَ لَا يَعْنِي تَشْبِيهَا ؛ كَمَا أَنَّ نَفْيَهُمُ لِلتَّكْيِيفِ لَا يَعْنِي تَعْطِيلًا ؛ فَلَا هُمْ مُشَبَّهَةٌ، وَلَا مَعْطَلَةٌ، وَلَا مَكْیِفَةٌ ؛ لِأَنَّ التَّأْوِيلَ لِلْحَقِيقَةِ زِيَادَةٌ عَلَى النَّصِّ، كَمَا أَنَّ التَّشْبِيهَ زِيَادَةٌ عَلَى النَّصِّ .

وَالْعَدْلُ : أَنَّ يَقِفَ الْإِنْسَانُ بَيْنَهُمَا ؛ فَلَا يَحْمِلُهُ خَوْفُ التَّشْبِيهِ عَلَى نَفْيِ الْحَقِيقَةِ، وَلَا يَحْمِلُهُ خَوْفُ التَّأْوِيلِ عَلَى إِثْبَاتِ التَّشْبِيهِ، وَيُمْسِكُ عَمَّا عَدَا ذَلِكَ ؛ لِأَنَّ هَذَا غَايَةُ الْعِلْمِ، وَمَا سِوَاهُ جَهْلٌ ؛ كَمَا قَالَ سُحْنُونُ : «مَنْ الْعِلْمُ بِاللَّهِ : الْجَهْلُ بِمَا لَمْ يُخْبِرْ بِهِ اللَّهُ عَنْ نَفْسِهِ» .

وَبِنْحَوْه قَالَ ابْنُ أَبِي زَمَيْنٍ <sup>(١)</sup> .

وَيَجِبُ إِمْسَاكُ الذَّهْنِ عَنِ الْإِسْتِرْسَالِ بِالتَّفَكُّرِ فِي كَيْفِيَّةِ ذَاتِ اللَّهِ وَصِفَاتِهِ ؛ لِأَنَّ الْعَقْلَ يَشَبَّهُ وَيُمَثَّلُ وَيَكْيَّفُ ؛ فَكُلُّ عَقْلٍ يَصَوِّرُ الْغَائِبَ عَنْهُ عَلَى مَا يَرَى، حَتَّى تَخْتَلِفَ الصُّوَرُ فِي الْعُقُولِ لِلذَّاتِ الْوَاحِدَةِ ؛ لِاخْتِلَافِ الْمُشَاهِدِ فِي كُلِّ عَقْلٍ ؛ وَلِهَذَا نَهَى السَّلَفُ عَنِ الْجِدَالِ فِي اللَّهِ وَصِفَاتِهِ وَأَسْمَائِهِ ؛ وَقَدْ قَالَ ابْنُ عَبْدِ الْبَرِّ : «نَهَيْنَا عَنِ التَّفَكُّرِ فِي اللَّهِ، وَأَمَرْنَا

بالتفكير في خلقه الدال عليه<sup>(١)</sup>؛ لأنَّ التفكير في الأسماء يؤدي لمعرفة معناها وآثارها، والعمل بمقتضاها، وهو الإحصاء المقصود بقوله ﷺ: (إِنَّ لِلَّهِ نِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا؛ مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ)<sup>(٢)</sup>.

### اللغة وعلم الكلام، وأسباب انتشار البدعة:

كان اللسان العربيّ الأوّل حامياً من الخروج عن وضع الشريعة، ومراد الله سبحانه، ولما انتشرت العجمة في الناس، ظنّ أولاد العرب أنّهم كآبائهم يرثون اللسان، كما يرثون النسب؛ ففسدت أفهام بعضهم للنصوص لفساد اللسان؛ وقد صحّ عن الحسن البصريّ قوله: «أهلكتهم العجمة؛ يتأولون القرآن على غير تأويله»<sup>(٣)</sup>.

وكان مالكٌ يحذّر من تفسير القرآن وتأويله من غير معرفة بلسان العرب ولغاتها، ويدعو إلى تأديب فاعله؛ لأنّ ذلك يؤدي إلى حمل كلام الله على غير مراده؛ قال: «لا أوتى برجلٍ يفسّر كتاب الله غير عالم بلغات العرب، إلا جعلته نكالا»<sup>(٤)</sup>.

ويكفي في ردّ البدع الكلامية معرفة منشئها اللساني، وبُعدها المكاني والزمني؛ ولهذا لم يكن العرب الذين سمعوا القرآن يستشكلون من الصفات ما استشكله المتكلمون حتى كفّار قريش، ولم يكن الصحابة يسألون النبي ﷺ عن أنواع الصفات الذاتية وال فعلية؛ لأنّ لسانهم وبيانهم لا يحتاج لمثل هذا التقسيم.

(١) «جامع بيان العلم» (١٧٦٩).

(٢) البخاري (٢٧٣٦)، ومسلم (٢٦٧٧) من حديث أبي هريرة. وسيأتي بيان أنواع ظاهر الصفات عند السلف في شرح كلام ابن أبي زيد؛ بإذن الله.

(٣) «تفسير القرآن» لابن وهب (٨٥/الجامع).

(٤) «شعب الإيمان» (٢٠٩٠)، و«ذم الكلام» (٨٨٢).

وقد بين ابن أبي زيد القيرواني: أَنَّ البدع في الدين كانت بسبب تصدير بني العباس للعجم من الفرس وغيرهم، ولم يكن ذلك في بني أمية<sup>(١)</sup>.

ولما تمكّن علم الكلام من بعض الناس، التمسوا من علم العربية وأشعار العرب ما يؤيد قولهم، ولو كان مخالفاً للوضع العربي الأول، ولسان قريش؛ فهم اعتقدوا بدليل علم الكلام، ثم استأنسوا بالعربية، حتى أصبح هناك من يقصد تعلم العربية، لتقرير علم العقائد على طريقة أهل الكلام.

وأهل السنة يرجعون فهم مسائل الدين إلى ما تواضع عليه أهل الصدر الأول، واشتهر الأخذ به من زمن النبي ﷺ والصحابة والتابعين خاصة الحجازيين، ولا يعتمدون على كل لغة واستعمال، ويتشبثون في النقل، ولا يستدلون بكل شيء من شواهد العرب وأشعارهم، بل بما تفهمه عامة العرب عند الإطلاق.

وقد نبّه على هذا جمع من الأئمة؛ كالشافعي في «الرسالة»<sup>(٢)</sup>، وعبد العزيز الكِناني في «الحيدة»<sup>(٣)</sup>؛ وهو الذي يجري عليه في استعماله ونهجه أئمة العربية؛ كأبي عمرو بن العلاء، وحماد بن سلمة، والخليل بن أحمد، وسيبويه، والكسائي، والأصمعي، وأبي عبيد القاسم بن سلام، وابن قتيبة، وتعلب، وأبي منصور الأزهرّي، وغيرهم.

(٢) «الرسالة» (ص ٤٠ - ٥٣).

(١) انظر: «صون المنطق» (ص ٧٥٦).

(٣) «الحيدة» (ص ٥٤ - ٥٨).

## ❦ خطأ المتكلّمين في استعمال اللغة:

وأما المتكلّمون: فيقدّمون من اللغة ما يوافق أصولهم الكلاميّة، ويقدمون الاستعمال الأغرب على الأغلب، ولا يعتبرون بالسياق ولا القرائن ولا أحوال المتكلّم والمخاطب؛ فقد يتشابه الفعل مع غيره، ولكن يختلف في سياقه، ويتغيّر معناه:

كالإتيان في قوله تعالى: ﴿فَأَنذَرْتُ اللَّهَ بَلِيَّغُهُمْ مِنَ الْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِنْ فَوَقِهِمْ﴾ [النحل: ٢٦]، فإنه يختلف عن الإتيان في قوله تعالى: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ﴾ [البقرة: ٢١٠]، مع أن الإتيانين مضافان جميعاً إلى الله، ولكن الأول مقرون بإسقاط السقف وخروجه؛ فكان مكرّراً بهم، والثاني صفة لله تعالى.

ومن ذلك: قوله ﷺ: (الْحَجَرُ الْأَسْوَدُ يَمِينُ اللَّهِ فِي الْأَرْضِ)<sup>(١)</sup>، وقوله: (إِنِّي أَجِدُ نَفْسَ الرَّحْمَنِ مِنْ قِبَلِ الْيَمَنِ)<sup>(٢)</sup>، وقوله تعالى: ﴿نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا﴾ [الشعر: ١٣]، وقوله ﷺ عن خالد بن الوليد: (سَيْفٌ مِنْ سُيُوفِ اللَّهِ؛ سَلَّهُ اللَّهُ)<sup>(٣)</sup>؛ فهذه تعرفها العرب بسياقها: أن الإضافة فيها لله، لا يعني كونها صفة؛ وهذا السياق يُعرف بالوضع العربي الأول، وليس مجرد التركيب اللفظي كافياً في الفهم.

ومثل هذا كان سبباً في خطأ المتكلّمين من المعتزلة والأشاعرة حينما ألزموا المثبته على منهج السلف بأمثال هذه الأحاديث: أن تكون

(١) «العلل المتناهية» (٩٤٤) من حديث جابر.

(٢) أحمد (٥٤١/٢) رقم ١٠٩٧٨ من حديث أبي هريرة.

(٣) سبق تخريجه.

صفات الله كغيرها، أو يتم تأويل الجميع كتأويلها، وقد فهموا الألفاظ، وجعلوا السياق.

ومجرد العلم باللغة العربية لا يُجيز تقديم الوضع فيها على الوضع الشرعي؛ فالاصطلاح والوضع الشرعي مقدم على الوضع اللغوي، وما خالف ما أجمع عليه السلف من المعاني، فهو فاسد، وإن احتملته اللغة؛ ولذا يقول أبو عبيد القاسم بن سلام: «لأهل العربية لغة، ولأهل الحديث لغة، ولغة أهل العربية أقيس، ولا نجد بدا من اتباع لغة أهل الحديث من أجل السماع»<sup>(١)</sup>، ويقول ثعلب: «السنة تقضي على اللغة، واللغة لا تقضي على السنة»<sup>(٢)</sup>؛ فالصلاة والزكاة والحج والصوم جاء الاستعمال الشرعي فيها على معنى مخصوص يخالف الإطلاق اللغوي، ومن حمل معنى الصلاة والزكاة والصوم والحج على أحد معانيها اللغوية، كان حمله صحيحا لغة، باطلا شرعا.

وكثير من الأئمة المغاربة يُدركون هذا المعنى؛ كابن أبي زيد، وابن عبد البر، وأبي عمرو الداني؛ يقول أبو عمرو الداني: «وأئمة القراء لا تعمل في شيء من حروف القرآن على الأفسى في اللغة، والأقيس في العربية، بل على الأثبت في الأثر، والأصح في النقل والرواية؛ إذا ثبتت عنهم، لم يردها قياس عربية، ولا فشو لغة؛ لأن القرآن سنة متبعة يلزم قبولها والمصير إليها»<sup>(٣)</sup>.

ولما استقرت عقائد المتكلمين على التأويل أو التفويض المطلق، التمسوا من اللسان العربي شواهد لتؤيد قولهم؛ فاستدلوا بها، واستندوا

(٢) «مجالس ثعلب» (١/١٧٩).

(١) «الكفاية» للخطيب (٥٥٤).

(٣) «جامع البيان في القراءات السبع» (٢/٨٦٠).

إليها؛ كتفسيرهم الاستواء بالاستيلاء؛ حيث استدلل القاضي عبد الجبار بشواهد اللغة على ما استقرّ عنده قبل استدلاله؛ كما في «متشابه القرآن»<sup>(١)</sup>، وكذلك تأويل اليد بالنعمة<sup>(٢)</sup>، والكلام في قوله تعالى: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾ [النساء: ١٦٤]؛ حيث فسّره بالكلم، وهو الجرح؛ يعني: ابتلاه وجرحه بالمحن والشدائد<sup>(٣)</sup>.

وقد تعدّى ذلك الاستدلال على الألفاظ بغير المعروف، إلى التوسّع في تقدير المحذوفات؛ للوصول إلى الغاية؛ وهي التأويل، حتى عطلوا جميع الصفات الفعلية عن حقيقتها؛ ومن ذلك قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا﴾ [الأعراف: ١٤٣]، جعلوا ثمّ تقديرًا محذوفًا، وهو تجلّي أمره وقدرته<sup>(٤)</sup>، ونحوه قوله تعالى: ﴿إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ﴾ [البقرة: ٢١٠]، قدّروا المحذوف: إتيان أمره وإرادته<sup>(٥)</sup>.

وهذا باب لا حدّ له؛ أدخلوا منه أكثر تأويلاتهم؛ حتى قال القاضي عبد الجبار: «هكذا طرقتنا في سائر المتشابه: أنّه لا بُدّ من أن يكون له تأويل صحيح، يُخرّج على مذهب العرب من غير تكلف ولا تعسف»<sup>(٦)</sup>.

وتوسّعوا في إدخال كثير من تأويلاتهم للصفات من باب الكناية والمبالغة، والاستعارة والتشبيه وغيرها.

وأدخلوا من باب المجاز كثيرًا من الحقائق للخروج من الإثبات؛

(١) «متشابه القرآن» (ص ١٤٢).

(٢) «متشابه القرآن» (ص ٢٩٩ - ٣٠١).

(٣) «الكشاف» (١/ ٥٩١).

(٤) «معاني القرآن» للأخفش (١/ ٣٣٦)، و«الكشاف» (٢/ ١٥٥).

(٥) «معاني القرآن» للأخفش (١/ ١٨٣)، و«الكشاف» (١/ ٢٥٣).

(٦) «المغني في أبواب التوحيد والعدل» (١٦/ ٣٨٠).

حتى جعلَ المجازُ مصطلحًا في العربية يُضاهي الحقيقة، وقد يفوقها؛ كما يظهرُ في تقريراتِ أوائلِ مَنْ عبَّرَ عن هذا الاصطلاح؛ كالأخفش في «معاني القرآن»<sup>(١)</sup>، والجاحظ في «البيان»، و«الحَيَّان»<sup>(٢)</sup>؛ حتى زعمَ ابنُ جني في «الخصائص»<sup>(٣)</sup>: أَنَّ أكثرَ اللغةِ مجازٌ، لا حقيقةً.

والعجبُ: أَنَّهُمْ يَقْبَلُونَ التَّأْوِيلَ بِعُقُولِهِمْ، وَيَرُدُّونَ تَفْسِيرَ السَّلَفِ لِأَنَّهُ مِنْ عُقُولِهِمْ؛ وَعُقُولُ السَّلَفِ أَصَحُّ، وَالسَّتُّهُمْ أَفْصَحُ.

ولما اتَّسَعَ الْأَخْذُ بِعِلْمِ الْكَلَامِ، طَوَّعَتِ الْعَرَبِيَّةُ لَهُ، وَلَمْ يُطَوِّعْ لَهَا، وَكَثُرَتِ الْبِدْعُ مِنْ أَهْلِ الْعَرَبِيَّةِ؛ حَتَّى قَالَ إِبْرَاهِيمُ الْحَرْبِيُّ: «كَانَ أَهْلُ الْبَصْرَةِ أَهْلَ الْعَرَبِيَّةِ، مِنْهُمْ أَصْحَابُ الْأَهْوَاءِ، إِلَّا أَرْبَعَةً؛ فَإِنَّهُمْ كَانُوا أَصْحَابَ سُنَّةٍ: أَبُو عَمْرٍو بْنُ الْعَلَاءِ، وَالْخَلِيلُ بْنُ أَحْمَدَ، وَيُونُسُ بْنُ حَبِيبٍ، وَالْأَصْمَعِيُّ»<sup>(٤)</sup>.

وقد ظَهَرَ الْاعْتِزَالُ فِي كَثِيرٍ مِنْ أَهْلِ الْعَرَبِيَّةِ مَعَ إِمَامَتِهِمْ فِيهَا؛ كَهَارُونَ الْأَعْوَرِ، وَأَبِي مُحَمَّدٍ الْيَزِيدِيِّ، وَقُطْرُبِ، وَسَعِيدِ الْأَخْفَشِ، وَأَبِي عِثْمَانَ الْمَازِنِيِّ، وَالْجَاحِظِ، وَقَدْ كَتَبَ الْجَاحِظُ كِتَابًا لِنَصْرَةِ الْقَوْلِ بِخَلْقِ الْقُرْآنِ، وَنَعَطِ الْصِفَاتِ؛ كَكِتَابِ «خَلْقِ الْقُرْآنِ»، وَ«الرَّدُّ عَلَى الْمَشَبَّهَةِ»؛ كَتَبَهَا لِأَبِي الْوَلِيدِ مُحَمَّدَ بْنَ أَحْمَدَ بْنِ أَبِي دُوَادٍ قَاضِي الْمَتَوَكِّلِ، وَلَمْ يَبْقَ لِهَذِهِ الْكُتُبِ ذِكْرٌ، وَهَجَرَتْ حَتَّى فُقِدَتْ.



(١) «معاني القرآن» (١/٦١ و ٨٤) و (٢/٥٢٩).

(٢) «الحَيَّان» (١/٢١٢ و ٣٤١) و (٤/٣٩٤ وما بعدها) (٥/٢٣ - ٣٤).

(٣) «الخصائص» (٢/٤٤٩).

(٤) «تاريخ بغداد» (١٢/١٦٦ - ١٦٧).







## الشرح



قَالَ ابْنُ أَبِي زَيْدٍ: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾:

يُشْرَعُ الْبَدَاءُ بِذِكْرِ اللَّهِ قَبْلَ الشَّرْعِ فِي الْمَقَامَاتِ الْمَهْمَةِ، وَالْمَوَاقِفِ الْجَلِيلَةِ، وَقَدْ اسْتَفَاضَتْ السُّنَّةُ الْعَمَلِيَّةُ بِذَلِكَ، وَقَدْ دَلَّتِ السُّنَّةُ عَلَى أَنْوَاعٍ مِنَ الذِّكْرِ يُشْرَعُ الْبَدَاءُ بِهِ بِاخْتِلَافِ أَنْوَاعِ الْمَقَامِ الْمَشْرُوعِ فِيهِ؛ فَجَاءَتْ نصوصٌ بِالْبَدءِ بِالسَّمْلَةِ، وَنصوصٌ بِالْبَدءِ بِالْحَمْدِ وَالشَّهَادَةِ وَالصَّلَاةِ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ:

أَمَّا الْبَدَاءُ بِالْحَمْدِ: فَفِي الْخُطْبِ وَمَا فِي حُكْمِهَا مِنْ طَوِيلِ الْكُتُبِ وَالْمَقَالَاتِ، وَقَدْ اسْتَفَاضَتْ الْأَحَادِيثُ عِنْدَ حِكَايَةِ قِيَامِ النَّبِيِّ ﷺ لَخُطْبَةٍ يَقُولُونَ: (فَحَمْدُ اللَّهِ، وَأَتْنَى عَلَيْهِ)؛ كَمَا فِي «الصَّحِيحَيْنِ» مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ<sup>(١)</sup>، وَأَبِي هُرَيْرَةَ<sup>(٢)</sup>، وَابْنِ عُمرَ<sup>(٣)</sup>، وَأَبِي حُمَيْدٍ السَّاعِدِيِّ<sup>(٤)</sup>، وَأَنَسٍ<sup>(٥)</sup>، وَجَرِيرٍ<sup>(٦)</sup>، وَعَائِشَةَ<sup>(٧)</sup>، وَأَسْمَاءَ<sup>(٨)</sup>، وَهَكَذَا الْخُلَفَاءُ الرَّاشِدُونَ، وَلَيْسَ فِي فِعْلِهِمُ التَّسْمِيَةُ فِي الْخُطْبِ.

وَأَمَّا اقْتِرَانُ الْحَمْدِ بِالتَّشْهِيدِ: فَهُوَ مَشْرُوعٌ فِي صَدْرِ الْخُطْبِ

(١) البخاري (٤٦٧).

(٢) البخاري (٢٤٣٤)، ومسلم (١٣٥٥). (٣) البخاري (٤٤٠٢)، ومسلم (١٦٩).

(٤) البخاري (٩٢٥)، ومسلم (١٨٣٢).

(٥) البخاري (٣٧٩٩)، ومسلم (١٤٠١) فِي قِصَّةٍ أُخْرَى.

(٦) مسلم (١٠١٧). (٧) البخاري (١٠٤٤)، ومسلم (٩٠١).

(٨) البخاري (٨٦)، ومسلم (٩٠٥).

والكلام الجليل بلا خلاف، وقد جاءت به السُّنَّةُ الْعَمَلِيَّةُ:  
كما في حديث عائشة في «الصحيحين»؛ لَمَّا اتَّخَذَ النَّاسُ بِصَلَاتِهِ  
بِاللَّيْلِ، وَلَمْ يَخْرُجْ لَهُمْ فِي الثَّالِثَةِ، فَخَطَبَهُمْ فِي الْفَجْرِ، فَقَالَ: (إِنَّهُ لَمْ  
يَخَفْ عَلَيَّ مَكَانُكُمْ)<sup>(١)</sup>.

وتشهد عندما حدثت عائشة بالإفك؛ فقال كما في «الصحيحين»:  
(يَا عَائِشَةُ، إِنَّهُ بَلَغَنِي عَنْكَ كَذًا وَكَذًا؛ فَإِنْ كُنْتَ بِرَبِّتَةٍ، فَسَيِّرْكَ اللَّهُ)<sup>(٢)</sup>.

وجاء بالتشهد السُّنَّةُ الْقَوْلِيَّةُ؛ كما في حديث أبي هريرة مرفوعاً؛  
قال: (كُلُّ خُطْبَةٍ لَيْسَ فِيهَا تَشَهُّدٌ، فَهِيَ كَالْيَدِ الْجَدْمَاءِ)<sup>(٣)</sup>.

وصحّ عن أبي بكرٍ وعليٍّ بن أبي طالبٍ تشهدُهم في خُطْبَةٍ غَيْرِ  
الْجَمْعِ؛ كما في «الصحيحين» عن عائشة، في بَيْعَةِ أَبِي بَكْرٍ<sup>(٤)</sup>.

وتشهدُ عُمَرُ في خطبته لما مات النبي ﷺ<sup>(٥)</sup>، وتشهدُ عثمانُ في  
كلامِهِ لَمَّا أَقَامَ الْحَدَّ عَلَى الْوَلِيدِ بْنِ عُقْبَةَ؛ وكلاهما في «الصحيح»<sup>(٦)</sup>.

وكان بعضُ الصحابةِ يتشهدُ فيما يَهُمُّ، حتّى في غيرِ صعودِ المنبرِ،  
ولغيرِ الناسِ عامّةً:

كما جمَعَ ابْنُ عُمَرَ بَنِيهِ وَأَهْلَهُ فِي إثْبَاتِ بَيْعَتِهِ بِزَيْدٍ لَمَّا خَلَعَهُ  
النَّاسُ؛ حَيْثُ رَأَى أَنَّ الْخَلَعَ نَكُثٌ وَعَدْرٌ؛ كما عند أحمد<sup>(٧)</sup>، والأصلُ  
المرفوعُ في «مسلم»<sup>(٨)</sup>.

(١) البخاري (٩٢٤ و ٢٠١٢)، ومسلم (٧٦١).

(٢) البخاري (٢٦٦١ و ٤١٤١ و ٤٧٥٠)، ومسلم (٢٧٧٠).

(٣) أبو داود (٤٨٤١)، والترمذي (١١٠٦).

(٤) البخاري (٤٢٤٠ و ٤٢٤١)، ومسلم (١٧٥٩).

(٥) البخاري (٧٢١٩). (٦) البخاري (٣٨٧٢).

(٧) أحمد (٤٨/٢) رقم (٥٠٨٨).

(٨) البخاري (٣١٨٨)، ومسلم (١٧٣٥).

وجاء عن ابن مسعود: التَّشَهُّدُ فِي كُلِّ حَاجَةٍ يَخْطُبُ لَهَا.  
وجاء عن عطاء، عن أَبِي الْبَحْتَرِيِّ؛ قَالَ: «كُلُّ حَاجَةٍ لَيْسَ فِيهَا  
تَشَهُّدٌ، فَهِيَ بَتْرَاءٌ»<sup>(١)</sup>.

وَأَمَّا الْبَدَءُ بِالْبِسْمَلَةِ: ففِي الْمَكَاتِبَاتِ وَالرِّسَالِ سُنَّةُ النَّبِيِّ ﷺ  
وَالْأَنْبِيَاءِ؛ كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ  
الرَّحِيمِ﴾ [النمل: ٣٠]، وَكَلَّمَا كَانَ الْأَمْرُ الَّذِي يَشْرَعُ فِيهِ الْكَاتِبُ وَالْمُتَكَلِّمُ  
أَعْظَمَ، كَانَ التَّأَكِيدُ بِالْبَدَءِ بِذِكْرِ اللَّهِ فِيهِ أَشَدَّ.

وظَاهِرُ السُّنَّةِ: التَّفْرِيقُ بَيْنَ الْخُطْبِ وَالْمَكَاتِبَاتِ؛ فَالْخُطْبُ يُبْدَأُ فِيهَا  
بِالْحَمْدَةِ، وَالْمَكَاتِبَاتُ يُبْدَأُ فِيهَا بِالْبِسْمَلَةِ؛ كَمَا فِي كُتُبِ النَّبِيِّ ﷺ إِلَى  
الْمُلُوكِ وَرُؤُوسِ النَّاسِ؛ ككِتَابِهِ إِلَى هِرْقَلٍ عَظِيمِ الرُّومِ، وَكِسْرَى عَظِيمِ  
فَارِسَ، وَالْمُقَوْقِسِ عَظِيمِ الْقِبْطِ، وَالنَّجَاشِيِّ مَلِكِ الْحَبَشَةِ، وَالْمُنْذِرِ بْنِ  
سَاوَى التِّمِيمِيِّ حَاكِمِ الْبَحْرَيْنِ، وَالْحَارِثِ الْغَسَّانِيِّ مَلِكِ الْحِيرَةِ، وَأَوَّلُ  
رِسَالِهِ ﷺ فِي «الصَّحِيحَيْنِ» مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ<sup>(٢)</sup>، وَبَقِيَّتُهَا فِي  
السِّيَرِ.

وَأَكْثَرُ السَّلَفِ فِي الْقَرْنَيْنِ الْأَوَّلَيْنِ يَبْدُؤُونَ كُتُبَهُمْ بِالْبِسْمَلَةِ، ثُمَّ  
يَشْرَعُونَ فِي الْمَقْصُودِ؛ كَمَا لَكَ فِي «الْمَوْطَأِ»<sup>(٣)</sup>، وَغَيْرِهِ، ثُمَّ غَلَبَ عَلَى  
الْكِتَابِ الْبَدَءُ بِالْبِسْمَلَةِ وَالْحَمْدَةِ جَمِيعًا.

وَالْأَحَادِيثُ الْوَارِدَةُ فِي الْأَمْرِ بِالْبَدَءِ بِالْبِسْمَلَةِ وَالْحَمْدَةِ: مَعْلُومَةٌ،  
وَالسُّنَّةُ الْعَمَلِيَّةُ أَصَحُّ وَأَشْهَرُ.



(١) «مُصَنَّفُ ابْنِ أَبِي شَيْبَةَ» (٢٧٢١٧). (٢) الْبَخَارِيُّ (٧)، وَمُسْلِمٌ (١٧٧٣).

(٣) (٣/١).

﴿قَالَ ابْنُ أَبِي زَيْدٍ: الَّذِي ابْتَدَأَ الْإِنْسَانَ بِنِعْمَتِهِ، وَصَوَّرَهُ فِي الْأَرْحَامِ بِحِكْمَتِهِ﴾:

التذكيرُ بنعمةِ الله على عبدهِ مُوجِبٌ لظهورِ حَقِّ الله على عبدهِ؛ فحقُّ الله سابقٌ ولاحقٌ، ونعمته لا تُحصى، وإنما يُؤتى الإنسانُ بِغَفْلَتِهِ عن هذا؛ وضلاله يكونُ من جهتين:

الأولى: أن ينسبَ فضلَ الله ونعمتهُ عليه إلى غيرِ الله؛ فيعبدهُ من دونِ الله.

الثانية: أن ينسى فضلَ الله عليه، ويغفلَ عنه؛ فيغفلَ عن عبادةِ الله وحقه عليه بمقدارِ غَفْلَتِهِ.

ولهذا تأتي أسبابُ التذكيرِ بفضْلِ الله على عبدهِ: إمَّا بالابتلاء ليرجعَ، وإمَّا بالتوفيقِ والمراجعةِ للحقِّ بالتذكُّرِ والعِلْمِ والفهمِ.



﴿قَالَ ابْنُ أَبِي زَيْدٍ: وَأَبْرَزَهُ إِلَى رِفْقِهِ، وَمَا يَسْرَهُ لَهُ مِنْ رِزْقِهِ، وَعَلَّمَهُ مَا لَمْ يَكُنْ يَعْلَمُ، وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْهِ عَظِيمًا، وَتَبَّهَهُ بِآثَارِ صَنْعَتِهِ، وَأَعْدَرَ إِلَيْهِ عَلَى أَلْسِنَةِ الْمُرْسَلِينَ الْخَبِيرَةَ مِنْ خَلْقِهِ؛ فَهَدَى مَنْ وَفَّقَهُ بِفَضْلِهِ، وَأَضَلَّ مَنْ خَذَلَهُ بِعَدْلِهِ، وَبَسَرَ الْمُؤْمِنِينَ لِلْيُسْرَى، وَشَرَحَ صُدُورَهُمْ لِلذِّكْرِ، فَأَمَّنُوا بِاللَّهِ بِأَلْسِنَتِهِمْ نَاطِقِينَ، وَبِقُلُوبِهِمْ مُخْلِصِينَ، وَبِمَا أُنْتَهَمَ بِهِ رُسُلُهُ وَكُتِبَ عَلَيْهِمْ، وَتَعَلَّمُوا مَا عَلَّمَهُمْ، وَوَقَفُوا عِنْدَ مَا حَدَّ لَهُمْ، وَاسْتَعْنَوْا بِمَا أَحَلَّ لَهُمْ عَمَّا حَرَّمَ عَلَيْهِمْ﴾:

ذَكَرَ الْمُؤَلِّفُ نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَى عَبْدِهِ مِنْ إِيجَادِهِ وَكَفَالَتِهِ وَتَعْلِيمِهِ، وَذَكَرَ دَلِيلَ الْخَلْقِ بِقَوْلِهِ: «وَتَبَّهَهُ بِآثَارِ صَنْعَتِهِ»؛ وَهَذَا كَثِيرٌ فِي الْقُرْآنِ؛ يَا مُرُّ عِبَادَهُ بِالنَّظَرِ وَالتَّفَكُّرِ وَالسَّيْرِ فِي الْأَرْضِ؛ لَتَدْبُرَ آيَاتِ اللَّهِ وَالتَّأَمَّلِ فِيهَا؛

فإنَّ الله آيات - كالكواكب والأبراج، والنجوم والسماء والأرض، وأنواع الموجودات الحيَّة والجامدة - تدلُّ على عظيم مُوجِّدِها؛ قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ﴾ [الأعراف: ١٨٥]، وقال: ﴿وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ﴾ (٢٠) ﴿وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ [الذاريات: ٢٠ - ٢١]، وقال: ﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ﴾ (١٧) ﴿وَلِلَّاءِ السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ﴾ (١٨) ﴿وَلِلَّاءِ الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ﴾ (١٩) ﴿وَلِلَّاءِ الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ﴾ [الغاشية: ١٧ - ٢٠].

ثمَّ ذَكَرَ المصنِّفُ ما أجراه الله على عباده من تسييرهم على مراده بفضلٍ وعدلٍ، ولا يَظْلِمُ الله أحداً، وتقديرُ الله على عباده أعمالهم لا يعني ظلمهم، ولا قطع حُجَّتِهِ عليهم، ويأتي الكلام على شيءٍ من هذا في باب القَدَرِ والمشيئة من هذا الكتاب.

وفي قوله: «فَأَمِنُوا بِاللَّهِ بِالسِّتَةِمْ نَاطِقِينَ، وَبِقُلُوبِهِمْ مُخْلِصِينَ، وَبِمَا أُنْتَهُمْ بِهِ رُسُلُهُ وَكُتِبَتْهُ عَامِلِينَ»، ذَكَرَ للإيمان، وأنه قولٌ وعملٌ واعتقاد، ولا يَتِمُّ إيمانُ عبدٍ إلا بذلك، ويأتي بيانُ هذا من هذا الكتاب.

سَعَةُ الْحَلَالِ، وَضِيقُ الْحَرَامِ:

وفي قوله: «وَتَعَلَّمُوا مَا عَلَّمَهُمْ، وَوَقَفُوا عِنْدَ مَا حَدَّ لَهُمْ، وَاسْتَعْنَوْا بِمَا أَحَلَّ لَهُمْ عَمَّا حَرَّمَ عَلَيْهِمْ»:

تنبيهٌ إلى أنَّ الغايةَ من العلم: العملُ بالمأمور، وتركُ المحذور، وأنَّ الله جعلَ في الحلالِ غُنَّةً عن الحَرَامِ وكفاية، وكثيراً ما يَنْهَى الله عن شيءٍ، ثُمَّ يُبَيِّنُ سَعَةَ الْحَلَالِ؛ حتى لا يشعرَ الإنسانُ بالحرَجِ والضيقِ، وتتوَهَّمُ نَفْسُهُ؛ فَإِنَّ الشَّيْطَانَ يُكْثِرُ مِنْ عَرْضِ المحَرَّمَاتِ على الإنسان؛ حتى يشعرَ بِسَعَتِهَا، وَيُنْسِيَهُ الْحَلَالَ حتى يشعرَ بِضِيقِهِ وَقِلَّتِهِ:

ومن ذلك: قوله تعالى قبل تحريم الميتة والدم: ﴿يَأْتِيهَا الذِّبْ  
ءَامَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَشْكُرُونَ﴾  
[البقرة: ١٧٢]، ثُمَّ قَالَ: ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ وَمَا  
أُهِلَ بِهِ لَغَيْرِ اللَّهِ...﴾ الآية [البقرة: ١٧٣].

والله تعالى يذكر الحلال ويوسعه، ويذكر الحرام ويضيقه؛ كما في  
قوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الذِّبْ ءَامَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَآفَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا  
خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ [البقرة: ٢٠٨]، فلما ذكر الحلال  
أطلقه، ولما ذكر الحرام وصفه بالخطوات، ولا يتجرأ أحد على حرام  
إلا وقد ضاق الحلال عليه: إما توهمًا في نفسه، أو حقيقة في الواقع،  
والتضييق لبس من التشريع.

### ❦ بيان المؤلف لموجب التأليف:

❦ قَالَ ابْنُ أَبِي زَيْدٍ: ﴿أَمَّا بَعْدُ؛ أَعَانَا اللَّهُ وَإِيَّاكَ عَلَى رِعَايَةِ وَدَائِعِهِ،  
وَحِفْظِ مَا أَوْدَعَنَا مِنْ شَرَائِعِهِ؛ فَإِنَّكَ سَأَلْتَنِي أَنْ أَكْتُبَ لَكَ جُمْلَةً مُخْتَصَرَةً  
مِنْ وَاجِبِ أُمُورِ الدِّيَانَةِ﴾:

شرع ابن أبي زيد في بيان مقصوده من «رسالته»، وموجب كتابتها.  
واستعمال: «أما بعد» سنة لفصل الخطاب، كان يفعله النبي ﷺ في  
خطبه ومكاتباته.

وبيان موجب الكتابة يبين المقصود منها، ويخرجها عن الفضول  
وقصد الكتابة للكتابة، وبيان موجب القول يزيد من التوضيح؛ وهو كثير في  
القرآن؛ فيذكر الله الحكم والجواب بعد ذكر الاستشكال والسؤال من  
الناس؛ كقوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ﴾ [البقرة: ١٨٩]، و﴿يَسْتَفْتُونَكَ﴾ [النساء: ١٧٦].

❁ قَالَ أَبُو زَيْدٍ: ﴿مِمَّا تَنْطِقُ بِهِ الْأَلْسِنَةُ، وَتَعْتَقِدُهُ الْقُلُوبُ، وَتَعْمَلُهُ الْجَوَارِحُ، وَمَا يَتَّصِلُ بِالْوَاجِبِ مِنْ ذَلِكَ مِنَ السُّنَنِ؛ مِنْ مُؤَكِّدِهَا وَنَوَافِلِهَا، وَرَعَائِبِهَا وَشَيْءٍ مِنَ الْأَدَابِ مِنْهَا، وَجُمَلٍ مِنْ أَصُولِ الْفِقْهِ وَفُتُونِهِ؛ عَلَى مَذْهَبِ الْإِمَامِ مَالِكِ بْنِ أَنَسٍ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى وَطَرِيقَتِهِ﴾:

والمقصودُ بشرحنا هنا: هو لمعتقد المؤلف في صدر رسالته، فإنه قد أتبع معتقده أحكام الفقه وتفصيله، ومحل الكلام عليها غير هذا الكتاب.



❁ قَالَ أَبُو زَيْدٍ: ﴿مَعَ مَا سَهَّلَ سَبِيلَ مَا أَشْكَلَ مِنْ ذَلِكَ؛ مِنْ تَفْسِيرِ الرَّاسِخِينَ، وَبَيَانِ الْمُتَفَقِّهِينَ؛ لِمَا رَغِبْتَ فِيهِ مِنْ تَعْلِيمِ ذَلِكَ الْوِلْدَانِ، كَمَا تَعْلَمُهُمْ حُرُوفَ الْقُرْآنِ؛ لِيَسْبِقَ إِلَى قُلُوبِهِمْ مِنْ فَهْمِ دِينِ اللَّهِ وَشَرَائِعِهِ: مَا تُرْجَى لَهُمْ بَرَكَتُهُ، وَتُحْمَدُ لَهُمْ عَاقِبَتُهُ؛ فَأَجِبْتُكَ إِلَى ذَلِكَ؛ لِمَا رَجَوْتُهُ لِنَفْسِي وَلَكَ مِنْ ثَوَابٍ مَنْ عَلَّمَ دِينَ اللَّهِ أَوْ دَعَا إِلَيْهِ﴾:

لقد يسر الله كلامه لمن يريد فهمه من العرب وممن عرف لسانهم غيرهم؛ قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ﴾ [القمر: ١٧]، وجعله سهلاً بيناً، لا يحول بينه وبين فهمه إلا إعراض قلبه وانصرافه عن الحق، ومثل هذا لو سمع الحق، لم ينتفع به، ويكون سماعه كسماع الأصم: ﴿وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ﴾ [الأنفال: ٢٣].

وربما نظر من في قلبه مرض في القرآن، وتتبع المتشابهة، فزاد زيغته؛ لأنه طلب الزيع بنفسه، والله لا يبتدئ أحداً بإزاغة: ﴿فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾ [الصف: ٥].



ولا يَصْرِفُ أَحَدًا عَنِ الْحَقِّ وَهُوَ يَرِيدُهُ: ﴿ثُمَّ أَنْصَرُوا صَرْفَ اللَّهِ قُلُوبَهُمْ﴾ [التوبة: ١٢٧]، ولا يَقْدِفُ فِي قَلْبِ أَحَدٍ مَرَضًا أَوْ رِجْسًا إِلَّا وَهُوَ يَطْلُبُ الْمَرَضَ وَالرَّجْسَ: ﴿فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا﴾ [البقرة: ١٠]، وقال: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ﴾ [التوبة: ١٢٥]، وَمَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ قَصْدُ الْخَيْرِ وَطَلَبُهُ، فَإِنَّ اللَّهَ يَهْدِيهِ: ﴿وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ﴾ [الأنفال: ٢٣]، وإذا كَانَ الْإِنْسَانُ كُلَّمَا قَرَأَ الْأَدْلَةَ، أَزْدَادَ غِيًّا وَانْحِرَافًا، فَالْعَيْبُ فِي قَصْدِهِ وَمَرَضٌ فِي قَلْبِهِ، لَا فِي الْأَدْلَةِ.

وَمَنْ جَهَلَ شَيْئًا مِنَ الْوَحْيِ الْمَتَعَيْنِ عَلَيْهِ، وَجَبَ عَلَيْهِ سَوْأُ أَهْلِ الْعِلْمِ الْعَارِفِينَ بِذَلِكَ؛ فَإِنَّ مَجْرَدَ الْجَهْلِ مَعَ إِمْكَانِ رَفْعِهِ، لَا يُعْذَرُ صَاحِبُهُ بِهِ؛ وَإِلَّا لَكَانَ الْجَهْلُ خَيْرًا مِنَ الْعِلْمِ، وَتَجْهِيلُ النَّاسِ أَفْضَلُ مِنْ تَعْلِيمِهِمْ؛ لِأَنَّ تَعْلِيمَهُمْ تَكْلِيفٌ وَحْسَابٌ، وَتَجْهِيلُهُمْ إِعْذَارٌ وَعَفْوٌ.

وَيَنْشَأُ الصَّغِيرُ عَلَى الْفِطْرَةِ، وَتَقْبُلُ الْحَقَّ وَالْإِتْجَاءَ إِلَيْهِ، وَاسْتِنْكَارِ الْبَاطِلِ وَالنُّفْرَةَ مِنْهُ، وَلَكِنَّهُ قَدْ يَتَوَطَّنُ عَلَى الشَّرِّ؛ إِذَا تَدَرَّجَ فِيهِ؛ كَمَا قَالَ ﷺ: (مَا مِنْ مَوْلُودٍ إِلَّا يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ؛ فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ أَوْ يُمَجِّسَانِهِ...) <sup>(١)</sup>.

وَتَعْلِيمُ الْوُلْدَانِ الْحَقَّ وَالْخَيْرَ وَاجِبٌ، وَهُوَ حَقٌّ لَهُمْ عَلَى وَلِيِّهِمْ، وَيَتَأَكَّدُ ذَلِكَ فِي الْأُزْمَةِ الَّتِي يَكْثُرُ فِيهَا الشَّرُّ؛ فَيَجِبُ أَنْ يُسَبَقَ بِالْخَيْرِ إِلَى قُلُوبِهِمْ قَبْلَ أَنْ يَسْبِقَ إِلَيْهِمُ الشَّرُّ؛ فَيَتَقَبَّلُونَهُ وَيَتَشَرَّبُونَهُ.



(١) البخاري (١٣٥٨)، ومسلم (٢٦٥٨) من حديث أبي هريرة.

﴿قَالَ ابْنُ أَبِي زَيْدٍ: ﴿وَأَعْلَمَ: أَنَّ خَيْرَ الْقُلُوبِ: أَوْعَاها لِلْخَيْرِ، وَأَرْجَى الْقُلُوبِ لِلْخَيْرِ: مَا لَمْ يَسْبِقِ الشَّرُّ إِلَيْهِ، وَأَوْلَى مَا عُنِيَ بِهِ النَّاصِحُونَ، وَرَغِبَ فِي أَجْرِهِ الرَّاعِبُونَ: إِصْالُ الْخَيْرِ إِلَى قُلُوبِ أَوْلَادِ الْمُؤْمِنِينَ؛ لِيَرَسَخَ فِيهَا، وَتَنْبِيَهُمْ عَلَى مَعَالِمِ الدِّيَانَةِ، وَخُدُودِ الشَّرِيعَةِ؛ لِيُرَاضُوا عَلَيْهَا، وَمَا عَلَيْهِمْ أَنْ تَعْتَقِدَهُ مِنَ الدِّينِ قُلُوبُهُمْ، وَتَعْمَلَ بِهِ جَوَارِحُهُمْ؛ فَإِنَّهُ رَوَى أَنَّ تَعْلِيمَ الصَّغَارِ لِكِتَابِ اللَّهِ، يُطْفِئُ غَضَبَ اللَّهِ، وَأَنْ تَعْلِيمَ شَيْءٍ فِي الصَّغَرِ؛ كَالنَّقْشِ فِي الْحَجَرِ.﴾

وَقَدْ مَثَلْتُ لَكَ مِنْ ذَلِكَ مَا يَنْتَفِعُونَ - إِنْ شَاءَ اللَّهُ - بِحِفْظِهِ، وَيَسْرُقُونَ بِعِلْمِهِ، وَيَسْتَعْدُونَ بِاعْتِقَادِهِ وَالْعَمَلِ بِهِ:﴾

أنقى القلوب: القلب الذي يكون على الفطرة، ولم يرد إليه وارء من الشر؛ لأن القلب إذا تمكن منه الشر، تصلب وقسا، وشق عليه الرجوع؛ كما قال تعالى: ﴿فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ [الحديد: ١٦]؛ لأن للقلب منافذ يدخل منها الخير، وإذا كثر الباطل والشر على القلب، كثر إغلاق منافذ الخير إليه؛ حتى يكون كالحجارة أو أشد قسوة في قبول الحق.

وقد جاءت الأدلة في تعليم الصغار دين الله، وخاصة ما يتعلق بهم وما يشق عليهم الثبات عليه بعد تكليفهم؛ كالصلاة وأحكام العورة؛ كما قال ﷺ: (مُرُوا أَوْلَادَكُمْ بِالصَّلَاةِ وَهُمْ أَبْنَاءُ سَبْعِ سِنِينَ، وَاضْرِبُوهُمْ عَلَيْهَا وَهُمْ أَبْنَاءُ عَشْرٍ، وَفَرِّقُوا بَيْنَهُمْ فِي الْمَضَاجِعِ)<sup>(١)</sup>، وكما في ظاهر آية العورات من سورة النور.

(١) أحمد (٢/ ١٨٠ و ١٨٧ رقم ٦٦٨٩ و ٦٧٥٦)، وأبو داود (٤٩٥) من حديث عبد الله بن عمرو.

وتعليمُ الصغيرِ أثبتَ في قلبِهِ مِنْ تعليمِ الكبيرِ؛ لخلوّ قلبِهِ وَلِينِهِ  
وطراوته.

والأُمَمُ والشعوبُ التي تَنشَأُ على الفِطْرةِ، ولم تَتبدَّلْ، فإنها أَسْرَعُ  
لِقَبُولِ الحقِّ والتسليمِ به؛ كما هو اليومُ في كثيرٍ من بُلْدانِ إفريقياَ وبعضِ بلدانِ  
جنوبِ شرقِ آسيا، وأمّا التي تَبَدَّلَتْ فِطْرَتُها، وطال الأَمَدُ على انحرافِها، فإنَّ  
قَبُولَها للحقِّ شاقٌّ؛ لأنَّ قلوبَهُم منحرفةٌ؛ كالإناءِ المائلِ أو المنكوسِ،  
فبمقدارِ مِيلَانِهِ يَقلُّ نصيبُهُ مِنْ تَقَبُّلِ وضعِ الماءِ فيه، وإذا كان منكوسًا، لا يَقْبَلُ  
شيئًا حتى يَعدَّلَ على الفِطْرةِ الصحيحة، ثُمَّ يُصبُّ الماءُ فيه، والجهْدُ في  
هؤلاءِ شاقٌّ؛ لأنهم يحتاجون إلى جهادَيْن: جهادِ تعديلِ الفِطْرةِ، وجهادِ  
عَرَضِ الشَّرْعَةِ؛ وهذا كالفرقِ بين أهلِ مَكَّةَ وأهلِ المدينةِ في أوَّلِ الإسلامِ؛  
فأهلُ مَكَّةَ أشدُّ تَبَدُّلاً للفِطْرةِ، فعاندوا وكابروا، ولكنَّ مَنْ آمَنَ منهم، ثَبَّتَ  
وكان إيمانه أقوى مِنْ غيرِهِ؛ لأنه جَرَّبَ أقصى الضلالةَ، فَرَجَعَ، فليس بعدها  
شيءٌ؛ ولهذا كان مؤمنو مَكَّةَ المهاجِرُونَ أَفْضَلَ مِنْ مؤمني المدينةِ الأنصارِ.

وَمَنْ أرادَ دعوةَ أَحَدٍ إلى الحقِّ، فليَنظُرْ إلى فِطْرَتِهِ ومقدارِ انحرافِها  
قبلَ دَعْوَتِهِ، حتى يَقوِّمَ الإناءَ قبلَ الصَّبِّ فيه، وَمَنْ يدعو أصحابَ فِطْرٍ  
مبدلةً، أعْظَمَ أَجْرًا مِمَّنْ يدعو أصحابَ الفِطْرِ الصحيحة، ولو كان أَقلَّ  
أتباعًا؛ فكلُّ أولي العزمِ مِنَ الرُّسُلِ أُرْسِلُوا إلى أُمَمٍ مبدلةٍ للفِطْرةِ.

وإذا نَشَأَ الإنسانُ في بيئَةٍ شَرٍّ وَعَرَفَ الحقَّ، فهو أثبتُ وخيرُ مِمَّنْ عَرَفَ  
الحقَّ في بيئَةٍ خَيْرٍ، وَمِنْ هذا قولُ أحمدَ: إذا أَصَبَتِ الكوفيَّ صاحبَ سُنَّةٍ،  
فهو يَفُوقُ الناسَ<sup>(١)</sup>؛ وذلك لَأَنَّهُ غَلَبَتْ على الكوفةِ بِدْعَةُ التشيعِ والرَّفْضِ.



❁ قَالَ ابْنُ أَبِي زَيْدٍ: ﴿وَقَدْ جَاءَ أَنْ يُؤْمَرُوا بِالصَّلَاةِ لِسَبْعِ سِنِينَ، وَيُضْرَبُوا عَلَيْهَا لِعَشْرِ، وَيُفَرَّقَ بَيْنَهُمْ فِي الْمَضَاجِعِ؛ فَكَذَلِكَ: يَنْبَغِي أَنْ يَعْلَمُوا مَا فَرَضَ اللَّهُ عَلَى الْعِبَادِ مِنْ قَوْلٍ وَعَمَلٍ قَبْلَ بُلُوغِهِمْ؛ لِيَأْتِيَ عَلَيْهِمُ الْبُلُوغُ، وَقَدْ تَمَكَّنَ ذَلِكَ مِنْ قُلُوبِهِمْ، وَسَكَنَتْ إِلَيْهِ أَنْفُسُهُمْ، وَأَنِسَتْ بِمَا يَعْمَلُونَ بِهِ مِنْ ذَلِكَ جَوَارِحُهُمْ.﴾

❁ وَقَدْ فَرَضَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ عَلَى الْقَلْبِ عَمَلًا مِنَ الْإِعْتِقَادَاتِ، وَعَلَى الْجَوَارِحِ الظَّاهِرَةِ عَمَلًا مِنَ الطَّاعَاتِ.

❁ وَسَأَفْصِلُ لَكَ مَا شَرَطْتُ لَكَ ذِكْرَهُ بَابًا بَابًا؛ لِيَقْرُبَ مِنْ فَهْمِ مُتَعَلِّمِيهِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ، وَإِيَّاهُ نَسْتَخِيرُ، وَبِهِ نَسْتَعِينُ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ: ﴿

أَمْرُ الصَّبِيِّ بِالصَّلَاةِ فِي صِغَرِهِ مَتَوَجَّهٌ فِي الشَّرْعِ لَوْلِيهِ؛ كَمَا فِي الْحَدِيثِ: (مُرُوا أَوْلَادَكُمْ بِالصَّلَاةِ...) <sup>(١)</sup>؛ لِأَنَّ الصَّبِيَّ غَيْرُ مَكْلَفٍ؛ فَلَا يَتَوَجَّهُ إِلَيْهِ الْخِطَابُ، وَالتَّقْصِيرُ وَالِائْتِمُ فِي ذَلِكَ يَقَعُ عَلَى وَلِيِّهِ لَا عَلَيْهِ، وَإِذَا بَلَغَ، وَقَعَ عَلَيْهِ لَا عَلَى وَلِيِّهِ.

❁ وَإِنَّمَا خُصَّتِ الصَّلَاةُ بِالتَّأَكُّيدِ عَلَى الصَّغِيرِ فِي أَوَّلِ تَمْيِيزِهِ؛ لِأَسْبَابٍ مِنْهَا:

الأول: كونها أعظم الأركان العملية وأكدها؛ والاهتمام في الشريعة يكون للأهم والأعظم.

الثاني: أَنَّ الصلاةَ ثَقِيلَةً، وَتَحْتَاجُ إِلَى تَوَطُّنٍ، وَالنَفْسُ غَضَّةٌ طَرِيقَةٌ؛ حَتَّى إِذَا كَبُرَتْ، لَا تَسْتَقْبِلُ الصَّلَاةَ، وَقَدْ عَاتَدَتْ قَبْلَ ذَلِكَ عَلَيْهَا، وَمَنْ لَمْ يُوَدِّهَا وَهُوَ صَغِيرٌ بِأَيِّ حَالٍ، شَقَّ عَلَيْهِ الْقِيَامُ بِهَا عِنْدَ أَوَّلِ بُلُوغِهِ؛ وَلِهَذَا جَاءَ أَمْرُ الْوَلِيِّ بِأَنْ يَأْمُرَ الصَّبِيَّ وَهُوَ ابْنُ سَبْعِ سِنِينَ؛ حَتَّى يَبْلُغَ الْعَاشِرَةَ، وَهِيَ ثَلَاثُ سِنِينَ، يُؤَمِّرُ فِيهَا عِنْدَ كُلِّ صَلَاةٍ، ثُمَّ يُضْرَبُ عَلَيْهَا بَعْدَ الْعَاشِرَةِ إِلَى بُلُوغِهِ، ضَرْبًا غَيْرَ مَبْرَحٍ؛ وَلَكِنْ مَنْ انْتَضَمَ عَلَى الْأُولَى، لَمْ يَحْتَاجْ إِلَى الثَّانِيَةِ؛ أَيُّ: مَنْ انْتَضَمَ بِأَمْرِ الصَّبِيِّ بَعْدَ السَّابِعَةِ ثَلَاثَ سِنِينَ، لَمْ يَبْلُغِ الْعَاشِرَةَ إِلَّا وَهُوَ مُدَاوِمٌ عَلَيْهَا، وَلَمْ يَحْتَاجْ إِلَى ضَرْبِهِ.

الثالث: أَنَّ الصلاةَ ثَقِيلَةٌ بِلَا خَشُوعٍ، وَالْخَشُوعُ ثَقِيلٌ فِي ذَاتِهِ عَلَى مَنْ لَمْ يَتَوَطَّنْ عَلَيْهِ، وَالصَّغِيرُ أَوَّلَ مَا يُوَدِّهَا لَا يَعْرِفُ الْخَشُوعَ؛ فِيرَادُ تَوَطُّنُهُ عَلَى الْأَمْرَيْنِ لَيْسَهُمَا عَلَيْهِ: ﴿وَأَسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالْعِلْمِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾ [البقرة: ٤٥]، وَالْخَشُوعُ ثَقِيلٌ عَلَى ضَعِيفِ الْيَقِينِ بِرَبِّهِ؛ كَمَا وَصَفَ اللَّهُ الْخَاشِعِينَ فِي نَفْسِ الْآيَةِ: ﴿وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ الَّذِينَ يَكُونُونَ أَنَّهُمْ مُلْقَوْنَ رَبِّهِمْ﴾ [البقرة: ٤٥ - ٤٦].

فَالثَّلَاثَةُ مُتَلَازِمَةٌ: أَدَاءُ الصَّلَاةِ، وَخَشُوعُهَا، وَالْيَقِينُ بِاللَّهِ؛ وَلَمَّا كَانَ الصَّغِيرُ يَحْتَاجُ إِلَى جَمْعِهَا فِي نَفْسِهِ، احْتَاجَ إِلَى التَّبَكُّيرِ بِهَا أَوَّلَ تَمْيِيزِهِ.

الرابع: أَنَّ الصلاةَ بَابٌ لِحِفْظِ بَقِيَّةِ الدِّينِ؛ فَهِيَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ، وَيَحْتَاجُ الصَّغِيرُ إِلَيْهَا؛ لِتَرْدَعَهُ عِنْدَ بُلُوغِهِ، وَتَحْتَهُ عَلَى الْعَمَلِ الصَّالِحِ وَمَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ.

وَأَمَّا مَا يَتَعَلَّقُ بِأَمْرِ الْبَاطِنِ، فَيَأْتِي الْكَلَامُ عَلَيْهِ فِي مَوْضِعِهِ مِنْ هَذَا الْكِتَابِ بِإِذْنِ اللَّهِ.

❁ قَالَ ابْنُ أَبِي زَيْدٍ: ﴿وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ نَبِيِّهِ، وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا﴾:

تُشْرَعُ الصَّلَاةُ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ فِي الْخُطْبِ، وَالصَّلَاةُ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ مِنْ تَعْظِيمِ اللَّهِ؛ لِأَنَّ تَعْظِيمَ الرَّسُولِ مِنْ تَعْظِيمِ الْمُرْسَلِ وَالرَّسَالَةِ، وَتَعْظِيمِ النَّبِيِّ مِنْ تَعْظِيمِ النَّبَوَّةِ وَالْمُنَبِّئِ؛ وَبِهَذَا يَعْمَلُ الْخُلَفَاءُ الرَّاشِدُونَ؛ فَفِي «الْمُسْنَدِ» عَنْ أَبِي جُحَيْفَةَ؛ قَالَ: «صَعِدَ عَلِيُّ الْمُنْبَرِ، فَحَمِدَ اللَّهُ تَعَالَى، وَأَثْنَى عَلَيْهِ، وَصَلَّى عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، وَقَالَ: خَيْرُ هَذِهِ الْأُمَّةِ بَعْدَ نَبِيِّهَا أَبُو بَكْرٍ، وَالثَّانِي عُمَرُ ﷺ، وَقَالَ: يَجْعَلُ اللَّهُ تَعَالَى الْخَيْرَ حَيْثُ أَحَبَّ»<sup>(١)</sup>.

❁ فَضْلُ الصَّلَاةِ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، وَمَوَاضِعُهُ:

وَلِلصَّلَاةِ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ بَرَكَةٌ عَلَى قَائِلِهَا، وَهِيَ مُؤَثَّرَةٌ فِي قُبُولِ الْعَمَلِ وَالِدَعَاءِ؛ فَفِي «السُّنَنِ» مِنْ حَدِيثِ فَضَالَةَ بْنِ عُبَيْدٍ؛ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ لِمَنْ صَلَّى وَدَعَا، وَلَمْ يُمَجِّدْ وَلَمْ يُصَلِّ عَلَيْهِ: (عَجِلْتَ أَيُّهَا الْمُصَلِّي)، وَقَالَ لِمَنْ صَلَّى فَمَجَّدَ اللَّهَ وَحَمِدَهُ، وَصَلَّى عَلَى النَّبِيِّ ﷺ: (ادْعُ تُجَبِّ، وَسَلْ تُعْطَ)<sup>(٢)</sup>.

وَقَدْ تَوَاتَرَتْ الْأَحَادِيثُ وَالْأَنَارُ فِي فَضْلِ الصَّلَاةِ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ عَامَّةً، وَصَحَّتْ فِي مَوَاضِعَ خَاصَّةٍ:

فَتُشْرَعُ كَسَائِرِ الذِّكْرِ لِغَيْرِ سَبَبٍ؛ لِمَا فِي «صَحِيحِ مُسْلِمٍ» مِنْ حَدِيثِ

(١) «زيادات المسند» (١/١٠٦ رقم ٨٣٧).

(٢) أبو داود (١٤٨١)، والترمذي (٣٤٧٦ و ٣٤٧٧)، والنسائي (١٢٨٤).

أَبِي هُرَيْرَةَ؛ قَالَ ﷺ: (مَنْ صَلَّى عَلَيَّ وَاحِدَةً، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ بِهَا عَشْرًا)<sup>(١)</sup>.

وهي مِنْ أَعْظَمِ سَبَابِ مَكْفَرَاتِ الذُّنُوبِ وَجِلَاءِ الْهَمُومِ؛ فِي «الْمُسْنَدِ» مِنْ حَدِيثِ أَبِي طَلْحَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (مَنْ صَلَّى عَلَيَّ وَاحِدَةً، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ عَشْرَ صَلَوَاتٍ، وَحَطَّ عَنْهُ عَشْرَ خَطِيئَاتٍ، وَرَفَعَ لَهُ عَشْرَ دَرَجَاتٍ)<sup>(٢)</sup>.

وَتُشْرَعُ عِنْدَ أَسْبَابٍ، وَآكُذُّهَا: فِي الصَّلَاةِ عِنْدَ التَّشَهُّدِ<sup>(٣)</sup>، وَعِنْدَ ذِكْرِ النَّبِيِّ ﷺ<sup>(٤)</sup>، وَبَعْدَ الْأَذَانِ<sup>(٥)</sup>، وَفِي صَلَاةِ الْجَنَازَةِ<sup>(٦)</sup>، وَعِنْدَ الْهَمِّ وَالْحَاجَاتِ<sup>(٧)</sup>، وَفِي مَجَالِسِ الذِّكْرِ عَامَّةً<sup>(٨)</sup>، وَعِنْدَ الدُّعَاءِ<sup>(٩)</sup>، وَكَانَ بَعْضُ الصَّحَابَةِ يَخْتِمُ قُنُوتَهُ بِالصَّلَاةِ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ<sup>(١٠)</sup>، وَرُويَ فِيهِ مَرْفُوعَاتٌ يَوْمَ الْجُمُعَةِ وَلَيْلَتِهَا<sup>(١١)</sup>.

(١) مسلم (٤٠٨).

(٢) «المُسْنَدُ» (٢٩/٤) رَقْمُ (١٦٣٥٢)، وَهُوَ فِي «شُعَبِ الْإِيمَانِ» (١٤٥٥) مِنْ حَدِيثِ أَنَسٍ.

(٣) الْبُخَارِيُّ (٣٣٦٩)، وَمُسْلِمٌ (٤٠٧) مِنْ حَدِيثِ أَبِي حُمَيْدٍ السَّاعِدِيِّ. وَالْبُخَارِيُّ (٣٣٧٠)، وَمُسْلِمٌ (٤٠٦) مِنْ حَدِيثِ كَعْبِ بْنِ عُجْرَةَ. وَوَرَدَ عَنْ عَدِيدٍ مِنَ الصَّحَابَةِ فِي الصَّحِيحَيْنِ وَغَيْرِهِمَا.

(٤) التِّرْمِذِيُّ (٣٥٤٥) مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ، وَ(٣٥٤٦) مِنْ حَدِيثِ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ.

(٥) مُسْلِمٌ (٣٨٤) مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو.

(٦) «مُسْنَدُ الشَّافِعِيِّ» (٢١٠/١ - ٢١١) مِنْ حَدِيثِ رَجُلٍ مِنَ الصَّحَابَةِ.

(٧) التِّرْمِذِيُّ (٢٤٥٧) مِنْ حَدِيثِ أَبِي كَعْبٍ. وَأَبُو نُعَيْمٍ فِي «مَعْرِفَةِ الصَّحَابَةِ» (٣/١٤١٣) مِنْ حَدِيثِ جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ.

(٨) الْأَصْبَهَانِيُّ فِي «التَّرْغِيبِ وَالتَّرْهيبِ» (١٦٧٢) مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ.

(٩) التِّرْمِذِيُّ (٥٩٣) مِنْ حَدِيثِ ابْنِ مَسْعُودٍ.

(١٠) «فَضْلُ الصَّلَاةِ عَلَى النَّبِيِّ» (١٠٧).

(١١) النَّسَائِيُّ (١٣٧٤) مِنْ حَدِيثِ أَوْسٍ بْنِ أَوْسٍ. وَابْنُ مَاجَةٍ (١٦٣٧) مِنْ حَدِيثِ أَبِي الدَّرْدَاءِ. وَابْنُ يَثْبَغٍ (٢٤٩/٣) مِنْ حَدِيثِ أَنَسٍ وَأَبِي الدَّرْدَاءِ.

وَيُرَوَّى الصَّلَاةُ عَلَيْهِ عِنْدَ دُخُولِ الْمَسْجِدِ، وَعِنْدَ الْخُرُوجِ مِنْهُ؛ وَهُوَ مَعْلُولٌ<sup>(١)</sup>.

وَإِذَا ذَكَرَ النَّبِيُّ ﷺ فِي مَجْلِسٍ، تَأَكَّدَتْ.

وَتُجْزَى مَرَّةً وَاحِدَةً، وَتُكَرَّرُهَا عِنْدَ ذِكْرِهِ أَوْلَى وَأَحْوَطُ؛ وَذَلِكَ لِأَنَّ جَبْرِيلَ دَعَا عَلَى مَنْ تَرَكَهَا بِالْبُعْدِ، وَأَمَّنَ عَلَيْهِ النَّبِيُّ ﷺ؛ كَمَا فِي حَدِيثِ جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ؛ قَالَ: صَعِدَ النَّبِيُّ ﷺ الْمِنْبَرَ، فَقَالَ: (أَمِينَ، أَمِينَ، أَمِينَ)، قَالَ: (أَتَانِي جَبْرِيلُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ! مَنْ أَدْرَكَ أَحَدَ أَبَوَيْهِ، فَمَاتَ، فَدَخَلَ النَّارَ، فَأَبْعَدَهُ اللَّهُ، قُلْ: أَمِينَ، فَقُلْتُ: «أَمِينَ»، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ! مَنْ أَدْرَكَ شَهْرَ رَمَضَانَ، فَمَاتَ، فَلَمْ يُغْفَرْ لَهُ، فَادْخُلِ النَّارَ، فَأَبْعَدَهُ اللَّهُ، قُلْ: أَمِينَ، فَقُلْتُ: «أَمِينَ»، قَالَ: وَمَنْ ذُكِرَتْ عِنْدَهُ، فَلَمْ يُصَلِّ عَلَيْكَ، فَمَاتَ، فَدَخَلَ النَّارَ، فَأَبْعَدَهُ اللَّهُ، قُلْ: أَمِينَ، فَقُلْتُ: «أَمِينَ»؛ صَحِيحٌ رَوَاهُ الطَّبْرَانِيُّ<sup>(٢)</sup>، وَرُوِيَ نَحْوُهُ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ، وَمَالِكِ بْنِ الْحُوَيْرِثِ، عِنْدَ ابْنِ جَبَّانٍ<sup>(٣)</sup>، وَعَنْ كَعْبِ بْنِ عُجْرَةَ عِنْدَ الْحَاكِمِ<sup>(٤)</sup>؛ وَكُلُّهَا مَعْلُولَةٌ.

وَرُوِيَ مِنْ حَدِيثِ أَنَسٍ بِنَحْوِهِ، وَلَكِنْ فِيهِ: (رَغِمَ أَنْفُ امْرِئٍ ذُكِرْتُ عَنْهُ، فَلَمْ يُصَلِّ عَلَيَّ)<sup>(٥)</sup>.

وَجَاءَ مِنْ حَدِيثِ حُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عِنْدَ أَحْمَدَ وَالتِّرْمِذِيِّ مَرْفُوعًا: (الْبَخِيلُ: مَنْ ذُكِرْتُ عَنْهُ، فَلَمْ يُصَلِّ عَلَيَّ)<sup>(٦)</sup>.

(١) انظر: «تأنيذ الأفكار» (٢٧٥/١ - ٢٧٧).

(٢) «المعجم الكبير» (٢٤٣/٢ - ٢٤٤ رقم ٢٠٢٢).

(٣) في «صحيحه» (٤٠٩ و ٩٠٧ و ٩٠٨). (٤) في «المستدرک» (١٥٣/٤ - ١٥٤).

(٥) البزار (٦٢٥٢).

(٦) أحمد (٢٠١/١ رقم ١٧٣٦)، والتِّرْمِذِيُّ (٣٥٤٦) مِنْ حَدِيثِ حُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ.



﴿ حُكْمُ الصَّلَاةِ عَلَى غَيْرِ النَّبِيِّ ﷺ ﴾:

الصَّلَاةُ عَلَى غَيْرِ النَّبِيِّ ﷺ مِنْ آلِهِ وَأَصْحَابِهِ، مَعَ الصَّلَاةِ عَلَيْهِ: جَائِزَةٌ.

وَأَمَّا أَنْ يُفَرَّدَ أَحَدٌ مِنْهُمْ بِصَلَاةٍ مِنْ غَيْرِ النَّبِيِّ ﷺ، فَفِي ذَلِكَ قَوْلَانِ مَشْهُورَانِ لِلْعُلَمَاءِ: الْمَنْعُ، وَالْجَوَازُ:

وَمَنْ أَجَازَ، احْتَجَّ بِأَنْ عَلِيًّا قَالَ لِعُمَرَ: «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْكَ»<sup>(١)</sup>.

وَمَنْ مَنَعَ، احْتَجَّ بِمَا جَاءَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ: «لَا أَعْلَمُ الصَّلَاةَ تَنْبِغِي مِنْ أَحَدٍ عَلَى أَحَدٍ إِلَّا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ»<sup>(٢)</sup>؛ رَوَاهُ ابْنُ أَبِي شَيْبَةَ، عَنْ عِكْرَمَةَ، عَنْهُ.

وَيُكْرَهُ تَخْصِيصُ أَحَدٍ بِالصَّلَاةِ دُونَ غَيْرِهِ؛ عَلَى وَجْهِ يُفْهَمُ مِنْهُ الْغُلُوبُ.

وَيُذَلُّ عَلَى جَوَازِ الصَّلَاةِ عَلَى غَيْرِ النَّبِيِّ ﷺ مِنْ غَيْرِ تَخْصِيصِهِ، وَاتِّخَاذِهِ شَعَارًا لِمَعَيَّنٍ: جَمْلَةٌ مِنَ الْأَدَلَّةِ:

مِنْهَا: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ﴾ [الْأَحْزَابُ: ٤٣].

وَمِنْهَا: قَوْلُ النَّبِيِّ ﷺ: (إِنَّ الْمَلَائِكَةَ تُصَلِّي عَلَى أَحَدِكُمْ؛ مَا دَامَ فِي مُصَلَّاهُ الَّذِي صَلَّى فِيهِ؛ مَا لَمْ يُحْدِثْ)؛ رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ<sup>(٣)</sup>.

وَمِنْهَا: حَدِيثُ قَبْضِ الرُّوحِ؛ يَقُولُ أَهْلُ السَّمَاءِ: (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْكَ، وَعَلَى جَسَدٍ كُنْتَ تَعْمُرِيهِ)؛ رَوَاهُ مُسْلِمٌ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ<sup>(٤)</sup>.

(١) «مسائل أحمد؛ رواية أبي داود» (ص ١١٣).

(٢) ابن أبي شيبة (٨٨٠٨).

(٣) البخاري (٤٤٥ و ٦٥٩ و ٢١١٩)، ومسلم (٦٤٩).

(٤) مسلم (٢٨٧٢).

## ﴿مُجْمَلُ اعْتِقَادِ أَهْلِ السُّنَّةِ فِي اللَّهِ تَعَالَى﴾

﴿قَالَ ابْنُ أَبِي زَيْدٍ فِي مَقْدَمَةِ «الرَّسَالَةِ»: «بَابُ مَا تَنْطِقُ بِهِ الْأُسْنَةُ، وَتَعْتَقِدُهُ الْأَفْعِدَةُ؛ مِنْ وَاجِبِ أُمُورِ الدِّيَانَاتِ؛ مِنْ ذَلِكَ: الْإِيمَانُ بِالْقَلْبِ، وَالنُّطْقُ بِاللِّسَانِ: أَنَّ اللَّهَ إِلَهٌ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ غَيْرُهُ، وَلَا شَبِيهَ لَهُ، وَلَا نَظِيرَ لَهُ، وَلَا وَلَدَ لَهُ، وَلَا وَالِدَ لَهُ، وَلَا صَاحِبَةَ لَهُ، وَلَا شَرِيكَ لَهُ؛ لَيْسَ لِأَوَّلِيَّتِهِ ابْتِدَاءٌ، وَلَا لِآخِرِيَّتِهِ انْقِضَاءٌ»:

أَرَادَ ابْنُ أَبِي زَيْدٍ: الْكَلَامَ عَلَى أَصُولِ الدِّينِ وَفُرُوعِهِ فِي «رَسُولِهِ»، وَلَمَّا كَانَتْ الْأَصُولُ مُحَلًّا لِاتِّفَاقٍ، وَلَا تَقَبُّلُ الرَّأْيِ وَالنَّظَرِ، كَانَتْ مُخْتَصَرَةً بِسِيرَةٍ؛ يَكْفِي فِيهَا الْإِجْمَالُ، وَالْإِمْسَاكُ عَمَّا لَمْ يَرِدْ فِيهِ نَصٌّ، وَالْمُعْتَقَدُ الَّذِي كَتَبَهُ ابْنُ أَبِي زَيْدٍ: هُوَ مَا أَجْمَعَتْ عَلَيْهِ الْأُمَّةُ، وَقَدْ وَصَفَ مُعْتَقَدَهُ فِي كِتَابِهِ «الْجَامِعُ» بِأَنَّهُ: «مِمَّا أَجْمَعَتْ عَلَيْهِ الْأُمَّةُ مِنْ أُمُورِ الدِّيَانَةِ، وَمِنْ السُّنَنِ الَّتِي خِلَافُهَا بِدْعَةٌ وَضَلَالَةٌ»<sup>(١)</sup>.

وَقَدْ ابْتَدَأَ بِذِكْرِ وَحْدَانِيَّةِ اللَّهِ وَصَمَدِيَّتِهِ، وَنَفْيِ الشَّرِيكِ عَنْهُ وَالنَّدِّ وَالنَّظِيرِ، وَالزَّوْجَةِ وَالْوَلَدِ وَالْوَالِدِ؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝ اللَّهُ الصَّمَدُ ۝ لَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا ۝ لَمْ يَكُنْ لَهُ يُولَدٌ ۝ لَمْ يَكُنْ لَهُ يُولَدٌ ۝ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ١ - ٤].

وَأَنَّهُ سَبْحَانَهُ: الْأَوَّلُ فَلَيْسَ قَبْلَهُ شَيْءٌ، وَهُوَ الْآخِرُ فَلَيْسَ بَعْدَهُ شَيْءٌ؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ﴾ [الحديد: ٣]، وَعِنْدَ مُسْلِمٍ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه؛ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: (اللَّهُمَّ، أَنْتَ الْأَوَّلُ؛ فَلَيْسَ قَبْلَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الْآخِرُ؛ فَلَيْسَ بَعْدَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الظَّاهِرُ؛ فَلَيْسَ فَوْقَكَ

(١) «الجامع» (ص ١٠٧).

شَيْءٌ، وَأَنْتَ الْبَاطِنُ؛ فَلَيْسَ دُونَكَ شَيْءٌ؛ أَفْضَرِ عَنَّا الدِّينَ، وَأَغْنِنَا مِنَ الْفَقْرِ<sup>(١)</sup>.

وروى عمران بن حصين رضي الله عنه؛ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: (كَانَ اللَّهُ وَلَمْ يَكُنْ شَيْءٌ غَيْرُهُ، وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ، ثُمَّ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ، وَكَتَبَ فِي الذِّكْرِ كُلِّ شَيْءٍ)<sup>(٢)</sup>.

﴿حُكْمُ التَّفَكُّرِ فِي ذَاتِ اللَّهِ:

﴿قَالَ ابْنُ أَبِي زَيْدٍ: لَا يَنْلُغُ كُنْهَ صِفَتِهِ الْوَاصِفُونَ، وَلَا يُحِيطُ بِأَمْرِهِ الْمُتَفَكِّرُونَ﴾:

الْكُنْهَ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ: هُوَ حَقِيقَةُ الشَّيْءِ وَغَايَتُهُ وَنَهَائَتُهُ؛ فَيُقَالُ: هَذَا أَمْرٌ لَا يُدْرِكُ كُنْهَهُ؛ إِذَا كَانَ عَصِيًّا عَلَى إِدْرَاكِ كَيْفِيَّتِهِ<sup>(٣)</sup>.

وإثبات صفات الباري إنما هو إثبات للوجود والحقيقة والكيفية اللاتقية به التي لا نعلمها، لا إثبات للكيفية في أذهان المبتدئين؛ لأنَّ الله سبحانه ليس له مثيل يُكَيَّفُ عليه، ولا شبهة له حتى يقاس عليه؛ فالله يقول عن نفسه: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]، ولا أعلم من الله بنفسه سبحانه.

والواجب على العقول: أن تتوقف عند إثبات حقيقة الصفات ومعانيها الثابتة، ولا تتجاوز ذلك إلى الكيفية تفكيراً أو بحثاً؛ فلا تشبه ولا تؤوّل، ولا تفوض ولا تحرف؛ فكل مجاوزة للعقل عن الحد المأذون به شرعاً في صفات الله تعالى، فلا بُدَّ أن ينتهي بصاحبه إلى

(٢) البخاري (٣١٩١ و ٧٤١٨).

(١) مسلم (٢٧١٣).

(٣) «تهذيب اللغة» (٢٣/٦).

تشبيه أو تمثيل، أو تحريف وتعطيل، والخوض فيما نهى الله عنه يؤدي إلى هلاك صاحبه، وهو من أسباب دخول النار؛ فقد ذكر الله قول أهل النار في سبب دخولهم فيها: ﴿وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْفَاحِشِينَ﴾ [المدر: ٤٥].

وإنما نهى الله عن الخوض فيما لا يدرّكه العقل: لأنه باب للشيطان لإغواء الناس؛ فيستدرجهم إلى الخوض في غيب لا يحسنونه، ويغرهم بعقولهم، وربما ابتدأ بهم بالمشروع، تطميناً لنفوسهم حتى يجرهم إلى الممنوع؛ كما في قوله ﷺ: (إِنَّ الشَّيْطَانَ يَأْتِي أَحَدَكُمْ، فَيَقُولُ: مَنْ خَلَقَ السَّمَاءَ؟ فَيَقُولُ: اللهُ ﷻ، فَيَقُولُ: مَنْ خَلَقَ الْأَرْضَ؟ فَيَقُولُ: اللهُ، فَيَقُولُ: مَنْ خَلَقَ اللهُ؟ فَإِذَا أَحَسَّ أَحَدُكُمْ بِشَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ، فَلْيَقُلْ: آمَنْتُ بِاللّهِ وَبِرُسُلِهِ) <sup>(١)</sup> وفي رواية: (فَلْيَسْتَعِذْ بِاللّهِ وَلْيَنْتَه) <sup>(٢)</sup>، والنهي ليس للبدء بالتفكير المشروع، وإنما للحذر أن يكون طريقاً للممنوع.

ويجب إمساك العقول والأذهان عن استرسالها بالتفكير في كيفية ذات الله وصفاته؛ لأن الأذهان تشبه وتمثل وتكيّف؛ فلا يمكن لعقل أن يتكرّ وصفاً جديداً لذات لم يرها من قبل، ولو ابتكر جديداً، فإنما هي صفات مركبة من عدّة ذوات جمعتها لذات واحدة، فكل عقل يصور الغائب عنه على ما يرى؛ حتى تختلف الصور في العقول للذات الواحدة؛ لاختلاف المشاهد في كل عقل؛ ولهذا نهى السلف عن الجدال في الله وأسمائه وصفاته.

وقد قال ابن عبد البر: «نهينا عن التفكير في الله، وأمرنا بالتفكير في

(١) أحمد (٣٣١/٢) رقم (٨٣٧٦) من حديث أبي هريرة.

(٢) البخاري (٣٢٧٦)، ومسلم (٢١٤/١٣٤).

خَلَقَهُ الدَّالُّ عَلَيْهِ<sup>(١)</sup>؛ لَأَنَّ التَّفَكُّرَ فِي الْأَسْمَاءِ يُؤَدِّي لِمَعْرِفَةِ آثَارِهَا، وَالْعَمَلُ بِمَقْتَضَاهَا، وَهُوَ الْإِحْصَاءُ الْمَقْصُودُ بِقَوْلِهِ ﷺ: (إِنَّ لِلَّهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا؛ مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ)<sup>(٢)</sup>.

وقد قال سُحُنُونُ: «مِنَ الْعِلْمِ بِاللَّهِ: الْجَهْلُ بِمَا لَمْ يُخْبِرْ بِهِ اللَّهُ عَنْ نَفْسِهِ».

وبنحوه قال ابنُ أَبِي زَمَنِينَ.

## أنواعُ ظاهرِ الصفاتِ:

وظاهرُ الصفاتِ عند السلفِ نوعانِ:

النوعُ الأوَّلُ: ظاهرٌ يليقُ بالمخلوقين؛ فهذا يَنْفُونَهُ ولا يُشَبِّهُونَهُ؛ لَأَنَّ اللَّهَ ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].

النوعُ الثاني: ظاهرٌ يليقُ بالخالقِ، وهذا الذي يُشَبِّهُونَهُ ولا يَنْفُونَهُ.

وإثباتهم لهذا النوعِ مِنْ ظاهرِ الصفاتِ، لا يعني مُشَابَهَةَ الْخَالِقِ لِلْمَخْلُوقِ، وَإِنَّمَا يُرِيدُونَ: أَنْ يَجْعَلُوا لِلصِّفَةِ حَقِيقَةً تَلِيْقُ بِاللَّهِ، لَا تَفْسِيرًا غَيْرَ الظَّاهِرِ بِتَأْوِيلِهِ إِلَى مَعْنَى آخَرَ؛ كَتَفْسِيرِ الْوَجْهِ بِالذَّاتِ، وَالْيَدِ بِالْقُدْرَةِ؛ فَهَمَّ يَجْعَلُونَ صِفَةَ الْوَجْهِ صِفَةً حَقِيقَةً تَلِيْقُ بِاللَّهِ، لَا تَشَابُهَ الْمَخْلُوقِ، وَالْيَدَ صِفَةً حَقِيقَةً تَلِيْقُ بِاللَّهِ، لَا تَشَابُهَ الْمَخْلُوقِ، وَيَنْفُونَ عِلْمَهُمْ بِالْكِفِيَّةِ، وَيَقُولُونَ: إِنَّ نَفْيَ الْكِفِيَّةِ لَا يَعْنِي عَدَمَ وَجُودِهَا، وَلَكِنْ عَدَمَ عِلْمِهَا؛ فَلَا يَعْلَمُهَا النَّاسُ.

وظنَّ بعضُ المتكلمينَ: أَنَّ إِبْطَالَ حَقِيقَةِ الصِّفَاتِ اللَّائِقَةِ بِاللَّهِ،

(١) «جامع بيان العلم» (١٧٦٩).

(٢) سبق تخريجه.

وعدم تأويلها، هو أخذ بلوازم الجسميّة والتحيز، ثم فرّعوا عن ذلك إحاطة المخلوق بالخالق، وغير ذلك من التصورات.

وإنما حملهم على ذلك لوازم التشبيه؛ فالمخلوق حينما تُثبت له صفة حقيقية، فأنت تُثبت له هذه الأشياء واللوازم، فأرادوا نفى حقيقة الصفات وتعطيلها؛ هروباً من تشبيه انقذح في أذهانهم، فوقّعوا فيما أنكروه على من أثبت الحقيقة اللائقة بالله؛ حيث زعموا أنهم يشبهون المخلوق بالخالق للاشتراك في الحقيقة واللوازم.

والسلف حينما يقولون: إنّ لصفات الله حقيقة لا تشابه حقيقة صفات المخلوقين، فإنهم تبعاً لذلك لا يلتزمون بشيء غير ما ورد، وإنّ صحّ لازم عندهم، فإنّهم يجعلون اللوازم لا تشابه لوازم المخلوق؛ فلا يحتمل قولهم ما لا يحتملونه، وهم جعلوهم يقولون بلوازم تشابه المخلوق، فرجعوا إلى الحقيقة بالنفي التام.



﴿قَالَ ابْنُ أَبِي زَيْدٍ: «يَعْتَبِرُ الْمُتَفَكِّرُونَ بِآيَاتِهِ، وَلَا يَتَفَكَّرُونَ فِي مَا هِيَ ذَاتُهُ»:

مائية الشيء: كَيْفِيَّةُ الشَّيْءِ، وَيُقَالُ أَحْيَانًا: مَائِيَّةٌ، وَمَاهِيَّةٌ<sup>(١)</sup>، وَلِلْحَارِثِ الْمُحَاسِبِيِّ: كِتَابُ «مَاهِيَةِ الْعَقْلِ»، وَيُسَمَّى أَحْيَانًا: «مَائِيَّةُ الْعَقْلِ»؛ يَعْنِي: حَقِيقَتُهُ وَكَيْفِيَّتُهُ الَّتِي هُوَ عَلَيْهَا، وَفِي بَعْضِ نَسَخِ «الرِّسَالَةِ»: «مَائِيَّةٌ»، بَدَلُ: «مَاهِيَّةٌ»؛ وَهَذِهِ الْكَلِمَةُ لَيْسَتْ مُضَافَةً لِلَّهِ فِي كَلَامِ الصِّدْرِ الْأَوَّلِ، فَضْلاً عَنْ نَصُوصِ الْوَحْيَيْنِ.

(١) «التعريفات» (ص ١٩٥).

### ﴿ معرفة الله بآياته الكونية :

والتفكر في آيات الله مشروغ؛ فإنها تدل على عظيم صفاته، وحسن أسمائه، وكل عظيم له آيات، ولا أعظم من آيات الله ولا أكبر؛ لأنه لا أعظم من الله ولا أكبر، ومن لم ير آيات الله، ضَعُفَتْ عَظَمَةُ الله في قلبه؛ لأنَّ عَظَمَةَ الشيء تُعرَفُ برؤيته، أو برؤية آياته، أو بهما.

وقد أمر الله بالتفكر في آياته الدالة عليه؛ حتى يعرف العبد عَظَمَةَ الله وقُوَّتَهُ وضعف غيره؛ فيعرف المستحقَّ للتعظيم والعبادة ممن لا يستحقها، فقد أمر الله بالنظر إليها، والتفكر فيها:

□ فأمر بالنظر في السماء والأرض وما فيهما؛ فقال تعالى: ﴿قُلْ أَنْظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُعْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [يونس: ١٠١].  
□ وأمر بنظر الإنسان إلى أصله؛ فقال: ﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ﴾ [الطارق: ٥].

□ وأمره أن ينظر إلى معاشه؛ فقال: ﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ﴾ ④ أَنَا صِينًا... ﴿الآيَاتِ﴾ [عبس: ٢٤ - ٢٥].

□ وأمره بالنظر في خصائص بعض المخلوقات؛ فقال: ﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ﴾ ⑤ ﴿وَلِلَّ سَمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ﴾ ⑥ ﴿وَلِلَّ الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ﴾ ⑦ ﴿وَلِلَّ الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ﴾ [الغاشية: ١٧ - ٢٠].

□ وأمر الله بأن يتفكر الإنسان في نفسه؛ فقال: ﴿وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ [الذاريات: ٢١].

### ﴿ سبب الوقوع في الشرك :

ولأنما وقع الشرك في الناس بسبب جهلهم برَبِّهم، وعدم معرفة قدره؛ فقد يتوهم الإنسان عَظَمَةَ ضعيف عاجز؛ فيذل له من العبودية ما يناسب ما

تَوْهَمَهُ مِنْ عَظَمَةِ؛ وَلِذَا يَقْرُنُ اللَّهُ الْجَهْلَ بِقُدْرِهِ بِعِبَادِيَّةٍ غَيْرِهِ مِنْ دُونِ اللَّهِ.

فَلَمَّا ذَكَرَ الشَّرْكَ ذَكَرَ جَهْلَهُمْ بِقُدْرِهِ؛ فَقَالَ: ﴿إِنَّكَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَفِيدُوا مِنْهُ ضَعْفَ الطَّالِبِ وَالْمُطْلُوبِ﴾ [الحج: ١٧٣]، ثُمَّ قَالَ: ﴿مَا فَكَّرُوا اللَّهَ حَقَّ فَكْرِهِمْ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحج: ١٧٤]؛ فَبَيَّنَ أَنَّ سَبَبَ شِرْكِهِمْ هُوَ جَهْلُهُمْ بِقُدْرِ رَبِّهِمْ، وَفِي الْآيَةِ الْآخَرَى قَالَ: ﴿وَمَا فَكَّرُوا اللَّهَ حَقَّ قُدْرِهِ وَالْأَرْضَ جَمِيعًا بِقَضَائِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَوَاتِ مَطْوِيَاتٍ بِيَمِينِهِ﴾ [الزمر: ٦٧]؛ فَذَكَرَ عَظَمَةَ ذَاتِهِ؛ لَتَدُلَّ عَلَى عَظَمَةِ قُدْرِهِ، ثُمَّ نَزَّ نَفْسَهُ سُبْحَانَهُ عَنْ شِرْكِ الَّذِينَ لَمْ يَقْدِرُوا حَقَّ قُدْرِهِ؛ فَقَالَ: ﴿سُبْحَنَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الزمر: ٦٧].

وَجَعَلَ التَّفَكُّرَ فِي الْمَلَكَوَاتِ مُوجِبًا لَتَنْزِيهِ اللَّهِ عَمَّا يُظَنُّهُ الْمُبْطِلُونَ وَسْوَالَهُ النِّجَاةَ مِنْ عَذَابِهِ؛ فَقَالَ: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ ۝ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَطْلًا سُبْحَنَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ [آل عمران: ١٩٠ - ١٩١].

وَلَمَّا جَاءَ النَّبِيُّ ﷺ أَعْرَابِيٌّ، وَعَظَّمَهُ بِمَا يَتَضَمَّنُ النِّقْصَ فِي حَقِّهِ تَعَالَى، وَتَسْوِيَّتَهُ بِالرَّسُولِ ﷺ، عَرَّفَهُ بِآيَاتِ اللَّهِ وَعَظَمَتِهَا، وَفَضَّلَ فِيهَا؛ لِيُدْرِكَ الْأَعْرَابِيُّ مَا ضَيَّعَهُ مِنْ حَقِّ اللَّهِ؛ كَمَا رَوَى جُبَيْرُ بْنُ مُطْعِمٍ؛ قَالَ: «أَتَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَعْرَابِيٌّ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، جَهَدَتِ الْأَنْفُسُ، وَضَاعَتِ الْعِيَالُ، وَنُهَكَتِ الْأَمْوَالُ، وَهَلَكَتِ الْأَنْعَامُ، فَاسْتَسْقِ اللَّهَ ﷻ لَنَا؛ فَإِنَّا نَسْتَنْفِعُ بِكَ عَلَى اللَّهِ، وَنَسْتَنْفِعُ بِاللَّهِ عَلَيْكَ! قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (وَيْحَكَ! أَتُدْرِي مَا تَقُولُ؟) وَسَبَّحَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ؛ فَمَا زَالَ يُسَبِّحُ حَتَّى عُرِفَ ذَلِكَ فِي وُجُوهِ أَصْحَابِهِ، ثُمَّ قَالَ: (وَيْحَكَ! إِنَّهُ لَا يُسْتَنْفَعُ بِاللَّهِ عَلَى



أَحَدٍ مِنْ خَلْقِهِ؛ شَأْنُ اللَّهِ أَعْظَمُ مِنْ ذَلِكَ، وَيَحَاكَ! أَتَدْرِي مَا اللَّهُ؟ إِنَّ عَرْشَهُ عَلَى سَمَوَاتِهِ لَهَكَدًا - وَقَالَ بِإِصْبَعِهِ مِثْلَ الْقَبَّةِ عَلَيْهِ - وَإِنَّهُ لَيُعْطِي بِهِ أَطِيطَ الرَّحْلِ بِالرَّاكِبِ»<sup>(١)</sup>.

وإنما عَرَّفَ النبي ﷺ الأعرابيَّ بآياتِ اللَّهِ؛ لأنَّها أعظمُ بابٍ مُشَاهِدٍ ومعلومٍ في تلكِ الحالِ يُدْرِكُ بهِ الأعرابيُّ عَظَمَةَ خَالِقِهِ.

### عقيدةُ التفويضِ:

ولا يعني ابنُ أبي زَيْدٍ مِنْ قَوْلِهِ: «وَلَا يَتَفَكَّرُونَ فِي مَا هِيَ ذَاتُهُ»: التفويضُ، وإنما مرادهُ: نفْيُ تشبيهِ الصفاتِ ونفْيُ العلمِ بكيفيتها، لا نفْيُ حقيقتها؛ فَإِنَّ التَّفَكُّرَ فِي الذَّاتِ قَدْرُ زَائِدٌ عَنْ إثباتِ الحقيقة؛ فإثباتُ الحقيقةِ شيءٌ لا يَلَزُمُ مِنْهُ معرفةُ الكيفيةِ.

وَمِنْ هَذَا: قَوْلُ الْحَسَنِ لَمَّا سُئِلَ: هَلْ تَصِفُ رَبَّكَ؟ قَالَ: نَعَمْ، بغيرِ مِثَالٍ<sup>(٢)</sup>. فنَفَى التفويضَ بإثباتِ حقيقةِ الصِّفَةِ، وَبَيَّنَّ أَنَّ الْقَدْرَ الْمَنْفِيُّ هُوَ الْمِثَالُ الَّذِي هُوَ التَّشْبِيهُ وَالتَّكْيِيفُ، فَالْإِيْمَانُ بِحَقِيقَةِ الشَّيْءِ مَعَ عَدَمِ الْعِلْمِ بِكَيْفِيَّتِهِ صَحِيحٌ شَرْعًا وَعَقْلًا، فَتَوْمُنٌ بِحَقِيقَةِ صِفَاتِ نَعِيمِ الْجَنَّةِ مَعَ أَنَّ اللَّهَ يَقُولُ فِي الْحَدِيثِ الْقُدْسِيِّ: (أَعَدَدْتُ لِعِبَادِي الصَّالِحِينَ مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ، وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ)<sup>(٣)</sup>.

وعقيدةُ السَّلَفِ: إثباتُ حقيقةِ الصفاتِ، وتَفْوِيضُ كَيْفِيَّتِهَا، وَلَا يَلَزُمُ - فِي الْعَقْلِ - مِنْ إثباتِ الحقيقةِ: التَّشْبِيهُ؛ فَأَنْتَ مَثَلًا تُثَبِّتُ صِفَةَ الْحَيَاةِ حَقِيقَةً لِعَدَّةِ ذَوَاتٍ؛ كَحَيَاةِ الْأَرْضِ، وَحَيَاةِ الشَّجَرِ، وَحَيَاةِ الْإِنْسَانِ،

(١) أبو داود (٤٧٢٦).

(٢) «الرد على الجهمية» للدارمي (٢٩)، و«السُّنَّة» لعبد الله (٤٩٩ و ١١٣٢).

(٣) البخاري (٣٢٤٤)، ومسلم (٢٨٢٤) مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ.

والحياة في هذه الذوات صفة حقيقية؛ فتقول: حَيَّيتِ الْأَرْضَ وَمَاتَتْ، وَحَيَّيتِ الشَّجَرَةَ وَمَاتَتْ، وَحَيَّيَ الْإِنْسَانَ وَمَاتَ، وإثبات الحقيقة لهذه الذوات لا يعني تشبيها؛ فحياة كلِّ ذاتٍ تَخْتَلِفُ عن الأخرى، وكذلك في بقيَّة الصفات اللازمة للذات، والصفات الفعلية المتعلقة بالمشيئة.

وتوهمُ أن إثبات الحقيقة يُلْزِمُ منه التشبيه، هو الذي حَمَلَ بعض الطوائف على القول بالتفويض والتعطيل؛ فقرأوا مِن باطلٍ إلى باطلٍ، وفهموا آية نفي التشبيه والتمثيل على غير وجهها؛ فغلَّوا في معناها غلًّا حَمَلَهُمْ على القول بالبدعة؛ فنَقَوْا أصل الحقيقة للصفات؛ خوفاً من إثبات الحقيقة المشابهة؛ حتى قال أحمدُ في «الرد على الزنادقة»: «قالوا: هو شيءٌ لا كالأشياء! فقلنا: إنَّ الشيء الذي لا كالأشياء، قد عَرَفَ العقلُ أنه لا شيء؛ فعند ذلك: تَبَيَّنَ أَنَّهُمْ لَا يُثْبِتُونَ شَيْئاً بِشَيْءٍ، وَلَكِنَّهُمْ يَدْفَعُونَ عَنْ أَنْفُسِهِمُ الشُّنْعَةَ بِمَا يَقْرَءُونَ مِنَ الْعَلَانِيَةِ»<sup>(١)</sup>؛ واللازم لنفي حقيقة الصفات: تعطيل الذات والتشبيه بالمعدومات، ولا يُلْزِمُ لإثبات الحقيقة: التشبيه، كما قال محمدُ الكَرَجِيُّ الْقَصَّابُ في «نُكْتُ الْقُرْآن»<sup>(٢)</sup>.

### تاريخ مذهب التفويض:

ولا يُعْرَفُ في أقوالِ أحدٍ مِنَ الصَّحَابَةِ وَلَا التَّابِعِينَ وَلَا أَتْبَاعِهِمْ: تفويضُ حقيقة الصفات، وإنَّ أَخَذَ مَنْ لَمْ يَعْرِفْ مَنَاجِجَهُمْ بعضَ إطلاقاتهم، فحَمَلَهَا على التفويض، فهو لاءٍ إنما أَخَذُوا اللَّفْظَ الْمُحْتَمِلَ، وَلَمْ يَعْرِفُوا سِيَاقَهُ، وَلَا الْمَوَاضِعَ الْأُخْرَى الْقَاطِعَةَ بِتَفْسِيرِهِ.

وإنَّ كَانَ بعضُ الأئمةِ مِنَ أَهْلِ السُّنَّةِ يُشِيرُ إِلَى اعتقادِ بعضِ الناسِ

(١) «الرد على الجهمية والزنادقة» (ص ٩٩).

(٢) (٦٨/٤).

في القرن الثالث للتفويض؛ كما أشار إليه الدارمي في «ردّه على بشر المريسي»، وإنما اشتهر التفويض في قول الكلابية؛ يريدون التوسط بين المعطلة والمشبهة؛ فيسلمون من الطائفتين: بتفويض حقائق الصفات ومعانيها، مع أنّ المفوضة في الحقيقة معطلة؛ فما سلموا بالتفويض من التعطيل، وظهر التفويض في قول أبي منصور المائري في خراسان، وأبي الحسن الأشعري في العراق في «رسالته إلى أهل الثغر»، وقد كتبها قبل كتابه: «الإبانة».

والله تعالى أنزل كتابه ليتدبر وهو معلوم المعنى، ولم يذكر أحد من الصحابة والتابعين وأتباعهم من المفسرين وغيرهم: أنّ آيات الصفات من المتشابه الذي لا يجوز الكلام في تفسيره وبيان معانيه، بل صحّ عن ابن عباس: أنه جعلها من المحكمات؛ وذلك لما سمع رجل بحديث في الصفات، فانتفض، فقال ابن عباس: «ما فرق هؤلاء؟! يجدون عند محكمه، ويهلكون عند متشابهه»<sup>(١)</sup>؛ و«يجدون»؛ يعني: يغضبون<sup>(٢)</sup>.

ومن فوض الصفات، ولم يثبت لها حقيقتها، وجعل غاية الإيمان بآيات الصفات الإيمان بحروفها -: فقد خالف المقصد من التنزيل، وجعل عربيّة القرآن لا معنى لها؛ فالإيمان بالحروف لا يختلف فيه العربي والأعجمي.

والله سمى كتابه مبيناً مفصلاً، وأمر بتدبره، وجعل لعربيّته ميزة وخصيصة، وهي معرفة المعاني وحقائقها؛ فقال: ﴿قَدْ آتَيْنَا آيَاتِنَا لِقَوْمٍ يُعْلَمُونَ﴾ [فصلت: ٣]، وقال: ﴿قَدْ آتَيْنَا آيَاتِنَا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [يوسف: ٢]،

(١) «جامع معمر» (٢٠٨٩٥)، و«السنة» لابن أبي عاصم (٤٨٥)، و«ذم الكلام» للهروي (١٩٣).

(٢) «النهاية» لابن الأثير (١٥٥/٥).

وَسَمَّى كِتَابَهُ بِالْمَفْصَلِ وَالْبَيِّنِ؛ قَالَ تَعَالَى: ﴿كِتَابٌ مُبِينٌ﴾ [النمل: ٧٥]،  
وَقَالَ: ﴿كِتَابٌ فَصَّلْتُ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [فصلت: ٣]، وَأَمَرَ  
كَثِيرًا بِتَدْبِيرِهِ؛ قَالَ: ﴿لِيَتَذَكَّرُوا أَيْتِيهِمْ﴾ [ص: ٢٩]، وَقَالَ: ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ  
الْقُرْآنَ﴾ [النساء: ٨٢]، وَقَالَ: ﴿أَفَلَمْ يَذْكُرُوا الْقَوْلَ﴾ [المؤمنون: ٦٨].

وَالْقَوْلُ بِأَنَّ آيَاتِ الصِّفَاتِ مِنَ الْمُتَشَابِهَاتِ، وَعَلَى هَذَا تُنْفَى حَقَائِقُهَا  
وَتَفْوِضُ، لَمْ يُسَبِّقْ قَائِلُهُ بِهَذَا؛ لَا مِنَ الصَّحَابَةِ، وَلَا مِنَ التَّابِعِينَ.

### ❦ نِسْبَةُ التَّفْوِضِ لِلسَّلَفِ:

وَيَنْسَبُ جَمَاعَةُ التَّفْوِضِ إِلَى السَّلَفِ؛ وَذَلِكَ لِأَنَّ فِي بَعْضِ كَلَامِ  
بَعْضِهِمْ مَا يُتَوَهَّمُ مِنْهُ التَّفْوِضُ؛ كَقَوْلِ بَعْضِهِمْ فِي آيَاتِ الصِّفَاتِ  
وَأَحَادِيثِهَا؛ كَالزُّهْرِيِّ، وَمَكْحُولٍ: «أَمَرُوا الْأَحَادِيثَ كَمَا جَاءَتْ»<sup>(١)</sup>، أَوْ  
قَوْلِ بَعْضِهِمْ؛ كَالْأَوْزَاعِيِّ، وَالثَّوْرِيِّ، وَمَالِكٍ، وَاللَيْثِ، وَأَحْمَدَ: «أَمَرُوها  
كَمَا جَاءَتْ»<sup>(٢)</sup>، أَوْ قَوْلِ بَعْضِهِمْ؛ كَالْوَلِيدِ بْنِ مُسْلِمٍ: «أَمَرُوها  
بِلَا كَيْفٍ»<sup>(٣)</sup>، أَوْ قَوْلِ بَعْضِهِمْ؛ كَابْنِ عُيَيْنَةَ: «هِيَ كَمَا جَاءَتْ؛ نُقِرَ بِهَا،  
وَنُحْدِثُ بِهَا بِلَا كَيْفٍ»<sup>(٤)</sup>، أَوْ قَوْلِ بَعْضِهِمْ؛ كَوَكَيْعٍ: «نُسَلِّمُ هَذِهِ  
الْأَحَادِيثَ كَمَا جَاءَتْ، وَلَا نَقُولُ: كَيْفَ؟ وَلَمْ جَاءَ هَذَا؟»<sup>(٥)</sup>، وَنَحْوِ ذَلِكَ  
مِنَ الْأَقْوَالِ.

وَيَحْمِلُونَ إِمْرَارَ آيَاتِ الصِّفَاتِ وَأَحَادِيثِهَا بِمَعْنَى تَرْكِهَا حُرُوفًا

(١) «شرح أصول الاعتقاد» (٧٣٥)، و«الرسالة الوافية» (١٩).

(٢) «الشريعة» (٧٢٠)، و«شرح أصول الاعتقاد» (٩٣٠)، و«الأسماء والصفات» (٩٥٥).

(٣) «شرح أصول الاعتقاد» (٨٧٥)؛ نَقْلًا عَنْ جَمَاعَةٍ مِنَ الْأُئِمَّةِ.

(٤) «الصفات» للدارقطني (٦٣).

(٥) «السنّة لعبد الله» (٤٩٥)، و«الصفات» للدارقطني (٦٢).

كالأعجمية غير المفهومة، أو كما يرى القارئ خطوط الأمم السابقة الأثرية من أصحاب اللغات البائدة، إلا أن حروف القرآن مقدسة، ولكن الجهل بالمعنى واحد.

وهذا غلط شنيع، وقدح في بيان القرآن ومقاصده، وفي الحكمة الإلهية من التنزيل؛ وفي هذا قال الإمام المديني عبد العزيز الماحشون قرين مالك - لما نظر مرة في شيء من سلب الصفات -: «هذا الكلام هدم بلا بناء، وصفة بلا معنى»<sup>(١)</sup>.

ويدل على أن الأئمة لا يريدون بقولهم: «أمرؤها كما جاءت» تفويض إثبات الحقيقة: أن مالكاً سئل عن رؤية الله؟ فقال: «يرونه بأعيُنهم»<sup>(٢)</sup>، ثم سئل عن أحاديث رؤية الله؟ فقال: «أمرؤها كما جاءت»<sup>(٣)</sup>.

وهذا كله ليس تناقضاً من مالك، بل إن الإمرار لا ينافي الإقرار بالحقيقة، بل تفويض كیفيتها إلى الله لا تفويض إثباتها.

وقراءة القرآن والبيان فيه يقتضي إثبات حقيقة الصفات ومعانيها الصحيحة، وما زاد عن ذلك، فهو منفي من التكيف والتشبيه والتمثيل، والتأويل والتعطيل؛ فالمفسرون يعلمون أن الحقيقة معنى مقصود في الآية، ويستقر في نفس القارئ؛ كما قال يزيد بن هارون: «من زعم أن الرحمن على العرش استوى على خلاف ما يقرأ في قلوب العامة، فهو جهمي»<sup>(٤)</sup>.

(١) «سير أعلام النبلاء» (٣١٢/٧).

(٢) «الشرية» (٥٧٤)، و«شرح أصول الاعتقاد» (٨٧٠).

(٣) سبق قبل قليل. (٤) «السنة» لعبد الله (١١١٠).

ومراؤه بالعامّة: أهلُ السليقة، والفِطرة الصحيحة؛ الذين يَقْرَءُونَ آيةَ الاستواء، ويقرءون قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى: ١١]؛ فيَرَوْنَ أَنَّ لا تناقضَ ولا تضادَّ بين إثباتِ الحقيقة، ونفي التمثيل.

وهذه العبارات لم يكن يعبرُ بها الصحابة ولا كبارُ التابعين؛ لأنَّ أقوالَ التعطيل أو التمثيل لم تكن قد ظهرت في زمانهم؛ ولَمَّا ظَهَرَتْ بعد ذلك أراد أولئك الأئمة دفع تلك البدعة، لا نفي معاني الصفات وحقائقها من الأخبار؛ فهذا قَدْرٌ يَقْرَءُونَ به؛ ويفسّرُ ذلك نصوصهم الأخرى.

والإمراز في قولهم: «أمرؤها كما جاءت»؛ يعني: الإثبات والإقرار بحقائقها؛ لأنَّ هذا مما جاءت به، والمنفي في الشريعة: التشبيه والتمثيل في قوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى: ١١]، وما كان سوى التمثيل من إثبات الحقائق والمعاني الصحيحة، فليس منفيًا، بل هو مقصود في نصوص الوحي.

ولهذا يقول مالك بن أنس: «الاستواء معلوم»<sup>(١)</sup>؛ يعني: ليس حروفاً، وإنما هو حقيقة، وإثبات حقيقته لا يعني تشبيهه بغيره.

ولَمَّا ضَعُفَ اللسانُ العربيُّ، وراجت مقولة التشبيه، والمقالات ضدها، وفسدَتِ السليقة بإثبات الحقيقة، والمعاني الصحيحة -: مال بعضهم إلى مذهب التفويض؛ للخلاص من تلك البدع، وبعضهم: أراد للعوام السلامة من تلك الآفات؛ كما قاله الغزالي<sup>(٢)</sup>.

حتى شاعت تلك المقالة بسبب أخذ بعض فضلاء أهل الحديث

(١) «شرح أصول الاعتقاد» (٦٦٤)؛ بمعناه.

(٢) كما قرره في كتابه «إلجام العوام».

بها؛ كالحطّابيّ في بعض شروحه عند تعليقه على بعض الصفات<sup>(١)</sup>، وكذلك: البيهقي في كتابه: «الأسماء والصفات»<sup>(٢)</sup>، و«الاعتقاد»<sup>(٣)</sup>، وكذلك: جماعة من أهل الفقه والنظر من الشافعية؛ كالجويني في «الرسالة النظامية» التي آل رأيتها إليها<sup>(٤)</sup>، والعزالي في «الجامع العوام»<sup>(٥)</sup>، ومن الحنابلة؛ كالتميميّ، وابن عقيل<sup>(٦)</sup>، ومرعي الكرمي<sup>(٧)</sup>، ومن هؤلاء: من يضطرب؛ فيؤوّل في موضع تارة، ويفوّض في موضع آخر تارة.

وليس من السلامة: ترك مراد الله في كلامه؛ كما يزعمه المفوضة؛ فإن ترك حقائق النصوص ومعانيها الصحيحة: هلاك، لا سلامة؛ لأن التفويض مبني على التعطيل.

والمعتزلة الذين هم أسبق في علم الكلام من الأشاعرة يعرفون الفرق بين مذهب السلف وبين مذهب الكلابية في الصفات الخبرية؛ فالأشاعرة يجعلون السلف مفوضة؛ تمسكاً ببعض الإطلاقات المشبهة من أقوالهم، والمعتزلة يفرقون بين مذهب الكلابية في التفويض، وبين مذهب السلف أهل الحديث في إثبات حقيقة الصفات الخبرية بل والعقلية.

﴿الغلوّ في التنزيه يؤدّي إلى توهم التعظيم في التفويض والتعطيل:

لما كثرت المذاهب البدعية في التشبيه والتأويل والتحريف، كان التفويض عند بعضهم مخلصاً منها؛ فتوهم تعظيم الله بتفويض معاني نصوص الصفات إليه أو تعطيلها؛ وهذا الدافع قديم؛ فقد ذكر عند

(١) «معالم السنّة» (٣/ ١٦٥).

(٢) «الأسماء والصفات» (٢/ ٣٠٣).

(٣) «الاعتقاد» (ص ١١٨ - ١٢٠).

(٤) «الجامع العوام» (ص ٤٢ - ٤٧).

(٥) انظر: درء التعارض (١/ ١٥).

(٦) كما في رسالته «أقوال القات» (ص ٦١ - ٦٥).

ابن مَهْدِيٍّ الجهميَّة، وأنَّهم يَنْفُونَ الصفات، ويقولون: «اللهُ أعظمُ من أنْ يُوصَفَ بشيءٍ!»، فقال ابنُ مَهْدِيٍّ: «قد هلكَ قومٌ من هذا الوجه»<sup>(١)</sup>.

ووجدَ أهلُ التفويضِ من مُتشابهِ كلامِ بعضِ الأئمَّة؛ من إمرارِ أخبارِ الصفاتِ كما جاءت: ما يؤيِّدُ ذلكَ المذهبَ، حتى شاعَ التفويضُ في المغرب؛ حتى عدَّه ابنُ خَلْدُونُ في «مَقْدَمَتِهِ» مذهبًا للسلف، والأقوالُ الباطلةُ مهما بلغتْ شناعةً، لا يجوزُ حملُ الناسِ على باطلٍ آخرَ لأجلِها؛ فلا يُقرُّ من باطلٍ إلى باطلٍ، ولو كانَ أقلَّ منه، مع إمكانِ بيانه؛ ولهذا يقولُ أحمدُ بنُ حنبلٍ: «لا تُزيلُ عنه صفةٌ من صفاته؛ لِشَنَاعَةِ شُنْعَتِ»<sup>(٢)</sup>.

والأئمَّة حينما يقولون: «نُمِرُّهَا لَا نُفَسِّرُّهَا»، لا يريدونَ بذلك: نفيَ الحقيقة، فالتفسيرُ المرادُ به: التكييفُ؛ كما قال أبو عُبيدٍ: «إذا قيلَ: كَيْفَ وَضَعَ قَدَمَهُ؟ وَكَيْفَ ضَحَكَ؟ قلتُ: لا يُفسَّرُ هذا، ولا سَمِعْنَا أحداً يفسِّره»<sup>(٣)</sup>؛ فجعلَ السؤالَ عن كيفية الصفةِ سؤالًا عن تفسيرِها.

ومثلُ ذلك: قولُ بعضِ الأئمَّة؛ كأحمدَ بنِ حنبلٍ: «لَا كَيْفَ، وَلَا مَعْنَى»<sup>(٤)</sup>، وليس مرادُهُ بذلك: نفيَ وجودِ الكيفِ، ولكنْ نفيَ العلمِ به، وكذلك في نفيِ المعاني: ليس مرادُهُ نفيَ وجودِ المعاني، ولكنْ نفيَ التأويلاتِ الباطلة؛ لأنَّها كانت شائعةً ذائعةً في كثيرٍ من البُلدانِ والمَجَالِسِ في زمانِه.

ومن هذا: قولُ أبي عُبيدٍ القاسمِ بنِ سَلَامٍ؛ قاصدًا المعانيَ الفاسدةَ خاصَّةً: «نحنُ نزوي هذه الأحاديثَ، ولا نُزيغُ لها المعاني»<sup>(٥)</sup>.

(١) «إبطال التأويلات» (٢٧).

(٢) «الصفات» للدارقطني (٥٧).

(٣) «الصفات» (١٩٢/٢)، و«أقاويل الثقات» (ص ١٧٨).

(٤) «الصفات» (١٩٢/٢)، و«أقاويل الثقات» (ص ١٧٨).

(٥) «الصفات» (١٩٢/٢)، و«أقاويل الثقات» (ص ١٧٨).



وَمِنْ أَئِمَّةِ السَّلَفِ: مَنْ يَرِيدُ بِالْمَعْنَى: التَّكْيِيفُ؛ فَيَنْفِيهِ؛ كَمَا سُئِلَ  
يَزِيدُ بْنُ هَارُونَ عَنْ مَعْنَى حَدِيثٍ فِي الصِّفَاتِ، فَعَضِبَ وَحَرَدَ، وَقَالَ:  
«وَيْلَكَ مَنْ يَدْرِي كَيْفَ هَذَا؟»<sup>(١)</sup>.

فَجَعَلَ سَوَالَهُ عَنِ الْمَعْنَى سَوَالًا عَنِ الْكَيْفِ؛ لِأَنَّهُ فَهَمَ مَقْصُودَ  
السَّائِلِ عَلَى ذَلِكَ، وَمَعْرِفَةُ سِيَاقَاتِ كَلَامِ الْأَئِمَّةِ مَفْسُورَةٌ لِأَلْفَاظِهِمُ الْمُتَبَايِنَةِ  
فِي الْإِسْتِعْمَالِ؛ بِحَسَبِ مَوْضِعِهَا، وَحَمَلُهَا عَلَى مَعْنَى وَاحِدٍ مُتَطَابِقٍ  
بَاطِلٌ، وَالسَّلَفُ كَانُوا يَسْكُتُونَ عَنْ آيَاتِ الصِّفَاتِ؛ لِأَنَّ إِبْثَاتِ الْحَقِيقَةِ  
مُسْتَقَرٌّ فِي نَفْسِهِمْ؛ وَقَدْ قَالَ مَالِكٌ وَاصِفًا أَهْلَ الْبِدْعِ: «وَلَا يَسْكُتُونَ عَمَّا  
سَكَتَ عَنْهُ الصَّحَابَةُ».

وَلَا يَلْزَمُ مِنْ تَنْزِيهِ اللَّهِ عَنِ التَّشْبِيهِ نَفْيُ الْحَقِيقَةِ فِي صِفَاتِ اللَّهِ تَعَالَى؛  
كَمَا لَا يَلْزَمُ مِنْ إِبْثَاتِ الْحَقِيقَةِ التَّشْبِيهِ، وَمَا زَالِ الْعُلَمَاءُ يَحْتَرِزُونَ مِنْ هَذَا  
الْفَهْمِ كُلِّ بِحَسَبِ تَعْبِيرِهِ، وَلَمَّا أُثْبِتَ عَبْدُ الْغَنِيِّ الْمَقْدِسِيُّ الْإِسْتِثْنَاءَ، قَالَ:  
«بَلَا تَنْزِيهِ يَنْفِي حَقِيقَةَ النَّزُولِ»<sup>(٢)</sup>؛ دَفْعًا لِتَوْهُمِ التَّعْطِيلِ وَالتَّفْوِيضِ.

وَالْمَفْهُومَةُ سَكَتُوا عَمَّا سَكَتَ عَنْهُ الصَّحَابَةُ مِنَ التَّكْيِيفِ وَالتَّأْوِيلِ  
الْمُخَالَفِ لظَاهِرِ اللَّفْظِ، وَنَفَوْا مَعَ السَّكُوتِ: مَا أُثْبِتَهُ الصَّحَابَةُ مِنَ  
الْحَقَائِقِ وَالْمَعَانِي.

❦ رَوَايَةُ الْأَئِمَّةِ لِأَحَادِيثِ الصِّفَاتِ، وَاحْتِرَازُهُمْ مِنْ سُوءِ فَهْمِهَا:

وَالسَّلَفُ يُبْتَنُونَ حَقَائِقَ الصِّفَاتِ وَمَعَانِيَهَا الصَّحِيحَةَ بِالْإِجْمَاعِ؛ وَهَذَا  
مَا جَاءَتْ بِهِ النُّصُوصُ، وَيُفَرِّقُونَ بَيْنَ سِيَاقَاتِ الْأَقْوَالِ، وَالزَّمَنِ الَّذِي  
تَنْشِيرُ فِيهِ الْبِدْعُ عَنْ غَيْرِهِ:

(١) «عقيدة السلف» للصابوني (ص ٦٥). (٢) «الاقتصاد في الاعتقاد» (ص ١٠٠).

فَرَبَّمَا مَنَعُوا رَوَايَةَ حَدِيثٍ صَحِيحٍ؛ خَشْيَةً فَهَمِهِ عَلَى غَيْرِ وَجْهِهِ، وَرَبَّمَا حَظَرُوا إِطْلَاقَ لَفْظَةٍ وَارِدَةٍ؛ لِأَنَّ فَهَمَ النَّاسِ قَدْ تَغَيَّرَ، وَلَمْ يَكُونُوا عَلَى السَّلْبِقَةِ الْأُولَى؛ فَتَعَامَلُوا مَعَ فَهَمٍ، لَا مَعَ مَجْرَدِ النَّصِّ؛ وَهَذَا مِنَ الْفَقْهِ وَالْحِكْمَةِ، وَرَبَّمَا جَاءَ مَزِيدُ تَوْضِيحٍ بِإِشَارَةٍ أَوْ عِبَارَةٍ تَنَاسَبُ أَذْهَانَ السَّامِعِينَ عِنْدَ الْحَدِيثِ.

وَمِنْ ذَلِكَ: أَنَّهُ جَاءَ فِي الْإِشَارَةِ بِالْيَدِ إِلَى عُضْوٍ فِي الْإِنْسَانِ أَوْ غَيْرِهِ؛ لِإِثْبَاتِ صِفَةٍ مِنَ الصِّفَاتِ الْإِلَهِيَّةِ؛ وَذَلِكَ لِإِثْبَاتِ حَقِيقَتِهَا، لَا لِلتَّشْبِيهِ؛ كَمَا جَاءَ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ؛ أَنَّهُ قَرَأَ قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا...﴾ [النِّسَاءُ: ٥٨]، إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ [النِّسَاءُ: ٥٨]، ثُمَّ قَالَ: «رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَضَعُ إِبْهَامَهُ عَلَى أُذُنِهِ، وَالَّتِي تَلِيهَا عَلَى عَيْنِهِ»، قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: «رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقْرَأُهَا، وَيَضَعُ إِصْبَعِيهِ»<sup>(١)</sup>.

وَمَرَادُ النَّبِيِّ ﷺ: إِثْبَاتُ حَقِيقَةِ السَّمْعِ وَالْبَصَرِ، لَا التَّشْبِيهِ. وَهَكَذَا فَهَمُهُ السَّلَفُ؛ كَمَا قَالَ ابْنُ يُونُسَ: «قَالَ الْمُقْرِيُّ»<sup>(٢)</sup>؛ يَعْنِي: إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ؛ يَعْنِي: أَنَّ اللَّهَ سَمِعًا وَبَصَرًا»<sup>(٣)</sup>. وَجَعَلَهُ أَبُو دَاوُدَ رَدًّا عَلَى الْمَعْطَلَةِ، فَقَالَ: «هَذَا رَدٌّ عَلَى الْجَهْمِيَّةِ»<sup>(٤)</sup>.

وَلَمْ يَجْعَلُوهُ حُجَّةً لِّلْمَشْبَهَةِ، بَلْ هُمْ يَنْقُضُونَ قَوْلَهُمْ وَيَرُدُّونَهُ؛ فَهَمَّ يَعْرِفُونَ سِيَاقَاتِ الْأَدَلَّةِ، وَالْمَرَادَ مِنْهَا، وَالْجَمْعَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ بَقِيَّةِ النُّصُوصِ فِي الْبَابِ.

(٢) هو: عبد الله بن يزيد المقرئ.

(٤) الموضع السابق.

(١) أبو داود (٤٧٢٨).

(٣) أبو داود (٤٧٢٨).

وجاء في معنى ذلك: حديث في صِفَةِ التَّجَلِّي؛ مِنْ حَدِيثِ أَنَسٍ عِنْدَ التِّرْمِذِيِّ<sup>(١)</sup>، وفي صِفَةِ الْقَبْضِ لِلْأَرْضِ وَالطَّيِّ لِلسَّمَوَاتِ؛ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عُمَرَ عِنْدَ أَحْمَدَ<sup>(٢)</sup>، وَأَصْلُهُ فِي مُسْلِمٍ<sup>(٣)</sup>، وفي وَضْعِ الْأَرْضِ عَلَى إصْبَعٍ، وَالسَّمَاءِ عَلَى إصْبَعٍ؛ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ عِنْدَ أَحْمَدَ وَالتِّرْمِذِيِّ<sup>(٤)</sup>، وَيَنْحُوهُ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ مَسْعُودٍ<sup>(٥)</sup>، وَأَصْلُهُ فِي الْبَخَارِيِّ<sup>(٦)</sup>، وَقَدْ حَدَّثَ بِهِ يَحْيَى بْنُ سَعِيدٍ أَحْمَدَ بْنَ حَنْبَلٍ وَأَشَارَ بِإصْبَعِهِ، وَحَدَّثَ بِهِ أَحْمَدُ ابْنَهُ عَبْدَ اللَّهِ وَأَشَارَ بِإصْبَعِهِ<sup>(٧)</sup>.

وهذه الأحاديث لا تَخْفَى عَلَى الْأُئِمَّةِ؛ كَمَالِكٍ، وَأَحْمَدَ؛ كَيْفَ وَقَدْ رَوَوْا بَعْضَهَا، وَيَعْلَمُونَ الْمَقْصُودَ مِنْهَا.

ومع ذلك: فَإِنَّهُمْ نَهَوْا عَنِ الْإِشَارَةِ بِالْيَدِ عِنْدَ الْحَدِيثِ عَنْ صِفَاتِ الرَّبِّ؛ لِاخْتِلَافِ الْفَهْمِ، وَضَعْفِ اللَّسَانِ؛ فَتَبِعَهَا ضَعْفُ إِدْرَاكِ الْمَعْنَى الْمُرَادِ، وَرَبَّمَا اخْتَلَفَ قَوْلُهُمْ مِنْ حَالٍ إِلَى حَالٍ، وَمِنْ سِيَاقٍ إِلَى سِيَاقٍ؛ وَقَدْ قَالَ مَالِكٌ: «مَنْ وَصَفَ شَيْئًا مِنْ ذَاتِ اللَّهِ؛ مِثْلُ قَوْلِهِ: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ﴾ [المائدة: ٦٤]، وَأَشَارَ بِيَدِهِ إِلَى عُنُقِهِ، وَمِثْلُ قَوْلِهِ: ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]، فَأَشَارَ إِلَى عَيْنَيْهِ وَأُذُنَيْهِ، [أَوْ شَيْءٍ] مِنْ بَدَنِهِ -: قُطِعَ ذَلِكَ مِنْهُ؛ لِأَنَّهُ شَبَّهَ اللَّهَ بِنَفْسِهِ»<sup>(٨)</sup>.

وقد قرأ رجلٌ عندَ أَحْمَدَ قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَتَّى قَدَرَهُمُ وَالْأَرْضُ

(٢) أَحْمَدُ (٧٢/٢) رَقْمُ (٥٤١٤).

(١) التِّرْمِذِيُّ (٣٠٧٤).

(٣) مُسْلِمٌ (٢٧٨٨).

(٤) أَحْمَدُ (٢٥١/١) وَ ٣٢٤ رَقْمُ ٢٢٦٧ وَ ٢٩٨٨، وَالتِّرْمِذِيُّ (٣٢٤٠).

(٥) أَحْمَدُ (٣٧٨/١) وَ ٤٢٩ وَ ٤٥٧ رَقْمُ ٣٥٩٠ وَ ٤٠٨٧ وَ ٤٣٦٨، وَالتِّرْمِذِيُّ (٣٢٣٨) وَ (٣٢٣٩).

(٦) الْبَخَارِيُّ (٤٨١١)، وَمُسْلِمٌ (٢٧٨٦). (٧) «السُّنَّةُ» لِعَبْدِ اللَّهِ (٤٨٩).

(٨) «التَّمْهِيدُ» (١٤٥/٧).

جَمِيعًا فَبَضَّعَهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَتَاتٌ بِمِيسِرَةٍ [الزمر: ٦٧]، ثُمَّ أَوْمَأَ بِيَدِهِ، فَقَالَ لَهُ أَحْمَدُ: «قَطَعَهَا اللَّهُ! قَطَعَهَا اللَّهُ!»، ثُمَّ حَرَدَ وَقَامَ<sup>(١)</sup>.

مع أنه قد رَوَى الْخَلَّالُ فِي «كِتَابِ السُّنَّةِ»، عَنْ أَبِي بَكْرٍ الْمَرْوَزِيِّ، عَنْ أَحْمَدَ؛ أَنَّهُ رَوَى حَدِيثَ وَضْعِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَغَيْرِهَا، كُلُّ وَاحِدٍ عَلَى إِصْبَحٍ، وَقَالَ: «وَرَأَيْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ يُشِيرُ بِإِصْبَحٍ إِصْبَحٍ»<sup>(٢)</sup>.

وَمِثْلُهُ فَعَلَ الْأَعْمَشُ<sup>(٣)</sup>، وَسُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ، عِنْدَ حَدِيثِ وَضْعِ الْقُلُوبِ بَيْنَ إِصْبَعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ<sup>(٤)</sup>، وَجَاءَ ذَلِكَ مِنْ فَعَلِ النَّبِيِّ ﷺ عِنْدَ الدَّارِقُطْنِيِّ فِي «الْصِفَاتِ»<sup>(٥)</sup>.

وَقَصْدُ الْأَثْمَةِ - كَمَالِكٍ، وَأَحْمَدَ - فِي نَهْيِهِمْ عَنِ التَّحْدِيثِ بِبَعْضِ الْحَدِيثِ، وَالتَّحْدِيثِ مَعَ الْإِشَارَةِ، وَلَوْ كَانَ وَارِدًا وَصَحِيحًا -: خَوْفُ تَغْيِيرِ الْعَامَّةِ؛ وَعَلَيْهِ نَصٌّ مَالِكٌ لَمَّا سُئِلَ عَنْ حَدِيثٍ: (إِنَّ الْعَرْشَ اهْتَزَّ لِمَوْتِ سَعْدٍ)<sup>(٦)</sup>، قَالَ: «لَا يُتَحَدَّثُ بِهِ، وَمَا يَدْعُو الْإِنْسَانُ إِلَى الْحَدِيثِ بِذَلِكَ، وَهُوَ يَرَى مَا فِيهِ مِنَ التَّغْيِيرِ!»<sup>(٧)</sup>.

وَحَدِيثُ اهْتِزَازِ الْعَرْشِ فِي «الصَّحِيحَيْنِ»، وَلَكِنْ صَحَّحَهُ بَابٌ، وَفَهَّمَهُ بَابٌ آخَرُ؛ فَمَا كُلُّ صَحِيحٍ يَصِحُّ التَّحْدِيثُ بِهِ، وَقَدْ كَانَ مَالِكٌ رَبِّمَا وَصَفَ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ بَعْدَ الْفَقْهِ؛ فَقَدْ سُئِلَ عَمَّنْ تَحَدَّثَ بِالْحَدِيثِ: (إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ آدَمَ عَلَى صُورَتِهِ)<sup>(٨)</sup>، وَ(إِنَّ اللَّهَ يَكْشِفُ عَنْ سَاقِهِ يَوْمَ

(١) «شرح أصول الاعتقاد» (٧٣٩). (٢) «فتح الباري» (١٣/٣٩٧).

(٣) «سنن ابن ماجه» (٣٨٣٤). (٤) «حديث سفیان» (٢٩٧).

(٥) «الصفات» (٤١) من حديث جابر، و(٤٢) من حديث أنس.

(٦) البخاري (٣٨٠٣)، ومسلم (٢٤٦٦) من حديث جابر.

(٧) «المتقى» (٣٥٧/١).

(٨) البخاري (٦٢٢٧)، ومسلم (٢٨٤١) من حديث أبي هريرة.

الْقِيَامَةِ<sup>(١)</sup>، «إِنَّهُ يُدْخِلُ يَدَهُ فِي جَهَنَّمَ، فَيُخْرِجُ مِنْهَا مَنْ أَرَادَ»<sup>(٢)</sup>؟ فَأَنْكَرَ ذَلِكَ إِنْكَارًا شَدِيدًا، وَنَهَى أَنْ يُحَدَّثَ بِهِ، قِيلَ: قَدْ تَحَدَّثَ بِهِ ابْنُ عَجَلَانَ؟ قَالَ: لَمْ يَكُنْ مِنَ الْفُقَهَاءِ<sup>(٣)</sup>.

وَرُبَّمَا امْتَنَعَ أَحْمَدُ عَنِ التَّحْدِيثِ بِبَعْضِ الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ، بَلْ: مَا تَلَقَّيْتُهُ الْعُلَمَاءُ بِالْقَبُولِ - كَحَدِيثِ جَابِرٍ مَرْفُوعًا، وَفِيهِ: (فَضَحَكَ حَتَّى بَدَتْ...)<sup>(٤)</sup> - كَانَ أَحْمَدُ يَصِفُهُ بِأَنَّ الْعُلَمَاءَ تَلَقَّيْتُهُ بِالْقَبُولِ، وَمَعَ هَذَا يَقُولُ: «مَا أَعْلَمُ أَنِّي حَدَّثْتُ بِهِ إِلَّا لِمُحَمَّدِ بْنِ دَاوُدَ الْمَصْبُيِّ»<sup>(٥)</sup>؛ وَسَبَبُ ذَلِكَ - كَمَا قَالَ أَحْمَدُ - أَنَّهُ شُنِعَ بِهِ.

وَالْأَثْمَةُ عِنْدَ إِرَادَةِ الْإِثْبَاتِ يَخْتَلِفُونَ فِي طَرِيقَتِهِمْ عِنْدَ النِّفْيِ؛ فَرُبَّمَا تَجَوَّزُوا بِعِبَارَةٍ وَإِشَارَةٍ لِإِثْبَاتِ الْحَقِيقَةِ، وَإِيصَالِ الْمُرَادِ مِنَ النَّصِّ لِلْسَامِعِ، وَلَيْسَ مَرَادُهُمُ التَّشْبِيهُ؛ فَسِيَاقُ الْكَلَامِ لَا بُدَّ مِنْ مَعْرِفَتِهَا لِتَمْيِيزِ الْأَلْفَاظِ؛ وَقَدْ سُئِلَ ابْنُ إِدْرِيسَ عَنْ قَوْمٍ يَقُولُونَ: «الْقُرْآنُ مَخْلُوقٌ؟» فَاسْتَشْنَعَ ذَلِكَ، وَقَالَ: «سُبْحَانَ اللَّهِ! شَيْءٌ مِنْهُ مَخْلُوقٌ!»، وَأَشَارَ بِيَدِهِ إِلَى فِيهِ<sup>(٦)</sup>.

وَأَرَادَ بِهِذَا: إِثْبَاتَ الْحَقِيقَةِ، لَا إِثْبَاتَ الْقَمِّ وَالشَّفَتَيْنِ، وَاللِّسَانِ وَاللَّهْأَةِ، وَالْحَاجَةُ إِلَى الْهَوَاءِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ.

(١) البخاري (٤٩١٩)، ومسلم (١٨٣) من حديث أبي سعيد.

(٢) البخاري (٧٤٣٩)، ومسلم (١٨٣) من حديث أبي سعيد.

(٣) «التمهيد» (١٥٠/٧)، و«ترتيب المدارك» (٤٤/٢).

(٤) «تفسير الطبري» (٦٠٤/١٥)، و«الإيمان» لابن منده (٨٢٣/٢)، و«إبطال التأويلات» (٢٠٢ - ٢٠٤).

(٥) «إبطال التأويلات» (٢١٢).

(٦) «السُّنَّةُ» لعبد الله (٣٠).

﴿ تَوْهَمُ اللّوَاظِمِ الْبَاطِلَةَ يُفْضِي إِلَى التَّفْوِيضِ وَالتَّأْوِيلِ وَالتَّعْطِيلِ :

وَرَبِّمَا تَوْهَمُ السَّامِعُ لِأَخْبَارِ الصِّفَاتِ لِأَزْمًا يَلْزَمُ مِنْ إِثْبَاتِهَا، فَحَمَلَهُ ذَلِكَ عَلَى تَأْوِيلِهَا وَتَفْوِيضِهَا، وَإِذَا كَانَ اللَّهُ تَعَالَى لَا يُشَبِّهُهُ شَيْءٌ فِي كَيْفِيَّةِ صِفَاتِهِ؛ فَإِنَّ نَفْيَ التَّشْبِيهِ بِاللّوَاظِمِ مِنْ بَابِ أَوَّلَى، وَاسْتِحْضَارُ لَوَاظِمٍ بَعَيْنِهَا تَدْفَعُ صَاحِبَهَا إِلَى الرَّجُوعِ إِلَى الصِّفَةِ وَتَعْطِيلِهَا أَوْ تَأْوِيلِهَا أَوْ تَفْوِيضِهَا.

وَقَدْ سَمِعَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ قَاصِدًا يَرَوِي حَدِيثَ النُّزُولِ، وَيَقُولُ: «بَلَا زَوَالٍ، وَلَا انْتِقَالَ، وَلَا تَغْيِيرَ حَالٍ»، فَارْتَعَدَ أَحْمَدُ، وَاصْفَرَ لَوْنُهُ، وَقَالَ لِابْنِهِ عَبْدِ اللَّهِ: «قِفْ بِنَا عَلَى هَذَا الْمَتَخَرِّصِ»، فَلَمَّا حَاذَاهُ، قَالَ: «يَا هَذَا؛ رَسُولُ اللَّهِ أَغْيَرُ عَلَى رَبِّهِ مِنْكَ؛ قُلْ كَمَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ»، وَانصَرَفَ<sup>(١)</sup>.



﴿ قَالَ ابْنُ أَبِي زَيْدٍ: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ شَيْئًا مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ كُزِّيَتْهُ وَسِعَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، الْعَالِمُ الْخَبِيرُ، الْمُدَبِّرُ الْقَدِيرُ، السَّمِيعُ الْبَصِيرُ، الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ:

﴿ عَلُوُّ اللَّهِ:

يَجِبُ الْإِيمَانُ بَعْلُو اللَّهِ عَلَى خَلْقِهِ، وَأَنَّهُ تَعَالَى فَوْقَ السَّمَاءِ عَلَى عَرْشِهِ، وَالدَّلَائِلُ عَلَى عَلُوِّ اللَّهِ أَكْثَرُ مِنْ أَنْ تُحْصَى؛ فِطْرِيَّةٌ وَعَقْلِيَّةٌ وَنَفْلِيَّةٌ، وَهَذَا لَا يَقْتَصِرُ عَلَى الْعُقُولِ، بَلْ فِطَرُ الْحَيَوَانِ الَّتِي لَا عَقْلَ لَهَا تَعْرِفُ عَلُوَّ رَبِّهَا؛ فَإِنَّهَا إِنْ شَكَّتْ، سَمَتْ وَرَفَعَتْ بَصَرَهَا إِلَى السَّمَاءِ، حَتَّى إِنْ فَرَعُونَ - مَعَ عُنَادِهِ وَكُفْرِهِ وَاسْتَهْزَائِهِ - تَوَجَّهَ إِلَى الْعُلُوِّ؛ يُرِيدُ الْإِطْلَاعَ

(١) «الاقتصاد في الاعتقاد» (ص ١١٠).

إلى إله موسى: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَنْهَكُنْ أَبْنِي لِي صَرَخًا لَعَلِّي أُنَبِّئُكَ﴾ [الأنبياء: ٦١] ﴿أَسْبَبَ السَّمَوَاتِ فَأَطْلَعَ إِلَهُ إِلَهُ مُوسَى وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ كَاذِبًا﴾ [غافر: ٣٦ - ٣٧].

وما يكون هذا إلا لأنه يؤمن أن الإله الذي يَجْهَدُهُ: إن وُجِدَ، فلن يكون إلا في السماء، وأن موسى قال له ذلك، وما أنكر على موسى مكانه، ولكنه أنكر وجوده؛ لأنه لو كان موجودًا، فلن يكون في غير العُلُو.

وما من إنسان مهما كان دينه اشتكى الظلم والقهر، إلا وُجِدَ في فِطْرَتِهِ رَغْبَةٌ بِيَتْ شِكْوَاهُ إِلَى السَّمَاءِ، ومناجاة مَنْ فيها، ولو كان قد تدبَّر بخلاف ذلك.

وقد تَوَاتَرَتْ نصوصُ الوَحِيِّ عِدَدًا بالتدليل على ذلك؛ سواءً بذكر أسماءِ الله: ﴿الْعَلِيِّ﴾ [غافر: ١٢]، و﴿الْأَعْلَى﴾ [النحل: ٦٠]، و﴿الْمُتَعَالِ﴾ [الرعد: ٩]، أو ذكر بعض صفاته الدالة على علوه؛ كالاستواء، والنزول، وارتفاع الأعمال إليه، وذكر عَرْشِهِ وَكُرْسِيِّهِ، وَحَمَلَةِ الْعَرْشِ، ونزول الوحي منه، وعودته إليه، ونزول الملائكة وعروجها، وتجليه سبحانه، وإطلاعه على عبادِهِ، وإنزال الأمر والعقوبات، والمِعْراجِ بالأرواحِ وبالنبي ﷺ، ورفع عيسى ونزوله، وغير ذلك مما يَدُلُّ صراحةً على علو الله تعالى على خلقه، ولو أراد أحد أن يَتَّبِعَ أدلة العُلُوِّ مِنَ الْوَحِيِّ تصريحًا أو تضييماً، لَمَا وَسِعَهُ ذَلِكَ، ولو فَعَلَ، ثم أعادَ، لَوَجَدَ أَنَّ الَّذِي فَاتَهُ فَوْقَ مَا جَمَعَ.

وقد دَلَّ الْقُرْآنُ عَلَى عُلُوِّ اللَّهِ بِذَاتِهِ، وَعُلُوِّهِ بِقَهْرِهِ، وَعُلُوِّهِ بِقُدْرِهِ؛ كما في قوله: ﴿وَهُوَ الْفَاحِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ﴾ [الأنعام: ١٨]، وقوله: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ﴾ [النحل: ٥٠].

وهو أمرٌ لم يَنَازِعِ الصحابةُ في فهمِهِ من أَحَدٍ في زمانِهِمْ، ولم يَكُنْ مَحَلَّ بَحْثِهِمْ لِقَطْعِيَّتِهِ، وَلَمَّا ظَهَرَ الْقَوْلُ بِخِلَافِ ذَلِكَ مِنْ بَعْضِ أَهْلِ الضَّلَالِ، أَكْثَرَ الْعُلَمَاءُ مِنْ إِيْرَادِ الْأَدْلَةِ وَحِكَايَةِ الْإِجْمَاعِ عَلَى عُلُوِّ اللَّهِ؛ كَمَا حَكَاهُ الْأَوْزَاعِيُّ<sup>(١)</sup>، وَقُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ<sup>(٢)</sup>، وَخَلْقٌ.

وَمَنْ نَفَى عُلُوَّ اللَّهِ، فَقَدْ كَابَرَ الْفِطْرَةَ وَالْعَقْلَ وَالنَّقْلَ!

وَمَعَ تَضَافُرِ الْأَدْلَةِ مِنَ الْحُسْنِ وَالنَّصِّ، فَقَدْ كَابَرَتْ طَوَائِفُ مِنَ الْفَلَاسِفَةِ وَالْمُتَكَلِّمِينَ، وَنَفَتِ الْعُلُوُّ، وَمَعَ صِرَاحَةِ الْأَدْلَةِ الشَّرْعِيَّةِ التَّمَسُّوْا مِنْ الْأَدْلَةِ مَا يُوَافِقُ تِلْكَ الضَّلَالَةَ:

وَذَلِكَ كَاسْتِدْلَالِ بَعْضِ الْمُتَكَلِّمِينَ بِقَوْلِ يُونُسَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَهُوَ فِي بَطْنِ الْحُوتِ: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَنَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٧]، وَأَنَّ خُطَابَهُ بِـ «أَنْتَ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، وَفِي بَطْنِ الْحُوتِ»، وَاحِدًا!

وَهَذَا الذِّكْرُ مِنْ يُونُسَ اسْتِغَاثَةٌ وَتَذَلُّلٌ، وَاللَّهُ يَسْمَعُهُ وَيَرَاهُ، لَا يَحُولُ دُونَهُ شَيْءٌ، وَالْيَوْمَ يُهَاتِفُ الرَّجُلُ رَجُلًا مِنْ أَقْصَى الْأَرْضِ بِالِاتِّصَالِ، وَيَقُولُ لَهُ: «أَنْتَ»؛ لِأَنَّهُ يَسْمَعُ كَلَامَهُ، وَيَرُدُّ عَلَيْهِ، وَلَكِنْ إِذَا أَرَادَتْ النُّفُوسُ التَّمَسُّسَ شَاهِدًا لِمَا تَرَاهُ، وَجَدَتْ، وَلَوْ كَانَ أَوْهَى مِنْ بَيْتِ الْعَنْكَبُوتِ، وَعَمِيَتْ عَنْ صِرَاحَةِ الْأَدْلَةِ النَّيِّرَةِ؛ كَالشَّمْسِ فِي رَاحَةِ النَّهَارِ.

### ﴿الْعُلُوُّ وَالْمَعِيَّةُ﴾

يَجِبُ إِثْبَاتُ عُلُوِّ اللَّهِ عَلَى خَلْقِهِ، وَأَنَّهُ مَعَ ذَلِكَ مَعَ خَلْقِهِ بِعِلْمِهِ وَإِحَاطَتِهِ؛ فَهُوَ مُسْتَوٍ عَلَى عَرْشِهِ، وَعِلْمُهُ فِي كُلِّ مَكَانٍ؛ قَالَ مَالِكٌ: «اللَّهُ

(٢) «العلو» (٤٧٠).

(١) «الأسماء والصفات» (٨٦٥).



في السماء، وَعِلْمُهُ فِي كُلِّ مَكَانٍ، لَا يَخْلُو مِنْ عِلْمِهِ مَكَانٌ؛ كَمَا نَقَلَهُ عَنْهُ أَبُو الْقَاسِمِ الْمَقْرِي<sup>(١)</sup>، وَأَبُو عَمْرِو الطَّلَمَنْكِيُّ<sup>(٢)</sup>، وَأَبْنُ عَبْدِ الْبَرِّ<sup>(٣)</sup>.

وإثباتُ العلوّ على الحقيقة هو ما يقرّره أهلُ السُّنَّةِ في المغرب؛ كابن أبي زَمَنِينَ في «أصول السُّنَّةِ»<sup>(٤)</sup>، ونحوه أبو المطرّف القَنَازِعِيُّ القرطبيُّ في «تفسير الموطأ»<sup>(٥)</sup>: أَنَّ اللَّهَ فَوْقَ عَرْشِهِ، وَهُوَ فِي كُلِّ مَكَانٍ بِعِلْمِهِ، وَبِنَحْوِهِ يَقَرُّرُ أَبُو الْقَاسِمِ الْمَقْرِي كَمَا فِي «شرح الملخص لمُسْنَدِ المَوْطَأِ»؛ لِأَبِي الْحَسَنِ الْقَاسِي<sup>(٦)</sup>، وَهَكَذَا الْمُتَأَخِّرُونَ؛ كَابْنِ عَزُوزِ المَالِكِيِّ التُّونِسِيِّ<sup>(٧)</sup>: يَقَرُّرُ أَنَّ اللَّهَ مُسْتَوٍ عَلَى عَرْشِهِ، بَاطِنٌ مِنْ خَلْقِهِ، قَرِيبٌ لَهُمْ بِعِلْمِهِ.

وكان أبو العباس بنُ طَالِبٍ يَخْطُبُ فِي الْقَيْرَوَانِ، وَيَقُولُ: «الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي عَلَى عَرْشِهِ اسْتَوَى، وَعَلَى مُلْكِهِ احْتَوَى، وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ يُرَى»<sup>(٨)</sup>.

وَرَبِّمَا كَانَ السَّبَبُ لِلْقَوْلِ بِنَفْيِ الْعِلْوِ: الْجَهْلُ بِلِسَانِ الْعَرَبِ، وَتَبَعًا لِذَلِكَ تَفْهَمُ بَعْضُ نصوصِ الْقُرْآنِ عَلَى غَيْرِ وَجْهِهَا:

وَمِنْ ذَلِكَ: اسْتِدْلَالُ بَعْضِ الْمُعْطَلَةِ الْقَائِلِينَ بِأَنَّهُ فِي كُلِّ مَكَانٍ بِذَاتِهِ؛ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌُ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌُ﴾ [الزخرف: ٨٤]، وَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَاقِعُهُمْ﴾ [المجادلة: ٧].

(١) «اجتماع الجيوش الإسلامية» (١٥٧/٢ - ١٥٨).

(٢) «اجتماع الجيوش الإسلامية» (١٤٢/٢).

(٣) فِي «التمهيد» (١٣٨/٧). (٤) «أصول السُّنَّةِ» (ص ٨٨).

(٥) «تفسير الموطأ» (٤٠١/١).

(٦) «اجتماع الجيوش الإسلامية» (١٥٧/٢).

(٧) «عقيدة التوحيد الكبرى» (ص ١٠).

(٨) «ترتيب المدارك» (٢١٤/٤).

وهذا فهم فاسد:

فأما الآية الأولى: فالمراد منها: أن الله معبود في السماء من أهلها، ومعبود في الأرض من أهلها؛ وهذا قول أهل التفسير<sup>(١)</sup>؛ كما قاله ابن عبد البر<sup>(٢)</sup>، وقال: «وما خالفهم في ذلك أحدٌ يُحتجُّ به»<sup>(٣)</sup>.

وأما الآية الثانية: فالمراد بها: معية الله وعلمه بعباده؛ ودليل ذلك قوله تعالى في آخر الآية: ﴿ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾ [المجادلة: ٧]؛ فالأمر يتعلّق بالعلم الذي يتبعه إنباء، وقد أنكر أحمد بن حنبل على من استدلل بهذه الآية وأخذ أولها، وترك آخرها الذي يُتم المعنى ويدلُّ عليه<sup>(٤)</sup>.

ومن شبهات بعض المعطّلة للعلو والاستواء من متكلّمة المغرب: ما استشكله سليمان الفراء بقوله: «أين كان ربنا إذ لا مكان؟»<sup>(٥)</sup>:

وهذا السؤال يُجيب عن نفسه بالبطلان؛ فإنه لا يُسأل بـ «أين» إلا عند وجود المكان، وعند عدم وجوده، فيجب أن يكون السؤال بـ «أين» غير موجود، ولا يُسأل بـ «متى» إلا عند وجود الزمان، وأما عند عدم وجوده، فالسؤال يجب عدم وجوده من باب أولى.

وقد ردّ ابن الحَدَّاد على الفراء بنفي سؤاله وبُطلانه، وأن الصواب

(١) انظر: «تفسير ابن جرير» (٢٠/٦٥٩ - ٦٦٠).

(٢) في «التمهيد» (٧/١٣٤).

(٣) في «التمهيد» (٧/١٣٩).

(٤) «الرد على الجهمية والزنادقة» (ص ١٥٤).

(٥) «طبقات علماء إفريقية» (ص ١٩٩).

القول: «كيف كان ربنا إذ لا مكان؟»، وقد أجاب ابن الحدايد: «إنه الآن على ما كان عليه، ولا مكان»<sup>(١)</sup>.

وهذا كله لا ينفي أصل خلق الزمان والمكان، ووجودهما تعاقباً؛ فوجودهما جنساً شيئاً، ووجودهما آحاداً شيئاً ثانٍ، ومشاهدتهما والعلم بهما شيئاً ثالث.

والشبهات الكلامية والفكرية التي تستجلبها العقول، وتضعها في سياقات غير سياقاتها، ثم تخرج بنتيجة تظنها كاملة، وتضعها في موضع ليس لها -: يقع بسببها الضلال، وينفي الحق، ويثبت الباطل، وأشد ذلك وأعظمه: ما كان متعلقاً بحق الله تعالى وذاته.

والجهمية الفائلون بنفي علو الله، وأنه في كل مكان، ولا يخلو منه مكان: يتناقضون مع أصولهم العقلية، والأدلة الثقلية؛ فهم يقولون أن الله كان ولا شيء قبله، ثم خلق الخلق، ولكن لا يدرون أين خلقهم؟ فإما أن يقولوا: إن الله خلق الخلق داخل نفسه سبحانه، أو خلقهم خارجاً عنها:

فالأول: كُفْر؛ إذ كيف يخلق الله خلقه في نفسه؛ فتكون محلاً للحوادث التي ينفونها فيه، ومحلاً لخلق الله من الشرور والخبث والشياطين؟! تعالى الله!

وإن قالوا: بأن الله خلقهم خارج نفسه، ثم دخل فيهم، أو دخلوا فيه، فقد أقرؤا بمكان ليس فيه الله عند الخلق.

(١) «طبقات علماء إفريقية» للخشني (ص ١٩٨ - ١٩٩).

وإن قالوا: بأنه خلق الخلق خارج نفسه، وهم على ذلك، فقد سلموا بالحق عقلاً.

والله تعالى تجلّى للجبل، ويطلع على خلقه، ويباهي بهم يوم عرفة، وإذا كان تجلّى للجبل - وعرفه فيه، وهو فيها - فكيف يصح التجلّى لشيء هو فيه؟! ولكن الله فوق عرشه ويتجلّى لشيء ليس فيه سبحانه.

والآيات التي يستدلون بها على أن الله في كل مكان هي دالة بنفسها على خلاف ذلك، وأن الله على عرشه، وهو مع الناس بعلمه؛ فقله تعالى: ﴿وَمَنْ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾ [ق: ١٦]؛ يعني: بالعلم؛ فليس هو في الوريد؛ فقد قال: ﴿وَتَعْلَمُ مَا تُوسَّوْنَ بِهِ نَفْسُكُمْ وَمَنْ أَقْرَبُ إِلَيْهِ﴾ [ق: ١٦]، فبدأ بالعلم؛ ليبين أنه هو المقصود بالقرب.

وكذلك قوله تعالى: ﴿هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا﴾ [المجادلة: ٧]؛ يريد: بعلمه، وبهذا استفتح الله الآية، وختمها؛ ففي أولها قال: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ [المجادلة: ٧]، وفي آخرها قال: ﴿إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [المجادلة: ٧]، ولم يقل: إنه في كل مكان بذاته، وإنما بعلمه.

❦ نفى بعض الصفات لأجل توهم إحاطة المخلوقات بالخالق:

لا يلزم من إثبات العلو والاستواء والنزول لله إحاطة مخلوقاته به، واحتواؤها له، لا منفردة ولا مجتمعة؛ لأنه ﷻ أكبر من كل شيء، ويتوهم من ينفي تلك الصفات أن في إثباتها لزوم إحاطة المخلوقات به، وهذا باطل عقلاً وشرعاً:

- أما بطلانه عقلاً: فإنه لا يصح أن يحوي الشيء ويحيط بما هو أكبر منه، وهذا معلوم في كل المحسوسات، فلا يمكن أن تُصوّر إحاطة الأرض بالسموات، ولا إحاطة النملة بالجبل، ولا إحاطة الذرة بكف الرجل يقبضها، فإذا كان دافع الثفارة توهم الإحاطة كما في المخلوقات فهذا غير لازم حتى فيها، مع أن الله ليس كمثله شيء، والسموات تحيط بالأرض ولكن الأرض لا تحيط بها، فإذا كان الله تعالى أكبر من كل المخلوقات مجتمعة، فكيف يُقال بإحاطتها به عقلاً، ويروى في الحديث: (مَا السَّمَوَاتُ السَّبْعُ فِي الْكُرْسِيِّ، إِلَّا كَحَلْقَةٍ مُلْقَاةٍ بِأَرْضٍ فَلَاةٍ، وَفَضْلُ الْعَرْشِ عَلَى الْكُرْسِيِّ، كَفَضْلِ تِلْكَ الْفَلَاةِ عَلَى تِلْكَ الْحَلْقَةِ)<sup>(١)</sup>، ويروى في بعض ألفاظه: (وَمَا جَمِيعُ ذَلِكَ فِي قَبْضَةِ اللَّهِ ﷻ إِلَّا كَالْحَبَّةِ وَأَصْفَرُ مِنَ الْحَبَّةِ فِي كَفِّ أَحَدِكُمْ؛ وَذَلِكَ قَوْلُهُ - تَعَالَى -: ﴿وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾ [الزمر: ٦٧])<sup>(٢)</sup>، وللحديث طُرُق وألفاظ تدلُّ أن له أصلاً.

- وأما بطلانه شرعاً: فلأن الله ليس كمثله شيء في ذاته، كما قال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى: ١١]، فكلُّ ما أخبر الله به عن نفسه فيجب إثباته له على الحقيقة، والتوقف عن لوازمه التي تقتضي التشبيه، فإذا لم يُشبهه أحد في ذاته فكيف يُشبهه أحد في صفاته ولوازم صفاته؟ ولو أن أذهان المعطلة خلّت من القياس لخلّت من التعطيل.

(١) ابن حبان (٧٦/٢).

(٢) «المظمة» لأبي الشيخ (٦٣٥/٢).

## الاستواء على العرش :

قَالَ ابْنُ أَبِي زَيْدٍ: ﴿وَأَنَّهُ فَوْقَ عَرْشِهِ الْمَجِيدِ بِذَاتِهِ، وَهُوَ فِي كُلِّ مَكَانٍ بِعِلْمِهِ﴾ :

يَجِبُ إِثْبَاتُ اسْتِوَاءِ اللَّهِ عَلَى عَرْشِهِ، وَذَكَرُ ابْنِ أَبِي زَيْدٍ لَاسْتِوَاءِ الذَّاتِ فِي قَوْلِهِ: «بِذَاتِهِ» دَفْعٌ لِمَقَالَةِ التَّأْوِيلِ الَّتِي تَنْفِي إِثْبَاتَ الْاسْتِوَاءِ حَقِيقَةً بَلَا تَشْبِيهِ وَلَا تَكْيِيفٍ، مِمَّنْ يَتَوَهَّمُ أَنَّ إِثْبَاتَ الْحَقِيقَةِ لَازِمٌ لِلتَّشْبِيهِ وَالتَّكْيِيفِ.

وَقَدْ قَرَّرَ إِثْبَاتَ الْاسْتِوَاءِ عَلَى الْعَرْشِ حَقِيقَةً الْمَصْنُفُ فِي «الْجَامِعِ»، فَقَالَ: «وَأَنَّهُ فَوْقَ سَمَوَاتِهِ عَلَى عَرْشِهِ دُونَ أَرْضِهِ»<sup>(١)</sup>.

وَقَدْ نَصَّ عَلَى اسْتِوَاءِ اللَّهِ بِذَاتِهِ السَّلَفُ، وَجَاءَ عَنْ مَالِكٍ النَّصُّ عَلَى «الذَّاتِ»؛ حَكَاهُ غَيْرُ وَاحِدٍ؛ قَالَ أَبُو نَضْرٍ السُّجَزِيُّ فِي كِتَابِهِ «الْإِبَانَةُ»: «فَأَثَمْتُنَا - كُسْفِيَانِ الثُّورِيِّ، وَمَالِكٍ، وَسُفْيَانِ بْنِ عُيَيْنَةَ، وَحَمَّادِ بْنِ سَلَمَةَ، وَحَمَّادِ بْنِ زَيْدٍ، وَعَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْمُبَارَكِ، وَفُضَيْلِ بْنِ عِيَّاضٍ، وَأَحْمَدَ بْنَ حَنْبَلٍ، وَإِسْحَاقَ بْنَ إِبْرَاهِيمَ الْحَنْظَلِيِّ - مُتَّفِقُونَ عَلَى أَنَّ اللَّهَ سَبْحَانَهُ بِذَاتِهِ فَوْقَ الْعَرْشِ، وَأَنَّ عِلْمَهُ بِكُلِّ مَكَانٍ، وَأَنَّهُ يُرَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِالْأَبْصَارِ فَوْقَ الْعَرْشِ، وَأَنَّهُ يَنْزِلُ إِلَى سَمَاءِ الدُّنْيَا، وَأَنَّهُ يَغْضَبُ وَيَرْضَى وَيَتَكَلَّمُ بِمَا شَاءَ؛ فَمَنْ خَالَفَ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ، فَهُوَ مِنْهُمْ بَرِيءٌ، وَهُمْ مِنْهُ بَرَاءٌ»<sup>(٢)</sup>.

وَقَالَ أَبُو عَمَرَ الطَّلَمَنْكِيُّ فِي كِتَابِهِ «الْأُصُولُ»: «أَجْمَعَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ أَهْلِ السُّنَّةِ عَلَى أَنَّ اللَّهَ اسْتَوَى عَلَى عَرْشِهِ بِذَاتِهِ»<sup>(٣)</sup>.

(١) «الجامع» (ص ١٠٨).

(٢) «درء التعارض» (٦/ ٢٥٠)، و«مجموع الفتاوى» (٣/ ٢٢٢ و ٢٦٢).

(٣) «اجتماع الجيوش» (٢/ ١٤٢).

والأئمة يذكرون بعض الألفاظ غير الواردة بنصها في الوحي، لا لعدم كفاية الوحي في الإفهام، وإنما لورود معنى باطل جديد بعد انقطاع الوحي، فأرادوا دفعه بلفظ جديد، من غير أن يؤثر على مقصد الشارع ومُراده، ولو لم يوجد المعنى الجديد الباطل، لم يوجد اللفظ الجديد؛ لأنه لا حاجة إليه.

وقد ذكرَ لفظة «بذاته» غيرُ ابن أبي زيدٍ من الأئمة؛ لما شاعت مقالة التأويل والتعطيل، ممن يُثبت لفظ «الاستواء»، ويتأول أو يعطل معناه؛ فكان إثبات اللفظ القرآني للناس، من غير زيادة تدفع الباطل الجديد في الآذان، مُوجبة لهذه اللفظة عندهم، وقد ذكر أبو بكر المُرادي القيرواني في «الإيماء»، في مسألة الاستواء<sup>(١)</sup> جماعة ممن نصوا على ذكر استواء الذات، ونسبته إلى ابن جرير، والقاضي عبد الوهاب، وظاهر كلام أبي الحسن الأشعري، والباقلاني.

وقد انتصر ابن عبد البر وغيره لابن أبي زيد<sup>(٢)</sup>: بأن الله أثبت الفوقية لنفسه بقوله: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ﴾ [النحل: ٥٠]، وقوله: ﴿وَهُوَ أَلْفَاهُ فَوْقَ عِبَادِهِ﴾ [الأنعام: ١٨]؛ فدلَّ على علو ذاته واستوائها على العرش على الحقيقة التي تليق به، لا كما تليق بالمخلوق.

والإتيان بالألفاظ مطابقة لم ترد في الشرع لإثبات حقيقة الصفات بلا تشبيه عند من تعسف بتأويلها لإفهامه: شيء، ومقابلة الإفراط بالتأويل بالإفراط بالتشبيه: شيء آخر غير جائز.

(١) حكاه عنه الفرطبي في «الأسنى شرح أسماء الله الحسنى» (١٢٣/٢).

(٢) انظر: «التمهيد» (١٢٩/٧ - ١٣٠ و ١٣٨ - ١٣٩).

وهذه اللفظة التي أوردَهَا ابنُ أَبِي زَيْدٍ: «فَوْقَ عَرْشِهِ الْمَجِيدِ بِذَاتِهِ» أخطأ في التعاملِ مع قوله: «بِذَاتِهِ» كثيرٌ مِنَ المتكلمينَ مِنَ الشُّرَاحِ وغيرِهِم؛ لَأَنَّهَا تُثَبِّتُ الاستواءَ حَقِيقَةً، وَكَانَ خَطُؤُهُمْ فِيهَا عَلَى وَجْهَيْنِ:

الوجهُ الأوَّلُ: شَكَّوْا فِي ثبوتِهَا عَنْهُ، وَزَعَمَ بَعْضُهُمْ إِقْحَامَهَا فِي كِتَابِهِ، مِنْهُمْ: أَبُو عَلِيٍّ الْبِجَائِيُّ؛ كَمَا ذَكَرَهُ الْفَاكِهَانِيُّ عَنْهُ<sup>(١)</sup>، وَزَعَمَ إِقْحَامَهَا عَسِيرٌ؛ فَهِيَ فِي كِتَابِ الشُّرُوحِ قَدِيمُهَا وَحَدِيثُهَا، حَتَّى شَرَحَ الْمُتَكَلِّمِينَ، وَرَدَّ تِلْكَ الدَّعْوَى الْمُتَكَلِّمُونَ أَنْفُسَهُمْ؛ كَابْنِ نَاجِيِ التَّنَوُّخِيِّ<sup>(٢)</sup>، وَهَذِهِ اللَّفْظَةُ: «بِذَاتِهِ» فِي الْأَصُولِ الْخَطْبِيَّةِ لِكِتَابِ «الرَّسَالَةِ»، وَعَلَيْهَا سَمَاعَاتُ الْأَثَمَةِ، وَكَثِيرٌ مِنَ الْمُتَكَلِّمِينَ اسْتَنَكَّرَهَا عَلَى الْمُؤَلِّفِ، وَتَأَوَّلَهَا، وَلَمْ يَقُلْ: بِأَنَّهَا مَدْسُوسَةٌ؛ لِاسْتِحَالَةِ ذَلِكَ، وَلَوْ كَانَ ثَمَّةَ بَابٍ مُحْتَمِلٌ لَكُونِهَا مَدْسُوسَةً، لِأَظْهَرِهِ الْمُحَقِّقُونَ مِنْهُمْ؛ فَإِنَّهُ أَيْسَرُ مِنْ تَكْلُفِ التَّأْوِيلِ.

وَقَدْ اثْبَتَهَا طَلَّابُ ابْنِ أَبِي زَيْدٍ وَالْقَرِيبُونَ مِنْهُ زَمَنًا فِي شَرْحِهِمْ لَهَا؛ كَأَبِي بَكْرٍ مُحَمَّدِ بْنِ مَوْهَبٍ، وَأَبِي عُمَرَ الظَّلَمَنَكِيِّ، وَعَبْدِ الْوَهَّابِ الْبَغْدَادِيِّ، وَمَنْ جَاءَ بَعْدَهُمْ<sup>(٣)</sup>، وَهِيَ عِبَارَةٌ مُسْتَعْمَلَةٌ فِي زَمَنِ ابْنِ أَبِي زَيْدٍ وَقَبْلَهُ.

وَقَدْ رَأَيْتُهَا فِي نَسْخَةٍ خَطْبِيَّةٍ عَنِيْقَةٍ مِنْ «الرَّسَالَةِ»، لِابْنِ أَبِي زَيْدٍ الْقَيْرَوَانِيِّ، عَلَيْهَا سَمَاعُ الْبِقَاعِيِّ عَنْ ابْنِ حَجَرٍ الْعَسْقَلَانِيِّ بِإِسْنَادِهِ الْمُتَصِلِ

(١) «شرح الرسالة» لابن ناجي (٢٤/١).

(٢) «شرح رسالة ابن أبي زيد» له (٢٤/١).

(٣) «الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى» للقرطبي (١٢٣/٢).



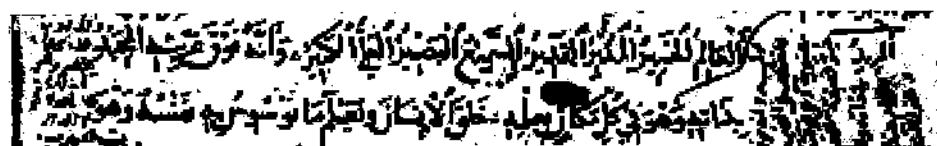
بالأئمة إلى المؤلف أبي محمد بن أبي زيد القيرواني<sup>(١)</sup>.

الوجه الثاني: تأولوا معناها بتأويل إعرابها، والمقصود منها؛ فجعلوا علو الله: علو قهر وقدر، وتأولوا علو الذات في كلام ابن أبي زيد بتأويلين:

الأول: أنهم جعلوا لفظة «المجيد» صفة لله، لا للعرش؛ فأووا أنه قد تم الكلام بقوله: «فوق عرشه»، وقوله: «المجيد بذاته» كلام مستأنف؛ فجعلوا المعنى: أن الله مجيد بذاته، لا مستحق للمجد بغيره؛ فكان الكلام يتضمن صفتين: صفة الاستواء، وصفة المجد لله، ولكنهم تأولوا قوله: «بذاته»: أنه سبحانه استوى بذاته بلا معين من مال وأغوان.

الثاني: أنهم جعلوا اسم «المجيد» بالكسر صفة للعرش، ولكن جعلوا الباء في قوله: «بذاته» بمعنى «في»؛ يعني: في ذاته؛ يعني: أن العرش عظيم في ذاته.

(١) صورة للمخطوط عليه سماع مسلسل بالأئمة وفيه إثبات قول ابن أبي زيد: (بذاته).



وهذا كُلُّهُ غَلَطٌ، وتكَلَّفٌ، وتحريفٌ للنصوصِ وتأويلٌ لها لا حَدٌّ له؛ فَإِنَّ التحريفَ المتوهمَ بَلَّغَ القرآنَ وعلى أَسْتارِ الكعبةِ زَمَنَ ابنِ أَبِي دُوَادٍ؛ حيثُ كُتِبَ عليها: «لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ»! فأبدَلَهَا عن قولِهِ تعالى: ﴿السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]؛ كُلُّ هذا لِيَنفِي صِفَةَ السَّمْعِ وَالْبَصَرِ عَنِ اللَّهِ؛ فكيف بكلامِ عالِمٍ في مذهبٍ متبوع؟!

والذي فَهَمَهُ تلامذَةُ ابنِ أَبِي زَيْدٍ: هو استواءُ اللَّهِ بذاتِهِ على الحقيقة؛ كما قال أبو بكرِ بْنُ مَوْهَبٍ مَبِيتًا مرادُهُ: «ثُمَّ بَيَّنَّ أَنَّ عُلوَّهُ فوقَ عَرْشِهِ إِنَّمَا هو بذاتِهِ؛ لَأَنَّهُ تعالى بَائِنٌ عن جميعِ خَلْقِهِ...»<sup>(١)</sup>، وكان الظَّلْمَنُكِيُّ على هذا الاعتقادِ، وهو مِن أَعْلَمِ الناسِ بكلامِ شَيْخِهِ يقولُ: «وَأَنَّ اللَّهَ فوقَ السَّمَوَاتِ بذاتِهِ، مُسْتَوٍ على عَرْشِهِ، كيف شاءَ»<sup>(٢)</sup>؛ فَقَدَّمَ لفظَ الذاتِ على ذِكْرِ العرشِ؛ لَأَنَّهُ يعودُ إلى اللَّهِ، بل هذا هو قولُ مالِكِ المَنْقُولُ عنه؛ كما نَقَلَهُ أبو نَضْرٍ السَّجْزِيُّ عنه؛ أَنَّهُ وغيرُهُ مُتَّفِقُونَ على أَنَّ اللَّهَ ﷻ بذاتِهِ فوقَ العرشِ، وعِلْمُهُ في كُلِّ مكانٍ.

وهذا لا يَحْتَمِلُ غيرَ حَمْلِ استواءِ الذاتِ لله على الحقيقة بلا تشبيهٍ، وعلى هذا المعنى حَمَلَهُ جملةٌ مِنَ الأئمةِ في المَغْرِبِ وغيرِهِ؛ كابنِ جُرَيزٍ في «التسهيل»<sup>(٣)</sup>.

وقد كان جملةٌ مِنَ المخالِفِينَ لابنِ أَبِي زَيْدٍ مِنَ الأئمةِ، لم يتأوَّلوا

(١) «العلو» (٥٩٢).

(٢) «بيان تلبيس الجهمية» (١٨٦/١ و ٣٩٨/٣)، و«العلو» (٥٦٦)، و«اجتماع الجيوش» (١٤٢/٢).

(٣) «التسهيل» (٢٩٠/١).

قَوْلُهُ؛ لِإِنْصَافِهِمْ مِنْ هَذَا الْوَجْهِ، وَحَمَلُوا قَوْلَهُ عَلَى ظَاهِرِهِ بَلَا تَكْلُفٍ؛  
كَأَبِي بَكْرٍ بْنِ الْعَرَبِيِّ<sup>(١)</sup>، وَالْعِزُّ بْنُ عَبْدِ السَّلَامِ<sup>(٢)</sup>، وَالسُّبْكِيُّ<sup>(٣)</sup>،  
وَابْنُ جَمَاعَةَ<sup>(٤)</sup>، وَأَبِي عَبْدِ اللَّهِ الْعُكْرَمِيُّ<sup>(٥)</sup>.

وَقَدْ اسْتَعْمَلَ لَفْظَةَ الذَّاتِ لِلَّهِ عِنْدَ اسْتِثْنَائِهِ جَمَاعَةً قَبْلَ ابْنِ أَبِي زَيْدٍ؛  
كَالْمُزَنِّيِّ صَاحِبِ الشَّافِعِيِّ<sup>(٦)</sup>، وَابْنِ جَرِيرِ الطَّبْرِيِّ<sup>(٧)</sup>، وَأَبِي أَحْمَدَ الْكَرْجِيِّ  
الْقَصَّابِ<sup>(٨)</sup>، وَيَحْيَى بْنِ عَمَّارِ السَّجِسْتَانِيِّ<sup>(٩)</sup>، وَغَيْرِهِمْ.

### ﴿الْكُرْسِيِّ﴾:

وَيُثَبِّتُ أَنَّ لِلَّهِ كُرْسِيًّا؛ كَمَا قَالَ ﷺ: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ  
وَالْأَرْضَ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، وَفَهُمْ ذَلِكَ عَلَى مَا تَفَهُمُهُ الْعَرَبُ الْأُولَى مِنْ  
كَلَامِهَا مِنْ أَهْلِ الصِّدْرِ الْأَوَّلِ، وَقَدْ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: «الْكُرْسِيُّ مَوْضِعُ  
الْقَدَمَيْنِ»<sup>(١٠)</sup>.

وَصَحَّ هَذَا الْقَوْلُ عَنْ وَهْبِ بْنِ مَنْبُهٍ<sup>(١١)</sup>، وَيُرْوَى عَنْ أَبِي مُوسَى<sup>(١٢)</sup>،

(١) «العواصم» (٢/ ٢٩٠).

(٢) «النوازل» للبرزالي (٦/ ٢٠).

(٣) «طبقات الشافعية» (٦/ ١٤٣).

(٤) «إيضاح الدليل» (ص ١٠٧).

(٥) «أزهار الرياض» في أخبار عياض» للمقري (٣/ ٥٨).

(٦) «شرح السُّنَّة» له (ص ٧٥).

(٧) تقدّم.

(٨) «العلو» (ص ٢٣٦).

(٩) «الحجة في بيان المحجة» (٢/ ١٠٩)، و«العلو» (٥٦٤).

(١٠) «السُّنَّة» لعبد الله (٥٨٦ و ١٠٢٠ و ١٠٢١)، و«التوحيد» لابن خزيمة (١/ ٢٤٨ و ٢٤٩).

(١١) «السُّنَّة» لعبد الله (١٠٩٢)، و«العظمة» (٤/ ١٣٩٩).

(١٢) «السُّنَّة» لعبد الله (٥٨٨ و ١٠٢٢)، و«تفسير الطبري» (٤/ ٥٣٨).

وأبي مالك<sup>(١)</sup>؛ وبهذا فسره ابنُ أبي زَمِينٍ الأندلسيُّ في «أصول السُّنَّة»<sup>(٢)</sup>.

ولا يجوزُ تكييفُ فعلِ الله فيه، ولا تشبيهُهُ؛ فاللهُ ليسَ كمثله شيءٌ،  
وقد وردَ في بيانِ حجمِ الكرسيِّ في الحديثِ: (مَا السَّمَوَاتُ السَّبْعُ مَعَ  
الْكُرْسِيِّ إِلَّا كَحَلْقَةٍ مُلْقَاةٍ بِأَرْضِ فَلَاةٍ، وَفَضْلُ الْعَرْشِ عَلَى الْكُرْسِيِّ كَفَضْلِ  
الْفَلَاةِ عَلَى الْحَلْقَةِ)<sup>(٣)</sup>.

ورُويَ: أَنَّ الْكُرْسِيَّ: هُوَ عِلْمُ اللَّهِ<sup>(٤)</sup>، وقيلَ: قُدْرَتُهُ<sup>(٥)</sup>، وقيلَ: هُوَ  
الْعَرْشُ<sup>(٦)</sup>.

والأصحُّ: أَنَّهُ مَوْضِعُ الْقَدَمَيْنِ عَلَى مَا يَلِيقُ بِاللَّهِ، لَا عَلَى مَا يَلِيقُ  
بِالْمَخْلُوقِ.

وَأَمَّا الْقَوْلُ بِأَنَّ الْكُرْسِيَّ: عِلْمُ اللَّهِ؛ فَقَدْ رُويَ هَذَا عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ،  
وفيه عن ابنِ عَبَّاسٍ لِينٌ، وَاسْتَدَلَّ بَعْضُهُمْ عَلَيْهِ بِقَوْلِ الشَّاعِرِ:

مَا لِي بِأَمْرِكَ كُرْسِيٍّ أَكَانِيْمُهُ وَلَا يُكْرِسِيَّ عِلْمُ اللَّهِ مَخْلُوقٌ<sup>(٧)</sup>

وهذا مخالفٌ لوضعِ العربِ عندَ إطلاقِ الكرسيِّ، والكرسيُّ  
لَا يُهْمَزُ<sup>(٨)</sup>.

(١) «السُّنَّة» لعبد الله (٥٨٩ و ١٠٢٣).

(٢) «أصول السُّنَّة» (ص ٩٦).

(٣) «العرش وما روي فيه» (٥٨)، و«صحيح ابن حبان» (٣٦١).

(٤) رُويَ ذَلِكَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ. انظر: «السُّنَّة» لعبد الله (١١٥٦ و ١١٨٤)، و«تفسير

الطبري» (٥٣٧/٤).

(٥) «معاني القرآن» للنحاس (٢٦٤/١)، و«تفسير القرطبي» (٢٧٦/٤).

(٦) رُويَ ذَلِكَ عَنْ الْحَسَنِ. انظر: «تفسير الطبري» (٥٣٩/٤).

(٧) لَا يُعْرَفُ قَائِلُ هَذَا الْبَيْتِ. انظر: «تأويل مختلف الحديث» (ص ١١٩)، و«معاني

القرآن» للنحاس (٢٦٣/١)، و«البحر المحيط» (٢/٢٩٠)، و«اللباب في علوم

الكتاب» (٣٢٢/٤).

(٨) انظر: «تأويل مختلف الحديث» لابن قُتَيْبَةَ (ص ١١٩ ط. المكتب الإسلامي).

وَأَمَّا الْقَوْلُ بَأَنَّهُ: قَدْرَةُ اللَّهِ، فَيُرَوَّى عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ؛ وَفِيهِ ضَعْفٌ.  
وَأَمَّا الْقَوْلُ بَأَنَّ الْكُرْسِيَّ: هُوَ الْعَرْشُ، فَمُرَوِّىٌّ عَنِ الْحَسَنِ،  
وَالضَّحَّاكِ، وَغَيْرِهِمَا.

وَهَذَا لَيْسَ فِيهِ شَيْءٌ يَصِحُّ عَنِ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ، وَأَصَحُّ مَا جَاءَ  
فِيهِ: أَنَّهُ مَوْضِعُ الْقَدَمَيْنِ عَلَى مَا قَالَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ فِيمَا سَبَقَ، وَلَمْ يُخَالِفْهُ  
أَحَدٌ مِنَ الصَّحَابَةِ.

وَقَدْ كَانَ ابْنُ مَسْعُودٍ يُعَدُّ الْكُرْسِيَّ غَيْرَ الْعَرْشِ؛ كَمَا رَوَى ابْنُ خُزَيْمَةَ  
فِي «التَّوْحِيدِ» عَنْهُ؛ قَالَ: «بَيْنَ السَّمَاءِ الدُّنْيَا وَالَّتِي تَلِيهَا خَمْسُ مِائَةِ عَامٍ،  
وَبَيْنَ كُلِّ سَمَاءٍ خَمْسُ مِائَةِ عَامٍ، وَبَيْنَ السَّمَاءِ السَّابِعَةِ وَالْكُرْسِيِّ خَمْسُ مِائَةِ  
عَامٍ، وَبَيْنَ الْكُرْسِيِّ وَالْمَاءِ خَمْسُ مِائَةِ عَامٍ، وَالْعَرْشُ فَوْقَ الْمَاءِ، وَاللَّهُ  
فَوْقَ الْعَرْشِ، لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنْ أَعْمَالِكُمْ»<sup>(١)</sup>.  
وَهَذَا لَا يَقُولُهُ الصَّحَابِيُّ مِنْ رَأْيِهِ.

وَأَمَّا حَمَلَ بَعْضُ الْمُتَكَلِّمِينَ الْكُرْسِيَّ عَلَى عِلْمِ اللَّهِ، أَوْ قُدْرَتِهِ؛  
لِإِنْكَارِهِمُ الصِّفَاتِ الْخَبَرِيَّةَ، وَالْأَفْعَالَ الْإِلَهِيَّةَ؛ لِأَنَّ الْعَرْشَ وَالْكُرْسِيَّ لَا بُدَّ  
أَنْ يَكُونَا مَحَلًّا لِلْفِعْلِ.

وَالْحَقُّ: أَنَّ الْعَرْشَ: لِلْإِسْتِوَاءِ، وَالْكُرْسِيَّ: مَوْضِعُ الْقَدَمَيْنِ، وَاللَّهُ  
أَعْلَمُ بِالْكِفَايَةِ الَّتِي لَا تُشْبِهُ الْمَخْلُوقَ.

﴿إِحَاطَةُ عِلْمِ اللَّهِ بِكُلِّ شَيْءٍ﴾

﴿قَالَ ابْنُ أَبِي زَيْدٍ: «خَلَقَ الْإِنْسَانَ، وَيَعْلَمُ مَا تُوسَّسُ بِهِ نَفْسُهُ، وَهُوَ  
أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ، وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٌ فِي  
طَلْمَنِ الْأَرْضِ وَلَا دَرَكٍ وَلَا يَأْسٍ إِلَّا فِي كِتَابِ مُبِينٍ»﴾ [الأنعام: ٥٩]:

كُلُّ مَا فِي الوجودِ خَلَقَ اللهُ، وَهُوَ عَالِمٌ مُحِيطٌ بِهِمْ، لَا يَعْرُبُ عَنْهُ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ؛ جَلِيلُهُ وَعَظِيمُهُ، كَثِيرُهُ وَقَلِيلُهُ؛ قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا مِنْ عَائِبَةٍ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ [النمل: ٧٥]، وَقَالَ: ﴿لَا يَخْفَى عَلَيْكَ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ﴾ [آل عمران: ٥]، وَقَالَ: ﴿بَلِّغْ إِنَّهَا إِنْ تَكُ مِنْكَ مُشْقَالًا حَبَقَ مِنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَكِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ﴾ [القمان: ١٦]، وَقَالَ: ﴿يَعْلَمُ مَا يَلْجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ الرَّحِيمُ الْغَفُورُ﴾ [سبا: ٢].

وَيَأْتِي الْكَلَامُ عَلَى ضَلَالٍ بَعْضِ الْفَلَسِيفَةِ وَالْمُتَكَلِّمِينَ فِي نَفْيِ عِلْمِ اللَّهِ لِلْجَزْئِيَّاتِ.

### ❦ عَوْدَةٌ إِلَى الْكَلَامِ عَلَى اسْتَوَاءِ اللَّهِ عَلَى الْعَرْشِ:

❦ قَالَ ابْنُ أَبِي رَيْدٍ: ﴿عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى، وَعَلَى الْمُلْكِ احْتَوَى﴾:

وَيَجِبُ إِبْطَاتُ أَنَّ اللَّهَ اسْتَوَى عَلَى عَرْشِهِ حَقِيقَةً، وَقَدْ ذَكَرَ اللَّهُ اسْتَوَاءَهُ فِي كِتَابِهِ فِي سَبْعَةِ مَوَاضِعٍ؛ قَالَ تَعَالَى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه: ٥]، وَقَدْ تَوَاتَرَتْ فِي ذَلِكَ الْأَحَادِيثُ وَالْآثَارُ؛ أَنَّ اللَّهَ: «فَوْقَ الْعَرْشِ».

وَيُثَبِّتُ اسْتَوَاءَ يَلِيقُ بِجَلَالِهِ، وَيَتَنَزَّهَ عَمَّا يَلِيقُ بِالْمَخْلُوقِ؛ لِأَنَّهُ ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]؛ وَكَانَ السَّلَفُ عَلَى ذَلِكَ لَا يَخْتَلِفُونَ عَلَيْهِ.

وَلَمَّا ظَهَرَتْ الْبِدْعُ الْكَلَامِيَّةُ الَّتِي أَدَّتْ إِلَى إِنْكَارِ حَقِيقَةِ الْاسْتَوَاءِ وَتَأْوِيلِهِ، ضَلُّوا مَنْ قَالَ بِذَلِكَ، وَقَدْ كَانَ سُحُنُونٌ يُلْقِنُ ابْنَ الْقَصَّارِ فِي مَرَضٍ مَوْتِهِ: «أَنَّ اللَّهَ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى»<sup>(١)</sup>.

وكان أبو العباس بن طالب يخطبُ في الفَيْرَانِ، ويقولُ: «الحمدُ لله الذي على عَرْشِهِ اسْتَوَى، وعلى مُلْكِهِ احْتَوَى، وهو في الآخِرَةِ يُرَى»<sup>(١)</sup>، وإثباتهم للاستواء على الحقيقة، لا يَحْمِلُهُم على القول بالتشبيه، وتوهم لزوم إثبات الحقيقة للتشبيه لا يَحْمِلُهُم على التفويض؛ ولهذا يقول القرطبي: «لم يُنَكِّرْ أَحَدٌ مِنَ السَّلَفِ الصَّالِحِ أَنَّهُ اسْتَوَى على عَرْشِهِ حَقِيقَةً... وَإِنَّمَا جَهِلُوا كَيْفَةَ الاسْتِواء»<sup>(٢)</sup>.

والعربُ تُطْلِقُ العَرْشَ على السرير؛ كما قال تعالى: ﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ﴾ [يوسف: ١٠٠]، وقال أُمَيَّةُ بْنُ أَبِي الصَّلْتِ:

مَجْدُوا اللَّهَ وَهُوَ لِلْمَجْدِ أَهْلٌ      رَبُّنَا فِي السَّمَاءِ أَمْسَى كَبِيرًا  
بِالْبِنَاءِ الْأَعْلَى الَّذِي سَبَقَ النَّاسَ      سَنَ وَسَوَى فَوْقَ السَّمَاءِ سَرِيرًا<sup>(٣)</sup>

وإثبات هذا التعبير لا يعني إثبات التشبيه بين عرش الخالق وعرش المخلوق، ولا بين استوائيهما، ومثل ذلك السرير؛ فَإِنَّ للمخلوق عرشًا، وورود المشابهة في الاسم لا تعني المشابهة في الحقيقة؛ فضلًا عن المشابهة بين الخالق والمخلوق في الفعل.

الْحَذَرُ مِنَ التَّشْبِيهِ، وَحَكْمُ التَّعْبِيرِ عَنِ الصِّفَاتِ بِمَا لَمْ يَرِدْ فِي الشَّرِيعَةِ مِنَ الْإِشَارَةِ وَالْكَلَامِ:

وَيُقْتَصَرُ عَلَى اللَّفْظِ الْوَارِدِ فِي الْوَحْيِ؛ وَهُوَ: «الاستواء»، ولو تَقَارَبَ مع اللَّفْظِ غَيْرُهُ بِالمَعْنَى أَوْ اتَّحَدَ؛ التَّزَامًا بِاللَّفْظِ الْمَشْرُوعِ الَّذِي اخْتَارَهُ اللَّهُ لِنَفْسِهِ، وَدَفَعًا لَتَوَهُمِ اللَّبْسِ الَّذِي قَدْ يَقَعُ فِي قُلُوبِ النَّاسِ مِنْ

(١) «ترتيب المدارك» (٤/٢١٤). (٢) «تفسير القرطبي» (٩/٢٣٩).

(٣) «تأويل مختلف الحديث» (ص ١١٩ و ٣٩٦).

الألفاظ المجملة غير المحكّمة، وقد كان مالك بن أنس يكره التحديث ببعض أحاديث الصفات للعامة؛ وذلك حتى لا يسبق إلى أذهانهم معنى محظور من التشبيه؛ كما قاله يحيى بن مزيّن<sup>(١)</sup>، وابن عبد البرّ القرطبيان<sup>(٢)</sup>.

فإذا كان هذا عند مالك في اللفظ الوارد في الحديث، فكيف بألفاظ لم تردّ تقع في ذهن السامع موقعا لا يليق بالله، وكان مالك يشدد في إشارة الإنسان بيده عند ذكره لصفات الله بما يؤهم تشبيها؛ قال مالك: «من وصف شيئا من ذات الله؛ مثل قوله تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَطْلُوءَةٌ﴾ [المائدة: ٦٤]، وأشار بيده إلى عنقه، ومثل قوله: ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]، فأشار إلى عينه وأذنيه، أو شيء من بدنه -: قطع ذلك منه؛ لأنه شبه الله بنفسه».

وهذا من مالك فيمن قصّد التشبيه، أو فهم منه ذلك، وأمّا عند الأمن من ذلك عند من صحّ معتقده، وسلم لسانه، لإثبات حقيقة الصفة لا تكيفها -: فذلك وردّ فيه الحديث؛ كما في حديث أبي هريرة؛ أنه قال: «رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقْرَأُ: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ﴾ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا» [النساء: ٥٨]، ووضع إبهامه على أذنه، وسبّابته على عينه؛ رواه أبو داود<sup>(٣)</sup>.

وربّما أجاز بعض السلف التعبير بلفظ آخر طابق المعنى في موضع، فيظنّه بعض الناس جائزا في غيره، فيقع التشبيه والتعطيل؛ ولهذا

(١) «التمهيد» (٧/ ١٥١).

(٢) انظر: «التمهيد» (٧/ ١٥٠).

(٣) سبق تخريجه.



يقول ابن عبد البر: «نقول: استوى من لا مكان إلى مكان، ولا نقول: انتقل؛ وإن كان المعنى في ذلك واحداً؛ ألا ترى أننا نقول: له عرش، ولا نقول: له سرير؛ ومعناها واحد؟! ونقول: هو الحكيم، ولا نقول: هو العاقل، ونقول: خليل إبراهيم، ولا نقول: صديق إبراهيم؛ وإن كان المعنى في ذلك كله واحداً؟ لا نسّميه، ولا نصّفه، ولا نطلق عليه، إلا ما سمّى به نفسه»<sup>(١)</sup>.

وقد كان بعض السلف يعبر عن الاستواء بغيره؛ كما صحّ عن خارجة بن مصعب<sup>(٢)</sup>، والحسن البصري، وعكرمة: أنهم عبروا عن الاستواء بالجلوس<sup>(٣)</sup>، وجاء عن الشعبي، عن ابن مسعود أيضاً؛ وفيه انقطاع<sup>(٤)</sup>، وتبعهم وكيع، وأحمد؛ كما نقله ابنه عبد الله في «السنة»<sup>(٥)</sup>، والدارمي في «ردّه على بشر»<sup>(٦)</sup>، والدارقطني في بعض كتبه<sup>(٧)</sup>، وهذا الذي أراده النسائي في «سننه» في باب «ثم استوى إلى السماء»<sup>(٨)</sup> [فصلت: ١١]؛ حيث أورد حديث ابن عمر في استواء المسافرين، وقد عبر عن الاستواء عبد الوهاب الوراق بالقعود<sup>(٩)</sup>، وجاء عن مجاهد تفسير قوله: ﴿عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَخْمُودًا﴾ [الإسراء: ٧٩]: «يقعده معه على العرش»<sup>(١٠)</sup>.

(١) «التمهيد» (١٣٦/٧ - ١٣٧).

(٢) «السنة» لعبد الله (١٠)، وعنه الخلال (١٦٩١).

(٣) الرواية للحكم بن عباد؛ انظر: فتح المجيد (١٦٧٥/٤).

(٤) انظر: كتاب «إثبات الحد» لأبي محمد بن بلران الدشتي (ص ١٧٠).

(٥) (٣٠٢/١). وانظر: «الرد على الجهمية» (ص ٣٠٠).

(٦) (٢١٥/١).

(٧) «الصفات» (ص ١٠)، وانظر: «إبطال التأويلات» (ص ٤٩٢).

(٨) «السنن الكبرى» (٢٤٥/١٠)، حديث رقم (١١٤٠٢).

(٩) «بيان تليس الجهمية» (١٤/٣).

(١٠) ابن أبي شيبة (٣٢٣٠٩)، والآجري في «الشرعة» (١١٠١ - ١١٠٥).

وبهذا عبّر ابنُ العربيّ في سورة الأحزاب من «أحكام القرآن»، وهو على طريقة المتكلِّمين.

والثابتُ في الحديثِ المرفوع: أنَّ المقامَ المحمودَ هو الشفاعةُ العُظمى<sup>(١)</sup>.

وكثيرٌ مِنَ الأئمّة: يذكرونَ الاستواءَ، ويذكرونَ معناه في اللغة؛ كالجلوسِ، والاستقرارِ، والتمكُّنِ في الشيء؛ كما فعلَ ابنُ عبدِ البر<sup>(٢)</sup>، وغيره<sup>(٣)</sup>، ويريدونَ مِن ذلك: بيانَ الحقائق، والإبعادَ عن المجازِ؛ وليس التمثيلُ؛ تعالى اللهُ!

وربّما نفَى بعضُ الأئمّة مثلَ هذه الألفاظِ؛ كالجلوسِ؛ لِمَا يرى لها مِن لوازمٍ تليقُ بالمخلوقِ؛ كابنِ رشدٍ في «البيان والتحصيل»<sup>(٤)</sup>؛ فقد جعلَ الجلوسَ عليه، والتحيزَ فيه، والمماسّةَ، مستحيلاً في صفاتِ اللهِ تعالى؛ لأنّه مِن التكييفِ الذي هو مِن صفاتِ المخلوقِ، مع أنَّ ابنَ رشدٍ لم يَمْنَعْ أن يكونَ الاستواءُ مِن صفاتِ اللهِ الفعلية.

وهذه اللوازمُ والأعراضُ التي ذكرَها لم تَرُدْ في الشريعة، وإنما لَمَّا لَزِمَتْ للجواهرِ، نفاها عن الخالقِ، ولو تُرِكَتْ تلكَ اللوازمُ، وسُكِتَ عنها لسكوتِ الشارعِ، وأُثِبَتِ ما جاء في الوحي وفسرهُ السلفُ -: لكان أسلمَ وأعلمَ وأحكمَ.

وتعبيرُ بعضِ السلفِ بالجلوسِ والقعودِ<sup>(٥)</sup>: مِن بابِ إثباتِ

(١) البخاري (٧٤٣٩)، ومسلم (١٨٣) من حديث أبي سعيد.

(٢) «التمهيد» (١٣١/٧).

(٣) «تأويل مختلف الحديث» (ص ٢٧١).

(٤) «البيان والتحصيل» (٣٦٨/١٦ - ٣٦٩).

(٥) انظر: «إثبات الحَدِّ لِهَلَاكَ»، وبأنه قاعدٌ وجالسٌ على عرشِهِ للذَّشْتِي.

الحقيقة، ونفي التأويل عن الظاهر، لا لتقرير لفظ مغاير، وتجويز مثله في كل موضع؛ فهؤلاء حينما يعبرون عن الاستواء بغيره، لا يجعلون تعبيرهم تشبيهاً؛ فهم يثبتون اللفظ الآخر بلا تشبيه ولا تمثيل؛ فيذكرونه دفعاً للتعطيل والتأويل، وإثباتاً للحقيقة التي تليق بالخالق، ونفيًا لما يليق بالمخلوق؛ فكما أنهم ينفون التشبيه عند التعبير بالاستواء، فكذلك ينفون عند التعبير بالجلوس والعود.

ولما كان بعض المفوضة الذين يتوقفون في إثبات حقيقة الاستواء التي تليق بالله، وبعض المتأولة الذين يحملونه على معنى غير الحقيقة، يستكثرون على بعض السلف إطلاق مثل هذه التعابير؛ لأنهم يفوضون أو يتأولون اللفظ الوارد، فيستثقلون اللفظ غير الوارد -: فهم فوضوا وتأولوا؛ فراراً من التشبيه المتوهم؛ فتأويلهم للتعبير بغير الوارد ثقل على ما يعتقدون؛ لأنه يرسخ إثبات الحقيقة، وهم يفرّون منها؛ ولأفان السلف الذين يعبرون بما لم يرد، لا يريدون التشبيه به؛ فهم إذا لم يشبهوا باللفظ الوارد في النص، فغير الوارد من باب أولى.

وقد جاء في حديث عمر بن الخطاب: «إذا جلس الرب ﷻ على الكرسي»<sup>(١)</sup>؛ رواه عنه عبد الله بن خليفة؛ أخرجه الدارمي، وعبد الله بن أحمد في «السنة».

وربما عبر بعض السلف عن الاستواء ببعض لوازمه؛ كالعلو، والارتفاع؛ لأنه لا يستوي إلا مرتفع وعال على غيره، ويظهر هذا في قوله تعالى: ﴿عَلَى الْعَرْشِ﴾ [طه: ٥]؛ ف«على» تدل على العلو والفوقية. ولا يلزم من إثبات حقيقة الاستواء: القول بالتشبيه؛ وهذا اللازم

(١) «نقض الدارمي» (١/ ٤٢٥ - ٤٢٦)، و«السنة» (٥٨٥ و ٥٨٧ و ١٠١٩).

المتوهّم هو الذي دَفَعَ إلى تعطيل الصفات وتأويلها، والجهل بكيفية الشيء لا يُجيز تأويله أو نفيه؛ كما قال ابن عبد البر: «لقد أدركنا بحواسنا: أنَّ لنا أرواحاً بأبداننا، ولا نعلم كيفية ذلك، وليس جهلنا بكيفية الأرواح يُوجب أنَّ ليس لنا أرواح، وكذلك ليس جهلنا بكيفية [استوائه] على عرشه، يُوجب أنه ليس على عرشه»<sup>(١)</sup>.

فيجب إثبات الاستواء حقيقة، وتفويض كفيته؛ لأنَّ الله ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى: ١١]، وقد قال رجلٌ لمالك: «يا أبا عبد الله: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه: ٥]؛ كيف استوى؟ قال: الاستواء غيرُ مجهول، والكيف منه غيرُ معقول، والسؤال عنه بدعة، والإيمان به واجب، وأراك صاحب بدعة؛ أخرجوه!»<sup>(٢)</sup>.

فقد نفى مالك معرفة الكيفية وفوضها، ولم يفوض الحقيقة؛ ولذا قال: «الاستواء معلوم، والكيف مجهول»، ولا يكون الكيف إلّا لما له حقيقة، وما لا حقيقة له لا يحتاج إلى تفويض تكييفه؛ لأنه ليس صفة للذات التي ليس كمثليها شيء.

وقد نفى المعتزلة الاستواء، وفسروه بالاستيلاء؛ وهذا ما لا تعرفه العرب ولا هو جائز في كلامها؛ كما قاله الخليل بن أحمد<sup>(٣)</sup>.

وكلُّ ما لا مجال للعقل فيه، فلا يجوز الخوض فيه، ومن ذلك: ذات الله وصفاته، وإنما يُكتفى بالقدر الوارد في السمع، ولا يُزاد عليه؛ فما دلَّ السياق على حقيقته ثبت حقيقته؛ لأنَّ هذا مقتضى اللسان العربي الأول بلا تكلف، وتفويض كفيته.

(١) «التمهيد» (١٣٧/٧).

(٢) «الرد على الجهمية» للدارمي (١٠٤)، و«شرح أصول الاعتقاد» (٦٦٤).

(٣) «العرش وما روي فيه» (ص ١٦٥ - ١٦٦).

وقد كان غير واحدٍ من الأئمة المغاربة على هذا؛ كما قال ابن رشد في «المقدمات»: «وأما ما وصّف به نفسه تعالى في كتابه: أن له وجهًا ويدَيْن وعَيْنَيْن، فلا مجال للعقل في ذلك، وإنما يفهم ذلك من جهة السمع؛ فيجب اعتقاد ذلك والإيمان به من غير تكييف ولا تحديد»<sup>(١)</sup>.

وقد كان بعض أهل المغرب يتأولون ما ثبت من الصفات بالسمع، ويصفون المثبتة بـ «المجسمة»، و«المشبهة»، و«الحشوية»؛ توهمًا أن من ثبتت الحقيقة يأخذ بلوازمها التي يستحضرها الذهن عند التفكير.

وهذه لوازم لا يجوز الإلزام بها؛ لأن من كانت ذاته لا شبيه لها، فصفاته لا شبيه لها كذلك، ومن كانت لوازم ذاته لا شبيه لها، فلوازم صفاته لا شبيه لها كذلك.

وقد تعقّب الإلبيري ابن رشد في إثباته ما ثبت بالسمع من الصفات<sup>(٢)</sup>، وقد أخطأ لأجل تلك المقدمات والإلزامات والتوهمات.

وأصل تأويل الاستواء: توهم التشبيه بالمخلوق: إما بذات الصفة، وإما بلوازمها من الحد وغيره؛ وهذا يرد على المخلوق، ولا يرد على الخالق؛ لأنه: «لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ» [الشورى: ١١]؛ كما سمعت امرأة جهم بن صفوان رجلاً يقول: الله على عرشه، فقالت: محدود على محدود؛ فقال الأصمعي: «هي كافرة بهذه المقالة»<sup>(٣)</sup>؛ فقد توهمت تشبيهها؛ فصارت إلى التعطيل، ولو سلمت من التشبيه، لم تعطل.

(١) «المقدمات» (٢٠/١).

(٢) له رسالة في الرد على أبي الوليد بن رشد في مسألة الاستواء.

(٣) «الأربعين في صفات رب العالمين» (١٢)، و«العلو» (٤٣٦)، و«اجتماع الجيوش» (٢٢٥/٢).

## الأسماء والصفات:

قَالَ ابْنُ أَبِي زَيْدٍ: ﴿وَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى، وَالصِّفَاتُ الْعُلَا، لَمْ يَزَلْ بِجَمِيعِ صِفَاتِهِ وَأَسْمَائِهِ؛ تَعَالَى أَنْ تَكُونَ صِفَاتُهُ مَخْلُوقَةً، وَأَسْمَاؤُهُ مُخَدَّنَةً﴾.

قول ابن أبي زيد هنا في مقدمة «الرسالة»، وفي «الجامع»<sup>(١)</sup>: «لَمْ يَزَلْ بِجَمِيعِ صِفَاتِهِ وَأَسْمَائِهِ؛ أَي: أَنَّهُ سَبَحَانَهُ عَلَى كَمَالِهِ، لَا يَغْيِرُهُ الزَّمَانُ، لَا يَحْتَاجُ إِلَى عِلْمٍ يَكْتَسِبُهُ، وَلَا يَنْقُصُهُ شَيْءٌ فَيْتَمَّهُ، وَلَا فِيهِ شَيْءٌ زَائِدٌ فَيَنْقُصُهُ.

وقد أَخَذَ بَعْضُ الْمُتَكَلِّمِينَ مِنْ قَوْلِ ابْنِ أَبِي زَيْدٍ: «لَمْ يَزَلْ بِجَمِيعِ صِفَاتِهِ»: نَفْيَ الصِّفَاتِ الْفِعْلِيَّةِ كَالِاسْتَوَاءِ؛ لِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُنْ مُسْتَوِيًّا قَبْلَ خَلْقِ الْعَرْشِ؛ وَهَذَا بَاطِلٌ؛ فَمِنْ صِفَاتِ اللَّهِ: أَنَّهُ ﴿فَعَالَ لِمَا يُرِيدُ﴾ [هود: ١٠٧، والبروج: ١٦]، وَأَنَّهُ ﴿يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ﴾ [آل عمران: ٤٠، والحج: ١٨]؛ فَلَمْ يَزَلْ عَلَى ذَلِكَ، فَلَا يَجُوزُ نَفْيُ صِفَةِ الْخَلْقِ؛ لِأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ خَالِقًا قَبْلَهُمْ؛ عَلَى قَوْلِهِمْ بِعَدَمِ تَسْلُسُلِ الْحَوَادِثِ:

فَإِنْ كَانَ مِنْ صِفَاتِهِ: أَنَّهُ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ، فَهَذَا دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ أَفْعَالَهُ تَكُونُ مِنْهُ فِي زَمَانٍ دُونَ زَمَانٍ؛ كَالِاسْتَوَاءِ، وَالنُّزُولِ، كَمَا تَكُونُ مِنْهُ فِي مَكَانٍ دُونَ مَكَانٍ؛ كَتَجَلِّيهِ سَبْحَانَهُ لِلْجَبَلِ، وَهَمَّ يَعْتَرِضُونَ عَلَى الصِّفَاتِ الْفِعْلِيَّةِ تَنْزِيهَاً لِلَّهِ عَنِ الْحَوَادِثِ، وَأَنَّ الْحَوَادِثَ لَمْ تَكُنْ مُوجُودَةً، فَحَدَّثْتُ، فَهِيَ مَخْلُوقَةٌ، وَيُنَزَّهَ اللَّهُ عَنْ أَنْ يَكُونَ شَيْءٌ مِنْهُ مَخْلُوقًا.

(١) «الجامع» (ص ١٠٧).

وهذا كله تأصيل لقاعدة الجوهر والعرض والحوادث، وانضباطها على الإنسان لا يُجيزُ تنزيلها على الله؛ فالله تعالى ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى: ١١]؛ فمن ليس كمثله شيء في ذاته، ليس كمثله شيء في صفاته.

والسلف يُثبتون لله الأسماء والصفات؛ كما أثبتها الله لنفسه، وأثبتها له نبيه ﷺ؛ من غير تشبيه ولا تمثيل، ولا تعطيل ولا تكييف ولا تأويل، والذي عليه السلف: إثبات ما أثبتته الله لنفسه، وما أثبتته له نبيه ﷺ، والإيمان بذلك، وأنه على الحقيقة؛ فلا يؤول، ولا يلزم من إثبات الحقيقة: التشبيه؛ كما أنه لا يلزم من إثبات ذات الله على الحقيقة: إثبات الشبيه لها، ومن جعل ذلك لازماً، فیلزمه إنكار حقيقة الذات؛ كما يُنكر حقيقة الصفات؛ فالعلة التي تستوجب نفى الحقيقتين واحدة.

❦ ما ورد من الأسماء والصفات عن الصحابة والتابعين:

الأصل: ألا تُثبت الأسماء والصفات لله إلا بما ثبت في الوحيين؛ لأن مسائل الغيب مردها إلى علم الله، لا مجال فيها للاجتهاد والنظر؛ فالله ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]؛ حتى يُقاس على غيره، أو يُقاس غيره عليه.

وأما ما يُثبتهُ الصحابة من الصفات والأسماء لله؛ فهم لا يقولون على الله بلا علم، وليست العقائد من موارد النزاع عندهم؛ ولهذا لا يُحفظ عنهم خلاف في الأسماء والصفات وتوحيد الله؛ فقول الواحد في ذلك هو قول البقية، ولما أذن الشرع لهم بالحديث عن بني إسرائيل، مما لا يُخالِفُ الشريعة، في قوله ﷺ: (حَدِّثُوا عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ،

وَلَا حَرَجَ<sup>(١)</sup>، كَانَ الصَّحَابَةُ فِي الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ عَلَى قِسْمَيْنِ:

القِسْمُ الْأَوَّلُ: الَّذِينَ لَا يُعْرَفُونَ بِالنَّقْلِ عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ؛ وَهُمْ الْأَصْلُ وَالْأَغْلَبُ؛ فَهَؤُلَاءِ يُجْزَمُ أَنَّهُمْ لَا يَتَخَرَّصُونَ عَلَى اللَّهِ بِالْعَقْلِ، وَأَنَّ نَقْلَهُمْ إِنَّمَا هُوَ عَنْ وَحْيٍ.

وإثبات ذلك صحيح؛ كما جاء عن ابن عباس، وابن مسعود، وأبي موسى: إثبات القدمين لله<sup>(٢)</sup>؛ فهذا يقوّيه إثبات صفة القدم لله تعالى في «الصحيحين»؛ من حديث أنس وأبي هريرة مرفوعاً<sup>(٣)</sup>، وفي «المسند»، وعند ابن خزيمة في «التوحيد»؛ من حديث ابن عباس<sup>(٤)</sup>، وله ما يعضّده من مرفوع عن ابن عباس في «المسند»، وغيره<sup>(٥)</sup>.

ونقل الأجرى في «الشرعية»<sup>(٦)</sup>: «أَنَّ عَمَلَ مَذْهَبِ أَهْلِ الْحَقِّ وَالْعُلَمَاءِ: أَنَّهُمْ يَصِفُونَ اللَّهَ ﷻ بِمَا وَصَفَ بِهِ نَفْسُهُ ﷻ، وَبِمَا وَصَفَهُ بِهِ رَسُولُهُ ﷺ، وَبِمَا وَصَفَهُ بِهِ الصَّحَابَةُ ﷺ».

ولأنَّ مجردَ كلام الصحابي في الأسماء والصفات وفيما لا يجوز له أن يتكلّم به إلا بالوحي، فذلك كأنما أسنده ورفعته إلى النبي ﷺ؛ وبوكد ذلك: أَنَّ الصَّحَابَةَ لَمْ يَقَعْ بَيْنَهُمْ اخْتِلَافٌ وَنِزَاعٌ فِي هَذَا الْبَابِ؛ كَمَا وَقَعَ بَيْنَهُمْ فِي الْفُرُوعِ؛ لِأَنَّ الْفُرُوعَ مَحَلُّ رَأْيٍ وَاجْتِهَادٍ.

(١) أبو داود (٣٦٦٢) من حديث أبي هريرة. والنسائي في «الكبرى» (٥٨١٧) من حديث أبي سعيد.

(٢) سبق عند الكلام على الكرسي.

(٣) البخاري (٤٨٤٨)، ومسلم (٢٨٤٨) من حديث أنس. والبخاري (٤٨٤٩)، ومسلم (٢٨٤٦) من حديث أبي هريرة.

(٤) «التوحيد» (٢٤٨/١ و ٢٤٩) من حديث ابن عباس؛ موقوفاً.

(٥) أحمد (٢٥٦/١) رقم ٢٣١٤، والدارمي (٢٧٤٥).

(٦) «الشرعية» (١٠٥١/٢).



وكان أحمد وغيره<sup>(١)</sup> يجعلون من أصول السنة: التمسك بما عليه الصحابة.

القسم الثاني: من عرف بالأخذ والرواية عن بني إسرائيل؛ فذلك مما يتوقف فيه، ولا يترتب على من حكى المروي كما حكاه الصحابي؛ ما لم يكن في ذلك شبهة على سامع.

وأما التابعون: فما جاء عنهم من مرويات في الصفات؛ كصفة الرُّكبة - رواها مجاهد عن عبيد بن عمير<sup>(٢)</sup> - فإذا لم يكن في الباب ما يعضدها من مرفوع أو مقطوع، فالأصل عدم الاحتجاج بذلك؛ لأنّ التابعين - خاصة الحجازيين - وإن لم يختلفوا في هذا الباب، ولا يقولون برأيهم فيه، إلا أن قولهم في ذلك من جنس المرسلات إلى النبي ﷺ؛ فالأصل التوقف، حتى يصحّ مرويتهم إلى صحابي.

والأئمة - كمالك وأحمد وغيرهما - لا يجعلون قول التابعي حجة مقطوعة في الفروع والأصول، ولكنه يستأنس به ويحتج به؛ لعضد أصل قد ثبت بدليل آخر.

### أسماء الله:

الله الأسماء الحسنى؛ كما قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٨٠]، وليس له من يشابهه في أسمائه: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾ [مریم: ٦٥]، وكل اسم له معنى؛ فيثبت الاسم والمعنى جميعاً؛ وذلك أنه من إحصائها معرفة معانيها، والعمل بمقتضاها؛ كما قال ﷺ:

(١) «شرح أصول الاعتقاد» (٣١٧).

(٢) «السنة» لعبد الله (١٠٨٥ - ١٠٨٧ و ١١٦٢ و ١١٦٣ و ١١٦٥ و ١١٦٦ و ١١٨٠ و ١١٨٣).

(إِنَّ لِلَّهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا؛ مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ) <sup>(١)</sup>.

ولا يُقال بنفي الأسماء؛ كما تقولُ الجهميَّةُ، ولا بإثباتها مجردة عن معانيها؛ كما تقولُ المعتزلة، بل بإثباتها مع معانيها.

وأسماءُ الله: عَلَمٌ للمسمَّى، ودالَّةٌ عليه، وإنَّ أريدَ بها ذاته، فالاسمُ هو المسمَّى، ولا يجوزُ القولُ بأنَّ الاسمَ غيرُ المسمَّى، ما لم يُردَّ بذلك اللفظُ العربيُّ لا كلامُ الله، أو كان في سياقِ الإعرابِ؛ فهنا يُرادُ الاسمُ، لا المسمَّى ذاته.

وقد أظهرَ المتكلمونَ إطلاقَ أنَّ أسماءَ الله مخلوقة؛ ليُخرِجوها عن ذاته سبحانه؛ فلا يلتزموا بما تتضمنه الأسماءُ من الصفات؛ وهذا قولُ الجهميَّةِ والمعتزلة <sup>(٢)</sup>.

وقد كان أهلُ العربيَّةِ مِنَ الصَّدرِ الأوَّلِ يُنكرونَ ذلك؛ كما قال الأصمعيُّ: «إِذَا سَمِعْتَ الرَّجُلَ يَقُولُ: الْاسْمُ غَيْرُ الْمَسْمِيِّ، فَاحْكُمْ عَلَيْهِ بِالزُّنْدَقَةِ» <sup>(٣)</sup>.

## ❦ حقيقة الصفات:

وللصفات حقيقة ظاهرة؛ وهي على نوعين:

النوعُ الأوَّلُ: حقيقة ظاهرة تليقُ بالخالق، وهي تظهرُ عند إضافة الصفةِ إلى الله تعالى، وهذه يجبُ إثباتها لله سبحانه.

(١) البخاري (٢٧٣٦)، ومسلم (٢٦٧٧) من حديث أبي هريرة.

(٢) «مجموع الفتاوى» (١٨٥/٦ - ١٨٦).

(٣) «شرح أصول الاعتقاد» (٣٤٦ و ٣٤٧).

النوع الثاني: حقيقة ظاهرة تليق بالمخلوق، وهي تظهر عند إضافة الصفة إلى المخلوق؛ وهذه تثبت لصفة المخلوق، ويجب نفيها عن صفة الخالق؛ لقوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]؛ وهذه الحقيقة اللائقة بالمخلوق لا تظهر من إضافة الصفة إلى الله تعالى، إلا عند المعطلة والمشبّهة؛ وهو ما أدّى بهما إلى نفي الصفة بحقيقتها اللائقة بالله تعالى وتعطيلها.

وقد كان السلف ينفون أن يكون إثبات الحقيقة يلزم منه التشبيه؛ ولذا يقول إسحاق بن راهويه: «إنما يكون التشبيه إذا قال: يدٌ كيدٍ أو مثلٌ يد، أو سمعٌ كسمع أو مثلٌ سمع، فإذا قال: سمعٌ كسمع أو مثلٌ سمع فهذا التشبيه، وأما إذا قال - كما قال الله تعالى -: يدٌ وسمعٌ وبصرٌ، ولا يقول: كيف، ولا يقول: مثلٌ سمع، ولا: كسمع، فهذا لا يكون تشبيهاً»<sup>(١)</sup>.

وقد أراد إسحاق أن يدفع التوهم الذي يقع في بعض النفوس؛ أن إثبات الحقائق يلزم منه القول بتشبيهها.

فقد كان المعطلة ينفون حقائق الصفات خوفاً مما يليق بالمخلوق؛ فحملهم ذلك على تأويل الصفات، ثم هم تأولوا الصفات على معانٍ لا تخرج عما فروا منه من حقائق الصفات؛ فالذي انتهوا إليه من تأويلها تضمن محظورين:

الأول: أن قولهم هذا هو تعطيلٌ في صورة تأويل؛ فصرفوا الصفة عن الحقيقة المرادة إلى غيرها؛ فتعطلت عن المقصود.

(١) الترمذي بعد حديث (٦٦٢).

الثاني: أن المعنى الذي أثبتوه بعد تأويلهم، هو نفس المعنى الذي يكون من المخلوق عند صرف حقيقة صفته عن ظاهرها:

فمثلاً: الاستواء والنزول: فمن يثبتهما على الحقيقة التي تليق بالخالق، وينزههما عن الحقيقة التي تليق بالمخلوق، لم يشبه خالقاً بمخلوق، ولم يتأول، ومن نفى الحقيقة التي تليق بالخالق، فتأول الاستواء بالعلو، والنزول بالرحمة، استعمل لغة العرب في هذا الموضع على المعنى الذي يصح من المخلوق والخالق جميعاً كذلك، وإن اختلف علو الخالق ونزوله عن علو المخلوق ونزوله، فليست رحمة الله كرحمة المخلوق، ولا علوه كعلوه؛ فلماذا لا يثبتون الصفات على الحقيقة، وينفون ما يليق بالمخلوق؛ كما يثبتون المعاني بالتأويل، وينفون ما يليق بالمخلوق؟!

### ❦ الإقرار بإثبات الصفة يُبطل التفويض:

والله ﷻ لا يُنزِل شيئاً في كتابه، ويريد أن يتلو الناس الحروف، ولا يفهمون شيئاً من المعاني بإطلاق، والذين يقولون بتفويض الصفات، وأنه لا يُعلم معناها، يتناقضون؛ وذلك أنهم يسمونها صفة، ثم يفوضون معناها كله، وينفون حقيقتها؛ فكيف عرفوا أنها صفة إذن؟! فالحكم على المعنى بكونه صفة إثبات للعلم بقدر من معناه؛ فإن مجرد إضافة الشيء للرب ليس دليلاً وحده لكون المضاف صفة للمضاف إليه؛ فالإضافة لله قد تكون إضافة تشريف، وقد تكون إضافة صفة، وتحديد إحدى الإضافتين إقراراً بالمعنى حقيقة.

وقد صنّف جماعة من المغاربة كتباً في إثبات حقيقة الصفات، والرد على المتكلمين والمعتلة؛ كسعيد بن الحداد في كتاب «الاستواء»،

وقد قال: «قَصَدْنَا مِنْ هَذَا الْكِتَابِ إِلَى الرَّدِّ عَلَى النَّافِيَةِ لِلَّهِ بِنَفْسِهِمْ لَصِفَاتِهِ»<sup>(١)</sup>.

وعلى هذا المحققون منهم؛ كما نقلَ ذلك ابنُ رشدٍ في «البيان والتحصيل»؛ قال: «بأنَّ اللَّهَ يَدَيِّنُ وَوَجْهًا وَعَيْنَيْنِ»<sup>(٢)</sup>، ثم عزا لبعض الشيوخ تأويلَ ذلك، وأنَّ المرادَ بالوجه: الذات، وبالعَيْنَيْنِ: إدراكُ المرئيات، والمرادُ باليدَيْنِ: النعمتان، ثم قال: «والصوابُ: قولُ المحققين الذين أثبتوها؛ وهو الذي قاله مالك»<sup>(٣)</sup>.

وهذا ما قرَّره أبو القاسم السَّهْلِيُّ المغربي المالكي في كتابه «نتائج الفكر»، عند كلامه على صفة اليد، وأنها لا تؤوَّلُ بالنَّعْمَةِ ولا بالقُدْرَةِ، بل على الحقيقة، وقال: «كان معناها مفهوماً عند القوم الذين نزل القرآن بلغتهم؛ ولذلك لم يَسْتَفْتِ أَحَدٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عن معناها، ولا خاف على نفسه توهم التشبيه، ولا احتاج مع فهمه إلى شرح وتنبية»<sup>(٤)</sup>.

وذلك أنَّ إثبات حقيقة الصفة لله، لا يعني القول بمشابهتها لحقيقة صفة المخلوق؛ فلكل حقيقة تليقُ به، والله «لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ» [الشورى: ١١].

وقد كان متقدِّمو الأشاعرة؛ كالباقِلَانِي، يُشَبِّهُونَ اللَّهَ تَعَالَى الْوَجْهَ وَالْيَدَ عَلَى الْحَقِيقَةِ، بل عَدَّ الْبَاقِلَانِي فِي «التمهيد»<sup>(٥)</sup> نفي ذلك من مَحَازِي الْمَعْتَزِلَةِ، وضلالهم وقبيح مذهبهم، وعَدَّ الْفَخْرُ الرَّازِي إثبات

(١) نَشَرْتُ قِطْعَةً مِنْ هَذَا الْكِتَابِ عَبْدَ الْمَجِيدِ حَمْدَةً، ضَمَّنَ كِتَابَ الْمَدَارِسِ الْكَلَامِيَةِ بِإِثْرِي (ص ٣٠٩).

(٢) «البيان والتحصيل» (١٦/٤٠١).

(٣) الموضوع السابق.

(٥) «التمهيد» (ص ٢٨٦ - ٢٨٧).

(٤) «نتائج الفكر» (ص ٢٢٩).

الأشعري لليد، وأنها غير القُدرة، وللوجه، وأنه غير الوجود: أن ذلك إثبات، لا توقّف فيه؛ كما في كتابه «المحصّل»<sup>(١)</sup>؛ حيث خالف فيه رأي الأشعري، وتوقّف وفوّض.

ومن شُبّهات المعطّلة: قولهم بحدوث الأسماء والصفات؛ وبهذا استدلّ بعض متكلّمي المغرب؛ وهو سُلَيْمانُ الفَرَّاء؛ «فقد سأل ابنُ سُحُنُونٍ يستدرّجُه: يا أبا عبد الله، الله سَمِيَ نَفْسَه؟ فقال ابنُ سُحُنُونٍ: الله سَمِيَ نَفْسَه، ولم يَزَلْ له الأسماءُ الحُسنى»<sup>(٢)</sup>.

### ❦ كلامُ الله:

❦ قَالَ ابْنُ أَبِي زَيْدٍ: «كَلَّمَ مُوسَى بِكَلَامِهِ الَّذِي هُوَ صِفَةُ ذَاتِهِ، لَا خَلْقٌ مِنْ خَلْقِهِ»:

والله متكلّم متى شاء بما شاء، والقرآن كلامه، وكلامه بائنٌ من خلقه، وخلقُه خلقٌ، ولا يكونُ كلامُه مخلوقًا؛ لكونه مسموعًا ومقروءًا، ومحفوظًا ومكتوبًا ومتدبّرًا، بل المخلوقُ الأداة، وهي: أذنُ الإنسانِ ولسانُه وشفته، وريقُه ولَهَوَاتُه، وقلبه وعقلُه، والورقُ والجبر؛ قال تعالى: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾ [النساء: ١٦٤]، وقال تعالى: ﴿وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ﴾ [الأعراف: ١٤٣]، وقد أُكِّدَ الكلامُ بالمصدر: «تَكْلِيمًا»؛ لِيَعْلَمَ أَنَّهُ كلامٌ على الحقيقة.

والعربُ تسمي ما يصلُ من القولِ إلى الإنسانِ كلامًا، بأيّ طريقٍ وصلَ إليه؛ كتابةً أو غيرها، ولكن لا تحقّقه بالمصدر، فإذا أُكِّدَ الفعلُ بالمصدر،

(١) (ص ٤٣٧).

(٢) «طبقات علماء إفريقية» للخشنى (ص ١٩٨).

لَمْ يُحْمَلْ إِلَّا عَلَى الْحَقِيقَةِ مِنْ غَيْرِ وَاسْطَةٍ، وَقَدْ قَالَ ثَعْلَبٌ فِي قَوْلِهِ:  
﴿تَكَلِّمًا﴾ [النساء: ١٦٤]: «خَرَجَ الشُّكُّ الَّذِي كَانَ يَدْخُلُ فِي الْكَلَامِ»<sup>(١)</sup>.

وهذا إجماعُ النحويين؛ كما حكاه عنهم أبو جعفر النَّحَّاسُ<sup>(٢)</sup>.

والقولُ بخلقِ القرآنِ بدعةٌ، لم يُقَلَّ بها معروفٌ بصلاح، فضلًا عن  
معروفٍ بعلمٍ في الصدرِ الأوَّل.

### ﴿شِدَّةُ مَالِكٍ وَأَصْحَابِهِ عَلَى الْقَوْلِ بِخَلْقِ الْقُرْآنِ﴾

قال مالكٌ: «القرآنُ كلامُ الله، وكلامُ الله منه، وليس من الله شيءٌ  
مخلوقٌ»<sup>(٣)</sup>.

وقال أيضًا: «القرآنُ كلامُ الله، وكلامُهُ لَا يَبِيدُ وَلَا يَنْفَدُ، وليس  
بمخلوقٍ»<sup>(٤)</sup>.

وكان يصفُ مَنْ قال بخلقِ كلامِ الله بالزُّندقةِ، ويأمرُ بقتله، ولم  
يكنْ أحدٌ من أصحابِ مالكٍ في المغربِ والمشرقِ ولا من أصحابِهِمْ:  
مَنْ يُخَالِفُ فِي أَنَّ الْقُرْآنَ كَلَامُ اللَّهِ، لَيْسَ بِمَخْلُوقٍ، وَهُوَ إِجْمَاعُ الْقُرُونِ  
الْمُفَضَّلَةِ وَمَنْ تَبِعَهُمْ.

وقد بلغتْ فتنةُ القولِ بخلقِ القرآنِ أصحابَ مالكٍ في المدينةِ  
وإفريقيةَ، وثبتُوا على الحقِّ الذي كان عليه أهلُ العلمِ بالمدينةِ وغيرها؛  
يقولُ موسى بنُ الحسنِ: «سمعتُ أبا بكرٍ بنَ أبي أُوَيْسٍ، ومطرُفَ بنَ  
عبدِ الله، وقد دُعِيََا إِلَى الْمُحَنَةِ فِي الْقُرْآنِ بِالْمَدِينَةِ، فَلَمَّا قُرِئَ عَلَيْهِمَا

(١) «تهذيب اللغة» (٢٦٥/١٠). (٢) «إعراب القرآن» (٥٠٧/١).

(٣) «السُّنَّةُ لِعَبْدِ اللَّهِ (١٤٥)، وَالسُّنَّةُ لِلْخَلَالِ (١٩٩٩ وَ ٢٠٢١)، وَالشَّرِيعَةُ» (١٦٥).

(٤) «الجامع» لابن أبي زيد (ص ١٢٣).

الكتاب، قال أبو بكر: أَكْفُرُ بِاللَّهِ بَعْدَ نَيْفٍ وَتِسْعِينَ سَنَةً، وَمَجَالَسَةُ مَالِكٍ، وَرِجَالٍ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ بِالْمَدِينَةِ مُتَوَافِرُونَ؟! فَقِيلَ لَهُ: لِيَكُنْ بَيْنَكَ وَسُجُنُكَ<sup>(١)</sup>.

وقد قال أبو مُحَمَّدٍ يَحْيَى بْنُ خَلْفٍ الْمُقْرِي: «كَنتُ عِنْدَ مَالِكِ بْنِ أَنَسٍ سَنَةً ثَمَانٍ وَسِتِّينَ، فَأَتَاهُ رَجُلٌ، فَقَالَ: يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ، مَا تَقُولُ فِيمَنْ يَقُولُ: الْقُرْآنُ مَخْلُوقٌ؟ قَالَ: كَافِرٌ زَنْدِيقٌ؛ اقْتُلُوهُ، قَالَ: إِنَّمَا أَحْكِي كَلَامًا سَمِعْتُهُ، قَالَ: لَمْ أَسْمَعْهُ مِنْ أَحَدٍ؛ إِنَّمَا سَمِعْتُهُ مِنْكَ.

قال أبو مُحَمَّدٍ: فَعَلَّظَ ذَلِكَ عَلَيَّ، فَقَدِمْتُ مِصْرَ، فَلَقِيتُ اللَّيْثَ بْنَ سَعْدٍ، فَقُلْتُ: يَا أَبَا الْحَارِثِ، مَا تَقُولُ فِيمَنْ قَالَ: الْقُرْآنُ مَخْلُوقٌ، وَحَكَيْتُ لَهُ الْكَلَامَ الَّذِي كَانَ عِنْدَ مَالِكٍ؟ فَقَالَ: كَافِرٌ، فَلَقِيتُ ابْنَ لَهَيْعَةَ، فَقُلْتُ لَهُ مِثْلَ مَا قُلْتُ لِلَّيْثِ بْنِ سَعْدٍ، وَحَكَيْتُ لَهُ الْكَلَامَ؟ فَقَالَ: كَافِرٌ.

فَأَتَيْتُ مَكَّةَ، فَلَقِيتُ سُفْيَانَ بْنَ عُيَيْنَةَ، فَحَكَيْتُ لَهُ كَلَامَ الرَّجُلِ؟ فَقَالَ: كَافِرٌ، ثُمَّ قَدِمْتُ الْكُوفَةَ، فَلَقِيتُ أَبَا بَكْرٍ بْنَ عَيَّاشٍ، فَقُلْتُ لَهُ: مَا تَقُولُ فِيمَنْ يَقُولُ: الْقُرْآنُ مَخْلُوقٌ، وَحَكَيْتُ لَهُ كَلَامَ الرَّجُلِ؟ فَقَالَ: كَافِرٌ، وَمَنْ لَمْ يَقُلْ: إِنَّهُ كَافِرٌ، فَهُوَ كَافِرٌ، فَلَقِيتُ عَلِيَّ بْنَ عَاصِمٍ، وَهَشِيمًا، فَقُلْتُ لَهُمَا، وَحَكَيْتُ لَهُمَا كَلَامَ الرَّجُلِ؟ فَقَالَا: كَافِرٌ، فَلَقِيتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ إِدْرِيسَ، وَأَبَا أُسَامَةَ، وَعَبْدَةَ بْنَ سُلَيْمَانَ الْكِلَابِيَّ، وَيَحْيَى بْنَ زَكْرِيَّا، وَوَكْبَعًا، فَحَكَيْتُ لَهُمْ؟ فَقَالُوا: كَافِرٌ، فَلَقِيتُ ابْنَ الْمُبَارَكِ، وَأَبَا إِسْحَاقَ الْفَرَّازِيِّ، وَالْوَلِيدَ بْنَ مَسْلَمٍ، فَحَكَيْتُ لَهُمُ الْكَلَامَ؟ فَقَالُوا كُلُّهُمْ: كَافِرٌ<sup>(٢)</sup>.

(١) «المِخْن» (ص ٣٤٩).

(٢) «الإبَانَةُ» (٢٥١/ الرد على الجهمية)، و«شرح أصول الاعتقاد» (٤١١ و ٤١٢).



وقد ذَكَرَ اللهُ القرآنَ في أربعةٍ وخمسينَ موضعًا منه؛ فلم يُشْرَ في شيءٍ منها إلى خَلْقِهِ، وذَكَرَ الإنسانَ في ثمانيةَ عشرَ موضعًا ثُلُثَ ذلك العدد؛ فصرَّحَ في جميعِها بِخَلْقِهِ؛ كما ذَكَرَهُ ابنُ عَظِيَّةَ، وقال: «وهذا يَدُلُّ على أَنَّهُ غيرُ مخلوق»<sup>(١)</sup>.

### ﴿ظهورُ القولِ بِخَلْقِ القرآنِ في المغرب:﴾

ولمَّا ظَهَرَ القولُ بِخَلْقِ القرآنِ في المغربِ مِن بعضِ المتكلمين؛ كسُلَيْمَانَ الْفَرَّاءِ، ومُحَمَّدِ بْنِ الْكَلَّاعِيِّ، رَدَّهُ أئِمَّةُ السُّنَّةِ، وكتبُوا فيه، وقد كَتَبَ ابنُ الْحَدَّادِ وإِبْرَاهِيمُ الصَّبَّيُّ كِتَابًا في رَدِّ بدْعَةِ القولِ بِخَلْقِ القرآنِ.

ولم يكنِ المسلمون في المغربِ يَعْرِفُونَ القولَ بِخَلْقِ القرآنِ في القرونِ الأولى، حتَّى ظَهَرَتْ فَتْنَتُهُ في المَشْرِقِ، وقد هُمُّوا بِقَتْلِ سُلَيْمَانَ الْفَرَّاءِ، حينما قال بِخَلْقِ القرآنِ؛ كما ذَكَرَهُ ابنُ عَذَارِي المراكشي في «البيان»<sup>(٢)</sup>.

وكان أهلُ الإسلامِ في المغربِ يَصِفُونَ القائلَ بِخَلْقِ القرآنِ مِنَ الْمَغَارِبَةِ بأنَّهم: «أهلُ الْعِرَاقِ»؛ لأنَّهم ساروا على نَهْجِهِمْ، وأَخَذُوا بِقَوْلِهِمْ؛ أي: أَنَّ هذا القولَ لَا يُعْرَفُ مِن قَبْلُ في بلادِهِمْ عندَ المسلمين، وإنَّما يقولُ به بعضُ فلاسفةِ أَهْلِ الْكِتَابِ الْمَغَارِبَةِ في التَّوَرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ، الَّذِينَ أَدَخَلُوا الْفَلَسَفَةَ وَعَلَّمَ الْكَلَامَ في دينِهِمْ على الطَّرِيقَةِ الَّتِي سَلَكَتُهَا بعضُ الطَّوائِفِ الْإِسْلَامِيَّةِ، وقد كانَ الْفِيلَسُوفُ مُوسَى بْنُ مَيْمُونِ الْقُرْطُبِيُّ الْيَهُودِيُّ يَقُولُ: «بِاجْتِمَاعِ أُمَّتِنَا أَنَّ التَّوَرَاةَ مَخْلُوقَةٌ»<sup>(٣)</sup>، وَأَصْلُ فَلَسَفَةِ

(٢) «البيان المُغْرِب» (١/١١٩).

(١) «المحرر الوجيز» (٥/٢٢٣).

(٣) «دلالة الحائرين» (١/١٦٢).

أهل الكتاب الذي دعاهم للقول بهذا الكلام هو أصل الفلاسفة المتسبين للإسلام، الذين قالوا: إنَّ القرآن مخلوق!

﴿أصل فتنة خلق القرآن، والكلام النَّفسي:﴾

وكان أصل الفتنة في القول بخلق القرآن في المشرق والمغرب: إنما هو في المسموع والمقروء والمكتوب، والمحفوظ والمتدبر؛ وبهذا يقول الجهميَّة والمعتزلة.

حتى جاء ابن كلاب، وأثبت الكلام النَّفسي، وقال بخلق ما عداه من المسموع والمقروء والمحفوظ، والمكتوب والمتدبر، وظنَّ هو ومن قال بقوله: أنهم يُشَبِّتُونَ الكلام، وأنَّ قولهم خارج عن محلِّ النزاع؛ توهمًا أنَّ النزاع إنما هو في الكلام النَّفسي مع الجهميَّة والمعتزلة فحسب، وإنما النزاع في الكلام كله، وجرى مع ابن كلاب الأشاعرة؛ فأخذوا يُشَبِّتُونَ الكلام لله، ويريدون به: ما قام في النَّفس، لا ما أدركه الإنسان بسمعه وبصره، وقلبه وعقله، وبلغه الإنسان بصوته ولسانه.

وهذا التفريق لا يُعرف قبل ابن كلاب، وكان الأئمة عند ظهور فتنة القول بخلق القرآن لا يفرقون، ويعرفون أنَّ فتنة القول بخلق القرآن، كانت لشبهات من أعظمها: شبهة أنَّ المسموع والمقروء منفصل عن الذات؛ فلا يكون منها؛ ولهذا قال أحمد بن حنبل في «عقيدته» التي رواها عنه قاضي قرطبة أسلم بن عبد العزيز أبو الجعد: «أشهد أن الله تبارك وتعالى يقول، وقوله الحق، خلقه خلق، وقوله بائن من خلقه ﴿لَئِنْ مَثَلٌ عِندَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾» [آل عمران: ٥٩]؛ فقوله: ﴿كُنْ﴾ ليس بمخلوق»<sup>(١)</sup>.

(١) «أخبار الفقهاء والمحدثين» (ص ٤٥ - ٤٦).

فَانْظُرْ كَيْفَ ذَكَرَ أَحْمَدُ بَيْنُونَةَ كَلَامِ اللَّهِ مِنْ خَلْقِهِ، وَيُرِيدُ بِذَلِكَ:  
المسموعَ والمقروءَ وبقِيَّةَ جهاتِهِ؛ لِأَنَّ الْكَلَامَ النَّفْسِيَّ لَا حَاجَةَ لِلْقَوْلِ  
بِبَيْنُونَتِهِ مِنْ خَلْقِهِ.

وهذا الكلامُ عن أحمدَ مما انفردَ به المَغَارِبَةُ عنه؛ ذَكَرَهُ الْحُسَيْنِيُّ  
فِي «أَخْبَارِ الْفُقَهَاءِ وَالْمُحَدِّثِينَ»<sup>(١)</sup>؛ مُسْنَدًا.

وعلى هذا جَرَى تَقْرِيرُ أَثْمَةِ السُّنَّةِ فِي الْفَيَرَوَانِ وَمَا وَرَاءَهَا، وَمِنْهُمْ:  
ابْنُ أَبِي زَيْدٍ؛ كَمَا قَالَ ابْنُ أَبِي زَيْدٍ: «يَجِبُ أَنْ يُعْتَقَدَ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَسْمَعَ  
مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ الْكَلَامَ الْقَائِمَ بِذَاتِهِ، لَا كَلَامًا قَامَ بِغَيْرِهِ»؛ نَقَلَهُ عَنْ الْقَرَّافِيِّ فِي  
«الذَّخِيرَةِ»<sup>(٢)</sup>، وَبَنَحُوهُ قَالَهُ هُوَ فِي «الْجَامِعِ»<sup>(٣)</sup>.

وَقَدْ قَالَ ابْنُ الْحَدَّادِ: «كُلُّ مَنْ زَعَمَ أَنَّ مُوسَى سَمِعَ الْكَلَامَ مِنَ  
الشَّجَرَةِ عَلَى الْحَقِيقَةِ، فَقَدْ كَفَرَ؛ لِأَنَّهُ يَعْنِي: أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَمْ يَكَلِّمْ  
مُوسَى، وَلَمْ يَفْضُلْهُ بِكَلَامِهِ»<sup>(٤)</sup>، وَقَوْلُهُ هُنَا: «مِنَ الشَّجَرَةِ عَلَى الْحَقِيقَةِ»؛  
يَعْنِي: أَنَّهُ يَقْصِدُ الْكَلَامَ الْمَسْمُوعَ؛ فَاللَّهُ تَكَلَّمَ بِهِ، وَأَسْمَعَهُ مُوسَى حَقِيقَةً،  
وَلَمْ يَخْلُقْهُ فِي الشَّجَرَةِ، أَوْ أَمَرَهَا فَتَكَلَّمَتْ بِهِ حَقِيقَةً.

وَيُخْطِئُ طَوَائِفُ مِنَ الْمُتَكَلِّمِينَ؛ حَيْثُ يَظُنُّونَ أَنَّ خِلَافَ السَّلَفِ مَعَ  
أَهْلِ الْبِدْعِ، إِنَّمَا هُوَ فِي الْكَلَامِ النَّفْسِيِّ وَحْدَهُ، وَيَظُنُّونَ أَنَّهُمْ بَعِيدُونَ عَنِ  
النِّزَاعِ بِإثْبَاتِهِمْ لَهُ، وَقَوْلُهُمْ بِأَنَّ كَلَامَ اللَّهِ الْمَسْمُوعَ وَالْمَقْرُوءَ وَالْمَحْفُوظَ  
مَخْلُوقٌ، وَيَسْمُونَهُ كَلَامَ اللَّهِ مَجَازًا؛ كَمَا يَقُولُ بَعْضُ أَهْلِ الْكَلَامِ؛  
كَالْأَشَاعِرَةِ.

(١) «أَخْبَارِ الْفُقَهَاءِ وَالْمُحَدِّثِينَ» (ص ٤٦).

(٢) «الذَّخِيرَةِ» (١٣/٢٣٥).

(٣) «الْجَامِعِ» (ص ١٠٧).

(٤) «رِيَاضُ النُّفُوسِ» (٢/٧٢).

## ﴿ الْحَرْفُ وَالصَّوْتُ ﴾

ومن هنا نشأ الكلام على مسألة «الحَرْفِ والصَّوْتِ»، وأنَّ الله تكلم بكلام حرفاً وصوتاً؛ لأنَّ الكلام في اللغة في الأصل لا يُطلق إلا على ما كان بحرفٍ وصوت، وأمَّا غيره، فيحتاج إلى تقييد؛ كأن يقال: «كلامٌ مكتوبٌ»، و«كلامٌ في النفس»، والله أثبت الصوت لنفسه بقوله: ﴿هَلْ أُنَبِّئُكَ حَدِيثَ مُوسَى ﴿١٥﴾ إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ ﴿[النازعات: ١٥ - ١٦]، والنداء لا يكون إلا بصوت، ويقول النبي ﷺ: (إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ أُنْزِلَ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرَفٍ)<sup>(١)</sup>، وقال ﷺ: (مَنْ قَرَأَ حَرْفًا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ)<sup>(٢)</sup>، ويقول كما في «الصحيح»: (يُنَادِي بِصَوْتٍ: إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكَ أَنْ تَخْرُجَ مِنْ دُرِّيَّتِكَ بَعَثًا إِلَى النَّارِ)<sup>(٣)</sup>، وفي السنن أن المنادي هو الله<sup>(٤)</sup>.

وقد سَمَّى الله المسموعَ كلامَهُ وَوَحْيَهُ: ﴿وَأَنَا أَخْبَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى﴾ [طه: ١٣]، وقال: ﴿حَتَّى يَسْمَعَ كَلِمَ اللَّهِ﴾ [التوبة: ٦]، ولا يكون السمعُ في لغة العرب إلا بصوت.

وهذا ما يقرُّهُ السَّلَفُ صحابةً وتابعين، وأتباعهم وأتباعهم؛ قال ابن مسعود: «إِذَا تَكَلَّمَ اللَّهُ بِالْوَحْيِ، سَمِعَ صَوْتَهُ أَهْلُ السَّمَاءِ»<sup>(٥)</sup>؛ وهذا ما يُثَبِّتُهُ الأئمةُ؛ كأحمدَ والبخاري، وصنَّف فيه أئمةٌ مصنفات؛ كابن منده، وأبي نصر السَّجْزِي، والنووي، وكان الأئمةُ يشددون على المخالف في

(١) البخاري (٢٤١٩)، ومسلم (٨١٨) من حديث عمر.

(٢) الترمذي (٢٩١٠) من حديث ابن مسعود.

(٣) البخاري (٤٧٤١ و٧٤٨٣) من حديث أبي سعيد.

(٤) الترمذي (٣١٦٩).

(٥) «السُّنَّة» لعبد الله (٥٣٦)، و«الإبانة» لابن بطة (١٦/الرد على الجهمية)، وعلقه

البخاري (١٤١/٩) بنحوه.

ذلك، وَحُكِيَ إجماعُ الخلقِ والعقلاءِ على إثباتِ الصوتِ والحرفِ، وأنَّ القولَ بنفيه لا يُعرفُ قبلَ ابنِ كُلابٍ والقَلائسيِّ، والصالحِيِّ والأشعريِّ، إلا ما كان من الجَهْمِيَّةِ والمعتزلةِ مِنْ نَفْيِهِمْ لكلامِ الله كُلِّهِ.

قال أحمدُ بنُ حنبلٍ: «إِنَّ اللهَ تَكَلَّمَ بِالصَّوْتِ وَالْحَرْفِ»؛ فكان يُبطلُ الحكايةَ، وَيُضِلُّ القائلَ بذلك؛ كما نَقَلَهُ عنه عبدُ الواحدِ بنُ الحارثِ التميميُّ في «اعتقاد أحمد»<sup>(١)</sup>، وقد نصَّ على ذلك البخاريُّ في كتابِهِ «خَلْقُ أفعالِ العباد»<sup>(٢)</sup>؛ فقال: «صوتُ الله لا يُشَبِّهُ صوتَ الخلقِ؛ لأنَّ صوتَ الله يُسمَعُ مِنْ بُعْدٍ، كما يُسمَعُ مِنْ قُرْبٍ».

ولا يَمْنَعُ صوتُ الله حواجزَ، ولا يَحْتَاجُ في إبلاغِهِ إلى هواءٍ، وإنما يُسمِعُهُ الله مَنْ يشاءُ، وَيَحْجِزُهُ عَنْهُ مَنْ يشاءُ.

وكان أحمدُ يَجْعَلُ نفيَ الصوتِ والحرفِ هو قولَ الجَهْمِيَّةِ؛ لأنه يُوَدِّي إلى أصلٍ واحدٍ، وهو التَّعْطِيلُ<sup>(٣)</sup>.

وقد نَقَلَ عبدُ الله، عن أبيهِ أحمدَ بنِ حنبلٍ: «أنه سُئِلَ عن قومٍ يقولونَ: لَمَّا كَلَّمَ الله مُوسَى، لم يَتَكَلَّمْ بِصوتٍ، فقال أبي: بل تَكَلَّمَ بِصوتٍ؛ هذه الأحاديثُ تُروى كما جاءتْ»<sup>(٤)</sup>، ونَقَلَ عنه عبدُ الله والمروزيُّ وصفَهُ مَنْ ينفي الصوتَ بالجَهْمِيَّةِ<sup>(٥)</sup>.

### ❦ من حُجَجِ نَفَاةِ الصوتِ والحرفِ لله:

وأعظَمُ ما جَعَلَ طوائفَ المتكلمينَ يقولونَ بنفيِ الصوتِ والحرفِ: أَنَّهُمْ أَصْلَحُوا قواعِدَ كلاميَّةَ تجري على المخلوقاتِ؛ فأرادوا إخراجَها على

(١) «اعتقاد أحمد» (ص ٣٣ و ٣٦).

(٢) «السنَّة» لعبد الله (٥٣٤).

(٣) «السنَّة» لعبد الله (٥٣٤)، و«شرح العقيدة الأصفهانية» (ص ٦٨).

(٤) «خلق أفعال العباد» (٢/ ٢٤٠).

(٥) «السنَّة» (٥٣٣).

الخالق وصفاته؛ فعطّلوا صفات الخالق، وأظهر حُجَجَهُم في هذا الباب هي:

الأولى: أن الحروف والأصوات متعاقبة، وأن الكلمة لا تكون كلمة إلا وحروفها متواليّة، وهذا التعاقب يعني حدوثها، والله منزّه عن الحوادث؛ وهذا يطرّدون فيه، فيتصوِّرون التعاقب في صفة الاستواء والنزول، والقَبْضِ والبَسْط، فينفون تلك؛ لأنها حوادث، والله منزّه عنها، ولو اطرّدوا، لنفوا تعاقب السمع والبصر؛ لأنه على أصلهم فالنظر يقتضي سماع الله لكلام خلقه متواليّا؛ فقول العبد: «يا ربّ» يلزم منه أن السمع يسمع الياء قبل الألف والراء والباء؛ وهذا حدوث في السمع، كما هو حدوث في المسموع؛ وسمع الله منزّه عن الحوادث، ومثله البصر؛ فصلاة العبد ركعتين؛ يُبصر الله ببصره تكبيرة الإحرام قبل التسليمتين؛ وهذا حدوث في البصر، كما هو حدوث في المُبصر؛ والله منزّه عن الحوادث.

ويلزم من هذا التاصيل: نفي السمع والبصر، وجعل السمع والبصر هو العلم فقط؛ ولكن الله يعلم بالفعل قبل حدوثه، ويراه عند حدوثه، ويعلم بدعاء العبد له قبل حدوثه، ويسمعه عند حدوثه.

وذلك التاصيل الفاسد يرجع إلى أنهم اتخذوا قواعد تجري على حوادث المخلوقين؛ فجعلوها تجري على الله وصفاته، والله يفعل ما يشاء، كيفما شاء، متى شاء، ومن ذلك كلامه؛ كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [يس: ٨٢]، فعلق الله الكلام بالمشيئة، وقال: ﴿إِذَا﴾ الدالة على المستقبل.

الثانية: أن إثبات الحرف والصوت يلزم منه إثبات الحلق واللسان، والحاجة للهواء؛ وهذا عين التشبيه الذي يستقر في نفوسهم؛ والحق أنه لا يلزم من إثبات الصوت والحرف حتمية إثبات تلك اللوازم، فالله أثبت

للمخلوقات الكلام والنطق والإسماع بلا حاجة لذلك، وهي جمادات؛ كما قال تعالى عن السموات والأرض: ﴿قَالَتَا أَئِنَّا لَطَائِعِينَ﴾ [فصلت: ١١]، وقال عن الجبال: ﴿وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ﴾ [الأنبياء: ٧٩]، وقال عن الجوارح إنها تقول: ﴿أَنطَقْنَا اللَّهُ الَّذِي أَنطَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [فصلت: ٢١]؛ وهذا في مخلوق؛ فكيف بخالق ليس كمثله شيء؟!

ثُمَّ إِنَّ هَذَا التَّأْصِيلَ يَنْسَحِبُ عَلَى جَمِيعِ الصِّفَاتِ؛ كَالْبَصَرِ؛ فَهَلْ يَصِحُّ أَنْ يَقَالَ: إِنَّ الْبَصَرَ يَحْتَاجُ إِلَى حَدَقَةٍ وَنُورٍ؛ كَمَا يَحْتَاجُ الْكَلَامُ لِحَلْقٍ وَهَوَاءٍ؟!

وهؤلاء يتوهمون أنهم إن نفوا الصوت والحرف، وأثبتوا الكلام النفسي: أنهم يُثَبِّتُونَ صِفَةَ الْكَلَامِ لِلَّهِ، وكما قال أحمدٌ عن الجهمية: «قالوا: إِنَّ اللَّهَ لَمْ يَتَكَلَّمْ وَلَا يَتَكَلَّمْ، إِنَّمَا كَوَّنَ شَيْئًا، فَعَبَّرَ عَنِ اللَّهِ، وَخَلَقَ صَوْتًا، فَأَسْمَعَ»<sup>(١)</sup>.

وكلامٌ متقدِّمي المالكية يجري مَجْرَى السَّلَفِ؛ فَكَلَامُهُمْ جَارٍ فِي إِثْبَاتِ أَنَّ كَلَامَ اللَّهِ كُلَّهُ غَيْرُ مَخْلُوقٍ، وَقَدْ سَأَلَ مُحَمَّدُ بْنُ سُوْحُنٍ مَنْ قَالَ بِخَلْقِ الْقُرْآنِ: «أَرَأَيْتَ كُلَّ مَخْلُوقٍ: هَلْ يَذِلُّ لخالِقِهِ؟ فَسَكَتَ الرَّجُلُ! ثُمَّ قَالَ ابْنُ سُوْحُنٍ: إِنَّ قَالَ: كُلُّ مَخْلُوقٍ يَذِلُّ لخالِقِهِ، فَقَدْ كَفَرَ؛ لِأَنَّهُ جَعَلَ الْقُرْآنَ ذَلِيلًا عَلَى مَذْهَبِهِ الَّذِي يَرَى الْقُرْآنَ مَخْلُوقًا، وَاللَّهُ يَقُولُ: ﴿وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ ۝ لَا يَأْتِيهِ الْبُطْلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت: ٤١ - ٤٢]، وَإِنْ قَالَ: إِنَّهُ لَا يَذِلُّ، فَقَدْ رَجَعَ إِلَى مَذْهَبِ أَهْلِ الْحَقِّ»<sup>(٢)</sup>.

(١) «الرد على الجهمية» (ص ١٣٥ - ١٣٦).

(٢) «رياض النفوس» (١/ ٤٤٨ - ٤٤٩).

وكلامه هذا كله لا يجري على الكلام النَّفْسِي فَحَسْبُ؛ لأنه استدلَّ  
بالكلام المكتوب المنزَّل؛ كما في الآية: ﴿وَالْقُرْآنُ لَكِتَابٌ﴾، ﴿تَنْزِيلٌ﴾،  
والمكتوب والمنزَّل على قولهم، ليس هو الكلام المَعْنِيّ القائم بالنفس.

وهكذا في كلام أبي عمرو الداني في «منظومته»:

وَالْقَوْلُ فِي كِتَابِهِ الْمُفَصَّلِ      بِأَنَّهُ كَلَامُهُ الْمُنَزَّلُ  
عَلَى رَسُولِهِ النَّبِيِّ الصَّادِقِ      لَيْسَ بِمَخْلُوقٍ وَلَا بِخَالِقِ  
مَنْ قَالَ فِيهِ إِنَّهُ مَخْلُوقٌ      أَوْ مُخَدَّتٌ فَقَوْلُهُ مُرُوقٌ  
وَالْوَقْفُ فِيهِ بِدْعَةٌ مُضِلَّةٌ      وَمِثْلُ ذَاكَ اللَّفْظُ عِنْدَ الْجَلَّةِ<sup>(١)</sup>

وكلامه: في الكلام المنزَّل أنه غير مخلوق، بل بدع القائل بالوقف

فيه.

وكلام الله الذي كلّمه لجبريل ولنبيّنا ﷺ، هو ما نسمعه ونقرؤه،  
وهو غير مخلوق، ولو كانت أصوات المخلوقين وأفواههم وألسنتهم  
مخلوقة؛ كما هم مخلوقون.

وقد كان الأئمة يُكْرَوْنَ القول بخلق القرآن لِجَلَّةِ كونه مسموعاً في  
الأرض، ومنزلاً إليها؛ كما قال أسد بن الفرات، وهو من تلاميذ مالك:  
«وَيْحَ أَهْلِ الْبِدْعِ؛ هَلَكْتَ هَوَالِكُهم؛ يَزْعُمُونَ أَنَّ اللَّهَ خَلَقَ كَلَامًا؛ يَقُولُ  
ذَلِكَ الْكَلَامُ الْمَخْلُوقُ: ﴿إِنَّا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي﴾ [طه: ١٤٤]؟»<sup>(٢)</sup>.

وأهل اللسان العربيّ يَعْلَمُونَ أَنَّ المقصود بكلام الله غير المخلوق:  
هو المنزَّل والمقروء والمسموع؛ ولهذا ذكر غير واحد منهم؛ كأبي  
عبيد القاسم بن سلام: «أَنَّ الرجلَ لو حَلَفَ أَلَّا يَتَكَلَّمَ بشيءٍ، فقرأ

(١) «الأرجوزة المنبهة» (ص ١٨٠ - ١٨١).

(٢) «طبقات علماء إفريقية» (ص ٨٢).



القرآن، لم يَحْنَتْ؛ لَأَنَّ الْقُرْآنَ كَلَامُ اللَّهِ<sup>(١)</sup>.

وَمِنَ الْجَهْلِ بِالْعَرَبِيَّةِ: التَّفْرِيقُ بَيْنَ كَلَامِ اللَّهِ لَفْظُهُ وَمَعْنَاهُ، وَزَعَمُ أَنَّ هَذَا مَخْلُوقٌ، وَهَذَا غَيْرُ مَخْلُوقٍ؛ كَمَا قَالَ ابْنُ الْأَعْرَابِيِّ اللَّغَوِيُّ: «مَا رَأَيْتُ قَوْمًا أَكْذَبَ عَلَى اللُّغَةِ مِنْ قَوْمٍ يَزْعُمُونَ أَنَّ الْقُرْآنَ مَخْلُوقٌ»<sup>(٢)</sup>.

### ❦ الْوَاقِفَةُ فِي خَلْقِ الْقُرْآنِ، وَسَبَبُ التَّشْدِيدِ عَلَيْهِمْ:

وَلَا يَجُوزُ الْوُقُوفُ فِي مَسْأَلَةِ الْقُرْآنِ بِزَعْمِ التَّوَسُّطِ وَالْإِمْسَاكِ عَنْ قَوْلٍ: مَخْلُوقٌ، وَلَا غَيْرُ مَخْلُوقٍ؛ لَأَنَّ هَذَا شَكٌّ فِي صِفَاتِ اللَّهِ، وَالْوَاقِفُونَ فِي مَسْأَلَةِ كَلَامِ اللَّهِ يُسَمُّونَ: وَاقِفَةً؛ لِأَنَّهُمْ لَا قَامُوا بِالْحَقِّ، وَلَا نَامُوا عَنِ الْبَاطِلِ، وَقَدْ قَالَ أَحْمَدُ عَمَّنْ يَقُولُ بِقَوْلِ الْوَاقِفَةِ: «لَا يَكُونُ مِنْ أَهْلِ السُّنَّةِ، وَلَا كَرَامَةِ!»<sup>(٣)</sup>، وَكَانَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدٍ الضَّعِيفُ يَقُولُ: «فَعَدُّ الْخَوَارِجِ أَخْبَثُ الْخَوَارِجِ، وَفَعَدُّ الْجَهْمِيَّةِ هُمْ الْوَاقِفَةُ»<sup>(٤)</sup>.

وَسَبَبُ تَشْدِيدِ الْأَثْمَةِ عَلَى الْوَاقِفَةِ: أَنَّ ظَاهِرَ الْحَالِ أَنَّهُمْ أَهْوَنُ مِنَ الْخَلْقِيَّةِ؛ لَأَنَّ الْقَوْلَ بِالْوُقُوفِ يُغْرِي ضَعْفَاءَ أَهْلِ الْحَقِّ بِهِ؛ تَوَهُّمًا لِلسَّلَامَةِ وَالتَّوَسُّطِ، فَهُوَ يُخْرِجُ أَهْلَ الْحَقِّ إِلَى الْبَاطِلِ، وَيُخْرِجُ أَهْلَ الْبَاطِلِ إِلَى بَاطِلٍ آخَرَ؛ وَلِهَذَا يَقُولُ إِسْحَاقُ بْنُ رَاهَوِيَةَ: الْوَاقِفَةُ شَرٌّ عِنْدِي مِمَّنْ يَقُولُ: الْقُرْآنُ مَخْلُوقٌ؛ لِأَنَّهُ يَقْتَدِي بِهِ غَيْرُهُ<sup>(٥)</sup>.

(١) «السُّنَّةُ» لِلْخَلَالِ (١٨٥١ و ١٨٥٢).

(٢) «شرح أصول الاعتقاد» (٦٢٣)، و«معجم الأدباء» (٦/٢٥٣٣).

(٣) «مسائل حرب» (١٨٠٤).

(٤) «مسائل أحمد؛ رواية أبي داود» (١٧٤٩).

(٥) «مسائل حرب» (١٨٠١)؛ وَعَنْهُ الْخَلَالُ فِي «السُّنَّةِ» (١٨٠١).

## ﴿ مِنْ أدلة القائلين بِخَلْقِ القرآن :

هذا؛ ويستدلُّ الجَهْمِيَّةُ والمُعْتَزِلَةُ على خَلْقِ القرآنِ بعموماتِ القرآنِ

وَإِطْلَاقَاتِهِ :

- وذلك : كإدخالِ القرآنِ في عمومِ خَلْقِ الله لكلِّ شيءٍ في قوله :

﴿اللهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [الرَّغَد: ١٦، والزُّمَر: ٦٢]؛ لَأَنَّهُمْ يَرَوْنَ كَلَامَ الله شَيْئًا غَيْرَ الله، فَيُدْخِلُونَهُ فِي غَيْرِهِ.

لكنَّ كَلَامَهُ منه، ثُمَّ إِنَّهُ قد جاء في القرآنِ والحديثِ: أَنَّ الله شيءٌ؛ كقوله تعالى: ﴿قُلْ أَتَى شَيْءٌ أَكْبَرُ مَشْهَدًا قُلْ اللهُ﴾ [الأنعام: ١٩]؛ فهل يجوزُ أَنْ يقالَ: إِنَّ الله تعالى خَلَقَ نَفْسَهُ؟! ومثلهُ: القرآنُ، فيسمَّى شَيْئًا؛ كما في قوله تعالى: ﴿أَوَ قَالَ أَوْحَى إِلَيَّ وَلَمْ يُوحِ إِلَيْهِ شَيْءٌ﴾ [الأنعام: ٩٣]، وفي حديثِ سَهْلِ؛ قال ﷺ: (أَمَعَكَ مِنَ الْقُرْآنِ شَيْءٌ؟) <sup>(١)</sup>، فإذا لم يدْخُلِ اللهُ في الشَّيْءِ المخلوقِ، فكذلك كَلَامُهُ؛ لأنَّه منه.

وكذلك: فَإِنَّ العمومَ يُطْلَقُ في القرآنِ، وله ما يَخْصُصُهُ مِنَ الحِصِّ وَغَيْرِهِ؛ كقوله تعالى عن رِيحِ قَوْمِ عادٍ: ﴿تَذَمَّرُ كُلُّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا﴾ [الأحقاف: ٢٥]، وقولِ الله تعالى عن بَلْقِيسَ: ﴿وَأُوتِيتِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [النمل: ٢٣]؛ وهذا لا يُمَكِّنُ القولَ بعمومه.

- وَمِنَ الأخْذِ بالعموماتِ عند الجَهْمِيَّةِ والمُعْتَزِلَةِ: استدلالُهُم على

خَلْقِ القرآنِ بقوله تعالى: ﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ [الفرقان: ٥٩، والسَّجْدَةُ: ٤]؛ لِأَنَّ القرآنَ موجودٌ بينهما.

ولو قِيلَ بالعمومِ، لَلَزِمَ القولُ بأنَّ ما كان فوقَ السَّمَوَاتِ غَيْرُ

(١) البخاري (٥١٣٢ و ٥١٣٥ و ٥١٤٩ و ٧٤١٧)، ومسلم (١٤٢٥)، واللفظ للبخاري.

مخلوق؛ لأن الآية جعلت خلق الله هو السموات والأرض وما بينهما، ومعلوم أنه فوق السموات أشياء مخلوقة، فإذا جاز أن يكون فوق السموات شيء مخلوق، فيجوز كذلك أن يكون بينهما شيء غير مخلوق.

ثم إن الله فرق بين كلامه، وهو (أمره)، وبين خلق السموات والأرض وما بينهما؛ في قوله تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَنْزِلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ﴾ [الطلاق: ١٢]؛ فوصف الأمر بالتنزيل، والسموات والأرض بالخلق، وأمر الله: كلامه وقوله؛ كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [يس: ٨٢].

- وكذلك: فإن استدلالهم بمجيء البقرة وآل عمران يوم القيامة على كونهما مخلوقتين - كما في الحديث<sup>(١)</sup> - لازم للقول بذلك على الله؛ لأن الله يقول: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ [الفجر: ٢٢]، وكلامه منه تعالى.

- وقوله تعالى: ﴿مَا يَأْتِيهِمْ مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِمْ مُّحَدَّثٍ﴾ [الأنبياء: ٢]، يراؤ به: مُّحَدَّثٌ مِنَ الْعَرْشِ؛ لأنه آخر ما نزل من الكتب من العرش؛ كما قاله إسحاق بن راهويه<sup>(٢)</sup>.

والنزول قد يتكرر، فيسمى آخرها: أحدثها؛ فالله تعالى ينزل كل ليلة نزولاً يليق به وحده، ونزوله الليلة أحدث من نزوله ليلة أمس.

وقد وصف الله بعض كلامه بالسبق بقوله: ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ﴾ [يونس: ١٩، وهود: ١١٠، وطه: ١٢٩، وفصلت: ٤٥، والشورى: ١٤]، وقال سبحانه: ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا﴾ [الصافات: ١٧١].

(١) مسلم (٨٠٤) من حديث أبي أمامة. (٢) «مسائل حرب» (١٨٠٥).

ويقابله قوله تعالى: ﴿مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ﴾ [البقرة: ١٤٥]، وآل عمران: ٦١؛ فهنا حدوث المَجِيء لكلام الله وهو عِلْمُهُ، وهكذا يكون في الصفاتِ الفِعْلِيَّةِ؛ مِنَ الْخَلْقِ وَالرِّزْقِ، وَالْإِحْيَاءِ وَالْإِمَاتَةِ، وَالْقَبْضِ وَالْبَسْطِ، ثُمَّ إِنَّ غَضَبَ اللَّهِ عَلَى فِرْعَوْنَ سَابِقٌ لِعَظَمِهِ عَلَى أَبِي لَهَبٍ.

وكلمة: ﴿مُحَدَّثٍ﴾ [الأنبياء: ٢، والشعراء: ٥] في الآية: لا يرادُ بها المعنى الاصطلاحي عند المتكلمين الذي أَصْلُوهُ عَلَى المخلوقات؛ فنزَلُوهُ عَلَى الخالق، فغَلَبَ هذا المعنى لَدَيْهِمْ؛ ولهذا كان بعضُ السلفِ يَنْهَى عن وصف القرآن بـ: «مُحَدَّثٍ»؛ كَقَبِيصَةٍ؛ فقد كان يقول: «مَنْ قَالَ: «مُحَدَّثٌ»، فهو يقول: إِنَّهُ مخلوقٌ، وَمَنْ قَالَ: إِنَّهُ مخلوقٌ، فهو كافرٌ بالله»<sup>(١)</sup>.

ومَهْمَا كان القرآن على جهةٍ أو تصريحٍ - مسموعٍ أو مكتوبٍ، أو مقروءٍ أو محفوظٍ أو متدبرٍ - فهو كلامُ الله غيرُ مخلوقٍ، وَمِنْ الله، وربما يتهيبُ الإنسانُ لأجلِ خَيَالِ المماثلةِ والتشبيهِ مِنْ قولِ ذلك، فيستبشِعُ الكلامَ بما وَرَدَ بالنصِّ؛ ولهذا كان أحمدٌ يقولُ لبعضِ أصحابِهِ: «لا تَجْزَعْ أَنْ تقولَ: ذلكَ كلامُ الله مِنْ الله، وَمِنْ ذاتِ الله»<sup>(٢)</sup>.

وفي خبرِ ابنِ عباسٍ: (أَوَّلُ مَا خَلَقَ اللهُ الْقَلَمَ)<sup>(٣)</sup>: دليلٌ على أَنَّ كلامَهُ غيرُ مخلوقٍ؛ لأنَّ اللهَ لم يَخْلُ مِنْ الكلامِ والعِلْمِ؛ فلا يقالُ: إِنَّ اللهَ لم يتكلَّمْ إِلَّا بَعْدَ خَلْقِ الْقَلَمِ، ولكنَّ كلامَهُ غيرُ مخلوقٍ، وهو مِنْ ذاتِ الله؛ ولهذا لا يُدْكَرُ فِي مخلوقاته.

(٢) «السُّنَّةُ لِلخَلَالِ (١٨٤٥).

(١) «السُّنَّةُ لِلخَلَالِ (١٩٤١).

(٣) ابن أبي شيبة (٣٧٠٢٣ و ٣٧٠٢٤).

## صفة التجلي لله تعالى:

قال ابن أبي زيد: ﴿وَتَجَلَّى لِلْجَبَلِ فَصَارَ دَكًّا مِنْ جَلَالِهِ﴾:

تجلَّى الله للجبل: حقيقة تليقُ به، لا كتجلَّى المخلوقين؛ قال تعالى: ﴿فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا﴾ [الأعراف: ١٤٣]، والتجلَّى: صفة فعلية خبرية، وهي بمعنى الظهور والبيان<sup>(١)</sup>، ومقتضى اللسان العربي: حمُّه على ذلك؛ فالقرآن نزلَ به، وقد جاء إثباتُ التجلي على الحقيقة في حديث أنس بن مالك رضي الله عنه، في «المسند»<sup>(٢)</sup>.

وعلى هذا المعنى من الإثبات يجري السلف وأهل السنة؛ فلا يتأولون ما وردَ على معنى يتكلفونه ليخرجوا به عن المعنى المتوهم الذي يحذرون.

وقد قال ابن عبد البر: «وقول رسول الله ﷺ: (يُنْزَلُ رَبُّنَا إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا)، عندهم مثل قول الله ﷻ: ﴿فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ﴾ [الأعراف: ١٤٣]، ومثل قوله: ﴿وَجَاءَ رُكُوكُكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ [الفجر: ٢٢]؛ كلهم يقول: يَنْزِلُ وَيَتَجَلَّى ويحيى، بلا كيف، لا يقولون: كيف يحيى؟ وكيف يتجلَّى؟ وكيف ينزل؟ ولا: من أين جاء؟ ولا: من أين تجلَّى؟ ولا: من أين ينزل؟ لأنه ليس كشيء من خلقه، وتعالى عن الأشياء، ولا شريك له.

وفي قول الله ﷻ: ﴿فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ﴾ دلالة واضحة أنه لم يكن قبل ذلك متجليًا للجبل، وفي ذلك ما يفسر معنى حديث التنزيل.

(١) «معاني القرآن» للزجاج (٢/٣٧٣).

(٢) أحمد (٣/١٢٥) و٢٠٩ رقم ١٢٢٦٠ و١٣١٧٨.

وَمَنْ أَرَادَ أَنْ يَقِفَ عَلَى أَقَاوِيلِ الْعُلَمَاءِ فِي قَوْلِهِ ﷺ: ﴿فَلَمَّا بَلَغَ رُبَّهُ لِلْجَبَلِ﴾ [الأعراف: ١٤٣]؛ فَلْيَنْظُرْ فِي تَفْسِيرِ بَقِيٍّ بْنِ مَخْلَدٍ، وَمُحَمَّدِ بْنِ جَرِيرٍ، وَلْيَقِفْ عَلَى مَا ذَكَرَا مِنْ ذَلِكَ، ففِي مَا ذَكَرَا مِنْهُ كَفَايَةٌ<sup>(١)</sup>.

### ﴿صِفَةُ نُزُولِ اللَّهِ تَعَالَى﴾

وَيُثَبِّتُ النُّزُولُ كَمَا جَاءَ فِي الْحَدِيثِ عَلَى الْحَقِيقَةِ بِلا نَاقِلٍ وَلَا تَشْبِيهِ، وَلَا تَكْيِيفٍ وَلَا تَعْطِيلٍ، وَمَنْ يَتَأَوَّلُ النُّزُولَ أَوْ يَعْطِلُهُ يَسْتَحْضِرُ أَحْوَالًا تُشَابِهُ الْمَخْلُوقَ، وَالْحَرَكَةَ وَالْإِنْتِقَالَ لَمْ يَرِدْ بِهَا النَّصُّ، فَتُتْرَكُ، وَلَا تُثَبِّتُ وَلَا تُنْفَى؛ وَقَوْفًا عَلَى النَّصِّ؛ كَمَا كَانَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ بِأَمْرٍ بِذَلِكَ، يَقُولُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَحْمَدَ: «كَنتُ أَنَا وَأَبِي فِي الْمَسْجِدِ، فَسَمِعَ قَاصًّا يَقُصُّ فِي حَدِيثِ النُّزُولِ؛ فَقَالَ: «إِذَا كَانَ لَيْلَةُ النُّصْفِ مِنْ شَعْبَانَ، يَنْزِلُ اللَّهُ إِلَى سَمَاءِ الدُّنْيَا بِلا زَوَالٍ، وَلَا انْتِقَالٍ، وَلَا تَغْيِيرٍ حَالٍ؛ فَارْتَعَدَ أَبِي وَاصْفَرَ لَوْنُهُ، وَلَزِمَ يَدَيَّ، فَأَمْسَكْتُهُ حَتَّى سَكَنَ، ثُمَّ قَالَ: قِفْ بِنَا عَلَى هَذَا الْمُتَخَرِّصِ، فَلَمَّا حَازَاهُ، قَالَ: يَا هَذَا؛ رَسُولُ اللَّهِ أَغْيَرُ عَلَى رَبِّكَ مِنْكَ؛ قُلْ كَمَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ»، وَانصَرَفَ<sup>(٢)</sup>.

وَمِنَ الْأَثْمَةِ: مَنْ يُثَبِّتُ ذَلِكَ؛ كَحَرْبِ الْكِرْمَانِيِّ<sup>(٣)</sup>، وَعُثْمَانَ الدَّارِمِيِّ<sup>(٤)</sup>.

وَمِنْهُمْ: مَنْ يَنْفِيهِ؛ كَأَبِي الْحَسَنِ التَّمِيمِيِّ<sup>(٥)</sup>، وَأَبِي مُحَمَّدٍ مَكِّيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ فِي كِتَابِ «الْهُدَايَةِ»، إِلَى بُلُوغِ النِّهَايَةِ<sup>(٦)</sup>، وَمِنْهُمْ ابْنُ عَبْدِ الْبَرِّ<sup>(٧)</sup>.

(١) «التمهيد» (١٥٣/٧).

(٢) «الانقضاء في الاعتقاد» (ص ١١٠).

(٣) «مسائل حرب» (٢٦/١٥٦٠).

(٤) «التقضى» (١/٢١٥ - ٣٥٥ - ٣٥٦).

(٥) «مجموع الفتاوى» (٤٠٢/٥).

(٦) «الهداية» (١/٢٠٩ و ٢٦٠)، و (١٢/٧٦٧٧ - ٧٦٧٨).

(٧) «التمهيد» (١٣٦/٧ - ١٣٧).

وطائفة ثالثة: تُثبِتُ المعنى، وتتوقَّفُ عن اللفظ؛ لعدم ورودِهِ<sup>(١)</sup>.  
والإمساكُ عن الزيادةِ على النصِّ أحوط؛ كما فعلَهُ أحمد؛ وهذا  
لا يُنافي الحقيقةَ بإثباتِ النزولِ والتجليِّ لله حقيقةً؛ بلا تأويلٍ ولا تشبيهٍ  
ولا تكيف.

والزيادةُ على النصِّ قد تدفعُ صاحبها إلى تأويلِ صفاتٍ أخرى عن  
حقيقتها أو القولِ بما لم يرد فيه النصُّ؛ كمسألةِ خلوّ المكانِ عند  
النزولِ؛ فلما سُئِلَ ابنُ المبارك؛ ف قيل له: «كيف ينزلُ الله؟» أليس يخلو  
ذلك المكان؟ فقال: ينزلُ كيف شاء<sup>(٢)</sup>؛ فلم تدفعِ ابنُ المباركِ زيادةُ  
السائلِ على النصِّ إلى تأويلِ الصفة، بل أثبتّها، وأرجعَ السائلَ إلى  
مشيئةِ الله، بما تضمنَ تخطيطه السائل.

ومن أثبتَ صفةَ الاستواءِ والنزولِ على حقيقةٍ تليقُ بالله لا كما يليقُ  
بالمخلوق، لا يُبدعُ لنفيِ الحركةِ والانتقالِ، وإن كانت السُّنةُ الوقوفُ  
على النصِّ؛ وقد سألَ عبدُ الله بنُ طاهرٍ إسحاقَ مستنكراً عن الأحاديثِ  
التي فيها: يصعدُ، وينزلُ؟ فقال إسحاقُ: «تقول: إنَّ اللهَ يَقْدِرُ على أن  
ينزلَ ويصعدَ ولا يتحركَ؟ قال: نعم، قال: فلم تُنكر؟!»<sup>(٣)</sup>.

والمتكلمون يتأولون النزولَ والمجيءَ وغيرهما لاستحضارِ ما  
لا يروْنَ صحّةَ نسبتهِ للخالق، ولو سلّموا من هذا الاستحضارِ المبنيّ على  
القياسِ لصحَّ لهم الاعتقاد، وكثيرٌ منهم يُظهرون التأويلَ ويكتُمون  
التوهّمات، وهي أصلُ ما ظهر من تأويلهم، وكان الأئمةُ يُثبتون النزولَ  
حقيقةً وينصّون على بطلانِ تأويلهم له؛ كما قال عبدُ القادرِ الجيلانيّ في

(١) الموضوع السابق. (٢) «عقيدة السلف» للصابوني (ص ٥١).

(٣) «شرح أصول الاعتقاد» (٧٧٤)، و«إبطال التأويلات» (٢٢).

أصول الدين - لَمَّا أُثْبِتَ النزولُ حقيقةً -: لا بمعنى نزولِ رحمته وثوابه على ما ادَّعتِ المعتزلة والأشعرية<sup>(١)</sup>.

### ﴿ القرآن كَلَامُ اللَّهِ غَيْرُ مخلوق ﴾

﴿ قَالَ ابْنُ أَبِي زَيْدٍ: «وَأَنَّ الْقُرْآنَ كَلَامُ اللَّهِ، لَيْسَ بِمَخْلُوقٍ فَيَسِيْدُ، وَلَا صِفَةً لِمَخْلُوقٍ فَيَنْقُذُ» ﴾

أراد ابنُ أبي زَيْدٍ أَنْ يبيِّنَ: أَنَّ المرادَ بكلامِ اللَّهِ: هو ما بين أيدينا من المسموع والملتو، والمكتوب والمحفوظ، وليس قَصْرُهُ على ما في النَّفْسِ؛ فَإِنَّ هذا القصرَ ليس بمعروفٍ في كلامِ السلف، وكلامُهُ هذا مأخوذٌ من كلامِ مالك؛ كما نقلَهُ عنه في «الجامع»: «الْقُرْآنُ كَلَامُ اللَّهِ، وَكَلَامُهُ لَا يَسِيْدُ وَلَا يَنْقُذُ، وَلَيْسَ بِمَخْلُوقٍ»<sup>(٢)</sup>.

لأنَّ اللَّهَ باقٍ، فيبقى كلامُهُ، وليس بمخلوقٍ، حتى يخلقَ كلامَهُ، وحكمُ الصفةِ حكمُ الذاتِ، ومَنْ قال بخلقِ الصفةِ، فيلزِمُهُ القولُ بخلقِ الذاتِ؛ تعالى اللَّهُ عن ذلك علواً كبيراً.

والسلفُ يَعْلَمُونَ: أَنَّ كلامَ اللَّهِ هو هذا الخارجُ منه المسموعُ والمقروء، والمكتوبُ والمحفوظ، وليس الكلامُ النَّفْسِيُّ في الذاتِ؛ كما يقولُ بعضُ المتكلمين<sup>(٣)</sup>؛ ولهذا نقلَ عَمْرُو بْنُ دِينَارٍ ما أدركَ عليه الصحابةُ؛ وهو: «أَنَّ اللَّهَ الْخَالِقُ، وما سواه مخلوقٌ؛ إلا القرآنُ؛ فَإِنَّهُ كلامُ اللَّهِ، منه خَرَجَ، وإليه يَعُودُ»<sup>(٤)</sup>، ونحوَ هذا قال ابنُ عُيَيْنَةَ: «القرآنُ

(١) «أصول الدين» (ص ١٢١).

(٢) «الجامع» (ص ١٢٣).

(٣) «الإيضاح» للباقلاني (ص ١٠١، ١٠٣)، و«غاية المرام» للآمدي (ص ٨٨).

(٤) «الرد على الجهمية» للدارمي (٣٤٤)، و«مسائل حرب» (١٨٢١).



خَرَجَ مِنَ اللَّهِ<sup>(١)</sup>، وَبِنَحْوِهِ قَالَ أَحْمَدُ<sup>(٢)</sup>، وَكَوْنُهُ مَسْمُوعًا وَمَقْرُوعًا لَا يَعْنِي: أَنَّهُ لَيْسَ مِنْهُ، أَوْ أَنَّهُ بَائِنٌ عَنْهُ؛ كَمَا قَالَ أَحْمَدُ<sup>(٣)</sup>: «كَلَامُ اللَّهِ مِنْهُ، وَلَيْسَ بِبَائِنٍ مِنْهُ، وَلَيْسَ مِنْهُ شَيْءٌ مَخْلُوقٌ».

وَيَقُولُ يَشْرُ بْنُ الْحَارِثِ الْحَافِي: «نَشْهَدُ أَنَّ اللَّهَ يَقُولُ وَيَخْلُقُ، وَقَوْلُهُ قَوْلٌ، وَخَلْقُهُ خَلْقٌ، وَقَوْلُهُ بَائِنٌ مِنْ خَلْقِهِ، وَخَلْقُهُ بَائِنٌ مِنْ قَوْلِهِ»<sup>(٤)</sup>.

وَقَوْلُهُمْ هَذَا دَفْعًا لِتَوَهُّمِ أَنَّ الْمَسْمُوعَ وَالْمَقْرُوعَ وَالْمَكْتُوبَ يَجْعَلُهُ سَمْعُهُ وَقِرَاءَتُهُ وَكِتَابَتُهُ مَخْلُوقًا؛ بَلْ هُوَ مَبَايِنٌ لِلْخَلْقِ، وَهَذَا لَا يَقَالُ لِمَا قَامَ بِذَاتِ اللَّهِ؛ كَمَا يَقُولُ الْمُتَكَلِّمُونَ مِنَ الْكَلَامِ النَّفْسِيِّ؛ لِأَنَّهُ لَا يُتَوَهُّمُ بَيِّنُوتُهُ.

### الإيمان بالقدر:

قَالَ ابْنُ أَبِي زَيْدٍ: ﴿وَالْإِيمَانُ بِالْقَدْرِ خَيْرُهُ وَشَرُّهُ، حُلُوُّهُ وَمُرَّةُ، وَكُلُّ ذَلِكَ قَدْ قَدَرَهُ اللَّهُ رَبَّنَا، وَمَقَادِيرُ الْأُمُورِ بِيَدِهِ، وَمَصْدَرُهَا عَنْ قَضَائِهِ﴾:

وَالْإِيمَانُ بِالْقَدْرِ خَيْرُهُ وَشَرُّهُ وَاجِبٌ؛ كَمُلَ عِلْمُ اللَّهِ، فَكَمُلَ تَقْدِيرُهُ؛ قَالَ تَعَالَى: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَرَهُ نَقْدِيرًا﴾ [الفرقان: ٢]، وَقَالَ: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر: ٤٩]، وَقَالَ: ﴿وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَقْدُورًا﴾ [الأحزاب: ٣٨].

وَعِنْدَمَا سُئِلَ النَّبِيُّ ﷺ عَنِ الْإِيمَانِ، قَالَ: (الْإِيمَانُ: أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَبِالْقَدْرِ خَيْرُهُ وَشَرُّهُ)<sup>(٥)</sup>، وَقَالَ ﷺ: (كُلُّ شَيْءٍ بِقَدْرِ حَتَّى الْعَجْزُ وَالْكَبْسُ)<sup>(٦)</sup>.

(١) «السُّنَّةُ» لِلْخَلَالِ (١٩١٣).

(٢) «السُّنَّةُ» لِلْخَلَالِ (١٨٥٩).

(٣) «شرح أصول الاعتقاد» (٣١٧).

(٤) «العرش» (٢١٦)، و«العلو» (٤٦٥)، و«الأربعين في صفات رب العالمين» (١٦).

(٥) مسلم (٨) من حديث عمر.

(٦) مسلم (٢٦٥٥) من حديث ابن عمر.

ولا يَخْتَلِفُ السلفُ أهلُ السُّنَّةِ في ذلك؛ كما قاله ابنُ عبدِ البرِّ، وغيره<sup>(١)</sup>، وقد كان ابنُ عَبَّاسٍ يسمِّي القَدَرَ: «نظامَ التوحيد»<sup>(٢)</sup>.

وفطرةُ الإنسانِ قاطعةٌ بالإيمانِ بالقَدَرِ؛ لأنَّ من كمالِ الخالقِ كمالُ علمه، ومن كَمُلَ علمه، كَمُلَ تقديره وتدبيره لِمَا خَلَقَ، وقد كانت العربُ حتى في الجاهليَّةِ تؤمنُ بالقَدَرِ، ولا تكذِّبه؛ وقد قال عمرو بنُ كلثومٍ:

وَأَنَا سَوْفَ تُدْرِكُنَا الْمَنَايَا مُقَدَّرَةً لَنَا وَمُقَدَّرِينَ<sup>(٣)</sup>  
ويقولُ لبيدُ بنُ ربيعةَ:

..... إِنَّ الْمَنَايَا لَا تَطِيشُ سِهَامُهَا<sup>(٤)</sup>

ويقولُ عترةُ:

يَا عَبْلَ أَبْنِ مِنَ الْمَنِيَّةِ مَهْرَبِي إِنَّ كَانَ رَبِّي فِي السَّمَاءِ قَضَاهَا<sup>(٥)</sup>

ويقول هانئُ بنُ مسعودٍ الشَّيبانيُّ لما خطبَ في الجاهليَّةِ في يومٍ ذي قارٍ: «إِنَّ الْحَدَرَ، لَا يُنْجِي مِنَ الْقَدَرِ»<sup>(٦)</sup>.

ويروى فيه حديثُ مرفوعٌ: (لا يُغْنِي حَدَرَ مِنْ قَدَرٍ)<sup>(٧)</sup>؛ وهذا نظيرُ ما جاء عن ابنِ عَبَّاسٍ: «إِذَا جَاءَ الْقَدَرُ، حَالَ دُونَ الْبَصَرِ»<sup>(٨)</sup>.

(١) «الاستذكار» (٢١٠/١٨ و ٩٥/٢٦)، و«شرح النووي» (١٥٥/١ و ١٦/١٩٥ - ١٩٦)، و«فتح الباري» (٤٧٨/١١).

(٢) «القدر» للفريابي (٢٠٥)، و«شرح أصول الاعتقاد» (١٢٢٤).

(٣) «شرح القصائد المشهورات» (٦١٧/٢)، و«شرح المعلقات السبع» للزوزني (ص ٢١٦)، و«شرح القصائد العشر» للبريزي (ص ٢١٩).

(٤) «ديوان لبيد» (ص ١٧١/دار صادر). (٥) «ديوان عترة» (ص ٩٢).

(٦) «أُمالي القاضي» (١/١٦٩).

(٧) «الدعاء» للطبراني (٣٣)، و«المستدرک» للحاكم (٤٩٢/١) من حديث عائشة..

(٨) ابن أبي شيبة (٣٢٥١٣)، والحاكم (٤٠٥/٢).

وكلُّ مَنْ صَحَّ له العقلُ، آمَنَ أَنَّ مَنْ ثَبَتَ له كمالُ العلمِ، فإنه يَثْبُتُ له كمالُ التقديرِ، وهذا الكونُ والخلقُ بنظاميه ودِقَّتِهِ وثباتِهِ، وتلازمِ أسبابِهِ بمسبباتِهِ، آمادًا لا يُحصِيها إلا اللهُ، لا يكونُ إلا بتمامِ علمِ، وإحكامِ خلقِ، ودِقَّةِ تقديرِ.

وقد جعلَ اللهُ ذلكَ الخلقَ متلازمًا مع العلمِ والتقديرِ؛ قال تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَنْزِلُ الْأَمْثَرُ بَيْنَهُنَّ لِيُعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ [الطلاق: ١٢].

وإذا كان اللهُ كمالُ العلمِ والقُدرةِ، فذلك يَثْبُتُ له التقديرُ؛ لأنه لا يقدِّرُ إلا عالمٌ قادرٌ، ومَنْ نفى التقديرَ، فيلزمُ بنفي العلمِ والقُدرةِ؛ فالقادرُ على خلقِ الأشياءِ هو الأعلمُ بها؛ قال تعالى: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [الملك: ١٤]، وقال: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الأنعام: ١٠١]؛ والعالمُ والقادرُ هو المقدِّرُ لها أفعالها، والمديرُ لها أرزاقها، ونظامَ حياتها؛ كما قال تعالى: ﴿هَلْ مِنْ خَلْقٍ غَيْرِ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِنْ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ [فاطر: ٣].

وقد كان غيرُ واحدٍ مِنَ الأئمةِ؛ كأحمدَ، يسمِّي القَدَرَ: «قُدْرَةُ اللَّهِ»<sup>(١)</sup>. وكان مالكٌ يشدُّ على مُنكري القَدَرِ، ويرى أنهم يُستتابون؛ فإن تابوا، وإلا قَتَلُوا، وكان لا يرى الصلاةَ خَلْفَهُمْ، ولا يرى تزويجَهُمْ؛ ويستبدلُ بقوله تعالى: ﴿وَلَعَبْدٌ مُؤْمِنٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكٍ﴾ [البقرة: ٢٢١].

### تقديرُ الخيرِ والشرِّ:

وكلُّ شيءٍ بتقديرِ اللهِ؛ خيرًا كان أو شرًّا؛ كما في حديثِ جبريلَ؛

(١) «السُّنَّةُ» للخلال (٩٠٤).

قال ﷺ: (وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ) <sup>(١)</sup>، ويُروى في حديث جابر؛ قال ﷺ: (لَا يُؤْمِنُ عَبْدٌ حَتَّى يُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ) <sup>(٢)</sup>.

والله لا يقدّر لعباده شراً محضاً، كما أنه لا يخلق شراً محضاً ولا راجحاً على الخير ولا مساوياً له، إلا وهو يؤول إلى خير في عموميه، وقد يرى العباد وجهاً من وجوه التقدير، فيرون شراً محضاً أو غالباً أو مساوياً، ويخفى عنهم ما لو رأوه، لعلموا عظيم خلق الله وتقديره وحكمته.

وقد شرع الله الاستعاذة من الشرّ النسيبي الذي يراه العبد من القضاء عليه؛ كما في «الصحيحين»؛ قال ﷺ: (تَعَوَّذُوا بِاللّهِ مِنْ جَهْدِ الْبَلَاءِ، وَدَرَكِ الشَّقَاءِ، وَسُوءِ الْقَضَاءِ، وَشَمَاتَةِ الْأَعْدَاءِ) <sup>(٣)</sup>.

والعقل قبل النقل دالٌّ على أنّ الخالق لا يخلق شراً محضاً، بل يُقرُّ بهذا فلاسفة؛ كباروخ سبينوزا؛ كما في «الرسالة الموجزة في الله والإنسان»، وكان من أصل يهودي، فيرى بُدُو الشرّ في الدنيا؛ لأنّ إدراك الناس ضعيفٌ محدود؛ لكونه ينظر من ناحية؛ فينقص نظره للأحداث؛ حيث يتلقى الشرّ من ناحيته التي يرى فحسب.

ومن لم يسلم للنقل، لم يستقرّ له رأي على قدم؛ فالعقول مهما بلغت، تتباين نتائجها في الأمر الواحد:

فأفلاطون يرى الشرّ من الجهل، ليس من الآلهة وتقديرها، وسقراط ينفي القدر كله.

(١) مسلم (٨) من حديث عمر. (٢) الترمذي (٢١٤٤).

(٣) البخاري (٦٣٤٧ و٦٦١٦)، ومسلم (٢٧٠٧) من حديث أبي هريرة.

❦ لا يُنسَبُ الشرُّ إلى الله :

وليس من الأدب مع الله نسبة الشرِّ إليه على سبيل التخصيص ؛ وقد قال النبي ﷺ ؛ كما في «مسلم» : (وَالْخَيْرُ كُلُّهُ فِي بَدَنِكَ ، وَالشَّرُّ لَيْسَ إِلَيْكَ) <sup>(١)</sup> .

ومن أدب إبراهيم الخليل مع ربِّه : قوله : ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾ [الشعراء : ٨٠] ؛ فنسب المرضَ إلى نفسه ، والشفاء إلى الله ، مع أنَّ كلَّ شيءٍ من الله .

وكذلك في قول الحَضِرِ لَمَّا كَانَ يَخْرِقُ السَّفِينَةَ ، وظاهره شرٌّ ؛ قال : ﴿أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسْكِينٍ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا﴾ [الكهف : ٧٩] ؛ فنسبَ عَيْبَهَا إلى نفسه ، ولكنه لَمَّا ذَكَرَ الْخَيْرَ الْحَاصِلَ لِلْغُلَامَيْنِ ، نسبَهُ إلى الله ؛ فقال : ﴿فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا﴾ [الكهف : ٨٢] ، مع أنه هو الذي خَرَقَ السَّفِينَةَ ، وهو الذي أَقَامَ الْجِدَارَ ، ولكنَّ الله جَعَلَهُ سَبَبًا ، والله لَا يُقَدَّرُ شَرًّا مُحَضًّا ؛ فنسبَ الْخَيْرَ إلى الله ، ونسبَ الشرَّ الظَّاهِرَ إلى غيره .

والشبهة التي جَعَلْتَ قَدَمَاءَ الْفَلَاسِفَةِ مِنْ أَرْيَابِ الْمَلَلِ ، يَنْفُونَ عِلْمَ اللَّهِ بِخَلْقِهِ ، هي وجودُ الشرِّ في الْكَوْنِ ، وقد بيَّنَ مذهبهم وشرحه ابنُ ميمونٍ الْقُرْطُبِيُّ الْفِيلَسُوفُ الْيَهُودِيَّ <sup>(٢)</sup> .

وقد قرَّ بعضُ الْفَلَاسِفَةِ وَالْمُتَكَلِّمِينَ إلى نفي نسبة تقدير الشرِّ إلى الله ، وأراد تنزيه الله ، فوقعَ فيما هو أعظمُ من ذلك ، وهو : أن يجعلَ في الْكَوْنِ مَدْبِرًا وَخَالِقًا غَيْرَ اللَّهِ ، وأنه يكونُ في كونه ما لا يُريدُه ؛ فَيُعْصَى وهو لا يُريدُ الْعَصِيَانَ قَدَرًا ؛ تعالى الله عن ذلك .

(١) مسلم (٧٧١) من حديث علي بن أبي طالب .

(٢) «دلالة الحائرين» (٣/ ٥١٨ - ٥٢٠) .

ولم تكن العرب تعرف إنكار القدر حتى دخلت فيهم العلوم الفلسفية والكلامية، اليونانية والفارسية والهندية؛ فظهر نفى القدر في العراق والشام قبل غيرهما.

وكان أول من أشهر القدر: مَعْبَدُ الْجُهَنِيِّ، وقد أخذه من نصراني يقال له: سَوْسَن<sup>(١)</sup>، ولم تكن النصارى على قول واحد في القدر:

فمنهم: جَبْرِيَّةٌ؛ كَالنُّسْطُورِيِّينَ.

ومنهم: قَدَرِيَّةٌ؛ كَالْيَعَاقِبَةِ.

ومنهم: متوسِّطون؛ كأَوْعَسْطِينِ.

وَمَنْ كَذَّبَ بِالْقَدْرِ، لَزِمَهُ زَوَالُ أَشْيَاءٍ عَظِيمَةٍ لَا يَصْحُحُ بَزْوَالُهَا إِيْمَانٌ؛ فَلَا يَصْحُحُ مِنْ نَافِي الْقَدْرِ تَوَكُّلٌ عَلَى اللَّهِ، وَلَا رَجَاءٌ، وَلَا دَعَاءٌ لَهُ، وَلَا رِضًا بِمَا يُنْزَلُ مِنَ الْبَلَاءِ؛ إِذْ كَيْفَ يُسْأَلُ مَنْ لَا يَقْدِرُ عَلَى الْعَطَاءِ وَالِاخْتِيَارِ فِي الْكُونِ؟! وَكَيْفَ يُتَوَكَّلُ عَلَيْهِ وَيُرْجَى وَيَرْضَى عَلَى تَقْدِيرِهِ، وَهُوَ لَمْ يَقْدِرْ؟!

### الجدال في القدر:

وَالْقَدَرُ: مِنْ أَسْرَارِ اللَّهِ الَّتِي لَا يَجُوزُ الْخَوْضُ فِيهَا بِغَيْرِ مَا وَرَدَ فِي الشَّرْعِ؛ فَلَا مَجَالَ لِلْعَقْلِ أَنْ يَصِلَ إِلَى غَايَتِهِ وَنَتِيجَتِهِ الَّتِي يَنْتَهِي إِلَيْهَا، وَالْعَقْلُ إِنَّمَا يَبْحَثُ فِي مُمَكِّنَاتِ الْإِدْرَاكِ الْعَقْلِيِّ، لَا فِي مُحَالَاتِهِ، فَبَحْثُهَا فِي مُحَالَاتِهِ لَيْسَ لَهَا؛ فَاللَّهُ نَهَى عَنِ الْخَوْضِ فِي كُلِّ مَا لَا سَبِيلَ لِإِدْرَاكِهِ، وَلَا الْعِلْمَ بِهِ؛ قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾ [الإسراء: ٣٦].

(١) «القدر» للفريابي (٣٤٨)، و«شرح أصول الاعتقاد» (١٣٩٨).

والنهي عن بحث غيبِ القدرِ إنما هو لعجزِ العقلِ عن إدراكه، لا لكونه في ذاته لا يُدرَك؛ فالله يَعْلَمُهُ؛ لأنه مقدَّرُهُ، وقادرٌ سبحانه أن يجعلَ مَنْ شاءَ مِنْ خلقِهِ مُدْرِكًا له، ولكنه جعلَ ذلك في دينِهِ سرًّا يُؤْمَنُ بِهِ، ولا يُبَحَثُ عنه.

ولهذا جاء الوحي بالإيمانِ بالقدرِ فقط، وجاء في الأدلة ما يقتضي الإمساك، بل ويأمرُ به؛ فقد كان النبي ﷺ يُسألُ عن العملِ والقضاءِ، فيقولُ: (اعْمَلُوا؛ فَكُلُّ مُبَسَّرٍ لِمَا خُلِقَ لَهُ)<sup>(١)</sup>، وقد دخلَ على أصحابِهِ وهم يَتَنَازَعُونَ في القدرِ، فاحمَرَّ وجهُهُ، وقال: (أَبْهَذَا أُمِرْتُمْ؟ أَمْ بِهَذَا أُرْسِلْتُ إِلَيْكُمْ؟) إِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ حِينَ تَنَازَعُوا فِي هَذَا الْأَمْرِ<sup>(٢)</sup>، وَيُرَوَّى عن ابن مسعود: «إِذَا ذُكِرَ الْقَدَرُ، فَأَمْسِكُوا»<sup>(٣)</sup>، وهو كما قال ابن عبد البر: «لا يُدرَكُ بِجِدَالٍ، ولا يَشْفِي مِنْهُ مَقَالٌ»<sup>(٤)</sup>.

### ﴿أَفْعَالُ الْعِبَادِ وَخُلُقُهَا﴾

وأفعالُ العبادِ مخلوقةٌ كدَوَاتِهِمْ؛ كما قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الصافات: ٩٦]، وأفعالُهُمْ شَيْءٌ، ﴿وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [الزمر: ٦٢]، ولكنَّ دَوَاتِهِمْ خُلِقَتْ بِلا اختيارٍ مِنْهُمْ، وَأَمَّا أَفْعَالُهُمْ، فَخُلِقَتْ باختيارِهِمْ، والقرآنُ مليءٌ بالدَّلَالَةِ على ذلك، وتلك الآياتُ الدالةُ على خلقِ أفعالِ العبادِ، هي أثقلُ الآياتِ على المعتزلة؛ حتى كَتَبَ القاضي عبدُ الجبارِ كتابَيْنِ؛ تَعَسَّفًا وَتَكَلُّفًا في تأويلِها وتحريفِها<sup>(٥)</sup>.

(١) البخاري (٤٩٤٩)، ومسلم (٢٦٤٧) من حديث علي.

(٢) الترمذي (٢١٣٣) من حديث أبي هريرة.

(٣) الطبراني في «الكبير» (١٩٨/١٠ رقم ١٠٤٤٨) من حديث ابن مسعود؛ مرفوعًا.

(٤) «التمهيد» (١٣٩/٣ و ١٣/٦ - ١٤).

(٥) انظر: «شرح الأصول الخمسة» (ص ٣٢٣)، و«المغني في أبواب العدل» (٣/٨).

ولم يكنِ السلفُ وأئمَّةُ الصِّدْرِ الأوَّلِ يَشْكُونُ في خَلْقِ أفعالِ العبادِ، حتى قيلَ بنفيِ القَدَرِ؛ فَتَبِعَهُ القَوْلُ بِخَلْقِ العبادِ لأفعالِهِمْ، وقد قالَ رسولُ اللَّهِ ﷺ: (إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ كُلَّ صَانِعٍ وَصَنَعَتْهُ) <sup>(١)</sup>، وقالَ حُذَيْفَةُ: «إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ صَانِعَ الْخَزَمِ وَصَنَعَتْهُ» <sup>(٢)</sup>.

وقد نشأَ القَوْلُ بنفيِ القَدَرِ في المَشْرِقِ، ولم يكنِ معروفًا في المَغْرِبِ، حتى انتقلتْ أقوالُ المَعْتَزِلَةِ إلى المَغْرِبِ، وكانَ الأئمَّةُ يُنْكِرُونَهُ على مَنْ أَظْهَرَهُ فِيهِمْ، وقد كانَ مُحَمَّدُ بْنُ سُحُونٍ يَقُولُ في رَدِّ قَوْلِ بَعْضِ أَهْلِ الِاعْتِزَالِ: «الإِقْرَارُ غَيْرُ مَخْلُوقٍ، وما سِوَى ذَلِكَ مِنَ الْأَعْمَالِ مَخْلُوقَةٌ» <sup>(٣)</sup>.

وجَعَلَ اللَّهُ لِلْمَكْلُوفِينَ مَشِيئَةً يَخْتَارُونَ بِهَا الْخَيْرَ وَالشَّرَّ، ثُمَّ يُحَاسِبُهُمْ على ما اخْتَارُوهُ، فإذا ارْتَفَعَ الْإِخْتِيَارُ مِنْهُمْ، ارْتَفَعَ التَّكْلِيفُ عَلَيْهِمْ؛ كَالْفَرْقِ بَيْنَ الْقَائِمِ وَالنَّائِمِ، وَالْعَاقِلِ وَالْمَجْنُونِ، وَالْعَامِدِ وَالْمَخْطِئِ، وَالذَّاكِرِ وَالنَّاسِي، وَالْعَالِمِ وَالْجَاهِلِ؛ فَهَؤُلَاءِ قَدْ يَتَسَاوَى تَصَرُّفُهُمْ فِي الظَّاهِرِ بِالذَّنْبِ بِفَعْلِ الْمَحْظُورِ، وَتَرْكِ الْمَأْمُورِ؛ فَيُحَاسَبُ الْأَوَّلُ، وَلَا يُحَاسَبُ الثَّانِي؛ لِأَنَّ الْإِخْتِيَارَ فِي الْأَوَّلِ وَجَدَ، وَفِي الثَّانِي فَقَدَ؛ فَتَبِعَهُ الْحِسَابُ وَالْعِقَابُ، وَجُودًا وَعَدَمًا.

﴿أَمْرُ اللَّهِ وَنَهْيُهُ وَقَدَرُهُ، وَتَوْهَمُ بَعْضِ النُّفُوسِ الظُّلْمُ:

وقد تَوَهَّمَتِ الْقَدْرِيَّةُ - مِنَ الْمَعْتَزِلَةِ وَغَيْرِهِمْ -: أَنَّ الْقَوْلَ بِإِثْبَاتِ الْقَدَرِ يَلْزِمُ مِنْهُ الْقَوْلُ بِظُلْمِ اللَّهِ لِعِبَادِهِ؛ فَيَكُونُ ذَلِكَ حُجَّةً لِلْعِبَادِ عَلَى

(١) «خلق أفعال العباد» (١٢٤)، و«السُّنَّة» لابن أبي عاصم (٣٥٧ و ٣٥٨) من حديث حذيفة؛ مرفوعًا.

(٢) «رياض النفوس» (١/٤٥٤).

(٣) «خلق أفعال العباد» (١٢٥).



ربهم؛ فيريدون تنزيه الله عن فعل القبيح من الظلم والتعسف؛ فنقوا القدر بشيء متوهم دخلوا فيه؛ فشبهوا قدر الله بإكراه المخلوق للمخلوق.

والتشبيه المتوهم: أصل ضلال الفرق في الله، وفي أسمائه وصفاته؛ قال الله مثبتاً لقدره: ﴿كُلُّ شَيْءٍ خَلَقْتُهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر: ٤٩]، وقال مثبتاً لحجته التامة على الخلق: ﴿فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ﴾ [الأنعام: ١٤٩]، وقال نافية الظلم عن نفسه: ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾ [فصلت: ٤٦].

ولا يلزم من إثبات ما في هذه الآيات القول بالتناقض، وقد كان توهم الظلم يقع في بعض النفوس حتى في الصدر الأول؛ وذلك لضعف العقل وقصوره عن فهم دقائق القدر وسره:

ففي «صحيح مسلم»، عن أبي الأسود الدبيلي؛ قال: «قال لي عمران بن الحصين: أرايت ما يعمل الناس اليوم، ويكذحون فيه؛ أشيء قضى عليهم، ومضى عليهم من قدر ما سبق، أو فيما يستقبلون به مما أتاهم به نبيهم، وثبتت الحجة عليهم؟

فقلت: بل شيء قضى عليهم، ومضى عليهم.

قال: فقال: أفلا يكون ظلماً؟

قال: ففرغت فزعاً شديداً، وقلت: كل شيء خلق الله، ومليك يده؛ ف ﴿لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٣].

فقال لي: برحمتك الله؛ إني لم أرد بما سألتك إلا لأخبر عقلت<sup>(١)</sup>.

وكان الأئمة من السلف - ومن تبعهم من أهل الحديث والفقه والعربية - يدركون أن لا تناقض بين الإيمان بالقدر، وبين إيجاب العمل

والحساب عليه؛ يقول أبو عمرو بن العلاء: «أشهد أن الله يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ، وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ، والله علينا الحُجَّةُ، وَمَنْ قَالَ: تَعَالَى أَحَاصِمُكَ، قُلْتُ لَهُ: أَغْنِ عَنَّا نَفْسَكَ»<sup>(١)</sup>؛ فَيُثَبِّتُ الْقَدَرَ، وَيُمْسِكُ عَنِ الْجِدَالِ فِيهِ.

وكان ابنُ العلاء - وهو من أهل القرن الثاني - من أعلم أهل العربية باللسان، وَحُجَّتُهُ وَعِلْمُهُ الْعَرَبِيَّ عَامَّةً مِنْ كَلَامٍ وَبَيَانِ الْجَاهِلِيِّينَ وَفَصَاحَتِهِمْ؛ قَالَ الْأَصْمَعِيُّ: «جَلَسْتُ إِلَى أَبِي عَمْرِو بْنِ الْعَلَاءِ عَشْرَ حَجَجٍ، فَلَمْ أَسْمَعْهُ يَخْرُجُ بَيْتَ إِسْلَامِي»<sup>(٢)</sup>.

وَبَنَحَوْهُ هَذَا قَالَ يُونُسُ بْنُ حَبِيبٍ لَمَّا سُئِلَ عَنِ الْقَدَرِ؟ قَالَ: «لَا فِكْرَ لِي فِيهِ»<sup>(٣)</sup>.

### ❦ الْعِلْمُ بِالْأَسْبَابِ لَا يُخْرِجُ صَاحِبَهُ مِنْ قَدَرِ اللَّهِ:

وَلَا يُمَكِّنُ أَنْ يَخْرُجَ الْخَلْقُ عَنْ مَرَادِ اللَّهِ وَمَشِئَتِهِ، حَتَّى لَوْ عَلِمَ الْأَسْبَابَ الَّتِي تُخْرِجُهُ عَنْهَا، فَلَنْ يَتِمَكَّنَ؛ فَإِنَّ اللَّهَ يُغْلِقُهَا عَلَيْهِ؛ لِيَبَيِّنَ لَهُ ضَعْفَهُ وَعَجْزَهُ أَمَامَ قُدْرَةِ اللَّهِ وَمَشِئَتِهِ.

وَقَدْ جَاءَ رَجُلٌ إِلَى الْخَلِيلِ بْنِ أَحْمَدَ، فَقَالَ: «إِنَّهُ قَدْ وَقَعَ فِي نَفْسِي شَيْءٌ مِنَ الْقَدَرِ؛ فَبَيِّنْ لِي ذَلِكَ، قَالَ الْخَلِيلُ: تُبْصِرُ شَيْئًا مِنْ مَخَارِجِ الْكَلَامِ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: أَيْنَ مَخْرَجُ الْحَاءِ؟ قَالَ: مِنْ أَصْلِ اللِّسَانِ، قَالَ: أَيْنَ مَخْرَجُ الثَّاءِ؟ قَالَ: مِنْ طَرَفِ اللِّسَانِ، قَالَ: اجْعَلْ هَذَا مَكَانَ هَذَا، وَهَذَا مَكَانَ هَذَا، قَالَ: لَا أَسْتَطِيعُ، قَالَ: فَأَنْتَ عَبْدٌ مَدْبُورٌ»<sup>(٤)</sup>.

(١) «تأويل مختلف الحديث» (ص ١٣٩). (٢) «البيان والتبيين» (١/٣٢١).

(٣) «إنباه الرواة» (٤/٧٦).

(٤) «تهذيب الكمال» (٨/٣٢٨ - ٣٢٩).

﴿عَلَّمَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ﴾

﴿قَالَ ابْنُ أَبِي زَيْدٍ: ﴿عَلَّمَ كُلَّ شَيْءٍ قَبْلَ كَوْنِهِ؛ فَجَرَى عَلَى قَدَرِهِ، لَا يَكُونُ مِنْ عِبَادِهِ قَوْلٌ وَلَا عَمَلٌ إِلَّا وَقَدْ قَضَاهُ، وَسَبَقَ عِلْمُهُ بِهِ؛ ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [الملك: ١٤]﴾:

كُلُّ مَا فِي الوجودِ خَلَقَ اللهُ، وهو عالمٌ محيطٌ بهم، لا يعزُبُ عنه شيءٌ من ذلك؛ جليلُهُ وعظيمُهُ، كثيرُهُ وقليلُهُ، كليَّاتُهُ مهما كَثُرَتْ، وجزئياتُهُ مهما دَقَّتْ، يَرَى الذَّرَّةَ، كما يَرَى المَجَرَّةَ، لا يَزِيدُ عِلْمُهُ فِي النُّورِ، ولا يَنْقُصُ فِي الظُّلَامِ، يَعْلَمُ ما كان وما يَكُونُ وما لم يَكُنْ لو كان كيف كان يَكُونُ.

قال تعالى: ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْغَيْبِ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٌ فِي ظُلُمَاتٍ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٌ وَلَا يَابِسٌ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ [الأنعام: ٥٩]، وقال: ﴿وَمَا مِنْ غَائِبَةٍ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ [النمل: ٧٥]، وقال: ﴿لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ﴾ [آل عمران: ٥]، وقال: ﴿يَبْنِيْ إِنَّهَا إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ﴾ [القصص: ١٦]، وقال: ﴿يَعْلَمُ مَا يَلْجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَزِلُّ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَرْجُ فِيهَا وَهُوَ الرَّحِيمُ الْغَفُورُ﴾ [سبا: ٢].

وَيَعْلَمُ اللهُ ما لم يَكُنْ مِنَ العبادِ لو كان: كيف كان يَكُونُ، وكيف يُؤوِّلُ إليه أمره؛ فقد قال اللهُ عن الكافِرِينَ الَّذِينَ يَتَمَنَّوْنَ الرُّجُوعَ إِلَى الدُّنْيَا بَعْدَ مَعَايِنَةِ النَّارِ: ﴿وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ﴾ [الأنعام: ٢٨]، وقال تعالى عن حال المعاندين: ﴿وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُّعْرِضُونَ﴾ [الأنفال: ٢٣].

وزعم بعض الفلاسفة والمتكلمين عدم علم الله بالجزئيات؛ فيرون أن الله يعلم الأشياء على وجه ثابت كلي، لكنه لا يدخل تحت عجلة الزمان؛ فلا يعلم الجزئيات التي يكون حدوثها يوجب تجدد الإحاطة بها؛ فيحدث تغيراً في ذات العالم.

وقد أشار إلى هذا الجويني في «البرهان»<sup>(١)</sup>؛ وهذا ضلالٌ مبين؛ فكل ما في الوجود خلق الله، وإذا كان خلقه، فهو عالم به، وقد استنكر الله على من فصل بين العلم والخلق: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [المك: ١٤].

وقد ردّ أئمة السُنّة هذه الضلالة، ووجدت في بعض مقالات المغاربة، وردّ عليهم أئمتها؛ كابن العربي<sup>(٢)</sup>، بل قال المازري لشدّة فسادها: «وبودّي لو محوُت هذا من هذا الكتاب بماء بصري»<sup>(٣)</sup>؛ يعني: من كتاب الجويني.

### ❦ مشيئة الله وقدرته على خلق أفعال العباد:

❦ قَالَ ابْنُ أَبِي زَيْدٍ: ﴿يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ فَيَخْذُلُهُ بَعْدَ ذَلِكَ، وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ فَيُوقِّعُهُ بِفَضْلِهِ؛ فَكُلُّ مُسَرٍّ بِتَيْسِيرِهِ، إِلَى مَا سَبَقَ مِنْ عِلْمِهِ وَقَدْرِهِ؛ مِنْ شَقِيٍّ أَوْ سَعِيدٍ﴾:

لا يخرج الناس عن تقدير الله لهم، وتقديره لهم لا يعني: أنه سبحانه لا يريد من الكافرين شرعاً الإيمان، ولا يرضاهم لهم، ولكنه سبق في علمه ما هم فاعلون؛ فمن أراد الخير، هداه، ومن أراد الشر أضله؛

(٢) «العواصم» (ص ١٣٨).

(١) «البرهان» (١/ ١٤٥ - ١٤٦).

(٣) «إيضاح المحصول» (ص ١٢٥).

فَاللَّهُ لَا يَحْرِمُ مَرِيدَ الْخَيْرِ مِنْهُ؛ وَقَدْ قَالَ ابْنُ أَبِي زَيْدٍ فِي «جَامِعِهِ»: «وَكُلُّ  
يَنْتَهِي إِلَى سَابِقِ عِلْمِهِ؛ لَا مَحِيصَ لِأَحَدٍ عَنْهُ»<sup>(١)</sup>، وَقَالَ: «وَحَذَلْ مَنْ  
عَصَاهُ وَكَفَّرَ بِهِ، فَأَسْلَمَهُ وَيَسَّرَهُ لِذَلِكَ فَحَجَبَهُ وَأَضَلَّهُ؛ وَمَنْ يُضِلُّ فَلَنْ  
يَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْشِدًا» [الكهف: ١٧]<sup>(٢)</sup>، وَقَالَ هُنَا: «يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ فَيَحْذِلُهُ  
بِعَدْلِهِ، وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ فَيُوقِّقُهُ بِقُضْلِهِ».

وَأَمَرَ النَّبِيُّ ﷺ كَمَا تَقَدَّمَ بِالْإِمْسَاكِ عَمَّا سَكَتَ عَنْهُ الشَّرْعُ فِي  
الْقَدَرِ، وَوَجُوبِ الْإِيمَانِ وَالتَّسْلِيمِ؛ لِعَجْزِ الْعُقُولِ عَنِ الْإِدْرَاكِ؛ فَمَنْ  
دَخَلَهُ، بَحَثْ فِيمَا تَعَجَّزُ عَنْهُ الْعُقُولُ وَالْأَفْكَارُ، فَتَحَيَّرْ وَتَضِلَّ وَتَزِيغْ، وَقَدْ  
دَخَلَ فِي هَذَا الْبَابِ طَوَائِفُ، فَانْتَهَى بِهِمْ إِلَى ضَلَالٍ.

### المُخَالَفُونَ فِي الْقَدَرِ:

وَقَدْ خَالَفَ فِي الْقَدَرِ طَوَائِفُ: جُفَاءً، وَغُلَاةً، وَأَشْبَاهُ غُلَاةٍ قَائِلُونَ  
بِالْكُسْبِ:

• أَمَّا الْجُفَاءَةُ الَّذِينَ يَنْفُونَ الْقَدَرَ: فَيَجْعَلُونَ تَصَرُّفَ الْمَخْلُوقِ مَنْفَرِدًا  
كَتَصَرُّفِ الْخَالِقِ، وَلَا مَشِيئَةَ لِلْخَالِقِ فَوْقَ مَشِيئَةِ الْمَخْلُوقِ بَعْدَ خَلْقِهِ،  
وَأَنَّ اللَّهَ خَلَقَهُمْ وَدَبَّرَهُمْ، وَسَبَّبَ لَهُمْ وَتَرَكَّهُمْ.

وهؤلاء هم القدرية، وقد أظهر هذا القول معبد الجهنني، وعيلاً  
الدَّمَشَقِيِّ، وَغَيْرُهُمَا مِنْ أَهْلِ الْإِعْتِزَالِ.

وَقَدْ قَالَ مَالِكٌ: «وَالْقَدَرِيَّةُ أَشَرُّ النَّاسِ، وَرَأَيْتُهُمْ أَهْلَ طَيْشٍ وَسَخَافَةٍ  
عُقُولٍ وَبِدْعٍ، بَأَيِّ كَثِيرَةٍ عَلَيْهِمْ؛ مِنْهَا قَوْلُ اللَّهِ ﷻ: ﴿لَا يَزَالُ بُنْيَانُهُمْ  
الَّذِي بَنَوْا رَبَّهُ فِي قُلُوبِهِمْ﴾ [التوبة: ١١٠]، وَمِنْهَا: ﴿وَأَوْحَىٰ إِلَيْكَ نُوحٌ أَنَّهُ لَنْ

يُؤْمِنُ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ ءَامَنَ ﴿[هود: ٣٦]، وقال: ﴿وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاِجْرًا كَفَّارًا﴾ [نوح: ٢٧]، وقال: ﴿مَا أَنتُمْ عَلَيْهِ بِفَاعِلِينَ ﴿١٦٢﴾ إِلَّا مَنْ هُوَ صَالٍ الْجَحِيمِ﴾ [الصافات: ١٦٢-١٦٣]، وقال: ﴿وَلَكِنْ كَرِهَ اللَّهُ انْبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ﴾ [التوبة: ٤٦]، في أي كثيرة<sup>(١)</sup>.

وَالْقَدْرِئَةُ أَصْلُوا لِقَوْلِهِم بِالْكَلَامِ وَالنَّظَرِ، ثُمَّ اسْتَدَلُّوا بِأَدْلَةٍ مُتَشَابِهَةٍ فِي قُلُوبِهِمْ، تَوْهَمُوهَا حُجَّةً لِقَوْلِهِم:

وَذَلِكَ كَالآيَاتِ الَّتِي تَبَيَّنَ أَنَّ الْعِبَادَ يَفْعَلُونَ وَيَتْرُكُونَ، فَيُؤْمِنُونَ وَيَكْفُرُونَ وَيَفْسُقُونَ، وَيَطِيعُونَ وَيَعْصُونَ.

وهذا كله داخلٌ في مشيئة العبد، ولا يُخْرِجُ مشيئة الله النافذة عليه. وكاستدلالهم بأدلة إتيان الله لخلقهم وصنعتهم؛ كقوله تعالى: ﴿صُنِعَ اللَّهُ الْذِي أَنْفَنَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [النمل: ٨٨]؛ فجعلوا لازم ذلك نفْيَ نِسْبَةِ تَصَرُّفَاتِ النَّاسِ إِلَى اللَّهِ؛ لِمَا تَتَضَمَّنُهُ مِنْ عَدَمِ إِتْقَانٍ وَإِخْلَالٍ، وَضَلَالٍ وَكُفْرٍ.

والله سبحانه يُرِيدُ أَصْلَ خَلْقِهِ حَيْثُ أَبْدَعَهُ وَأَتَقَنَهُ، وَأَمَّا فَسَادُ أَعْمَالِ النَّاسِ: فَمِنْ مَشِيئَتِهِمُ الَّتِي أَذِنَ اللَّهُ بِهَا لِحِكْمَةٍ، فَلَمْ يَخْرُجُوا عَنْ إِرَادَتِهِ وَتَقْدِيرِهِ، وَالْآيَةُ نَفْسُهَا دَالَّةٌ عَلَى إِبْطَالِ الْفِعْلِ لِلنَّاسِ؛ فَاللَّهُ قَالَ: ﴿صُنِعَ اللَّهُ الْذِي أَنْفَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَيْرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ﴾ [النمل: ٨٨]، فَلَمَّا ذَكَرَ صُنْعَ الْخَالِقِ، أَضَافَهُ إِلَى نَفْسِهِ: ﴿صُنِعَ اللَّهُ﴾؛ لِأَنَّهُ لَا مَشِيئَةَ لِأَحَدٍ مَعَهُ فِيهِ، وَلَمَّا ذَكَرَ فِعْلَ النَّاسِ، أَضَافَهُ إِلَيْهِمْ: ﴿بِمَا تَفْعَلُونَ﴾؛ لِمَا لَهُمْ مِنْ اخْتِيَارٍ وَمَشِيئَةٍ بَعْدَ مَشِيئَتِهِ.

وليس ما يَسْتَقْبِحُهُ النَّاسُ مِنْ ذَوَاتٍ وَأَفْعَالٍ دَلِيلًا عَلَى نِسْبَتِهَا

(١) «الجامع» لابن أبي زيد (ص ١٢١).

لغير الله؛ فالله يقول: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ [التين: ٤]، وهناك من الناس من يُولد مشوها مريضاً خديجاً؛ كالمتور والمشلول، ومن يُولد برجل أو يد أو عين، أو بأكثر من عشرة أصابع، أو برأسين؛ وهذا كله لا يُجيزُ نسبة تلك الأجساد لخالق غير الله؛ وإنما جعلها الله كذلك لحكمة.

وقد كان لازم قولهم: أَنَّ العبادَ يَخْلُقُونَ ما يَفْعَلُونَ؛ فجعلوا إلهين وخالقاً غير الله؛ فشابهوا بذلك المجوس الذين يتخذون إلهين: إله الخير، وهو النور، وإله الشر، وهو الظلمة.

• وأما الغلاة: فهم الذين يقولون بالجبر؛ أي: أنه لا اختيار للمكلفين، ولا مشيئة، وحال المكلف كحال الجمادات؛ فالملائكة والإنسان والجان؛ كالكوكب والأجرام؛ فالإنسان مسير بلا اختيار: يقوم ويقعد ويتكلم، كما تطلع الشمس وتغرب.

وهؤلاء هم الجبرية، وقابلوا نفاة القدر بغلو، وأول من أشهره: الجهم بن صفوان، وقد كان شيخه الجعد بن درهم يقول به.

وهم كسابقيهم قالوا بالجبر، أرادوا تنزيه الله من وجهٍ مقابل للنفاة بالكلام والنظر، ثم استدلوا بأدلة الوحي:

- وذلك؛ كآيات الدالة على أَنَّ الله خالق كل شيء، وعلى نفي خالق غيره؛ كقوله تعالى: ﴿اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [الرعد: ١٦]، وقوله: ﴿هَلْ مِنْ خَلْقٍ عِندَ اللَّهِ﴾ [فاطر: ٣].

- وكذلك الأدلة التي تجعل تصرف الإنسان تحت مشيئة الله وتدبيره؛ كقوله تعالى: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾ [الإنسان: ٣٠]، وجعلوا ذلك سلباً لإرادة الإنسان.

وحملوا الأدلة ما لا تحتمل، وهي أدلة عليهم لا لهم، أدلة للحق الذي يقول به السلف؛ فالله تعالى خلق الناس وأفعالهم؛ فهو خالق كل شيء، وجعل لهم مشيئة تدل على اختيارهم وتصرفهم، ولكن بعد إذن الله ومشيته، فلو كان للكواكب مشيئة كمشيئة الناس، لذكرها، وهم يجعلون الناس كالكواكب وسائر الجمادات؛ فلماذا خص الله الناس بالمشيئة، ولم يخص الكواكب بمثلها إلا لتمييز بينهم، وقد قال الله مضيئاً فعل النبي ﷺ بالرمي إليه: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى﴾ [الأنفال: ١٧]؛ فأثبت لنبيه رمياً واختياراً: ﴿إِذْ رَمَيْتَ﴾، وأثبت لنفسه القدرة والمشيئة الممضية لذلك: ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى﴾.

ولازم قولهم: أن التكاليف الشرعية جبر، وأن الطاعة والمعصية من العباد جبر.

وقد أثبت الله لعباده مشيئة بعد مشيئته، وإرادة بعد إرادته؛ قال تعالى: ﴿لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ﴾ (١٨) ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْغَالِبِينَ﴾ [التكوير: ٢٨ - ٢٩]، وقال: ﴿إِنَّ هَذِهِ تَذْكِرَةٌ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا﴾ (١٩) ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾ [الإنسان: ٢٩ - ٣٠]، وقال: ﴿كَلَّا إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ﴾ (١١) ﴿فَمَنْ شَاءَ ذَكَّرْهُ﴾ [عبس: ١١ - ١٢].

فقوله: ﴿لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ﴾ [التكوير: ٢٨] إبطال لقول الجبرية، وقوله: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾ [التكوير: ٢٩] إبطال لقول القدرية؛ فكيف لعبد أن يفعل ما لا يشاؤه الله؟ لا يفعل أحد في الكون شيئاً بغير علمه وإذنه.

وأدلة الجبرية هي أدلة يُعرف بها فساد قول القدرية، وأدلة القدرية هي أدلة يُعرف بها فساد قول الجبرية، وكثيراً ما يُعرف فساد قول طائفة



بأدلة خصومها عليها، وفي طوائف الضلال من المجادلة والنقض بعضها لبعض ما لا يوجد عند غيرهم، خاصة في الطوائف التي تتقابل في قول باطل: واحدة في أقصاه يمينا، وثانية في أقصاه شمالا.

وكان أئمة السنة في المغرب يردون قول القدرية والجبرية، ويحاجون من قال به؛ يقول عون بن يوسف الخزاعي - وهو من علماء القيروان، وكان أكبر من سحنون، ومن أصحاب عبد الله بن وهب -: «إذا أردت أن تكفر القدري، فقل له: ما أراد الله ﷻ من خلقه؟ فإن قال: أراد منهم الطاعة، فقد كفر؛ لأن منهم من عصى؛ وكلُّ إله لا تتم إرادته، فليس بإله، وإن قال: أراد منهم المعصية، فقد كفر؛ لأن منهم من أطاع؛ وكلُّ إله لا تتم إرادته، فليس بإله»<sup>(١)</sup>.

• وأما القائلون بالكسب: فجمهور الأشاعرة ومتأخروهم؛ يثبتون لله الخلق والمشيئة، ولكنهم يجعلون أفعال العباد الاختيارية بإرادة الله وقدرته وحده، لا باختيار العبد ولا قدرته، ولا أثر له في ذلك، وإنما هو كاسب لها، وكسب العبد عندهم هو مقارنته لقدرته من غير أن يكون هناك من تأثير أو مدخل في وجوده سوى كونه محلا له؛ كما يقوله صاحب «المواقف»<sup>(٢)</sup>.

وقد تأثر الأشاعرة القائلون بالكسب بالضرارية والنجارية قبلهم. وهذا القول يشابه قول الجبرية، ومن أشد ما شنع به المعتزلة عليهم؛ فهم ينفون أي قدرة للعبد أو تأثير في أفعاله؛ فإن الله قادر على إيجاد الحوادث التي يريد لها الإنسان بدون فعله، فهو مؤجدها وحده، ولو كان الإنسان مشاركا مقترنا في إحداثها في الظاهر، فلا أثر له في الحقيقة.

(٢) «المواقف» (٣/ ٢٠٨ - ٢١٤).

(١) «رياض النفوس» (١/ ٣٨٦).

وقولهم هذا قريبٌ من حَمْلِ رَجُلٍ كَبِيرٍ قَوِيٍّ حِجَارَةً ثَقِيلَةً يَقْدِرُ عَلَيْهَا وَحْدَهُ، فَيُشَارِكُهُ فِيهَا طِفْلٌ صَغِيرٌ - بِيَدٍ ضَعِيفَةٍ - لَا يَقْوَى عَلَى تَحْرِيكِ الْحِجَارَةِ، فَضْلاً عَنْ حَمْلِهَا؛ فَيَدُ الطِّفْلِ مَقْتَرِنَةٌ بِالْفِعْلِ، لَكِنَّهَا غَيْرُ مُؤَثِّرَةٍ فِي الْحَمْلِ.

وهذا القولُ مِنَ الْأَقْوَالِ الَّتِي لَا يَقْبَلُهَا النَّصُّ، وَلَا يَعْضُدُهَا الْعَقْلُ، وَلَا يُؤَيِّدُهَا الْحِسُّ؛ فَالْعَاقِلُ يَفْرُقُ بَيْنَ الرَّعْشَةِ الَّتِي تَغْلِبُ بَدَنَهُ بِلا اخْتِيَارٍ، وَبَيْنَ فِعْلِهِ بِاخْتِيَارِهِ.

وقد كان جماعةٌ مِنْ فَضَلَاءِ الْأَشَاعِرَةِ لَا يَقُولُونَ بِذَلِكَ؛ كَالْبَاقِلَانِيِّ<sup>(١)</sup>، وَغَيْرِهِ.

### الْحَتْمِيَّةُ السَّبَبِيَّةُ:

وَنَشَأُ قَوْلَ الْقَائِلِينَ بِالْحَتْمِيَّةِ السَّبَبِيَّةِ؛ وَهُمْ الَّذِينَ يَجْعَلُونَ الْكَوْنَ مُنْتَظِمًا بِنِظَامٍ مُحْكَمٍ لَا يَخْرُجُ عَنْهُ، وَكُلُّ وَاقِعَةٍ لَا يُمَكِّنُ أَنْ تَكُونَ إِلَّا كَذَلِكَ، وَلَا شَأْنَ لِأَحَدٍ فِيهَا؛ فَإِنَّ اخْتِيَارَ اللَّهِ إِنَّمَا كَانَ فِي أَصْلِ الْإِبْجَادِ، لَا فِي تَتَبُعِ الْمَعَادَلَاتِ وَنَتَائِجِهَا؛ فَلَا يَرَوْنَ أَنَّ لِلَّهِ إِرَادَةً تَتَعَرَّضُ لِلذَلِكَ النَّظَامَ بِالتَّبْدِيلِ وَالتَّغْيِيرِ.

وهؤلاءُ جَبَرِيَّةٌ فِي الْمَبْتَدَأِ، وَقَدَرِيَّةٌ فِي الْمُنْتَهَى؛ وَبِهَذَا يَقُولُ كَثِيرٌ مِنَ الْفَلَسَفَةِ الْغَرِبِيِّينَ مِثْلُ سِبِينُوزَا، وَكَانْتِ، وَهِيْجِل، وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَشْنِي الرُّوحَ؛ فَيَرَى أَنَّ كُلَّ جَسَدٍ مُحْكَمٌ بِقَوَانِينِ الطَّبِيعَةِ، إِلَّا الرُّوحَ؛ فَهِيَ طَلِيقَةٌ مِنْ هَذِهِ الْقَوَانِينِ، وَيَرَى أَنَّ عَلَيْهَا أَنْ تُجَاهِدَ الْجَسَدَ، وَتَلْتَمِسَ الْعَوْنَ مِنَ اللَّهِ بِالْمَعْرِفَةِ فِي جِهَادِهَا.

﴿ نَفْيُ الْقَدَرِ يُلْزَمُ مِنْهُ الْعَجْزُ :

﴿ قَالَ ابْنُ أَبِي زَيْدٍ : ﴿ تَعَالَى أَنْ يَكُونَ فِي مُلْكِهِ مَا لَا يُرِيدُ ، أَوْ يَكُونَ لِأَحَدٍ عَنْهُ غِنًى ، أَوْ يَكُونَ خَالِقٌ لَشَيْءٍ إِلَّا هُوَ ، رَبُّ الْعِبَادِ وَرَبُّ أَعْمَالِهِمْ ، وَالْمُقَدَّرُ لِحَرَكَاتِهِمْ وَأَجَالِهِمْ ، الْبَاعِثُ الرُّسُلِ إِلَيْهِمْ ؛ لِإِقَامَةِ الْحُجَّةِ عَلَيْهِمْ ۖ ﴾

ذَكَرَ الْمُؤَلِّفُ ذَلِكَ ؛ لِأَنَّ مُقْتَضَى نَفْيِ الْقَدَرِ : أَنَّهُ يَكُونُ فِي مُلْكِ اللَّهِ مَا لَا يَرِيدُهُ اللَّهُ ؛ فَإِمَّا أَنْ تَكُونَ حَوَادِثُ الْكَوْنِ بِتَقْدِيرِهِ ؛ فَهُوَ أَرَادَهَا قَدَرًا ، وَإِمَّا أَنْ تَكُونَ مِنْ غَيْرِهِ ؛ فَلَا شَكَّ أَنَّهُ لَا يَتَوَافَقُ أَحَدٌ مَعَ غَيْرِهِ فِي كُلِّ مَرَادٍ ؛ فَلَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ أَحَدُهُمَا يَرِيدُ مَا لَا يَرِيدُهُ الْآخَرُ ؛ فَلِأَزْمِ نَفْيِ الْقَدَرِ : أَنْ يُتَصَرَّفَ فِي كَوْنِهِ بِمَا لَا يَرِيدُهُ ، وَيَعْجِزُ عَنْ دَفْعِهِ ؛ تَعَالَى اللَّهُ عُلُوًّا كَبِيرًا ؛ فَلَا يَكُونُ فِي مُلْكِ اللَّهِ إِلَّا مَا يَرِيدُهُ اللَّهُ ، وَيَقْدَرُهُ مِنْ خَيْرٍ أَوْ شَرٍّ ، مَحْبُوبٍ أَوْ مَكْرُوهٍ ؛ وَلِهَذَا جَاءَ فِي الْحَدِيثِ الْقُدْسِيِّ فِي «مُسْلِمٍ» : (وَلَكِنِّي عَلَى مَا أَشَاءُ قَادِرٌ)<sup>(١)</sup> ، وَفِي «الْمُسْنَدِ» بِلَفْظٍ : (وَلَكِنِّي عَلَى مَا أَشَاءُ قَدِيرٌ)<sup>(٢)</sup> .

وَبَعْضُهُمْ<sup>(٣)</sup> : يَكْرَهُ إِطْلَاقَ قَوْلٍ : «وَاللَّهُ عَلَى مَا يَشَاءُ قَدِيرٌ» ؛ لِأَنَّ قُدْرَةَ اللَّهِ أَوْسَعُ :

وَفِي هَذَا التَّعْلِيلِ نَظَرٌ ؛ فَالْحَدِيثُ فِيهِ ثَابِتٌ ، وَهُوَ يَتَضَمَّنُ إِثْبَاتًا لِلَّهِ ، وَتَنْزِيهًا لَهُ :

○ فَأَمَّا الْإِثْبَاتُ : فَهُوَ إِثْبَاتُ الْقَدَرِ وَالْحِكْمَةِ لَهُ .

(١) مُسْلِمٌ (١٨٧) مِنْ حَدِيثِ ابْنِ مَسْعُودٍ . (٢) «الْمُسْنَدُ» (١/٤١٠) رَقْمُ (٣٨٩٩) .

(٣) «الْمَنَاهِي اللَّفْظِيَّةُ» (ص ٥٥٥) .

○ وأما التنزيه: فإنَّ الله لا يشاء من الأقدارِ إلا ما هو خيرٌ كاملٌ أو غالبٌ، وله حكمةٌ فيه كله، وما لا يشاؤه الله، لم يُذكر في الحديث؛ لأنَّ الله ينزهه عن العَبَثِ؛ فما اختار الله من التقديرِ إلا ما هو أحسنُ من غيره، وأتمُّ وأحكم، وما لم يشأه دون ما شاءه حُسْنًا وتَمَامًا وحِكْمَةً، ويختلفُ التباينُ في ذلك بحسبِ اختلافِ الأعيانِ والأفعالِ والأحوالِ، والأزمانِ والأمكنة.

وقد جعلَ الله خَلْقَهُ على نوعَيْنِ في بابِ الاختيارِ والمشِيئةِ:

□ خَلْقٌ: لا اختيارَ لهم ولا مشيئةً؛ كالجماداتِ من الكواكبِ والنجومِ، والحجرِ والترابِ؛ فهذه غيرُ مكلفةٍ؛ لأنها غيرُ مختارة.

□ وخلقٌ: لهم اختيارٌ ومشِيئةٌ؛ وهم على قسمَيْنِ:

أولاً: مكلفون بالدينِ والدنيا؛ وهم العقلاء؛ كالملائكةِ والإنسِ والجنِّ؛ فهؤلاء يُمدحون بحسبِ ما يختارونه من الامتثالِ لله، وبحسبِ ما يجدونه من صبرٍ على ذلك ومشقةٍ وشدةٍ:

وقد جعلَ الله في بعضهم: شهواتٍ ورغباتٍ يبتليهم بها، ويختبرهم في اتباعِ أمره، وتقديمه على شهواتهم ورغباتهم؛ وهذا كالإنسِ والجنِّ.

ولم يجعلْ في خلقه بعضهم شيئاً من الشهواتِ والغرائزِ تُنازعهم الحقَّ؛ ولهذا فهؤلاء الملائكةُ لا يخرجون عن أمرِ الله؛ كما قال تعالى: ﴿لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحريم: ٦].

ومن هنا: فضلُ أكثرِ العلماءِ من أهلِ السُّنَّةِ: الصالحينَ من بني آدمَ على الملائكةِ.

ثانياً: مكلفون بالدنيا بلا عقلٍ؛ وهي البهائمُ؛ فالله خلقها، وجعلَ فيها إدراكاً، ولم يجعلْ فيها عقلاً؛ فتدركُ دنياها، ولا تفهمُ تكاليفَ

العبادة كما يفهمه البشر، وعبادتها تسخيرٌ من جنس عبادة الجمادات، ولكن لها اختيارٌ ومشيةٌ دنيويةٌ، تعمل وتدبر باختيارها، وتُحاسب على خطيئها الذي تفهمه في الدنيا والآخرة؛ ومن ذلك قوله ﷺ: (لَيَقْتَصَنَّ اللَّهُ لِلشَّاةِ الْجَمَاءِ مِنَ الشَّاةِ الْقَرَنَاءِ)<sup>(١)</sup>، وفي «الصحيحين»: أن رسول الله ﷺ أَمَرَ أُمَّ شَرِيكَ بِقَتْلِ الْأَوْزَاعِ، وَقَالَ: (كَانَ يَنْفُخُ عَلَى إِبْرَاهِيمَ)<sup>(٢)</sup>.

ومن ذلك: إدراك الفأر لبعض ما تفعله من شيء؛ كما روى البخاري عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه؛ قال: قال رسول الله ﷺ: (أَطْفُوا الْمَصَابِيحَ؛ فَإِنَّ الْفُؤَيْسِقَةَ رُبَّمَا جَرَّتِ الْفَيْلَةَ؛ فَأَحْرَقَتْ أَهْلَ الْبَيْتِ)<sup>(٣)</sup>.

وإدراك البهائم للأوامر الدنيوية مفطورةٌ عليه بطبعها؛ ولهذا فهي تختلف وتتباين بحسب جنسها ونوعها؛ فبهيمة الأنعام ليست كالسباع؛ فالشياه إن تناطحَتْ، تحاسبتْ، ولو أكل السبع الشاة، لم يُحاسب؛ لأن الله جعل رزق السبع فيها، ولم يجعل رزق الشياه بعضها من بعض.

رسالة النبي ﷺ، وكتابه:

قَالَ ابْنُ أَبِي زَيْدٍ: «لَمْ خَتَمِ الرَّسَالَةَ وَالنَّذَارَةَ وَالنُّبُوَّةَ بِمُحَمَّدٍ نَبِيِّهِ ﷺ؛ فَجَعَلَهُ آخِرَ الْمُرْسَلِينَ، بَشِيرًا وَنَذِيرًا، وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا»:

بَعَثَ اللَّهُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا؛ لِنُبْلِيغِ عِبَادَتِهِ وَحَقَّهُ عَلَيْهِمْ؛ لِأَنَّ الْعِبَادَةَ هِيَ الْحِكْمَةُ مِنَ الْخَلْقِ: «وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ» [الذاريات: ٥٦]، وقد ذَكَرَ اللَّهُ أَنَّهُ لَمْ يَدْعُ أُمَّةً مِنَ الْأُمَمِ إِلَّا وَقَدْ أَقَامَ عَلَيْهِمْ

(١) مسلم (٢٥٨٢) من حديث أبي هريرة؛ بنحوه.

(٢) البخاري (٣٣٥٩)، ومسلم (٢٢٣٧). (٣) البخاري (٣٣١٦) و٦٢٩٥.

حُجَّتَهُ، وَبَلَّغَهُمْ رِسَالَتَهُ؛ قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾ [فاطر: ٢٤]، وَقَالَ: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا﴾ [النحل: ٣٦]، وَقَالَ: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَسُولٌ﴾ [يونس: ٤٧]؛ فَكَانَتْ الرُّسُلُ تَتَابَعُ لِلْبَلَاغِ، نَبِيًّا بَعْدَ نَبِيٍّ؛ حَتَّى لَا يَغِيبَ الْحَقُّ مِنَ الْأَرْضِ بِالْكَلْبَةِ؛ قَالَ تَعَالَى عَنْ تَتَابُعِ رُسُلِهِ: ﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرًا﴾ [المؤمنون: ٤٤].

وَتَتَابَعُ الرُّسُلُ حَتَّى تَقُومَ الْحُجَّةُ فِي الْأَرْضِ عَلَى الْعَالَمِينَ، وَتَنْقَطِعَ أَعْذَارُهُمْ؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾ [النساء: ١٦٥]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾ [النساء: ٤١].

وَالْإِيمَانُ بِجَمِيعِ الرُّسُلِ وَاجِبٌ، وَالْكَافِرُ بِوَاحِدٍ مِنْهُمْ كَافِرٌ بِجَمِيعِهِمْ؛ قَالَ تَعَالَى: ﴿كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَكِيهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا يَفِرُّ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ﴾ [البقرة: ٢٨٥]، وَقَالَ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ﴾ [النساء: ١٥٠]؛ فَجَعَلَ الْكَفْرَ بِهِ وَبِرُسُلِهِ وَاحِدًا، وَلَا يَلْزَمُ مِنَ الْإِيمَانِ بِرَسُولٍ اتِّبَاعُ شَرِيعَتِهِ، بَلْ إِنَّ الْإِيمَانُ بِهِ يَقْتَضِي تَصْدِيقَ الْخَبَرِ، وَالْإِقْرَارَ بِالْمَنْزِلَةِ وَالْفَضْلِ، وَأَمَّا الْإِتِّبَاعُ، فَقَدْ خَتَمَ اللَّهُ جَمِيعَ الشَّرَائِعِ بِرِسَالَةِ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ ﷺ.

### خِتَامُ رِسَالَةِ النَّبِيِّ ﷺ لِلرُّسُلَاتِ:

وَكُلُّ نَبِيٍّ يَبْعَثُهُ اللَّهُ لِأُمَّتِهِ وَقَوْمِهِ، وَيَجْعَلُ رِسَالَتَهُ مُقْبِلَةً بِزَمَانٍ نَتَهِي بِهِ، إِلَّا رِسَالَةَ النَّبِيِّ ﷺ؛ فَقَدْ جَعَلَهَا اللَّهُ عَامَّةً لِلْعَالَمِينَ جِنًّا وَإِنْسًا، وَجَعَلَهَا دَائِمَةً وَخَاتِمَةً لِلرُّسُلَاتِ السَّابِقَةِ؛ فَلَا يَجُوزُ التَّدْيُنُ بِأَيِّ رِسَالَةٍ سَمَاقِيَّةٍ سَابِقَةٍ بَعْدَ بَعَثَةِ مُحَمَّدٍ ﷺ.

أَمَّا عَمُومُ رِسَالَةِ النَّبِيِّ ﷺ لِجَمِيعِ الْأُمَمِ، فَلَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ يَتَّخِذُهَا

النَّاسَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴿[الأعراف: ١٥٨]، وقوله: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧]، وقوله ﷺ: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [سبا: ٢٨]، وفي الحديث: قال ﷺ: (كَانَ النَّبِيُّ يُبْعَثُ إِلَى قَوْمِهِ خَاصَّةً، وَبُعِثْتُ إِلَى النَّاسِ كَافَّةً) <sup>(١)</sup>.

وأوجب الله على جميع الأنبياء اتِّباعَ مُحَمَّدٍ لو بُعِثَ وهم أحياء، وأخذ الميثاقَ عليهم بذلك؛ كما قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَّا ءَاتَيْنَكُمْ مِّنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ، وَلَتَنْصُرُنَّهُ﴾ [آل عمران: ٨١]؛ وهذا في الرُّسُلِ، وهو في العالمين من بابِ أولى؛ قال ابن عباس ﷺ: «ما بعث الله نبيًّا إِلَّا أخذَ عليه الميثاقَ: لئن بُعثَ مُحَمَّدٌ، وهو حيٌّ؛ لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ وَلَيَنْصُرُنَّهُ، وأمره أن يأخذَ على أُمَّتِهِ الميثاقَ: لئن بُعثَ مُحَمَّدٌ، وهم أحياء؛ لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ وَلَيَنْصُرُنَّهُ» <sup>(٢)</sup>.

وقد كان النبي ﷺ يُكَاتِبُ النَّاسَ بِرِسَالَتِهِ، وَيَأْمُرُهُمْ بِإِجَابَتِهِ عَلَيْهَا؛ فَيُبْعَثُ إِلَى الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى، وَالصَّابِئَةِ وَالْمَشْرِكِينَ، وَيُبْعَثُ إِلَى الْعَرَبِ وَالْعَجَمِ، وَالْأَحْمَرِ وَالْأَبْيَضِ وَالْأَسْوَدِ، وَلَمْ يَفْرُقْ بَيْنَهُمْ فِي الْخُطَابِ إِلَّا بِمَا يُوجِبُ تَرْكَ مَا كَانُوا عَلَيْهِ مِنْ دِينٍ سَابِقٍ؛ فَكُلُّ دَاخِلٍ فِي الْإِسْلَامِ، فَإِنَّهُ يَجِبُ عَلَيْهِ أَنْ يَدَعَ مَا كَانَ عَلَيْهِ قَبْلَ ذَلِكَ.

فَاللَّهُ أَمَرَ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى بِاتِّبَاعِ النَّبِيِّ ﷺ، وَهُمْ أَقْرَبُ الْأُمَمِ إِلَى أُمَّةِ مُحَمَّدٍ، وَكُتُبُهُمْ أَقْرَبُ الْكُتُبِ الْمَنْزُلةِ إِلَى الْقُرْآنِ؛ قَالَ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا

(١) البخاري (٣٣٥ و ٤٣٨)، ومسلم (٥٢١) من حديث جابر.

(٢) «تفسير ابن كثير» (٣/ ١٠٠ و ١٣/ ٥٤٦)، وعزاه الحافظ في «فتح الباري» (٦/ ٤٣٤) للبخاري.

الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ ءَامِنُوا بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ ﴿[النساء: ٤٧]﴾، وقد خاطبهم الله في القرآن كثيراً بـ: «يا أهل الكتاب»، وبـ «يا بني إسرائيل».

### ﴿حكم أتباع دين غير الإسلام:

وَمَنْ زَعَمَ: أَنَّ أَحَدًا مِنَ النَّاسِ بَعْدَ النَّبِيِّ ﷺ، يَجُوزُ لَهُ اتِّبَاعُ مَا شَاءَ مِنَ الشَّرَائِعِ وَالْكِتَابِ الْآخَرَى، وَأَنْ يَتَدَيَّنَ لِلَّهِ بِغَيْرِ الْإِسْلَامِ، وَأَنَّهُ نَاجٍ فِي الْآخِرَةِ، مَعَ عِلْمِهِ بِالرَّسَالَةِ الْمَحْمُودِيَّةِ -: فَهُوَ كَافِرٌ بِاللَّهِ؛ قَالَ ﷺ: (وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَا يَسْمَعُ بِي أَحَدٌ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ يَهُودِيٍّ وَلَا نَصْرَانِيٍّ، ثُمَّ يَمُوتُ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ، إِلَّا كَانَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ)<sup>(١)</sup>.

وعدم تجويز بقاء اليهودي والنصراني على ملته، لا يعني تعين قتله، بل عدم الجواز: لبيان كفره، وعدم صحة عمله، وأن من قامت عليه الحجة، فهو من أهل النار إن مات على ملته، ولا ينفعه إيمانه برسالة محمد ﷺ؛ إذا كان لم يتبها وينقذ لها؛ كمن يرى أنها خاصة بالعرب، أو أن الناس يُخَيَّرُونَ بين الملل، وكلها تؤدي إلى الجنة؛ فقد بين الله نسخ جميع الشرائع السابقة، وأخبر بتحريف ما سبق من الكتب مما بأيدي أهل الكتاب.

### ﴿والكفر - حيثئذ - جاء من جهات، أعظمها:

الأولى: عدم اتباع النبي ﷺ، وتجويز الخروج عن رسالته، وأن الأوامر المتواترة في الكتاب والسنة باتباعه لا معنى لها عندهم.  
الثانية: الإيمان بصحة كتب أخبر الله بتحريفها، ونسخها بالقرآن؛

(١) مسلم (١٥٣) من حديث أبي هريرة.



وهذا تكذيب لله ولرسوله، ورُوي أن النبي ﷺ وجدَ قطعةً من التَّوراةِ معَ عُمَرَ بنِ الخطَّابِ، فقال له: (لَوْ كَانَ مُوسَى حَيًّا بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ، مَا حَلَّ لَهُ إِلَّا أَنْ يَتَّبِعَنِي)<sup>(١)</sup>، حتى إنَّ عيسى ﷺ يَنْزِلُ في آخِرِ الزَّمانِ، ويقتُلُ الدَّجَالَ والخَزِيرَ، ويَكْسِرُ الصَّليبَ، ولا يقضي إلا بشريعةِ مُحَمَّدٍ ﷺ<sup>(٢)</sup>.

**الثالثة:** أن كلَّ جهادِ النبي ﷺ للأُممِ الكافرةِ يهودًا ونصارى، ومشركين ومَجُوسًا: أنه عُذْوَانٌ، وأنَّ قتالَهُم كان سفكًا لدمِ معصوم، وغنائمُهُم سَلْبٌ لِمَالِ معصوم، وسبيُّهُم استعبادٌ لأنفُسِ حُرَّة؛ إذ إنه قاتلَهُم وهم غيرُ مُلْزَمِينَ برسالته؛ وهذا كفرٌ عظيم، وضلالٌ مُبين.

**الرابعة:** أن جميعَ الأحكامِ في الشريعةِ التي تدلُّ على تمايزِ المسلمين عن الكفار - أو بعضهم - باطلة؛ كأبوابِ المَوالاةِ والمُعَاداةِ، والنِّكاحِ والذَّبائِحِ، والذِّبَاتِ والمَوارِثِ، وأحكامِ الرِّدَّةِ ودخولِ البيتِ الحرامِ، والقرَّارِ بجزيرةِ العربِ، وغيرِ ذلك.

وأما كونُ النبي ﷺ خاتَمَ الأنبياءِ، ولا نبيَّ بعده: فلقوله تعالى: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾ [الأحزاب: ٤٠]، وقوله ﷺ في «الصَّحيحين»: (أَنَا خَاتَمُ النَّبِيِّينَ)<sup>(٣)</sup>، وفيهما من حديثِ سعدِ بنِ أبي وقاصٍ؛ أنَّ النبي ﷺ قال لعليٍّ: (مَا تَرْضَى أَنْ تَكُونَ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى، إِلَّا أَنَّهُ لَا نَبِيَّ بَعْدِي)<sup>(٤)</sup>.

وكلُّ دَعْوَةٍ للنُّبُوَّةِ بعده، فهي كَذِبٌ، ومُدَّعِيها كافرٌ؛ يُحَكَّمُ بِقتلِهِ ولو زَعَمَ أَنَّهُ لا يَخْرُجُ عن هُديِ الأنبياءِ وأَنَّهُ لا جَدِيدَ لَدَيْهِ عَنْهُمْ؛ لأنَّ وحي

(١) ابن أبي شيبة (٢٦٩٤٩)، وأحمد (٣/ ٣٨٧ رقم ١٥١٥٦).

(٢) البخاري (٢٢٢٢)، ومسلم (١٥٥) من حديث أبي هريرة.

(٣) البخاري (٣٥٣٥)، ومسلم (٢٢٨٦) من حديث أبي هريرة.

(٤) البخاري (٤٤١٦)، ومسلم (٢٤٠٤).

السماء انقطع بموت النبي ﷺ إلى قيام الساعة، ولم يبق منه إلا الرؤيا الصالحة.

وَمَنْ زَعَمَ أَنَّهُ بِأَتِيهِ وَحْيٌ؛ فَإِنْ كَانَ صَادِقًا، فَهُوَ مِنَ الشَّيَاطِينِ يَسْأَلُونَ لَهُ؛ فَاللَّهُ سَمَّى وَسْوَاسَهُمْ وَحِيًّا وَمَنْزَلًا: ﴿هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَا نَزَّلَ الشَّيَاطِينُ ﴿٣١﴾ نَزَّلَ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ﴾ [الشعراء: ٢٢١ - ٢٢٢]، وقال: ﴿وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰ أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَدِّلُواكُمْ وَإِنَّ أَطْعَمُوهُمْ لَكُمْ لَمَشْرُكُونَ﴾ [الأنعام: ١٢١].

### الإسلام وحرية الدين:

وَلَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لِأَحَدٍ خِيَارًا غَيْرَ الْإِسْلَامِ؛ كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [آل عمران: ٨٥]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِيكَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ [آل عمران: ٨٥].

وَأَمَّا حُرِّيَّةُ الدِّينِ: فَاللَّهُ تَعَالَى كَمَا أَنَّهُ أَمَرَ النَّاسَ كَافَّةً بِاتِّبَاعِ نَبِيِّهِ ﷺ، وَعَدَمِ الْخُرُوجِ عَنْهُ، إِلَّا أَنَّهُ خَصَّ أَهْلَ الْكِتَابِ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى بِعَدَمِ الْقِتَالِ عَلَى الدَّخُولِ فِي الْإِسْلَامِ؛ وَإِنَّمَا خَيَّرَهُمْ عِنْدَ قُدْرَةِ الْمُسْلِمِينَ وَقُوَّتِهِمْ عَلَيْهِمْ: بَيْنَ الْإِسْلَامِ، أَوْ الْجِزْيَةِ، أَوْ الْقِتَالِ، وَتَجُوزُ الْمَهَادَنَةُ وَالْمَوَادَعَةُ وَالْمَسَالِمَةُ - بَيْنَهُمْ وَغَيْرِهِمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ، وَبَيْنَ الْمُسْلِمِينَ - بِشُرُوطِهَا الْمَعْرُوفَةِ؛ كَمَا بَيَّنَّهَا فِي «التفسير»<sup>(١)</sup>.

وَمَنْ دَخَلَ الْإِسْلَامَ مِنْ أَيِّ مِلَّةٍ كَانَتْ، فَلَا يَسْعُهُ الْخُرُوجُ مِنَ الْإِسْلَامِ بِحَالٍ، وَلَا يَأْخُذُ أَحْكَامُهُ السَّابِقَةُ قَبْلَ دُخُولِ الْإِسْلَامِ لَوْ كَانَ يَهُودِيًّا أَوْ نَصْرَانِيًّا، وَيَجِبُ عَلَى إِمَامِ الْمُسْلِمِينَ إِقَامَةُ حَدِّ الرَّدَّةِ عَلَيْهِ، وَقَدْ اسْتَفَاضَتْ فِي ذَلِكَ الْأَحَادِيثُ، وَبِهِ قَضَىٰ مَعَاذُ وَأَبُو مُوسَى فِي الْيَمَنِ؛

(١) سورة البقرة آية (٢٠٨)، وسورة التوبة آية (٢٩)، ومواضع من سورة الأنفال.

فيمَن ارتدَّ مِنَ الْيَهُودِ<sup>(١)</sup>، وَفِيهِ قَالَ ﷺ: (مَنْ بَدَّلَ دِينَهُ، فَاقْتُلُوهُ)<sup>(٢)</sup>، وَقَدْ قَاتَلَ أَبُو بَكْرٍ الصُّدَيْقُ وَالصَّحَابَةُ الْمُرْتَدِّينَ.

وَمَنْ كَانَ لَهُ شَوْكَةٌ وَقُوَّةٌ مِنَ الْمُرْتَدِّينَ، وَلَا قِبَلَ لِلْمُسْلِمِينَ بِهِ، فَتَجَوَّزَ مَهَادِنَتُهُ وَمَسَالَمَتُهُ لِمَصْلَحَتِهِمْ، وَحِفَظًا عَلَى شَوْكَتِهِمْ؛ كَمَا كَانَتْ طَوَائِفُ مِنَ الْفِرَقِ تَقِيْمُ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ وَهِيَ وَاقِعَةٌ فِي مَكْفُرَاتٍ كَثِيرَةٍ، وَكَانَ الْمُسْلِمُونَ يَتَرَكُونَهُمْ وَيُهَادِنُونَهُمْ، وَرَبَّمَا عَامَلُوهُمْ عِنْدَ الْحَاجَةِ؛ وَذَلِكَ لِكثَرَةِ الطَوَائِفِ وَانْشِغَالِ الْمُسْلِمِينَ بِأُمُورِ جَمَاعَتِهِمْ، وَرَبَّمَا بَعُدُوا مِنْ خَارِجِهِمْ يَخْشَوْنَ تَرْبِصَهُ بِهِمْ.

### ﴿شُبُهَاتٌ فِي حُرِّيَّةِ تَرْكِ الْإِسْلَامِ﴾

وَأَمَّا الْاسْتِدْلَالُ بِبَعْضِ الْأَدَلَّةِ الَّتِي يَظْهَرُ مِنْهَا قَبُولُ الرَّدَّةِ، أَوْ زَعَمَ بَعْضُهُمْ مِنْهَا مَسَاوَاةَ الْإِسْلَامِ بغيرِهِ؛ كَقَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ [البقرة: ٢٥٦]، وَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ﴾ [الكهف: ٢٩] - فِهَذِهِ لَيْسَتْ أَدَلَّةٌ لِمَسْأَلَتِنَا هَذِهِ:

• أَمَّا قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ [البقرة: ٢٥٦]: فَقَدْ نَزَلَتْ فِي الْيَهُودِ الَّذِينَ بَقُوا عَلَى يَهُودِيَّتِهِمْ، وَأَرَادَ بَعْضُ الصَّحَابَةِ إِكْرَاهَهُمْ عَلَى الدَّخُولِ ابْتِدَاءً فِي الْإِسْلَامِ.

وَهَذَا لَا إِشْكَالَ فِيهِ؛ فَإِنَّهُ لَا يَجُوزُ إِكْرَاهُ أَهْلِ الْكِتَابِ عَلَيْهِ ابْتِدَاءً؛ كَمَا تَقَدَّمَ بَيَانُهُ؛ وَهَذَا - مَعَ كَوْنِهِ لَا يَعْنِي الْإِقْرَارَ بِصِحَّةِ دِينِهِمْ، وَلَا أَنَّهُمْ لَوْ دَخَلُوا الْإِسْلَامَ، جَازَ لَهُمُ الْخُرُوجُ مِنْهُ - فَتِلْكَ مَسَائِلُ مُخْتَلِفَةٌ؛ كَمَا

(١) البخاري (٤٣٤١ و ٤٣٤٢ و ٤٣٤٤ و ٤٣٤٥ و ٦٩٢٣)، ومسلم (١٧٣٣).

(٢) البخاري (٣٠١٧ و ٦٩٢٢) من حديث ابن عباس.

روى أبو داود من حديث ابن عباس؛ قال: «كَانَتِ الْمَرْأَةُ تَكُونُ مِثْلَانَا، فَتَجْعَلُ عَلَى نَفْسِهَا إِنْ عَاشَ لَهَا وَلَدٌ أَنْ تُهَوِّدَهُ، فَلَمَّا أُجْلِيَتْ بَنُو النَّصِيرِ، كَانَ فِيهِمْ مِنْ أَبْنَاءِ الْأَنْصَارِ، فَقَالُوا: لَا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا؛ فَأَنْزَلَ اللَّهُ ﷻ: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾ [البقرة: ٢٥٦]»<sup>(١)</sup>.

والقائل بأن هذه الآية تدل على جواز الخروج من الإسلام، أو أنه مساو لغيره، ضَرَبَ بفهم ظاهر آية ألف آية وحديث وأبطالها؛ وهذا لا يقوله من جهة الشرع عالم، ولا من جهة النظر صاحب فكر؛ فالدليل لا يُضَرَّبُ به دليل آخر يُخَالِفُهُ من وجه ويُفَارِقُهُ من وجه؛ فكيف بإبطال ألف دليل، بظاهر دليل؟!

• وأما قوله تعالى: ﴿فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ﴾ [الكهف: ٢٩]: فقد حَمَلَ بعضهم<sup>(٢)</sup> هذه الآية على التخيير بين الإسلام وغيره، والمساواة بينهما؛ وهذا لا تدل عليه الآية؛ لا في ظاهرها، ولا في باطنها:

□ أما المساواة: فالآية تنفيها؛ فقد سَمَتِ الْإِيمَانَ بِالنَّبِيِّ ﷺ إيمانًا، وسمت الإيمان بغيره كفرًا.

□ وأما القول بأنها تفيد التخيير بين الإيمان والكفر: فهذا كلام من لا يفهم لسان العرب؛ فالآية هي تهديد ووعد، وهو أسلوب معروف عند وضوح الحجة وإقامتها على أحد يَتِمُّ تهديده وتحذيره بقولهم: «إِنْ شِئْتَ افْعَلْ، وَإِنْ شِئْتَ فَاتْرُكْ»؛ يعني: ستجد ثوابك وعقابك.

وهذا يدل عليه كمال الآية؛ فإن الله لما قال: ﴿فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ

(١) أبو داود (٢٦٨٢).

(٢) انظر: «الكشاف» (٢/ ٦٧٧).

وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ [الكهف: ٢٩]، قال بعد ذلك متوعدًا: ﴿إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا﴾ [الكهف: ٢٩]؛ وبهذا فسرها الصحابة والتابعون، ولا خلاف بينهم في ذلك<sup>(١)</sup>.

ولكن مَنْ نظَرَ في هذه الآية، نظرَ إلى كلمة منها؛ وهي قوله: ﴿فَمَنْ شَاءَ﴾ [الكهف: ٢٩]، ولم ينظرَ إلى السياق؛ فتوهم أن المشيئة تعني حرية الاختيار، والمشيئة هنا هي كقوله تعالى: ﴿أَفَنُتْلَىٰ فِي النَّارِ خَيْرٌ أَمْ مَن يَأْتِي آمِنًا يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [فصلت: ٤٠].

ولم يختلف المفسرون من السلف على صحة هذا المعنى؛ وبهذا قال ابن عباس، ومجاهد، وابن زيد<sup>(٢)</sup>.

وجاء بمعناه الحديث؛ كما في قوله ﷺ: (الْوَالِدُ أَوْسَطُ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ؛ فَحَافِظٌ عَلَى وَالِدَيْكَ أَوْ أَتْرُكُ)<sup>(٣)</sup>؛ وليس هذا تخييرًا بين العقوب والبر؛ وهو معروف في لسان العرب؛ فتأمرُ بالشيء وتخيرُ فيه، والمراد: الوعيد والتهديد؛ ومن ذلك قوله تعالى: ﴿لِيُكْفُرُوا بِمَا ءَانَتْهُمْ فَمَتَّعُوا فَسَوْفَ يَسْلَمُونَ﴾ [النحل: ٥٥]؛ وليس في هذا أمرٌ بالكفر، ولكنه تهديد.

وكما يكون في التهديد والوعيد يكون في الرجاء؛ لكنه لا يفهم من مثل هذا السياق التخيير؛ كما في قول النبي ﷺ: (لَعَلَّ اللَّهَ أَطْلَعَ عَلَى أَهْلِ بَدْرٍ، فَقَالَ: اْعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ، فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ)<sup>(٤)</sup>؛ فلا يقول عاقل: «إنه يجوز لأهل بدر الكفر والفسوق والعصيان»، ولكن الآية السابقة

(١) «تفسير الطبري» (١٥/٢٤٤ - ٢٤٥)، و«الدر المشور» (٩/٥٢٩).

(٢) الموضوع السابق.

(٣) الترمذي (١٩٠٠)، وابن ماجه (٢٠٨٩ و ٣٦٦٣) من حديث أبي الدرداء.

(٤) البخاري (٣٠٠٧)، ومسلم (٢٤٩٤) من حديث علي بن أبي طالب.

تهديدٌ ووعيدٌ، والحديثُ رجاءٌ، وليس فيها جميعًا تخييرٌ وإبطالٌ لأوامرِ الله.

### ❦ الإيمانُ بالكتبِ السماويّة، والحكمةُ من إرسالِ الرسل:

❦ قَالَ ابْنُ أَبِي زَيْدٍ: ﴿وَأَنْزَلَ عَلَيْهِ كِتَابَهُ الْحَكِيمَ، وَشَرَحَ بِهِ دِينَهُ الْقَوِيمَ، وَهَدَى بِهِ الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾:

الإيمانُ بالكتبِ السماويّة من أركانِ الإيمان؛ فيجبُ الإيمانُ بها جميعها؛ كما قال تعالى: ﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَّا مِنْ رَبِّهِمْ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لِلَّهِ مُسْلِمُونَ﴾ [البقرة: ١٣٦].

والمكذبُ بواحدٍ منها مكذبٌ بها جميعها؛ لأنها جميعًا كلامُ الله وخبرُهُ، وحُكمُهُ وتشريعُهُ، وقد وصفَ الله الكافرَ بها بالضلالِ البعيد؛ كما قال: ﴿يَكْفُرُ الَّذِينَ آمَنُوا آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَ مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ [النساء: ١٣٦].

وكلُّ الكتبِ تدعو إلى أصلٍ واحدٍ؛ وهو توحيدُ الله، وإفراذه بالعبوديّة؛ قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِيَ إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢٥]، وقال: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦]، وقد قال الله عن القرآن: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾ [المائدة: ٤٨].

والإيمانُ بالكتبِ لا يلزمُ منه الاختيارُ من شرائعها ما يشاء الناسُ؛

فإن هذا لا يجوز في شريعة محمد ﷺ، وهو خاتم الأنبياء والمرسلين؛ فإن في شريعته النسخ، وفيها المنسوخ؛ فلا يجوز العمل بالمنسوخ؛ فالإيمان بالكتاب وتعظيمه شيء، والعمل به شيء آخر، والقرآن نسخ ما قبله من تشريعات الكتب السابقة؛ فالقرآن قاضٍ على شرائع ما سبق، وحاكمٌ عليها؛ كما قال تعالى: ﴿مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيِّئًا عَلَيْهِ﴾ [المائدة: ٤٨].



﴿وَقَوْلُ ابْنِ أَبِي زَيْدٍ: ﴿وَشَرَحَ بِهِ دِينَهُ الْقَوِيمَ، وَهَدَى بِهِ الصُّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾:

بيان لمنزلة القرآن والحكمة منه؛ فقد جعله الله حُجَّةً على عباده؛ فجعله بينًا محكمًا، واضحًا مفصلاً؛ كلٌّ مَنْ أَرَادَ الْحَقَّ فِيهِ، وَجَدَهُ، وَمَنْ فِي قَلْبِهِ زَيْغٌ، زَاغَ، وَأَمَّا الْقُرْآنُ، فَكُلُّهُ حَقٌّ؛ كما قال تعالى: ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبُطْلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت: ٤٢].

﴿مصدر تفسير القرآن:

وَمِنْ اللَّهِ أَنْزَالُهُ، وَعَلَيْهِ بَيَانُهُ؛ فَلَيْسَ لِأَحَدٍ أَنْ يَجْنِهُدَ فِيهِ بِرَأْيِهِ وَهَوَاهُ؛ قَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٤٤]؛ وَهَذَا الْبَيَانُ مِنَ اللَّهِ، لَا مِنْ غَيْرِهِ؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا قَرَأْتَهُ فَاقْرَأْهُ قُرْآنَهُ ۖ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ﴾ [القيامة: ١٨ - ١٩]، وَلَكِنَّ الْبَيَانَ نُسِبَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ بِاعْتِبَارِ بَلَاغِهِ لَهُ؛ وَإِلَّا فَإِنَّ النَّبِيَّ ﷺ مَأْمُورٌ بِالَاتِّبَاعِ لِأَمْرِ اللَّهِ؛ كَمَا قَالَ اللَّهُ: ﴿فَأَسْتَفِمْ كَمَا أُمِرْتُ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ﴾ [هود: ١١٢].

وَمَنْ صَحَّ لِسَانُهُ الْعَرَبِيُّ، وَفَهُمَ لُغَاتِ الْعَرَبِ، لَمْ يَحْتَجْ إِلَى تَكْلُفٍ

وتنطع في تأويل القرآن؛ فالأصل فيه: أن يفهمه العربي عند نزوله، ولكن لما بعد الزمان، وضعت اللسان، احتاج الناس إلى الرجوع إلى تأويل السلف من الصحابة والتابعين؛ حتى لا يحملوا القرآن على غير مراد الله.

وقد عصم الله نبيه ﷺ؛ فكان مفسراً للقرآن بقوله وفعله، و مترجماً لمعانيه بحياته، وقد كان يتخلق به، ويقوم بما أمر الله فيه؛ وقد قالت عائشة رضي الله عنها: «كَانَ خُلُقُهُ الْقُرْآنَ»<sup>(١)</sup>، وقد أمره الله بتلاوة كلامه وتعليمه للناس: «لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ ءَايَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ» [آل عمران: ١٦٤]، والحكمة هي سنته؛ فإنها لا تتعارض مع القرآن لعصمته ﷺ، وإنما هي مفسرة له.

وكل ما استقر عليه فهم الصدر الأول من القرآن، فهو مراد الله فيه؛ لأن الله أنزله بلسانهم ليفهموه، ولا يسكت النبي ﷺ على معنى باطل استقر في نفوسهم؛ فهذا يخالف مقتضى الرسالة، والله مطلع على ما في نفوسهم من فهم.

ولو علم الله أن عامتهم أو أكثرهم فهموا القرآن على غير مراد الله، لأنزل الله البيان في ذلك؛ لأن هذا مقتضى حفظ دينه وتمايمه وكمالهم؛ فكمال القرآن وتمايم الدين هو للمعاني كما هو للحروف؛ قال تعالى: «الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي» [المائدة: ٣].

ويجب الإيمان بكل ما جاء في كلام الله وكلام رسوله؛ فكل ذلك وحى من الله، وقد قرن الله طاعته بطاعة نبيه، ومعصيته بمعصيته؛ لأن



النبي ﷺ الأمرُ بأمرِ الله، الناهي بنهيهِ، ولا يخرجُ عن ذلك؛ فمن أحبَّ الله، ولم يُطع نبيَّهُ، فدعواه كاذبة؛ كما قال تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾ [آل عمران: ٣١].

ومن جهل شيئاً من كلام الله، وجب عليه السؤال عن مراد الله عند من يعلمه من الصحابة والتابعين ومن سار على نهجهم من أهل العلم؛ وقد قال ابن أبي زَيْد في «الجامع»: «وَنُصَدِّقُ بِمَا جَاءَنَا عَنِ اللَّهِ ﷻ فِي كِتَابِهِ، وَمَا نَبَتْ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنْ أَخْبَارِهِ: يُوْجِبُ الْعَمَلَ بِمُحْكَمِهِ، وَتُقَرَّرُ بِنَصِّ مُشْكِلِهِ وَمُتَشَابِهِهِ، وَنَكِلُ مَا غَابَ عَنَّا مِنْ حَقِيقَةِ تَفْسِيرِهِ، إِلَى اللَّهِ سُبْحَانَهُ، وَاللَّهُ يَعْلَمُ تَأْوِيلَ الْمُتَشَابِهِ مِنْ كِتَابِهِ، وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ: ﴿ءَامَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا﴾» [آل عمران: ٧].

وقال بعض الناس: إِنَّ الرَّاسِخِينَ يَعْلَمُونَ مُشْكِلَهُ، وَلَكِنَّ الْأَوَّلَ قَوْلُ أَهْلِ الْمَدِينَةِ؛ وَعَلَيْهِ يَدُلُّ الْكِتَابُ<sup>(١)</sup>.

### الإيمان بالقيامة وما فيها:

﴿قَالَ ابْنُ أَبِي زَيْدٍ: ﴿وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا، وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ يَمُوتُ، كَمَا بَدَأَهُمْ يَعُودُونَ﴾﴾:

الإيمان بالبعث بعد الموت من أركان الإيمان، ولا يصحَّ إيمان أحدٍ إلا به، وقد قال النبي ﷺ - لَمَّا سَأَلَهُ جَبْرِيلُ عَنِ الْإِيمَانِ -: (الْإِيمَانُ: أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَبِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ)<sup>(٢)</sup>.

ولعظمة البعث والإيمان به أقسم الله عليه في مواضع ثلاثة؛ قال تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِنَا السَّاعَةُ قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ﴾ [سبا: ٣]،

(٢) سبق تخريجه.

(١) «الجامع» (ص ١١٤ - ١١٥).

وقال تعالى: ﴿زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّيَنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [التغابن: ٧]، وقال تعالى: ﴿وَيَسْتَنبِئُونَكَ أَحَقُّ هُوَ قُلْ إِي وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقٌّ﴾ [يونس: ٥٣]؛ وتكرارُ الإقسامِ مِنَ اللَّهِ عَلَى وَعْدٍ وَاحِدٍ، يَدُلُّ عَلَى شِدَّةِ عَظَمَتِهِ، وَشِدَّةِ كُفْرِ الْمَكْذِبِ بِهِ.

وقد قرَنَ اللَّهُ الْكُفْرَ بِالْيَوْمِ الْآخِرِ بِالْكَفْرِ بِهِ سُبْحَانَهُ؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿فَتَنَبَّأُوا الَّذِينَ لَا يَأْمَنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ [التوبة: ٢٩].

وَكَلَّمَا كَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ يَقِينًا بِالْبَعْثِ وَالْحِسَابِ، وَالثَّوَابِ وَالْعِقَابِ، كَانَ أَكْثَرَ عَمَلًا فِي الدُّنْيَا، وَأَشَدَّ خَشْيَةً لِلَّهِ؛ فَإِنَّ مَنْ عَلِمَ حَسَابًا، خَافَهُ، وَمَنْ رَجَا لِقَاءَهُ، اسْتَعَدَّ لَهُ، وَطَوَّلُ الْأَمَلِ يُضْعِفُ ذَلِكَ فِي الْقُلُوبِ؛ قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا رَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنَّنُوا بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ﴾ [يونس: ٧].

وَلَمَّا ذَكَرَ اللَّهُ كُفْرَ الْكَافِرِينَ وَعِنَادَهُمْ، ذَكَرَ سَبَبَ ذَلِكَ؛ فَقَالَ: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ حِسَابًا﴾ ⑦ وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كِذَابًا ⑧ [النبا: ٢٧ - ٢٨]، وَقَالَ: ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالذِّبِّ ① فَذَٰلِكَ الَّذِي يُدْعُ آلِيسِمَ ② وَلَا يُحِصُّ عَلَىٰ طَعَامِ آلِيسِكِينَ﴾ [الماعون: ١ - ٣].

وَكثِيرًا مَا يَذْكُرُ اللَّهُ بِالْيَوْمِ الْآخِرِ؛ لِيَسْتَقِيمَ النَّاسُ عَلَى أَمْرِ اللَّهِ؛ قَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٨١]، وَقَالَ: ﴿وَأَتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا﴾ [البقرة: ٤٨، ١٢٣]، وَقَالَ: ﴿وَأَخْشَوْا يَوْمًا لَا تَجْزِي وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ﴾ [لقمان: ٣٣].

### النفخ في الصور:

وقد أَخْبَرَ اللَّهُ بِالنَّفْخِ فِي الصُّورِ فِي الْقُرْآنِ نَفَخَاتٍ: لِلْفَرْعِ، وَلِلصَّغْقِ، وَلِلْقِيَامِ؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَنْ فِي

السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ وَكُلُّ أَنتَوٍ دَاخِرِينَ ﴿٨٧﴾ [النمل: ٨٧]، وقال تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ فِي يَوْمٍ يُنظَرُونَ﴾ [الزمر: ٦٨].

واختلَفَ فِي التَّفَخَاتِ:

فقيل: إِنَّهَا اثْنَانِ.

وقيل: إِنَّهَا ثَلَاثٌ.

وقيل: إِنَّهَا أَرْبَعٌ.

وقد بَيَّنَّتْ ذَلِكَ فِي «الْخُرَاسَانِيَّةِ»<sup>(١)</sup>.

﴿بَعَثَ الْأَجْسَادَ وَجَزَاؤَهَا﴾:

والله يُعِيدُ أَجْسَادَ النَّاسِ الَّتِي كَانَتْ فِي الدُّنْيَا، لَا غَيْرَهَا، وَيُحْيِي الْعِظَامَ الَّتِي كَانَتْ فِي الدُّنْيَا، لَا غَيْرَهَا؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [الأنبياء: ١٩]، وقال تعالى: ﴿كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ﴾ [الأعراف: ٢٩]، وقال تعالى: ﴿قُلْ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا ۖ ﴿٥٠﴾ أَوْ خَلْقًا مِمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَا قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ [الإسراء: ٥٠ - ٥١]، وَلَكِنَّ اللَّهَ يَزِيدُ فِي أَحْجَامِهِمْ وَحَالِهِمْ مِنْ جَنْسٍ مَا يَزِيدُهُ اللَّهُ فِيهِمْ فِي الدُّنْيَا؛ فَيَكْبُرُ الصَّغِيرُ، وَيَهْزُلُ الْعَظِيمُ، وَيَسْمَنُ الضَّعِيفُ، وَيَضَعُفُ السَّمِينُ، وَالزِّيَادَةُ فِيهِمْ لَا تَعْنِي: أَنَّ الْأَبْدَانَ لَيْسَتْ الْأَبْدَانُ، وَلَا أَنَّ الْجُلُودَ لَيْسَتْ الْجُلُودُ، وَلَا أَنَّ الْعِظَامَ لَيْسَتْ الْعِظَامُ.

وقد قال ابنُ أَبِي زَيْدٍ فِي عَقِيدَتِهِ فِي «الْجَامِعِ»: «وَأَنَّ الَّتِي أَطَاعَتْ

(١) «الخراسانية» (ص ٤٤٤).

وَعَصَتْ هِيَ الَّتِي تُبْعَثُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لِتُجَازَى، وَالْجُلُودُ الَّتِي كَانَتْ فِي الدُّنْيَا هِيَ الَّتِي تَشْهَدُ، وَالْأَلْسِنَةُ وَالْأَيْدِي وَالْأَرْجُلُ هِيَ الَّتِي تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى مَنْ تَشْهَدُ عَلَيْهِ مِنْهُمْ»<sup>(١)</sup>.

وَمَنْ كَفَرَ مِنَ الدَّهْرِيِّينَ مِمَّنْ يُؤْمِنُ بِالْخَلْقِ، لَمْ يَكْفُرْ بِالْبَعْثِ إِلَّا بِأَنَّ اللَّهَ يُعِيدُ ذَاتَهُ كَمَا هِيَ؛ فَهُوَ يُحْيِلُ هَذَا، وَأَمَّا خَلْقُ غَيْرِهِ مِنْ جَدِيدٍ، فَهُوَ يُؤْمِنُ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الَّذِي خَلَقَهُ وَأَوْجَدَهُ، وَمَعَ ذَلِكَ ضَلُّوا وَكَفَرُوا.

### ﴿أَشْرَاطُ السَّاعَةِ﴾

وَيَجِبُ الْإِيمَانُ بِمَا قَبْلَ السَّاعَةِ مِنْ عَلَامَاتٍ وَأَمَارَاتٍ وَأَشْرَاطٍ؛ قَالَ تَعَالَى: ﴿فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا﴾ [محمد: ١٨]، وَمَا جَاءَ فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ فِي ذَلِكَ كَثِيرٌ؛ كَخُرُوجِ الدَّجَالِ، وَالْدَّابَّةِ، وَيَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ، وَنَزُولِ عِيسَى، وَخُرُوجِ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا. وَلِلْسَّاعَةِ أَشْرَاطٌ كَبْرَى وَصَغْرَى، وَعَامَّةٌ الصَّغْرَى سَابِقَةٌ لِلْكَبْرَى، وَمِنْهَا مَا يَدْخُلُ فِيهَا، وَالْأَحَادِيثُ فِي هَذَا الْبَابِ كَثِيرَةٌ؛ مِنْهَا الصَّحِيحُ الْمَتَوَاتِرُ، وَمِنْهَا دُونَ ذَلِكَ، وَمِنْهَا الضَّعِيفُ يَسِيرُ الضَّعِيفُ، يُسْتَأْنَسُ بِهِ وَلَا يُجْزَمُ بِهِ، وَمِنْهَا الْوَاهِي وَالْمَطْرُوحُ وَالْمَكْذُوبُ؛ وَهَذَا مِمَّا لَا يَجُوزُ رَوَايَتُهُ إِلَّا لِبَيَانِ نَكَارَتِهِ.

### ﴿تَنْزِيلُ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ عَلَى الْوَاقِعِ﴾

وَلَا يَجُوزُ تَرْكُ الْأَوَامِرِ الشَّرْعِيَّةِ الظَّاهِرَةِ؛ لِأَجْلِ ظَنِّ فِي أَنَّ نَازِلَةً أَوْ شَخْصًا هُوَ الْمَقْصُودُ فِي حَدِيثٍ يَسْبِقُ السَّاعَةَ؛ لِأَنَّ الْأَوَامِرَ قَطْعِيَّةً، وَتَطْبِيقُ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ عَلَى الْحَوَادِثِ وَالْأَشْخَاصِ ظَنِّيٌّ؛ فَلَا يُتْرَكُ قَطْعِيٌّ

(١) «الجامع» (ص ١١٢).

لَطَنِي؛ وهذا من الأمور التي يَغْفُلُ فيها العوامُ، وربما بعض المتعلمين؛  
بإزالة أشرار الساعة على حوادث وأعيان، ثم يَعْمَلُونَ بمقتضى تنزيلهم،  
ويُظَنُّونَ أَنَّهُمْ يَعْمَلُونَ بالنص الثابت، وهم يعملون بظنهم، لا بالنص،  
وكثيراً ما سُفِكَت دماء، ووقعت فتن في الناس، واستُبيحت حُرُمات؛  
بسبب ذلك.

وتجوزُ السلف لتزليل أشرار الساعة، باب غير الباب الذي يتبعه  
عمل وتشريع؛ فإنهم كانوا ينزلون ذلك على بعض الحوادث  
والأشخاص؛ لأن ذلك من باب الاحتياط، ثم إنهم يجعلون ذلك  
استثناءً، لا أصلاً يستقل به العمل والتترك.

وقد جعل الله للساعة أمارات؛ رحمةً بالناس ليعتبر من أريد له  
الاعتبار، ويرجع من كُتِبَ له العودة؛ حتى لا تقوم الساعة إلا وقد  
انقطعت أعمار الناس، وقامت الحجج الشرعية والكونية عليهم.

وعلم الساعة عند الله لا يجليها لوقتها إلا هو؛ قال تعالى: ﴿إِنَّ  
اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ﴾ [لقمان: ٣٤]، وقال تعالى: ﴿لَا يَجْلِيهَا  
لَوْفًا إِلَّا هُوَ﴾ [الأعراف: ١٨٧]، ومن زعم علمه أو ادعى لغيره العلم بيوم  
معين محدود تقوم فيه الساعة، فقد كفر بالله، وكذب خبره.

### الحساب والعقاب:

﴿قَالَ ابْنُ أَبِي زَيْدٍ: وَأَنَّ اللَّهَ ﷻ ضَاعَفَ لِعِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ الْحَسَنَاتِ،  
وَصَفَحَ لَهُمْ بِالتَّوْبَةِ عَنْ كَبَائِرِ السَّيِّئَاتِ، وَغَفَرَ لَهُمُ الصَّغَائِرَ، بِاجْتِنَابِ  
الكَبَائِرِ، وَجَعَلَ مَنْ لَمْ يَنْتَبِ مِنَ الْكَبَائِرِ صَائِرًا إِلَى مَشِيئَتِهِ: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا  
يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [النساء: ٤٨]:

يُحْصِي اللَّهُ عَلَى عِبَادِهِ كُلِّ أَعْمَالِهِمْ، دَقِيقَهَا وَجَلِيلَهَا، صَغِيرَهَا وَكَبِيرَهَا، لَا يَتْرُكُ مِنْ أَعْمَالِهِمْ دَقِيقَ حَسَنَةٍ وَلَا سَيِّئَةٍ؛ قَالَ تَعَالَى: ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيُنْشِئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا أَحْصَاهُ اللَّهُ وَسُوهُ﴾ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ [المجادلة: ٦]، وَقَالَ: ﴿وَيَقُولُونَ بَوَلَلْنَا مَالَ هَذَا الْكَاتِبِ لَا يَقَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظِلُّمُ لِرَبِّكَ أَحَدًا﴾ [الكهف: ٤٩].

وَقَدْ جَعَلَ اللَّهُ الْحَسَنَةَ الَّتِي يَكْسِبُهَا الْعَبْدُ تُكْتَبُ لَهُ بِعَشْرَةٍ، وَالسَّيِّئَةُ لَا تُكْتَبُ عَلَيْهِ إِلَّا بِمِثْلِهَا؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَثَافِلًا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [الأنعام: ١٦٠]، وَقَدْ ثَبَتَ الْحَدِيثُ فِي ذَلِكَ عَنْ جَمَاعَةٍ مِنَ الصَّحَابَةِ؛ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ<sup>(١)</sup>، وَأَبِي هُرَيْرَةَ<sup>(٢)</sup>، وَأَنْسٍ<sup>(٣)</sup>، وَأَبِي ذَرٍّ<sup>(٤)</sup>، وَغَيْرِهِمْ<sup>(٥)</sup>.  
وَمِنْ لُطْفِهِ: أَنْ فَتَحَ بَابَ التَّوْبَةِ لِمَنْ تَابَ؛ فَمَنْ تَابَ وَأَنَابَ، تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِ، مَهْمَا كَانَ ذَنْبُهُ وَلَوْ كَانَ كُفْرًا؛ فَاللَّهُ لَا يَتَعَاظَمُهُ ذَنْبٌ؛ فَمَغْفِرَتُهُ تَعْمُ جَمِيعَ الذُّنُوبِ صَغِيرَهَا وَكَبِيرَهَا؛ قَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ يَبْعَادَى الَّذِينَ أَشْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنََّّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [الزمر: ٥٣].

بَلْ إِنَّ اللَّهَ يَفْرَحُ بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ؛ قَالَ ﷺ: (لَهُ أَفْرَحُ بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ مِنْ أَحَدِكُمْ؛ سَقَطَ عَلَى بَعِيرِهِ، وَقَدْ أَضَلَّهُ فِي أَرْضٍ فَلَاةٍ...) <sup>(٦)</sup>، وَقَالَ:

(١) البخاري (٦٤٩١)، ومسلم (١٣١).

(٢) البخاري (٤٢ و ٧٥٠١)، ومسلم (١٢٨ و ١٢٩ و ١٣٠).

(٣) مسلم (١٦٢). (٤) مسلم (٢٦٨٧).

(٥) كَحُرَيْمِ بْنِ فَاتِكٍ عِنْدَ أَحْمَدَ (٤/٣٢١ و ٣٤٥ و ٣٤٦ رَقْم ١٨٩٠٠ و ١٩٠٣٥ و ١٩٠٣٩).

وَابْنِ حَبَانَ (٦١٧١).

(٦) البخاري (٦٣٠٩)، ومسلم (٢٧٤٧) مِنْ حَدِيثِ أَنْسٍ، وَالْفَلْظُ لِلْبُخَارِيِّ.

(وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَوْ لَمْ تُذْنِبُوا، لَذَهَبَ اللَّهُ تَعَالَى بِكُمْ، وَلَجَاءَ بِقَوْمٍ يُذْنِبُونَ فَيَسْتَغْفِرُونَ) <sup>(١)</sup>؛ لَأَنَّ اللَّهَ جَبَلَهُمْ عَلَى الْخَطَا؛ فِي الْحَدِيثِ: (كُلُّ ابْنِ آدَمَ خَطَّاءٌ، وَخَيْرُ الْخَطَّائِينَ التَّوَّابُونَ) <sup>(٢)</sup>.

﴿حَكْمٌ مَنْ مَاتَ وَلَمْ يَتُبْ مِنْ ذَنْبِهِ﴾

وَمَنْ ارْتَكَبَ الصَّغَائِرَ، واجْتَنَبَ الْكِبَائِرَ، كَفَّرَ اللَّهُ صَغَائِرَهُ عَنْهُ، وَلَمْ يُؤَاخِذْهُ بِهَا؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنْ تَجَتَّبُوا كِبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُمْ مُدْخَلًا كَرِيمًا﴾ [النساء: ٣١]، وَجَعَلَ لَذَلِكَ أَسْبَابًا كَثِيرَةً:

منها: عَمَلُهُ الصَّالِحُ؛ كَالصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ، وَالْجُمُعَةِ إِلَى الْجُمُعَةِ، وَرَمَضَانَ إِلَى رَمَضَانَ، وَالْحَجِّ الْمَبْرُورِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْعَمَلِ الصَّالِحِ.

وَقَدْ يَغْفِرُ اللَّهُ لِلْمُذْنِبِ ذَنْبَهُ بِمَشِيئَتِهِ وَلُطْفِهِ، وَإِنْ لَمْ يَفْعَلِ الْعَبْدُ سَبِيًّا؛ وَهَذَا مُقْتَضَى رَحْمَةِ اللَّهِ، وَسَعَةِ فَضْلِهِ، وَسَبْقِ رَحْمَتِهِ لِعُصْبِهِ.

وَأَمَّا أَصْحَابُ الْكِبَائِرِ، إِنْ لَمْ يَتُوبُوا، فَهَمَّ تَحْتَ مَشِيئَةِ اللَّهِ: إِنْ شَاءَ عَذَّبَهُمْ، وَإِنْ شَاءَ غَفَرَ لَهُمْ، وَالَّذِي دَلَّتْ عَلَيْهِ نصوصُ الْوَحْيِ، وَأَجْمَعَ عَلَيْهِ السَّلَفُ: أَنَّ أَصْحَابَ الْكِبَائِرِ غَيْرَ النَّائِبِينَ عَلَى فَرِيقَيْنِ:

فَرِيقٌ: يَغْفِرُ اللَّهُ لَهُ بِرَحْمَتِهِ، وَبِمَا يَهَيِّئُهُ اللَّهُ مِنْ أَسْبَابٍ خَارِجَةٍ عَنْ الْعَاصِي؛ كَدَعَاءِ وَلَدِهِ أَوْ غَيْرِهِ، أَوْ عَمَلٍ لَهُ صَالِحٍ آخَرَ، عَظَّمَهُ اللَّهُ فَغَلَبَ عَمَلُهُ السَّيِّئَ، أَوْ أَنْ يَقْبَلَ شَفَاعَةُ غَيْرِهِ لَهُ مِنْ زَوْجَةٍ أَوْ وَلَدٍ أَوْ غَيْرِهِمَا، أَوْ أَنْ يُجْرِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ مِنْ أَسْبَابٍ فِيهِ، يَكْفُرُ بِهَا مِنْ مَعَاصِيهِ؛ كَالْمَصَائِبِ وَالْهَمُومِ فِي الدُّنْيَا، أَوْ مَا يَلْحَقُهُ مِنْ كَرْبٍ وَشِدَّةٍ فِي الْبَرْزَخِ، وَالْمَوْقِفِ

(١) مسلم (٢٧٤٩) من حديث أبي هريرة.

(٢) الترمذي (٢٤٩٩)، وابن ماجه (٤٢٥١) من حديث أنس.

والعَرْضِ عَلَى اللَّهِ وَهَوْلِ الصَّرَاطِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ<sup>(١)</sup>.  
وَفَرِيقٌ: لَا يَغْفِرُ اللَّهُ لَهُ كَبِيرَتُهُ؛ فَيُعَذِّبُهُ بِمَا يَطْهِّرُهُ اللَّهُ بِهِ فِي النَّارِ،  
ثُمَّ مَالَهُ إِلَى الْجَنَّةِ.  
وَالْأَصْلُ: أَنَّ الْفَرِيقَ الْأَوَّلَ أَكْثَرُ مِنَ الْفَرِيقِ الثَّانِي؛ لِسَعَةِ رَحْمَةِ اللَّهِ  
وَسَبْقِهَا لِنُغْصِهِ.

### ﴿مَصِيرُ مَنْ دَخَلَ النَّارَ مِنْ عَصَاةِ الْمُسْلِمِينَ﴾

قَالَ ابْنُ أَبِي زَيْدٍ: ﴿وَمَنْ عَاقَبَهُ اللَّهُ بِنَارِهِ، أَخْرَجَهُ مِنْهَا بِإِيمَانِهِ، فَأَدْخَلَهُ  
بِهِ جَنَّتَهُ: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾ [الزلزلة: ٧]﴾:

مَنْ شَاءَ اللَّهُ عِقَابُهُ مِنْ عَصَاةِ الْمُسْلِمِينَ، فَلَا خِلَافَ فِي أَنَّهُ لَا يَخْلُدُ  
فِيهَا كَالْكَافِرِينَ؛ لِأَنَّ اللَّهَ وَعَدَ بِالْإِثَابَةِ عَلَى ذَرَّةٍ الْإِيمَانِ بِالْجَنَّةِ؛ فَفِي  
«الصَّحِيحَيْنِ»، قَالَ ﷺ: (أَخْرِجُوا مِنَ النَّارِ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ  
مِنْ خَرْدَلٍ مِنْ إِيْمَانٍ)<sup>(٢)</sup>، وَفِيهِمَا قَالَ: (حَتَّى إِذَا أَرَادَ اللَّهُ رَحْمَةً مَنْ أَرَادَ  
مِنْ أَهْلِ النَّارِ، أَمَرَ اللَّهُ الْمَلَائِكَةَ أَنْ يُخْرِجُوا مَنْ كَانَ يَعْبُدُ اللَّهَ،  
فَيُخْرِجُونَهُمْ وَيَعْرِفُونَهُمْ بِآثَارِ السُّجُودِ، وَحَرَّمَ اللَّهُ عَلَى النَّارِ أَنْ تَأْكُلَ أَثَرَ  
السُّجُودِ، فَيُخْرِجُونَ مِنَ النَّارِ؛ فَكُلُّ ابْنِ آدَمَ تَأْكُلُهُ النَّارُ إِلَّا أَثَرَ السُّجُودِ؛  
فَيُخْرِجُونَ مِنَ النَّارِ قَدْ امْتَحَشُوا)<sup>(٣)</sup>، وَفِيهِمَا قَالَ ﷺ: (يُخْرِجُ مِنَ النَّارِ  
مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ)<sup>(٤)</sup>، وَفِي «الصَّحِيحَيْنِ» أَوْ أَحَدِهِمَا، مِنْ هَذَا  
الْمَعْنَى أَحَادِيثُ كَثِيرَةٌ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ، وَأَنْسٍ، وَأَبِي سَعِيدٍ،

(١) انظر: «مجموع الفتاوى» (٤٨٧/٧ - ٥٠١)، و«شرح العقيدة الطحاوية» (٤٥١/٢).

(٢) البخاري (٢٢)، ومسلم (١٨٤) من حديث أبي سعيد.

(٣) البخاري (٨٠٦)، ومسلم (١٨٢) من حديث أبي هريرة.

(٤) البخاري (٤٤)، ومسلم (١٩٣) من حديث أنس.



وجابر<sup>(١)</sup>، وعبد الله<sup>(٢)</sup>.

❦ وخالف في هذا الخوارج والمعتزلة، والمرجئة:

فذهبت الخوارج والمعتزلة: إلى سلب الإيمان منه، وأنه لا يدخل الجنة، ويخلد في النار.

وذهبت طوائف من المرجئة: إلى أنه لا يدخل النار أحد من المسلمين مهما بلغ ذنبه.

وقد دلّ الدليل في «الصحيحين»<sup>(٣)</sup> على تعذيب أقوام في النار من عصاة بني آدم، وإخراج أقوام من النار قد امشجشوا واحترقوا، إلا مواضع السجود فيهم، وأنه يخرج من النار من كان في قلبه ذرة من إيمان.

وهذه الأحاديث تشهد لصحة ما ذهب إليه أهل السنة في حكم مرتكب الكبيرة، وفيها رد على مذاهب هذه الطوائف المخالفة.

❦ الشفاعة وأحكامها:

❦ قَالَ ابْنُ أَبِي زَيْدٍ: «وَيُخْرِجُ مِنْهَا بِشَفَاعَةِ النَّبِيِّ ﷺ، مَنْ شَفَعَ لَهُ مِنْ أَهْلِ الْكِبَائِرِ مِنْ أُمَّتِهِ»:

الشفاعة ثابتة؛ وهي حق قطعي لا ينكر أصلها مسلم، والشفع ضد الوثر؛ وهو: ضم واحد أو أكثر إلى واحد أو أكثر؛ ليصل إلى حاجة يعجز عنها بنفسه.

(١) البخاري (٦٥٥٨)، ومسلم (١٩١).

(٢) البخاري (٦٥٧١)، ومسلم (١٨٦).

(٣) سبق تخريجها قبل قليل.

وهذا من رحمة الله، وسعة فضله: أَنْ جَعَلَ الأسبابَ الْمُنْجِيَةَ مِنَ النارِ والمُدْخِلَةَ لِلْجَنَّةِ مُتَعَدِّدَةً.

والشفاعةُ تكونُ للنَّجاةِ والسَّلامَةِ مِنَ الْعَذَابِ أَوْ الْكَرْبِ، وتكونُ لتخفيفِ الْعَذَابِ، وتكونُ لَزوالِ الْعَذَابِ، وتكونُ لدخولِ الْجَنَّةِ، وتكونُ للارتفاعِ فِيهَا دَرَجَةً فَوْقَ مَا يَسْتَحِقُّهُ الْعَبْدُ مِنْ غَيْرِ الشَّفَاعَةِ:

■ أَمَّا الشَّفَاعَةُ الَّتِي تَكُونُ لِلنَّجاةِ وَالسَّلامَةِ: فَكَالشَّفَاعَةِ لِأَهْلِ الْمَوْقِفِ بِتَخْفِيفِ الْكَرْبِ عَلَيْهِمْ: بِأَنْ يَعْجَلَ اللَّهُ فِي حَسَابِهِمْ<sup>(١)</sup>، وَكَالشَّفَاعَةِ لِلنَّجاةِ مِنَ الْعَذَابِ لِمَنْ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِ النَّارَ، فَيُنْجِيهِ اللَّهُ مِنْهَا بِشَفَاعَةِ غَيْرِهِ<sup>(٢)</sup>.

■ وَأَمَّا الشَّفَاعَةُ الَّتِي تَكُونُ لِتَخْفِيفِ الْعَذَابِ: فَكَشَفَاعَةِ النَّبِيِّ ﷺ لَعَمِّهِ أَبِي طَالِبٍ<sup>(٣)</sup>، وَشَفَاعَتِهِ وَشَفَاعَةَ غَيْرِهِ لِلْعَصَاةِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ التَّخْفِيفَ عَنْهُمْ<sup>(٤)</sup>.

■ وَأَمَّا الشَّفَاعَةُ الَّتِي تَكُونُ لَزوالِ الْعَذَابِ: فَكَالشَّفَاعَةِ فِي أَهْلِ النَّارِ مِنْ عَصَاةِ الْمُؤَحِّدِينَ بِخُرُوجِهِمْ مِنَ النَّارِ؛ فَإِنَّ الْأَدْلَةَ اسْتَفَاضَتْ أَنَّ أَقْوَامًا مِنْ أَهْلِ الْكِبَائِرِ الْمُؤَحِّدِينَ يُعَذِّبُونَ فِي النَّارِ؛ إِذَا لَمْ يَرْحَمْهُمْ اللَّهُ قَبْلَ ذَلِكَ<sup>(٥)</sup>.

■ وَأَمَّا الشَّفَاعَةُ الَّتِي تَكُونُ لدخولِ الْجَنَّةِ: فَكَشَفَاعَةِ النَّبِيِّ ﷺ لِلْأُمَّمِ أَنْ تَدْخُلَ الْجَنَّةَ بَعْدَمَا يُجَاوِزُونَ الصَّرَاطَ<sup>(٦)</sup>.

(١) البخاري (٣٣٤٠)، ومسلم (١٩٤) من حديث أبي هريرة. والبخاري (٧٤١٠)، ومسلم (١٩٣) من حديث أنس.

(٢) «البداية والنهاية» (١٨٩/٢٠ - ١٩٢).

(٣) البخاري (٣٨٨٣)، ومسلم (٢٠٩) من حديث العباس.

(٤) البخاري (٦٥٦٠، ٧٤٣٧)، ومسلم (١٨٢، ١٨٣، ١٨٤).

(٥) سبق قبل قليل من حديث أبي هريرة وأبي سعيد وأنس وغيرهم.

(٦) كما عند مسلم (١٩٦ و ١٩٧) من حديث أنس، و(١٩٥) من حديث أبي هريرة وحذيفة.

■ وَأَمَّا الشَّفَاعَةُ الَّتِي تَكُونُ لِلارْتِفَاعِ فِي الْجَنَّةِ: فَهِيَ شَفَاعَةُ النَّبِيِّ ﷺ وَغَيْرِهِ مِنَ الْمَلَائِكَةِ وَالْأَنْبِيَاءِ وَالصَّالِحِينَ لغيرِهِمْ: بَأَنْ يَلْحَقُوا بِهِمْ، أَوْ مَنْ دُونَهُمْ مِمَّنْ قَصُرَ عَمَلُهُمْ عَنْ بَلُوغِ تِلْكَ الْمَرْتَبَةِ<sup>(١)</sup>، وَكَشَفَاعَةِ الْأَزْوَاجِ وَالْآبَاءِ وَالْأَبْنَاءِ وَالْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ<sup>(٢)</sup>.

وَلَا يَشْفَعُ إِلَّا مُؤْمِنٌ، وَلَا تُقْبَلُ الشَّفَاعَةُ مِنْ غَيْرِهِ؛ لِأَنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَى عَنِ الْكَافِرِ:

وَكَلَّمَا ضَعُفَ إِيْمَانُ الْعَبْدِ، ضَعُفَ احْتِمَالُ شَفَاعَتِهِ؛ حَتَّى يَكُونَ أَوْضَعُ الْأُمَّةِ إِيْمَانًا لَا يَشْفَعُ لِأَحَدٍ؛ لِأَنَّهُ لَنْ يَشْفَعَ لِمَنْ فَوْقَهُ؛ لِأَنَّهُ أَقْوَى إِيْمَانًا مِنْهُ، وَلَيْسَ تَحْتَهُ أَحَدٌ يَشْفَعُ لَهُ.

وَكَلَّمَا عَلَتْ مَرْتَبَةُ الْمُؤْمِنِ، قَلَّ الشَّافِعُونَ لَهُ؛ لِعُلُوِّهِ عَلَيْهِمْ، وَبِلُغُوهِ مَرْتَبَةَ تَمَامِ الرِّضَا أَوْ مَقَارِبَتِهَا؛ وَلِهَذَا لَمْ يَثْبُتْ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ يَشْفَعُ لَهُ أَحَدٌ؛ لِأَنَّهُ أَفْضَلُ الْأَنْبِيَاءِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ؛ فَكَانَ أَعْظَمُهُمْ شَفَاعَةً لغيرِهِ، وَغَيْرُهُ عَدِيمُ الشَّفَاعَةِ لَهُ.

وَلَا يَأْذُنُ بِالشَّفَاعَةِ إِلَّا اللَّهُ، وَلَيْسَ الْإِذْنُ لِأَحَدٍ مِنَ الْخَلْقِ؛ مَهْمَا عَلَتْ مَنْزِلَتُهُ وَارْتَفَعَ شَأْنُهُ؛ قَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ لِلَّهِ الشَّفَعَةُ جَمِيعًا﴾ [الزمر: ٤٤]، وَقَالَ: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شَفَعُونَا عِنْدَ اللَّهِ﴾ [يونس: ١٨].

وَالشَّفَاعَةُ لَا تَكُونُ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَكُونَ فِيهَا أَمْرَانِ:

- إِذْنُ اللَّهِ لِلشَّافِعِ أَنْ يَشْفَعَ.

- وَرِضَا عَنْ الْمَشْفُوعِ لَهُ.

(١) كَمَا فِي حَدِيثِ أَبِي مُوسَى عِنْدَ الْبُخَارِيِّ (٤٣٢٣ وَ ٦٣٨٣)، وَمُسْلِمٍ (٢٤٩٨). وَحَدِيثِ أُمِّ سَلَمَةَ عِنْدَ مُسْلِمٍ (٩٢٠).

(٢) كَمَا عِنْدَ مُسْلِمٍ (٢٦٣٥) مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ. وَهُوَ فِي شَفَاعَةِ الْإِبْنَاءِ لِلْآبَاءِ.

قال تعالى: ﴿وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَوَاتِ لَا تُقْبَلُ شَفَعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَى﴾ [النجم: ٢٦]؛ فالكاfer لا يشفع، ولا يشفع له؛ لأن الله لا يرضى عن الكافرين؛ كما قال تعالى: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَى عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾ [التوبة: ٩٦]، والشفاعة لا بُدَّ فيها من رضاه سبحانه، والكاfer لا ينتفع بالشفاعة؛ كما قال تعالى: ﴿فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ﴾ [المدثر: ٤٨].

وقد أنكر بعض الطوائف الشفاعة بحسب أصولهم، وفرعوا على ذلك نقضها وإبطالها، ومنهم: مَنْ يُنْكِرُهَا عَامَّةً، ومنهم: مَنْ يُنْكِرُ بعضها:

فالخوارج والمعتزلة لا يرون صاحب الكبيرة مؤمناً؛ وعلى هذا: فلا شفاعة عندهم للعصاة من المسلمين؛ لأنهم سلبوهم اسم الإيمان، ويُقابلهم المرجئة الذين لا يرون الشفاعة للعصاة أيضاً؛ لأن المعصية لا تؤثر على الإيمان عندهم؛ وعلى هذا: فلا يدخلون النار بها أصلاً، فضلاً عن تخفيف العذاب عليهم؛ فلا يدخل النار عند الخوارج والمعتزلة والمرجئة إلا نفس كافرة.

فالخوارج والمعتزلة والمرجئة أنكروا باعتبار ما قرروا.

وإطلاق أن الخوارج والمعتزلة والمرجئة يقولون بإنكار جميع أنواع الشفاعة غلط عليهم.

❦ رُؤْيَةُ اللَّهِ فِي الْآخِرَةِ:

❦ قَالَ ابْنُ أَبِي زَيْدٍ: ﴿وَأَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ قَدْ خَلَقَ الْجَنَّةَ فَأَعَدَّهَا دَارَ خُلُودٍ لِأَوْلِيَائِهِ، وَأَكْرَمَهُمْ فِيهَا بِالنَّظَرِ إِلَى وَجْهِهِ الْكَرِيمِ﴾:

استفاضت النصوص على رؤية الله في الآخرة، ولم يختلف الصحابة والتابعون ولا معروف بعلم من أتباعهم في ذلك:

قال تعالى: ﴿وَجِئُوا يَوْمَ النّٰصِرَةِ ۝ اِلٰك رَبِّهَا نَاطِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٢ - ٢٣]؛ أي: تنظر إلى ربها بعيني رأسها؛ وهذا ما قرره السلف في تأويلها.

وقد سأل أشهب مالك بن أنس عنها؟ فقال: «أينظرون إلى الله؟ قال: نعم؛ بأعينهم هاتين، قال أشهب: فإن قوماً يقولون: ناظرة، بمعنى منتظرة إلى الشواب، قال: كذبوا، بل تنظر إلى الله؛ أما سمعت قول موسى: ﴿رَبِّ اَرِنِي اَنْظُرْ اِلَيْكَ﴾ [الاعراف: ١٤٣]؛ أترأه سأل محالاً؟... وقال تعالى: ﴿كَلَّا اِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾ [المطففين: ١٥]»<sup>(١)</sup>.

فإذا كان هناك محجوبون، فهناك ناظرون؛ وهذا لازم القول، وقد استدلل بهذه الآية على الرؤية: مالك<sup>(٢)</sup>، والشافعي<sup>(٣)</sup>، وجماعة من أهل العربية؛ كغلب<sup>(٤)</sup>، وغيره<sup>(٥)</sup>.

وقد جاء اللقاء بالله يوم القيامة في مواضع من الوحي؛ ومن ذلك قوله تعالى: ﴿فَيَحْيِيَهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ﴾ [الأحزاب: ٤٤]، ولأزم اللقاء: الرؤية عند العرب<sup>(٦)</sup>، وحكي الإجماع على ذلك؛ كما حكاه غلب<sup>(٧)</sup>.

وقد كان سحنون يلقن ابن القصار في مرض موته: «أن الله يرى يوم القيامة»<sup>(٨)</sup>، وكان أبو العباس بن طالب يستفتح خطبة الجمعة على

(١) «شرح أصول الاعتقاد» (٨٧١)، و«ترتيب المدارك» (٤٣/٢).

(٢) «شرح أصول الاعتقاد» (٨٠٨). (٣) «شرح أصول الاعتقاد» (٨٠٩).

(٤) «ياقوتة الصراط» (ص ٥٦١).

(٥) «تأويل مختلف الحديث» (ص ٣٠٠ - ٣٠١)، و«الرد على الجهمية» للدارمي ١٦٦ و١٦٧.

(٦) «الشرعية» للأجري (٩٨١/٢). (٧) «الإبانة» لابن بطة (٦٢/٧).

(٨) «رياض النفوس» (٣٦٧/١ - ٣٦٨)، وقد سبق.

مُنِيرِ الْقَيَّرَانِ بِإِثْبَاتِ رُؤْيَةِ اللَّهِ فِي الْآخِرَةِ<sup>(١)</sup>.

وَمِنَ الْأَدَلَّةِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لَنْ تَرِنِّي وَلَكِنْ أَنْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنْ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ، فَسَوْفَ تَرِنِّي﴾ [الأعراف: ١٤٣]؛ فَاللَّهُ مَنَعَ مُوسَى مِنْ رُؤْيِيهِ فِي الدُّنْيَا، وَلَازِمُ ذَلِكَ تَمْكِئُهُ مِنْهَا فِي الْآخِرَةِ.

ثُمَّ إِنَّ مُوسَى لَا يَسْأَلُ إِلَّا الْمُمَكِّنَ، لَا يَسْأَلُ الْمُحَالَ.

وَكَذَلِكَ: فَإِنَّ اللَّهَ تَجَلَّى لِلْجَبَلِ بِنَفْسِهِ؛ لِيُرِيَ مُوسَى أَنْ لَا طَاقَةَ فِي خَلْقَتِهِ - الَّتِي هُوَ عَلَيْهَا فِي الدُّنْيَا - عَلَى رُؤْيَةِ اللَّهِ؛ لِأَنَّ الْجَبَلَ - وَهُوَ أَقْوَى مِنْهُ، وَأَشَدُّ خَلْقًا - لَمْ يَتَحَمَّلْ؛ فَاصْبَحَ دَكًّا.

وَقَدْ جَعَلَ ابْنُ عَبْدِ الْبَرِّ دَلَالَةَ الْآيَةِ وَاضِحَةً عَلَى رُؤْيَةِ اللَّهِ فِي الْآخِرَةِ<sup>(٢)</sup>؛ وَبِهَذَا يَقُولُ أَهْلُ الْعَرَبِيَّةِ فِي مَعْنَى التَّجَلِّي؛ كَالْخَلِيلِ وَغَيْرِهِ؛ قَالُوا: «تَجَلَّى: ظَهَرَ وَبَانَ»<sup>(٣)</sup>.

وَمَنْ يُعَارِضُ هَذِهِ الْآيَةَ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾ [الأنعام: ١٠٣]، فَقَدْ أَخْطَأَ؛ لِأَنَّ الْإِدْرَاكَ هُنَا؛ بِمَعْنَى: الْإِحَاطَةِ، وَعَدَمُ الْإِدْرَاكِ وَالْإِحَاطَةِ لَا يَنْفِي الرُّؤْيَةَ؛ فَقَدْ تَرَى مَنْ لَا تُدْرِكُهُ وَلَا تَحِيطُ بِهِ، وَالْإِدْرَاكَ فِي الْآيَةِ الْإِحَاطَةُ، وَهِيَ قَدْرُ زَائِدٍ عَنْ مَجَرَّدِ الرُّؤْيَةِ، وَهُوَ مَمْتَنِعٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ؛ فَاللَّهُ فَرَّقَ بَيْنَ الرُّؤْيَةِ وَالْإِدْرَاكِ بِقَوْلِهِ عَنْ أَصْحَابِ مُوسَى وَفِرْعَوْنَ: ﴿فَلَمَّا تَرَاَهُ الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرِكُونَ﴾ [الشعراء: ٦١]؛ رَأَوْهُمْ أَوَّلًا، ثُمَّ خَافُوا إِدْرَاكَهُمْ ثَانِيًا.

وَكَانَ مَالِكٌ وَأَصْحَابُهُ يَشُدُّونَ عَلَى مَنْكِرِ رُؤْيَةِ اللَّهِ مِنْ أَهْلِ الْكَلَامِ،

(٢) «التمهيد» (١٥٣/٧).

(١) «ترتيب المدارك» (٢١٤/٤).

(٣) «العين» (١٨٠/٦)، و«معاني القرآن» للزجاج (٣٧٣/٢)، و«تهذيب اللغة» (١٨٥/١١) -

قِيلَ لِمَالِكٍ: «إِنَّهُمْ يَزْعُمُونَ أَنَّ اللَّهَ لَا يُرَى!»، فَقَالَ مَالِكٌ: «السَّيْفُ السَّيْفُ»<sup>(١)</sup>.

وَقَدْ ضَرَبَ أَسَدُ بْنُ الْفُرَاتِ فِي مَجْلِسِهِ بِالْمَسْجِدِ بِنَعْلَيْهِ رَجُلًا أَنْكَرَ رُؤْيَا اللَّهِ فِي الْآخِرَةِ، وَكَانَ يَقُولُ: «وَاللَّهِ، لَوْ أَدْخِلْتُ الْجَنَّةَ، فَحُجِبْتُ عَنْ رُؤْيَا اللَّهِ، لَشَكَّكْتُ، وَلَآنَا أَسْرُ بِرُؤْيَا رَبِّي مِنِّي بِالْجَنَّةِ»<sup>(٢)</sup>.  
وَلِلشَافِعِيِّ كَلَامٌ قَرِيبٌ مِنْ هَذَا<sup>(٣)</sup>.

وَقَالَ ابْنُ الْمَاجِشُونِ: «مَنْ زَعَمَ أَنَّ اللَّهَ لَا يُرَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ، اسْتُيِيبَ»<sup>(٤)</sup>.

وَصَنَّفَ غَيْرُ وَاحِدٍ مِنَ الْمَغَارِبَةِ فِي رُؤْيَا اللَّهِ رَدًّا عَلَى الْمُنْكَرِينَ لَهَا مِنَ الْمُتَكَلِّمِينَ؛ فَكَتَبَ يَحْيَى بْنُ عُمَرَ كِتَابَ «الرُّؤْيَا»، وَكَتَبَ ابْنُ وَضَّاحٍ كِتَابَ «مَا جَاءَ مِنَ الْحَدِيثِ فِي النَّظَرِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى»، وَأَكْثَرَ مِنْ رِوَايَةِ الْحَدِيثِ وَالْأَثَرِ فِي الرُّؤْيَا؛ حَتَّى كَانَ عُمْدَةً لِلْمَغَارِبَةِ فِي هَذَا الْبَابِ؛ حَتَّى قَالَ أَبُو مُوسَى الْأَنْصَارِيُّ: «كَانَ الْمَغَارِبَةُ يَرُؤُونَ أَقْوَالَ رُؤْيَا اللَّهِ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ وَضَّاحٍ الْأَنْدَلُسِيِّ».

قَالَ ابْنُ أَبِي زَيْدٍ فِي «الْجَامِعِ»: «وَأَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ يَرَاهُ أَوْلِيَاؤُهُ فِي الْمَعَادِ بِأَبْصَارٍ وَجُوهِهِمْ لَا يُضَامُونَ فِي رُؤْيَايِهِ؛ كَمَا قَالَ ﷺ فِي كِتَابِهِ وَعَلَى لِسَانِ نَبِيِّهِ؛ قَالَ الرَّسُولُ ﷺ فِي قَوْلِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا لِمُتًى زَيْدًا﴾ [يونس: ٢٦]، قَالَ: (الْحُسْنَى: الْجَنَّةُ، وَالزَّيْدَةُ: النَّظَرُ إِلَى

(١) «شرح أصول الاعتقاد» (٨٠٨ و ٨٧٢).

(٢) «رياض النفوس» (١/٢٦٤).

(٣) «شرح أصول اعتقاد أهل السنة» (٣/٥٦٠).

(٤) نَسَبَهُ وَغَيْرَهُ مِنْ آثَارِ السَّلَفِ وَالْأَئِمَّةِ مُحَمَّدُ بْنُ وَضَّاحٍ فِي كِتَابِ «الرُّؤْيَا».

وَجِهَ اللَّهُ تَعَالَى<sup>(١)</sup>، قِيلَ لِمَالِكٍ: أَيْرَى اللَّهُ ﷻ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ قَالَ: نَعَمْ؛ يَقُولُ اللَّهُ ﷻ: ﴿رُجُوهُ يَوْمَئِذٍ نَاصِرَةٌ ۖ﴾ ﴿٢٢﴾ إِلَى رَيْبَا نَاطِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٢ - ٢٣]، وَقَالَ ﷻ فِي أُخْرَى: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُورُونَ﴾ [المطففين: ١٥]، قَالَ مَالِكٌ: قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ: دُونَ اللَّهِ سُبْحَانَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ سَبْعُونَ أَلْفَ حِجَابٍ<sup>(٢)</sup>.

### ﴿الْجَنَّةُ وَالنَّارُ، وَلِمَنْ أَعَدَّهُمَا اللَّهُ﴾

﴿قَالَ ابْنُ أَبِي زَيْدٍ: ﴿وَهِيَ الَّتِي أَهْبَطَ مِنْهَا آدَمُ نَبِيَّهُ وَخَلِيفَتُهُ إِلَى أَرْضِهِ، بِمَا سَبَقَ فِي سَابِقِ عِلْمِهِ، وَخَلَقَ النَّارَ فَأَعَدَّهَا دَارَ خُلُودٍ لِمَنْ كَفَرَ بِهِ، وَالْحَدَّ فِي آيَاتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ، وَجَعَلَهُمْ مَحْجُوبِينَ عَنْ رُؤْيَيْهِ﴾:﴾

ذَكَرَ اللَّهُ الْجَنَّةَ الَّتِي أَدْخَلَهَا آدَمُ وَزَوْجُهُ، وَلَمْ يَقْبِذْ: ﴿وَقُلْنَا يَتَادُمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ﴾ [البقرة: ٣٥].

وَالْأَصْلُ: كَوْنُهَا جَنَّةُ الْخُلْدِ الَّتِي يُؤْوَلُ إِلَيْهَا أَمْرُ الْمُؤْمِنِينَ جَمِيعًا، وَقَدْ كَانَ آدَمُ وَخَوَاءُ - وَمَعَهُمْ عَدُوُّهُمْ إِبْلِيسُ - فِي جَنَّةِ السَّمَاءِ؛ وَلِهَذَا أَهْبَطَهُمُ اللَّهُ إِلَى الْأَرْضِ؛ فَقَالَ: ﴿قُلْنَا أَهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا﴾ [البقرة: ٣٨]، وَقَالَ: ﴿وَقُلْنَا أَهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ﴾ [البقرة: ٣٦]، وَقَدْ ثَبَتَ فِي «الصَّحِيحِ»: أَنَّ آدَمَ تُطْلَبُ مِنْهُ الشَّفَاعَةُ فِي الْمَوْقِفِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيَعْتَذِرُ مِنْهَا، ثُمَّ يَقُولُ: (وَهَلْ أَخْرَجَكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ إِلَّا خَطِيئَةُ أَبِيكُمْ آدَمَ) (٣)؛ فَذَلَّ عَلَى أَنَّ الْجَنَّةَ الَّتِي خَرَجَ مِنْهَا هِيَ الَّتِي سَيَعُودُونَ إِلَيْهَا.

(٢) «الجامع» (ص ١٢٣ - ١٢٤).

(١) «الجامع» (ص ١٠٩).

(٣) مسلم (١٩٥).



وقد جاء ذِكْرُ الْجَنَّةِ التي دَخَلَهَا آدَمُ في القرآنِ معرفةً بلامِ التعريفِ، ولم يذكُرْها منكرةً؛ قال تعالى: ﴿أَسْكَنْ أَتَى وَزَوَّجَكَ الْجَنَّةَ﴾ [الأعراف: ١٩]، وقال: ﴿فَلَا يُخْرِجُكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى﴾ [طه: ١١٧]، ولا جَنَّةَ يَعْبُدُهَا المخاطبونَ وَيَعْرِفُونَهَا عندَ سَمَاعِهَا إلا جَنَّةَ الخُلدِ.

وقولُ ابنِ أبي زَيْدٍ: «وَخَلَقَ النَّارَ فَأَعَدَّهَا دَارَ خُلُودٍ لِمَنْ كَفَرَ بِهِ»، لا يريدُ به: أنَّ بعضَ عصاةِ الموحِّدين لا يدخُلونَ النارَ، وإنما هذا ذِكْرُهُ بقبيدِ الخلودِ، والمؤمنُ لا يخلدُ في النارِ ولو عُذِّبَ فيها؛ ولهذا قيِّدَ، فقال: «دَارَ خُلُودٍ لِمَنْ كَفَرَ بِهِ».

ولا يَرَى الكُفَّارُ رَبَّهُمْ يومَ القيامةِ؛ لأنَّ رُؤْيَاهُ نعيمٌ، ولا نعيمَ لهم؛ وقد قال تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُورُونَ﴾ [المطففين: ١٥]، وقال رجلٌ لمالكٍ: يا أبا عبدِ الله، هل يَرَى المؤمنونَ رَبَّهُمْ يومَ القيامةِ؟ فقال مالكٌ: «لو لم يَرِ المؤمنونَ رَبَّهُمْ يومَ القيامةِ، لم يعيِّرِ اللهَ الكُفَّارَ بالحِجَابِ؛ قال الله تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُورُونَ﴾ [المطففين: ١٥]»<sup>(١)</sup>. وبهذا استدَلَّ الشافعيُّ وأحمدُ<sup>(٢)</sup>.

### ﴿خُلِقَ الْجَنَّةُ وَالنَّارُ﴾

قال في «الجامع»: «وَأَنَّ الْجَنَّةَ وَالنَّارَ قَدْ خُلِقَتَا؛ أُعِدَّتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ، وَالنَّارُ لِلْكَافِرِينَ، لَا تَفْنَيَانِ وَلَا تَبِيدَانِ»<sup>(٣)</sup>.

أخبرَ اللهَ بِخُلُقِ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، وَأَنَّهُ أَعَدَّهُمَا قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ لِأَهْلِيهِمَا؛ كما قال تعالى عن الْجَنَّةِ: ﴿أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٣]،

(٢) «الرد على الجهمية» (ص ١٣٣).

(١) «شرح أصول الاعتقاد» (٨٠٨).

(٣) «الجامع» (ص ١١٠).

وقال عن النارِ: ﴿أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٤، وآل عمران: ١٣١]؛ فأعدادُها سابقٌ لعمَلِ العالمين، وأعدَّها اللهُ لسابقِ علمِهِ وتقديرِهِ، ولَمَّا عُرِجَ بالنبِيِّ ﷺ إلى السماءِ، أَرى الجنةَ؛ قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾ عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَىٰ ﴿١٤﴾ عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَىٰ﴾ [النجم: ١٣ - ١٥]، وقد أَرى الجنةَ والنارَ في أحاديثٍ كثيرةٍ<sup>(١)</sup>.

وقد رأى النبي ﷺ الجنةَ والنارَ في المنام، ورؤيا الأنبياءِ حقٌّ، ليست كأحلامِ الناس؛ وبهذا يستدلُّ أحمدٌ على أَنَّ الجنةَ والنارَ قد خُلِقتا؛ كما نقلَهُ عنه حَنْبَلٌ<sup>(٢)</sup>، وأدلةُ خلقِ الله للجنة والنار صريحةٌ متواترة، وقد جَزَمَ أحمدٌ بكفرٍ منكِرٍ ذلك؛ كما نقله عنه الأندرانِيُّ وغيرُهُ<sup>(٣)</sup>.

وكلُّ مَنْ نَفَى الْقَدَرَ، لَزِمَهُ الْقَوْلُ بِنَفْيِ سَبْقِ خَلْقِ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ.

### ❦ خُلُودُ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ:

وقد قالت بعضُ الطوائف: إِنَّ أفعالَ اللهِ لها آخِرٌ، ومنها الجنةُ والنارُ، وعلى هذا تَفَنِّيَانٍ؛ وهو قولُ الجَهْمِ بنِ صَفْوَانَ<sup>(٤)</sup>.

وربَّما استدلَّ بعضهم ببعضِ عموماتِ القرآن؛ كقوله تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ [الفصص: ٨٨].

وَيُجْمَعُ السَّلَفُ على أَنَّ الجنةَ والنارَ لا تَفَنِّيَانِ، وإنَّما ثَمَّةٌ كلامٌ قليلٌ لبعضهم في فناءِ النارِ<sup>(٥)</sup>، وقد ذَكَرَ اللهُ أَبَدِيَّةَ النَّارِ في مواضعٍ من

(١) كما في حديث أسماء عند البخاري (٨٦)، ومسلم (٩٠٥). وحديث أنس أيضًا عند البخاري (٥٤٠)، ومسلم (٤٢٦).

(٢) «طبقات الحنابلة» (٣/١١١)، (٣) «طبقات الحنابلة» (٢/٣٣٩).

(٤) «مقالات الإسلاميين» (٢/٣٩٦)، و«درء التعارض» (٢/٣٥٨).

(٥) انظر: رسالة «رفع الأستار»، و«الرد على من قال بفناء الجنة والنار».

كتابِهِ ﷺ؛ قال تعالى: ﴿خَلِّدِينَ فِيهَا أَبَدًا﴾ [النساء: ١٦٩، والأحزاب: ٦٥، والجن: ٢٣]، وقال تعالى: ﴿إِنَّكُمْ مِنْ يَأْتِ رَبُّهُ مُخْرِجًا فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى﴾ [طه: ٧٤]، وقد صَحَّ الحديثُ بالإتيانِ بِالْمَوْتِ في صورةِ كبشٍ أَمْلَحَ، فيُذْبَحُ بين الجنةِ والنارِ<sup>(١)</sup>، والقولُ بفناءِ الجنةِ أعظمُ من القولِ بفناءِ النارِ، وقد جَزَمَ أحمدُ بْنُ حنبلٍ بكفرِ مَنْ قال بفناءِ الجنةِ خاصةً؛ كما في رسالتهِ إلى مسددٍ<sup>(٢)</sup>.

وقد تكلَّمنا على ذلك بالتفصيل في «الخراسانية»<sup>(٣)</sup>.

### صفةُ المجيءِ لله:

قَالَ ابْنُ أَبِي زَيْدٍ: ﴿وَأَنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَجِيءُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، ﴿وَالْمَلَكُ صَفًا صَفًا﴾ [الفجر: ٢٢]؛ لِعَرْضِ الْأُمَمِ وَحِسَابِهَا، وَعُقُوبَتِهَا وَثَوَابِهَا: تُثَبَّتُ صِفَةُ الْمَجِيءِ لِلَّهِ تَعَالَى حَقِيقَةً كَمَا يَلِيقُ بِهِ، لَا كَمَا يَلِيقُ بِالْمَخْلُوقِ، وَإِبْثَانُهَا كِلَابَاتٍ سَائِرِ أَعْمَالِهِ الْاِخْتِيَارِيَّةِ؛ كَالِاسْتَوَاءِ وَالنُّزُولِ وَغَيْرِهِمَا، وَقَدْ ذَكَرَ ابْنُ أَبِي زَيْدٍ إِثْبَاتَهَا حَقِيقَةً بِقَوْلِهِ فِي «الجامع»: «بَعْدَ أَنْ لَمْ يَكُنْ جَائِئًا»<sup>(٤)</sup>.

وَالْإِتْيَانُ وَالْمَجِيءُ: مِنَ الصِّفَاتِ الْفَعْلِيَّةِ الْخَبَرِيَّةِ؛ وَقَدْ قَالَ تَعَالَى: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلُلٍ مِّنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ﴾ [البقرة: ٢١٠]، وقال: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِكَ بَعْضُ مَا يَكُنْتَ رَبُّكَ﴾ [الأنعام: ١٥٨]، وقال: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًا صَفًا﴾ [الفجر: ٢٢].

(١) البخاري (٤٧٣٠)، ومسلم (٢٨٤٩) من حديث أبي سعيد.

(٢) «طبقات الحنابلة» (٤٢٦/٢).

(٣) «الخراسانية» (ص ٣٥٠).

(٤) «الجامع» (ص ١٠٧ - ١٠٨).

وقد حكى أبو الحسن الأشعري الإجماع على إثبات المجيء لله يوم القيامة؛ كما في «رسالته إلى أهل الثغر»<sup>(١)</sup>.

وقد روى حنبل عن أحمد: أنه تأول المجيء بمجيء قدرته، وأن الإتيان إتيان أمره.

ولم يرو ذلك عن أحمد أحد غيره، وقد أنكره عليه بعض الأصحاب؛ لأنه لا يجري على أصوله؛ قال أبو إسحاق بن شاقلاً: «هذا غلط من حنبل، لا شك فيه»، وأراد أبو إسحاق بذلك: أن مذهبه حمل الآية على ظاهرها في مجيء الذات؛ هذا ظاهر كلامه<sup>(٢)</sup>.

وهذا لو صح عن أحمد، فليس هو يجري على أصول أهل التأويل؛ لأن أصول أحمد: الإثبات لأفعال الله الاختيارية على وجه الحقيقة.

وربما استحضر نفاه الأفعال الاختيارية لله كيفية معينة؛ فحملهم ذلك على التأويل أو التعطيل.

وقد سمع الإمام أحمد قاصاً يروي حديث النزول، ويقول: «بلا زوال، ولا انتقان، ولا تغير حال، فارتعد أحمد، واصفر لونه، وقال لابنه عبد الله: قف بنا على هذا المتخرف، فلما حاذاه، قال: يا هذا؛ رسول الله أغير على ربه منك؛ قل كما قال رسول الله ﷺ»، وانصرف<sup>(٣)</sup>.

والإتيان والمجيء لله يُثبت حقيقة تليق به، بلا تأويل ولا تكييف

(١) «رسالة إلى أهل الثغر» (ص ٢٢٧).

(٢) «إبطال التأويلات» (١/١٣٢)، و«مجموع الفتاوى» (١٦/٤٠٤ - ٤٠٦).

(٣) «الاقتصاد في الاعتقاد» (ص ١١٠).

ولا تمثيل، وقد بين ابن أبي زيد ثبوت ذلك حقيقة؛ كما هو ظاهر كلامه في «الجامع»؛ حيث قال: «وَمِمَّا جَاءَتْ بِهِ الْأَحَادِيثُ: أَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ يَضَعُ كُرْسِيَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لِفَضْلِ الْقَضَاءِ»<sup>(١)</sup>.

وإثبات المجيء والإتيان، والنزول لله، حقيقة تليق به، لا يلزم منه التشبيه.

وربما جرى بعض أهل السنة على الأصول الكلامية؛ فجعلوا لوازم لا دليل عليها إثباتاً ونفيًا، عند إثبات المجيء والإتيان والنزول؛ كالحركة والانتقال وخلو العرش؛ فأرادوا تنزيه الله عن تلك اللوازم؛ فرجعوا إلى ما أثبتته الشرع، فتأولوه.

والحق: الإمساك عن تلك اللوازم؛ فكونها لازمة للمخلوق، لا يجوز الخوض فيها في حق الخالق؛ فمن لا يشبهه شيء في صفاته لا يشبهه شيء في لوازمها.

واستنكار ابن عبد البر للفظه: «إِنَّهُ يَنْزِلُ بِذَاتِهِ» في «الاستذكار»، من هذا الباب؛ قال: «وقد قالت فرقة منتسبة إلى السنة: إنه يَنْزِلُ بِذَاتِهِ؛ وهذا قول مهجور؛ لأنه تعالى ذكره ليس بمحل للحركات، ولا فيه شيء من علامات المخلوقات»<sup>(٢)</sup>.

ومثله: قوله في «المجيء» في كتابه «التمهيد»: «وليس مجيئه حركة، ولا زوالاً، ولا انتقالاً؛ لأن ذلك إنما يكون إذا كان الجائي جسمًا»<sup>(٣)</sup>؛ وهذا من ابن عبد البر هو قول أبي الحسن في «الرسالة إلى أهل الثغر»<sup>(٤)</sup>.

(٢) «الاستذكار» (١٥٣/٨).

(٤) «رسالة إلى أهل الثغر» (ص ٢٢٧).

(١) «الجامع» (ص ١٠٨).

(٣) «التمهيد» (١٣٧/٧).

وقد كان الإمام أحمد يُنكر مَنْ يُوردُ هذه اللوازم: «الزوال، والانتقال، وتغيُّر الحال»؛ بحُجَّةِ نفيها عند إثبات النزول، وقد سَمِعَ أحمدُ قاصًّا يروي حديثَ النزول، ويقول: «بلا زوال، ولا انتقال، ولا تغيُّر حال، فارتعدَ أحمدُ، واصفَرَّ لَوْنُهُ، وقال لابنهِ عبدُ الله: قِفْ بنا على هذا المتخرِّص، فلَمَّا حاذاه، قال: يا هذا؛ رسولُ الله أُعيرَ على رَبِّهِ مِنْكَ، قُلْ كما قال رسولُ الله ﷺ، وانصَرَفَ<sup>(١)</sup>.

وابنُ عبدِ البرِّ مُنِيتٌ للاستواء على ظاهره؛ وهو على طريقةِ السلفِ في الصفات، وإن جرى في مواضع قليلةٍ من كلامهِ التقريرُ على ما يُشابهُ في الظاهر طريقةَ أهلِ الكلام؛ وهذا لا يُخرِجُهُ عن أصلِهِ الذي هو عليه؛ في عامَّةِ تقريرِهِ المجملِ والمفصَّل.

### المِيزَانُ وَالْوَزْنُ:

قَالَ ابْنُ أَبِي زَيْدٍ: ﴿وَتَوَضَّعَ الْمَوَازِينُ لِوَزْنِ أَعْمَالِ الْعِبَادِ؛ فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ، فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الأعراف: ٨]:

المِيزَانُ حَقٌّ؛ كما قال مالكُ بن أنسٍ وغيره<sup>(٢)</sup>، وقد عدَّه أحمدُ وابنُ المَدِينِيٍّ من أصولِ السُّنَّةِ<sup>(٣)</sup>، وقد جاء ذلك في الكتاب، وتواترَ في السُّنَّةِ، وأجمعتْ عليه الأُمَّةُ؛ قال الله تعالى: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا﴾ [الأنبياء: ٤٧].

ويضعُ الله المِيزَانَ؛ لِيُقِيمَ الحُجَّةَ على عبادِهِ، فيروا أعمالَهُم، ويقرؤوا صُحُفَهُم، ويُبصِّروا موازينَهُم بأنفسِهِم؛ لِيَعْرِفُوا ما يَسْتَحِقُّونَ، من

(١) «الاعتقاد» (ص ١١٠).

(٢) «أصول السُّنَّة» لابن أبي زَمَنِين (ص ١٦٥).

(٣) «شرح أصول الاعتقاد» (٣١٧ و ٣١٨).

النعيم والعذاب، وَيَعْرِفُوا مَقْدَارَ ذَلِكَ، وَإِذَا جَاءَتْهُمْ رَحْمَةٌ مِنْ اللَّهِ، عَرَفُوا قَدْرَهَا؛ قَالَ تَعَالَى: ﴿فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ ۖ ﴿٦﴾ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ ۖ ﴿٨﴾ فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ ﴿٩﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَ ﴿١٠﴾ نَارُ حَامِيَةٍ ۖ﴾ [القارعة: ٦ - ١١].

وَتُوزَنُ جَمِيعُ الْأَعْمَالِ؛ وَيَجْعَلُ اللَّهُ لِكُلِّ عَمَلٍ وَزَنًا بِالْعَدْلِ، وَفِي «الصحيح» قَالَ ﷺ: (الطُّهُورُ شَطْرُ الْإِيمَانِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلَأُ الْمِيزَانَ، وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلَأَانِ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ)<sup>(١)</sup>.

وَتُوزَنُ كَذَلِكَ الْأَبْدَانُ؛ كَمَا فِي الْحَدِيثِ: (يُوتَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِالرَّجُلِ السَّمِينِ، فَلَا يَزِنُ عِنْدَ اللَّهِ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ)، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿فَلَا يُعِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَزَنًا﴾ [الكهف: ١٠٥]<sup>(٢)</sup>، وَفِي فَضْلِ ابْنِ مَسْعُودٍ قَالَ ﷺ: (أَتَعْجَبُونَ مِنْ دِقَّةِ سَائِقِيهِ؟ فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَهُمَا فِي الْمِيزَانِ أَثْقَلُ مِنْ أُحُدٍ)<sup>(٣)</sup>.

وَكَذَلِكَ تُوزَنُ الْكُتُبُ؛ كَمَا فِي حَدِيثِ صَاحِبِ الْبِطَاقَةِ، وَفِيهِ: (فَطَاشَتِ السَّجِلَاتُ، وَثَقُلَتِ الْبِطَاقَةُ)<sup>(٤)</sup>.

وَلَا يَثْبُتُ فِي حَجْمِ الْمِيزَانِ حَدِيثٌ، وَقَدْ رُوِيَ أَنَّ لَهُ كِفَّتَيْنِ؛ لظَاهِرِ حَدِيثِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ؛ وَهُوَ حَدِيثُ الْبِطَاقَةِ، وَفِيهِ: (فَتَوَضَّعَتِ السَّجِلَاتُ فِي كِفَّةٍ، وَالْبِطَاقَةُ فِي كِفَّةٍ؛ فَطَاشَتِ السَّجِلَاتُ)<sup>(٥)</sup>؛ وَبِهَذَا يَقُولُ الْأَكْثَرُ، وَحَكَى أَبُو إِسْحَاقَ الزَّجَّاجُ الْإِجْمَاعَ عَلَى ذَلِكَ<sup>(٦)</sup>.

(١) مسلم (٢٢٣) من حديث أبي مالك الأشعري.

(٢) البخاري (٤٧٢٩)، ومسلم (٢٧٨٥) من حديث أبي هريرة.

(٣) أحمد (٤٢٠/١) رقم (٣٩٩١)، وابن حبان (٧٠٦٩).

(٤) الترمذي (٢٦٣٩)، وابن ماجه (٤٣٠٠) من حديث عبد الله بن عمرو.

(٥) الموضوع السابق.

(٦) «فتح الباري» (٥٣٨/١٣).

ومنهم: مَنْ أَنْكَرَ الْكَفَّتَيْنِ؛ كَابِنِ حَزْمٍ<sup>(١)</sup>.

ورُوِيَ عن بعض الصحابة؛ كَسَلْمَانَ، وابنِ عَبَّاسٍ<sup>(٢)</sup>، وبعض التابعين؛ كَالْحَسَنِ<sup>(٣)</sup>: أَنَّ لَهُ لِسَانًا؛ يَعْنِي: مَا بَيْنَ الْكَفَّتَيْنِ مِمَّا يَبِينُ الرَّجْحَانِ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِصِفَتِهِ.

### ❦ صحائف الأعمال، وكيفية استلامها يوم القيامة:

❦ قَالَ ابْنُ أَبِي زَيْدٍ: ﴿وَيُؤْتُونَ صَحَائِفَهُمْ بِأَعْمَالِهِمْ؛ فـ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَوْفَى كِتَابَهُ يَمِينَهُ ۖ ﴿٧﴾ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾ [الانشقاق: ٧ - ٨]، وَمَنْ أَوْفَى كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ (في «الجامع»): بِشِمَالِهِ<sup>(٤)</sup> فَأُولَئِكَ يَصَلُّونَ سَعِيرًا﴾:

يَكْتُبُ الْمَلَائِكَةُ مَا يَعْمَلُهُ الْعِبَادُ مِنْ حَسَنَاتٍ وَسَيِّئَاتٍ، وَيُحْصُونَ عَلَيْهِمْ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ؛ حَتَّى يَرَى الْعَبْدُ مَا كُتِبَ عَلَيْهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِعَيْنِهِ، وَيَقْرَأُهُ؛ سِوَاءً كَانَ قَارِئًا فِي الدُّنْيَا، أَوْ لَمْ يَكُنْ قَارِئًا؛ قَالَ تَعَالَى: ﴿وَكُلُّ إِنْسَانٍ أَلْزَمَتْهُ طَلَبُهُ فِي عُنُقِهِ ۖ وَنُخِرَ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنْشُورًا ۖ ﴿١٣﴾ أَقْرَأَ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾ [الإسراء: ١٣ - ١٤]، وَطَائِرُهُ: عَمَلُهُ؛ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَغَيْرُهُ<sup>(٥)</sup>.

وَالْمُؤْمِنُ يُؤْتَى كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ إِكْرَامًا وَبِشَارَةً لَهُ؛ فَهَذَا ظَاهِرٌ؛ حَيْثُ إِنَّهُ يَبْشُرُ بِكِتَابِهِ، وَيُرِيدُ أَنْ يَقْرَأَهُ النَّاسُ مَعَهُ؛ لِمَا بُشِّرَ بِمَا فِيهِ مِنْ خَيْرٍ؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَوْفَى كِتَابَهُ يَمِينَهُ فَيَقُولُ هَؤُلَاءِ أَقْرَأُوا كِتَابِي﴾ [الحاقة: ١٩].

(١) «الفصل في الملل والنحل» (٥٥/٤). (٢) «شعب الإيمان» (٢٧٨).

(٣) «مسائل حرب» (١٧٤٧)، و«شرح أصول الاعتقاد» (٢٢١٠).

(٤) «الجامع» (ص ١١٢).

(٥) «تفسير عبد الرزاق» (٣٧٤/١)، و«تفسير ابن جرير» (٥١٩/١٤ و ٥٢٠ و ٥٢٣ و ٥٢٤).



وَأَمَّا الْكَافِرُ، فَيُوتَى كِتَابُهُ بِشِمَالِهِ مِنْ وَرَاءِ ظَهْرِهِ، لَا يُوتَى بِهِ مِنْ أَمَامِهِ؛  
لَأَنَّ الْأَمَامَ إِكْرَامٌ؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَلْتَنِنِي لَوْ أُوْتِيَ  
كِتَابِي﴾ [الحاقة: ٢٥]، وَقَالَ: ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ﴾ [الانشقاق: ١٠].

وَاخْتَلَفَ فِي صَاحِبِ الْكِبِيرَةِ الَّذِي لَمْ يَغْفِرِ اللَّهُ لَهُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ،  
وَأَرَادَ عَذَابُهُ؛ هَلْ يَأْخُذُ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ أَوْ بِشِمَالِهِ، عَلَى قَوْلَيْنِ:

- فَمِنْهُمْ <sup>(١)</sup> مَنْ قَالَ: بِشِمَالِهِ؛ لَأَنَّ اللَّهَ كَتَبَ عَلَيْهِ الْعَذَابَ فِي النَّارِ إِلَى  
أَمَدٍ؛ وَهَذَا يَنَافِي اسْتِبْشَارَهُ بِالنَّجَاةِ، وَمِثْلُهُ لَا يَقَالُ فِيهِ: إِنَّ حَسَابَهُ يَسِيرُ؛  
كَمَا فِي أَصْحَابِ الْيَمِينِ؛ كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ  
فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾ (٨) وَيَنْقَلِبُ إِلَيْ أَهْلِهِ مَسْرُورًا [الانشقاق: ٧-٩]؛  
فَمَنْ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِ النَّارَ مِنْ عَصَاةِ الْمُؤَحِّدِينَ، لَا يَنْقَلِبُ مَسْرُورًا إِلَى أَهْلِهِ.

- وَذَهَبَ آخَرُونَ <sup>(٢)</sup> إِلَى أَنَّهُ يَأْخُذُهُ بِيَمِينِهِ؛ وَلَكِنَّهُ لَا يَسْتَبْشِرُ  
اسْتِبْشَارَ النَّاجِينَ، وَلَا يُسَرُّ كَسْرَورِهِمْ؛ فَالنَّاسُ عَلَى مَرَاتِبٍ فِي هَذَا.

- وَفِي ذَلِكَ قَوْلٌ ثَالِثٌ: أَنَّ الْعَصَاةَ يَأْخُذُونَ كُتُبَهُمْ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ،  
وَأَمَّا الْمُؤْمِنُونَ: فَيَأْخُذُونَهَا بِأَيْمَانِهِمْ، وَأَمَّا الْكَفَّارُ: فَبِشِمَالِهِمْ؛ وَبِهَذَا قَالَ  
ابْنُ حَزْمٍ <sup>(٣)</sup>؛ وَفِيهِ نَظَرٌ.

### ❦ الصَّرَاطُ وَأَحْوَالُ النَّاسِ فِيهِ:

❦ قَالَ ابْنُ أَبِي زَيْدٍ: ﴿وَأَنَّ الصَّرَاطَ حَقٌّ، يَجُوزُهُ الْعِبَادُ بِقَدْرِ أَعْمَالِهِمْ؛  
فَنَاجُونَ مُتَقَاتُونَ فِي سُرْعَةِ النَّجَاةِ عَلَيْهِ مِنْ نَارِ جَهَنَّمَ، وَقَوْمٌ أَوْبَقَتْهُمْ فِيهَا  
أَعْمَالُهُمْ﴾:

(٢) «لَوَاعِ الْأَنْوَارِ» (١٨٣/٢).

(١) «لَوَاعِ الْأَنْوَارِ» (١٨٣/٢).

(٣) «الْمَحَلَّى» (١٧/١).

والصراطُ حَقٌّ باتفاقِ السلف، وهو جِسْرٌ مورودٌ على متنِ جهنَّمَ، وهو المرادُ بقوله تعالى: ﴿وَأَن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾ [مريم: ٧١]؛ يعني: جهنَّمَ، والورودُ يكونُ على الصراطِ، لا يصلُ أحدٌ إلى مكانِهِ مِنَ الْجَنَّةِ إِلَّا مِنْ فَوْقِهِ إِنْ كَانَ مُؤْمِنًا، وَإِنْ كَانَ غَيْرَ مُؤْمِنٍ، فَيَسْقُطُ وَيَهْلِكُ مَعَ الْهَالِكِينَ، وفي «الصحيحين» من حديثٍ طويلٍ، فيه: (وَيُضْرَبُ جِسْرُ جَهَنَّمَ)، قال رسولُ الله ﷺ: (فَأَكُونُ أَوَّلُ مَنْ يُجِيزُ، وَدُعَاءُ الرُّسُلِ يَوْمَئِذٍ: اللَّهُمَّ، سَلِّمْ سَلِّمْ، وَبِهِ كَلَالِيبٌ مِثْلُ شَوْكِ السَّعْدَانِ؛ أَمَّا رَأَيْتُمْ شَوْكَ السَّعْدَانِ؟! قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: فَإِنَّهَا مِثْلُ شَوْكِ السَّعْدَانِ، غَيْرَ أَنَّهَا لَا يَعْلَمُ قَدْرَ عَظَمَتِهَا إِلَّا اللَّهُ تَعَالَى، فَتَخْطُفُ النَّاسَ بِأَعْمَالِهِمْ، مِنْهُمْ الْمُؤَبَّقُ بِعَمَلِهِ، وَمِنْهُمْ الْمُخْرَدَلُ، ثُمَّ يَنْجُو...)<sup>(١)</sup>؛ الحديث.

وَيَمُرُّ النَّاسُ عَلَيْهِ بِحَسَبِ إِيْمَانِهِمْ، وَسُرْعَةُ سَقُوطِهِمْ بِمَقْدَارِ كُفْرِهِمْ وَفُجُورِهِمْ، وَأُثِّبَتِ النَّاسُ عَلَى صِرَاطِ الدُّنْيَا أَثْبَتُهُمْ وَأَسْرَعُهُمْ عَلَى صِرَاطِ الْآخِرَةِ؛ كما في «الصحيحين» في الحديث؛ قال: (الْمُؤْمِنُ عَلَيْهَا كَالطَّرْفِ، وَكَالْبَرْقِ، وَكَالرَّيْحِ، وَكَأَجَاوِيدِ الْخَيْلِ وَالرَّكَابِ؛ فَنَاجٍ مُسَلِّمٌ، وَنَاجٍ مَخْذُوشٌ، وَمَكْدُوسٌ فِي نَارِ جَهَنَّمَ؛ حَتَّى يَمُرَّ آخِرُهُمْ يُسْحَبُ سَحْبًا)<sup>(٢)</sup>.

وهو دقيقٌ مَزِلَّةٌ قَدَمٌ إِلَّا لِمَنْ ثَبَّتَهُ اللَّهُ؛ كما قال ابنُ مسعودٍ: «وَالصِّرَاطُ كَحَدِّ السَّيْفِ، دَخَضُ مَزِلَّةٍ»<sup>(٣)</sup>، وقال سلمانُ: «إِنَّهُ كَحَدِّ الْمُوسَى»<sup>(٤)</sup>.

(١) البخاري (٦٥٧٣)، ومسلم (١٨٢) من حديث أبي هريرة.

(٢) البخاري (٧٤٣٩)، ومسلم (١٨٣) من حديث أبي سعيد.

(٣) «تعظيم قدر الصلاة» (٢٧٨). وقد روي عنه مرفوعًا.

(٤) ابن أبي شيبة (٣٥٣٣٥)، وابن الأعرابي (١٨٢٧). وقد روي عنه مرفوعًا.

ودقّة الصراط إنّما هي من أقوال الصحابة والسلف، وليس في ذلك شيء مرفوع، وما لم يختلف عليه السلف، فالأصل: أن له أصلاً. ولا يجوز إنكار الصراط لمجرد الاستنكار العقلي؛ كما يفعل ذلك طوائف من الماديين والمعتزلة؛ فإنّ العقل لو كان حكماً على النص، لكان إنكاره لغير ذلك من أمور القيامة أولى من إنكار الصراط؛ ولكن ما ثبت به النص من الغيبات لا يجوز لأحد إنكاره بالعقل؛ فإنه ليس في صريح العقل ما يحيل ذلك.

### الحوض المورود:

قال ابن أبي زيد: ﴿وَالْإِيمَانُ بِحَوْضِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، تَرُدُّهُ أُمَّتُهُ؛ لَا يَظْمَأُ مَنْ شَرِبَ مِنْهُ، وَيُدَادُ عَنْهُ مَنْ بَدَّلَ وَغَيَّرَ﴾:

حوض النبي ﷺ حق، وقد استفاض فيه الحديث واشتهر، بل تواتر حتى رواه أكثر من خمسين صحابياً، باسمه ومعناه، وكان يعرفه عوام أهل الصدر الأول، وهو رجاء الجميع ودعائهم؛ قال ﷺ: (حَوْضِي مَسِيرَةُ شَهْرٍ، مَأْوُهُ أَبْيَضُ مِنَ اللَّبَنِ، وَرِيحُهُ أَطْيَبُ مِنَ الْمِسْكِ، وَكَيْزَانُهُ كَنْجُومِ السَّمَاءِ؛ مَنْ شَرِبَ مِنْهَا، فَلَا يَظْمَأُ أَبَدًا)<sup>(١)</sup>.

ولا يشرب من الحوض إلا نفس مؤمنة من أمة محمد ﷺ؛ وذلك أن من شرب منه لا يظمأ أبداً، ومن كتب الله عليه النار، فلا بد أن يظمأ، وفي الحديث قال ﷺ: (إِنِّي عَلَى الْحَوْضِ حَتَّى أَنْظُرَ مَنْ يَرُدُّ عَلَيَّ مِنْكُمْ، وَسَيُؤْخَذُ نَاسٌ دُونِي، فَأَقُولُ: يَا رَبِّ، مِنِّي وَمِنْ أُمَّتِي؛ فَيَقَالُ: هَلْ شَعَرْتَ مَا عَمِلُوا بَعْدَكَ؟ وَاللَّهِ مَا يَرْجِعُونَ عَلَى أَعْقَابِهِمْ)<sup>(٢)</sup>.

(١) البخاري (٦٥٧٩)، ومسلم (٢٢٩٢) من حديث عبد الله بن عمرو.

(٢) البخاري (٦٥٩٣)، ومسلم (٢٢٩٣) عن أسماء بنت أبي بكر.

والْحَوْضُ قَبْلَ الصَّرَاطِ فِي الْمَوْقِفِ عِنْدَ طُولِ الْمَقَامِ، بَعْدَ الْبَغْثِ  
وَدُنُو الشَّمْسِ وَشِدَّةِ الْعَطَشِ؛ فَذَلِكَ أَعْظَمُ فِي الْمِنَّةِ، وَأَظْهَرُ فِي النِّعَمِ.  
وَالْأَظْهَرُ: أَنَّ لِلْأَنْبِيَاءِ حَوْضًا لَهُمْ وَلِأُمَّمِهِمْ، وَلَمْ يَثْبُتْ تَخْصِيصُ  
النَّبِيِّ ﷺ بِهِ، وَأَنَّهُ لَيْسَ لِلْأَنْبِيَاءِ مِثْلُهُ، وَالْمَوْقِفُ فِيهِ أَنْبِيَاءٌ وَأَوْلِيَاءٌ مِنْ غَيْرِ  
الْأُمَّةِ، وَحَوْضُ النَّبِيِّ خَاصٌّ بِهِ وَبِأُمَّتِهِ، وَمَقْتَضَى رَحْمَةِ اللَّهِ وَفَضْلِهِ: عَمُومُ  
ذَلِكَ لِأُمَّتِهِمْ، وَإِنْ اخْتَلَفَ النُّوعُ وَالسَّعَةِ؛ فَالْحَاجَةُ فِي ذَلِكَ الْمَوْقِفِ  
عَامَّةٌ لِهَذِهِ الْأُمَّةِ وَغَيْرِهَا.

وَقَدْ أَنْكَرَ الْحَوْضَ بَعْضُ الْمَادِّيِّينَ وَالْمَعْتَرِلَةِ<sup>(١)</sup>، مَعَ كَثْرَةِ الْأَدْلَةِ  
وَتَوَاتُرِهَا؛ وَهَذَا مِنْ أَعْظَمِ الْبِدْعِ وَالضَّلَالِ أَنْ يُرَدَّ الدَّلِيلُ لِلنَّظَرِ.

### ❦ حَقِيقَةُ الْإِيمَانِ:

❦ قَالَ ابْنُ أَبِي زَيْدٍ: ﴿وَأَنَّ الْإِيمَانَ: قَوْلٌ بِاللِّسَانِ، وَإِخْلَاصٌ بِالْقَلْبِ،  
وَعَمَلٌ بِالْجَوَارِحِ﴾:

الْإِيمَانُ: قَوْلٌ وَعَمَلٌ وَاعْتِقَادٌ؛ وَهَذِهِ حَقِيقَتُهُ؛ فَلِلْإِيمَانِ ظَاهِرٌ  
وِبَاطِنٌ؛ وَهُمَا مُتَلَازِمَانِ، الْبَاطِنُ: الْاعْتِقَادُ، وَالظَّاهِرُ: قَوْلُ اللِّسَانِ،  
وَعَمَلُ الْجَوَارِحِ، وَإِنْ اخْتَلَفَتْ عِبَارَاتُ السَّلَفِ فِي بَيَانِ ذَلِكَ، إِلَّا أَنَّهُمْ  
لَا يَخْتَلِفُونَ عَلَى حَقِيقَةِ الْإِيمَانِ تِلْكَ، وَقَدْ حَكَّى ابْنُ عَبْدِ الْبَرِّ الْإِجْمَاعَ  
عَلَى ذَلِكَ<sup>(٢)</sup>.

وَقَدْ كَانَ مَالِكٌ يَعْزِّزُ عَنْ ذَلِكَ بِعِبَارَاتٍ:

فِتَارَةٌ بِقَوْلٍ: الْإِيمَانُ: الْمَعْرِفَةُ، وَالْإِقْرَارُ، وَالْعَمَلُ<sup>(٣)</sup>.

(١) «التمهيد» لابن عبد البر (٢/٢٩١)، و«الانتصار» للعمري (٣/٧٢٠).

(٢) «التمهيد» (٢/٢٩١ و ٩/٢٣٨ و ٢٤٣).

(٣) «مسائل حرب» (١٦١٠)، و«السنة» لعبد الله (٦١٢).

ونارة يقول: الإيمان: قولٌ وعملٌ<sup>(١)</sup>.

وجميع أصحاب مالِك على هذا، لا يُحفظ عن واحدٍ منهم مخالفةٌ فيه، وكان أبو مُصعبٍ أحمدُ بنُ أبي بكرٍ - وهو من أصحاب مالِك، وفقية المدينة - يقول: «الإيمان قولٌ وعملٌ، يزيدُ وينقصُ، فمن قال غيرَ هذا فهو كافرٌ»<sup>(٢)</sup>.

والطوائفُ المخالفةُ في هذا الباب على سبيل الإجمال طائفتان:  
الطائفةُ الأولى: المرجئة:

وهم على فِرَقٍ ومذاهبٍ؛ منهم: الغلاة، ومنهم: دُونَ ذلك:  
فأقربُهم منزلةً: مَنْ جعلَ العملَ مِنَ الإيمانِ؛ ولكنه لم يجعلَ له أثرًا على أصله، وإنما أثره على فرعِهِ؛ أي: أَنَّ وجودَ العملِ ونقصه وزواله يزيدُ الإيمانَ وينقصه، ولكنَّ فقدَ العملِ لا يُزيلُ الإيمانَ.

وهذا القولُ أقربُ أقوالِ طوائفِ الإرجاءِ في الإيمانِ إلى السلفِ؛ وبهذا القولِ يقولُ جماعةٌ من أئمةِ الحديثِ وشُرَاحِهِ المتأخِّرين<sup>(٣)</sup>؛ فهم لم يُخرجُوا العملَ من مسمًى الإيمانِ تفريعًا، ولكنَّهم أخرجُوهُ أصلًا؛ فوافقوا السلفَ في التعبيرِ، وخالفوهُم في الأثر.

ومن المرجئة: مَنْ نَزَلَ مَرْتَبَةً عن أولئك<sup>(٤)</sup>؛ فأخرجَ العملَ كُلَّهُ من مسمًى الإيمانِ؛ فجعلَ الإيمانَ قولًا واعتقادًا؛ إذ لم يكنْ للعملِ عندهم أثرٌ على زوالِ الإيمانِ، فأخرجُوهُ منه بالكليةِ؛ فوافقتْ هذه الفِرقةُ السلفَ

(١) «مسائل حرب» (١٥٦٨ و ١٥٧٠ و ١٥٧٣)، و«السُّنة» لعبد الله (٢١٣ و ٥٣٢ و ٦٣٦ و ٦٣٨ و ٧٠٢).

(٢) «ترتيب المدارك» (٣/٣٤٨). (٣) «فتح الباري» (٤٦/١).

(٤) «الفقه الأكبر» (ص ٣٠٤).

بأن جعلوا للإيمان ظاهراً وباطناً، ولكنهم قَصَرُوا الظاهرَ على القول فقط، ويأتي الكلام على حقيقة الإيمان وحكم المخالفين فيه.

ومن المرجحة: مَنْ نَزَلَ مرتبة؛ فأخرج القول من الإيمان أيضاً؛ فلم يجعلوا للإيمان ظاهراً بالكلية، وجعلوه في القلب فقط، وللقلب قول وعمل؛ وهؤلاء على طائفتين:

- طائفة<sup>(١)</sup>: جعلت الإيمان: قول القلب؛ وهو المعرفة والتصديق؛ وهؤلاء غلاة المرجحة؛ وهم الجهمية.

- وطائفة<sup>(٢)</sup>: جعلت قول القلب وعمله كليهما الإيمان؛ فقول القلب: معرفته وتصديقه، وأما عمله: فخوفه ورجاؤه، ومحبته وتوكله وإخلاصه.

وقول هذه الطائفة مع كونه أخفّ ضللاً من الطائفة الأولى، إلا أنه يناقض نفسه؛ وذلك أن عمل القلب محبة وخوفاً ورجاءاً وتوكلًا، لا يمكن وجوده إلا مع قول اللسان وعمل الجوارح.

وكان الأئمة المغاربة يُنكروْنَ إخراج العمل من الإيمان، وجعلوه في منزلة مختلفة عن الاعتقاد والقول<sup>(٣)</sup>، ولما نُسبَ هذا القول إلى يحيى بن سلام بلا بينة، أنكرَ عليه الناسُ حتى بلغ ذلك ابن وهب في المشرق، ووصفه بالمرجئ، ثم زالت التهمة عن يحيى ببيانه، وأنه على ما كان عليه من سلف؛ كمالك، وسفيان، وغيرهما: أن الإيمان قول وعمل<sup>(٤)</sup>.

(١) «مجموع الفتاوى» (١٨٨/٧).

(٢) «الملل والنحل» للشهرستاني (١٠١/١).

(٣) «التمهيد» لابن عبد البر (٢٣٨/٢).

(٤) «طبقات علماء إفريقية» (ص ٣٧ - ٣٨)، و«رياض النفوس» (١٩١/١ - ١٩٢).

### الطائفة الثانية: الخوارج والمعتزلة؛ وهم الوعديّة:

ولم يكن مذهب الخوارج له أصولٌ وكتبٌ يدرُسُها الناسُ في المغرب، وإنما يكفي في أهله الجهلُ، وأخذ مطلقات الشريعة وعموماتها ومتشابهاتها، وتغيبُ مخصّصاتِها ومقيّداتِها ومحكماتها.

**وفتنه الخوارج:** في التكفيرِ بغيرِ مكفّرٍ من الذنوبِ وسائرِ الأعمال، وبهذا عَظُمَتْ فِتْنَتُهُمْ في المسلمين؛ فأضحَوْا يَسْتَطِيلُونَ شَرًّا، ويترَبِّصُونَ بالمسلمينَ فسادًا، ولو تمكَّنوا من المسلمين، لَكَانَ فِعْلُهُمْ فِيهِمْ يَقْرُبُ مِنْ فِعْلِ الرَّافِضَةِ، وقد فَعَلُوا فِي الْقَيْرَوَانِ قَرِيبًا مِمَّا فَعَلَهُ الرَّافِضَةُ، إِلَّا أَنَّهُمْ أَوْغَلُ فِي التَّسَتُّرِ بِاسْتِعْمَالِ الشَّرِيعَةِ؛ فَسَفَكُوا الدَّمَاءَ تَكْفِيرًا، وَاَنْتَهَكُوا الْأَعْرَاضَ سَيِّئًا، وَسَلَبُوا الْمَالَ غَنِيمَةً.

وقد أراد قبلَ ذلك علماءُ المغربِ القتالَ مع أَبِي يَزِيدَ مَخْلَدِ بْنِ كَيْدَادَ الْخَارِجِيِّ ضِدَّ الرَّافِضَةِ الْعُبَيْدِيِّينَ، وقد أَظْهَرَ أَبُو يَزِيدَ التَّنَشُّكَ، وَاسْتَعْظَمَ الْمُسْلِمُونَ مَا فَعَلَهُ الرَّافِضَةُ؛ فَقَاتَلُوا مَعَهُ، وَكَانَ يَرْمِي بَمَنْ تَبِعَهُ مِنْ أَهْلِ السُّنَّةِ فِي وَجْهِ خُصُومِهِ لِيُقْنُوهُمْ، فَيَكُونَ الْأَمْرُ لَهُ؛ فَلَا يَشْقَى بِهِمْ مَنْ بَعْدَهُ؛ فَكَانَ يَقُولُ لِأَتْبَاعِهِ: «إِذَا التَّقَيُّتُمْ مَعَ الْقَوْمِ - يَعْنِي: الرَّافِضَةَ - فَانْكَشِفُوا عَنْ أَهْلِ الْقَيْرَوَانِ؛ حَتَّى يَتِمَّكَزَ أَعْدَاؤُكُمْ مِنْ قَتْلِهِمْ؛ فَيَكُونُوا هُمُ الَّذِينَ قَتَلُوهُمْ، لَا نَحْنُ؛ فَتَسْتَرِيحَ مِنْهُمْ»<sup>(١)</sup>.

وَالرَّافِضَةُ وَالْخَوَارِجُ لَا يُؤْتَمِنُونَ فِي إِمْرَةٍ عَلَى الْمُسْلِمِينَ؛ وَخَاصَّةً فِي الْقِتَالِ؛ وَكُلُّهُمْ يَعِمِدُ إِلَى قَتْلِ الْعُلَمَاءِ قَبْلَ غَيْرِهِمْ. وَقَدْ اخْتَلَفَ فِي تَكْفِيرِ الْخَوَارِجِ<sup>(٢)</sup>.

(١) «البيان المُغرب» لابن عذارى المراكشي (٢١٨/١)، و«تاريخ الإسلام» (٦٣٦/٧).

(٢) «فتح الباري» (٢٩٩/١٢ - ٣٠١).

والأكثر: على عدم كفرهم؛ ما لم يَقْعُوا في إنكار معلوم من الدين بالضرورة؛ فإنهم طوائف متنوعة، ومشارب كثيرة؛ منهم غلاة، ومنهم دون ذلك، وقد توقف مالك وأحمد وغيرهما في تكفيرهم<sup>(١)</sup>، وقد قيل لمالك: «فالحديث: (مَنْ قَالَ لِأَخِيهِ: يَا كَافِرُ، فَقَدْ بَاءَ بِهَا أَحَدُهُمَا)<sup>(٢)</sup>؟ قَالَ: أَرَاهُ فِي الْحَرُورِيَّةِ، قِيلَ: فَتَرَاهُمْ بِذَلِكَ كُفَّارًا؟ قَالَ: مَا أَذْرِي يَا هَذَا»<sup>(٣)</sup>.

### ❦ أسباب الافتتان برأي الخوارج:

وَأَكْثَرُ مَنْ يَفْتَنُ بِالْخَوَارِجِ: فَسَبَبِ شَجَاعَتِهِمْ؛ فَإِنَّهُمْ يَقَاتِلُونَ: إِمَّا أَنْ يَفْتَنُوا أَوْ يُفْتَنُوا، وَبِسَبَبِ انتصارهم لكلِّ مَنْ تَسَلَّطَ عَلَيْهِ السُّلْطَانُ، وَلَا يَفْرُقُونَ بَيْنَ مَظْلُومٍ وَغَيْرِ مَظْلُومٍ، كَمَا فَعَلَ الْأَزَارِقَةُ حِينَما كَسَرُوا سِجْنَ الْبَصْرَةِ، فَلَحِقَ بِهِمْ مَنْ كَانَ فِيهِ وَبَايَعَهُمْ. وهم أشدُّ الناسِ توهماً لنُصْرَةِ الدِّينِ وَالْمَظْلُومِ، وَلَا يُعْزُونَ دِينًا، وَلَا يَنْصُرُونَ مَظْلُومًا، وَرَبَّمَا أَضَرُّوا بِالْأَظْهَرِ وَالْمَظْلُومِ؛ قَالَ عَاصِمُ بْنُ أَبِي النَّجُودِ فِي خَارِجِيٍّ: «وَاللَّهِ! مَا أَعَزَّ هَذَا مِنْ دِينٍ، وَلَا دَفَعَ عَنْ مَظْلُومٍ!»<sup>(٤)</sup>.

وكذلك: يُفْتَنُ النَّاسُ بِشَبَانِهِمْ وَتَمَسُّكِهِمْ بِرَأْيِهِمْ كَمَا لَوْ كَانَ وَحْيًا؛ فَلَمْ يَتَزَحَّزَحُوا وَهُمْ يَقَاتِلُونَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارَ، وَلَيْسَ فِي صَفِّهِمْ صَحَابِيٌّ وَاحِدٌ<sup>(٥)</sup>، وَحِينَما تَوَعَّدَ أَبُو أَيُّوبَ الْأَنْصَارِيُّ ﷺ أَحَدَهُمْ بِالنَّارِ،

(١) «السُّنَّةُ» لِلْخَلَالِ (١/١٤٥ - ١٤٦)، و«مَجْمُوعُ الْفَتَاوَى» (١٢/٤٨٦)، و«شرح الموطأ» للزرقاني (١/٣٧٠).

(٢) البخاري (٦١٠٤)، ومسلم (٦٠) من حديث ابن عمر.

(٣) «الجامع» لابن أبي زيد (ص ١٢٥). (٤) «السُّنَّةُ» لِعَبْدِ اللَّهِ (١٥٣١).

(٥) النسائي في «الكبرى» (٧/٤٨٠).



رَدَّ عَلَيْهِ: «سَتَعْلَمُ أَتَيْنَا أَوْلَىٰ بِهَا!»<sup>(١)</sup>، وكما قال شَيْبَةُ الْخَارِجِيُّ: «مِنْ دِينِنَا: قَتْلُ مَنْ كَانَ عَلَىٰ غَيْرِ رَأْيِنَا؛ مِنَّا كَانَ أَوْ مِنْ غَيْرِنَا»<sup>(٢)</sup> حتى إِنَّهُمْ لَا يَحَابُونَ قَرِيبًا وَلَا بَعِيدًا بِفَهْمِهِمْ؛ حَتَّىٰ إِنَّ الْأَزْرَقَ وَالِدَ نَافِعٍ - وَكَانَ رَجُلًا سُنِّيًّا - لَمَّا مَاتَ، لَمْ يَصِلْ عَلَيْهِ نَافِعٌ!<sup>(٣)</sup>

وَتَبَاتُهُمْ عَلَىٰ بَاطِلِهِمْ بِسَبَبِ شِدَّةِ نِقَتِهِمْ فِي فَهْمِهِمْ لِكِتَابِ اللَّهِ، وَقَدْ كَانُوا يَرَوْنَ أَنْفُسَهُمْ أَعْلَمَ بِكِتَابِ اللَّهِ مِنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ! وَهُمْ لَمْ يَقْصِدُوا مَعَارَضَةَ الْقُرْآنِ، وَلَكِنَّهُمْ فَهَمُّوهُ بِالْخَطِّاءِ، فَتَعَصَّبُوا لِفَهْمِهِمْ، وَفِي الْخَوَارِجِ مِنْ صِلَابَةِ الرَّأْيِ وَضَعْفِ السِّيَاسَةِ مَا يَسْتَخْدِمُهُمْ بِهِ أَهْلُ الْكِتَابِ وَالرَّافِضَةُ عَلَى الْمُسْلِمِينَ، وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ.

وَمِنْ الصَّحَابَةِ: مَنْ يُشْفِقُ عَلَىٰ حَالِهِمْ؛ لِشِدَّةِ تَمَسُّكِهِمْ بِبَاطِلٍ يَتَوَهَّمُونَهُ حَقًّا؛ فَقَدْ دَمَعَتْ عَيْنَا أَبِي أَمَامَةَ لَمَّا رَأَاهُمْ قَتَلِي؛ فَسُئِلَ عَنْ ذَلِكَ؟ فَقَالَ: «رَحْمَةٌ لَهُمْ؛ لِأَنَّهُمْ كَانُوا مِنْ أَهْلِ الْإِسْلَامِ»<sup>(٤)</sup>.

### الْصِّفَةُ الْجَامِعَةُ لِلْخَوَارِجِ:

وَلَا يَجْمَعُ الْخَوَارِجُ مِنَ الصِّفَاتِ إِلَّا صِفَتَانِ:

- التَّكْفِيرُ بِغَيْرِ مَكْفُرٍ.

- وَاسْتِبَاحَةُ الدِّمِّ بِذَلِكَ.

وَأَمَّا مَا يَذْكُرُهُ بَعْضُ الْفُقَهَاءِ مِنْ عَقَائِدِ الْخَوَارِجِ وَضَلَالَاتِهِمْ، وَلَا يَذْكُرُهُ الْآخَرُ، فَلِأَنَّ كُلَّ فَقِيهٍ أَضَافَ وَصْفًا رَأَاهُ فِيهِمْ أَوْ بَلَغَهُ عَنْهُمْ؛

(١) «تَارِيخُ الطَّبَرِيِّ» (٥/ ٨٧)، وَ«الْبَدَايَةُ وَالنِّهَايَةُ» (١٠/ ٥٨٨).

(٢) «تَارِيخُ الطَّبَرِيِّ» (٦/ ٢٨١).

(٣) «أَنْسَابُ الْأَشْرَافِ» (٧/ ١٥٤).

(٤) عَبْدِ الرَّزَاقِ (١٨٦٣)، وَابْنُ أَبِي شَيْبَةَ (٣٩٠٤٧).

لأنهم يتجدّدون في الفهم، ويتنوّعون في الآراء؛ لأنّ إمامهم: فهمهم! ولكنهم يتفقون في هذين الأصلين في كلّ العصور؛ وبهذا استدللّ عليهم عليّ بن أبي طالب؛ إذ لما حدّث بحديث الخوارج، قال عن أهل النهر: «أزجو أن يكونوا هم؛ فإنهم سفكوا الدّم الحرام»؛ رواه مسلم<sup>(١)</sup>؛ فعضد رأيهم بكفر المسلمين بفعلهم باستحلال دمهم، ولم يبحّ صفة أخرى غير ذلك.

وقد يطلق الخوارج من الكلام المجمل ما يوافق الحق، ولكنهم يضلّون في تفسيره وتطبيقه، ويغترّ بهم العامة نظراً لأقوالهم، وإهمالاً لتفسيراتهم، وقد كان أبو حمزة المختار بن عوف الأزدي - أحد أئمّة الخوارج في القرن الثاني - يقول: «الناس منّا ونحن منهم، إلا عابد وثّن، أو كفر أهل الكتاب، أو سلطاناً جائراً، أو شاداً على عبده»<sup>(٢)</sup>؛ يتأوّل بذلك حديث: (أمرأه يكونون بعدي، لا يقتلون بهديي، ولا يستنّون بسنتي؛ فمن صدّقهم بكذبهم، وأعانهم على ظلمهم، فأولئك ليسوا مني، ولست منهم...)<sup>(٣)</sup>.

ومن نظر لشدة عبادة الخوارج، وحسن كلامهم، تحير في أمرهم؛ كما تحير في ذلك بعض السلف فسأل ابن عباس؟ فقال: «ليسوا بأشدّ من اليهود والنصارى وهم يضلّون»<sup>(٤)</sup>، ولما قتل عليّ أهل النهر، انفضّ عنه بعض أنصاره لأجل ذلك<sup>(٥)</sup>.

(١) مسلم (١٠٦٦).

(٢) «تاريخ خليفة بن خياط» (ص ٣٨٦)، و«تاريخ الطبري» (٧/ ٣٩٦).

(٣) «جامع معمر» (٢٠٧١٩).

(٤) «المصنّف» لابن أبي شيبة (٧٣٤/ ٨).

(٥) «تاريخ الطبري» (٨٩/ ٥ - ٩٠).

## ❦ وَيُسْرَعُ نَصْحُهُمْ قَبْلَ قِتَالِهِمْ :

وكان بعضُ السلفِ يرى عدمَ قتالِهِمْ حَتَّى يَبْدُؤُوا الْمُسْلِمِينَ بِالْقِتَالِ  
كَمَا فَعَلَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ، وَبِهِ قَالَ الشَّافِعِيُّ<sup>(١)</sup>؛ فَتَعْلِيمُهُمْ يَرْفَعُ الْجَهْلَ  
عَنْ كَثِيرٍ مِنْهُمْ وَيَعُوذُونَ، وَقَدْ بَعَثَ عَلِيُّ بْنُ عَبَّاسٍ<sup>(٢)</sup>، وَبَعَثَ عُمَرُ بْنُ  
عَبْدِ الْعَزِيزِ عَوْنَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ<sup>(٣)</sup>؛ لِمَنَاظَرَتِهِمْ وَنُصْحِهِمْ، وَقَدْ سُئِلَ أَحْمَدُ  
عَنْ إِسْمَاعِيلِ الْخَارِجِيِّ الْحَدِيثُ؟ فَقَالَ: «نَعَمْ؛ أَعْطَاهُ لَعَلَّ اللَّهَ يَنْفَعُهُ بِهِ!»<sup>(٤)</sup>.  
وَرُوِيَ عَنْ بَعْضِ السَّلَفِ التَّفْرِيقُ بَيْنَ قِتَالِ الْخَوَارِجِ لِإِمَامٍ جَوْرِ وَبَيْنَ  
قِتَالِهِمْ لِإِمَامٍ عَدْلٍ؛ فَرَأَوْا اعْتِزَالَهُ عِنْدَ قِتَالِهِمْ لِإِمَامٍ جَوْرِ عَلَى الْوَلَايَةِ،  
وَرُوِيَ هَذَا عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ أَنَّهُ قَالَ: «وَأِنْ خَالَفُوا إِمَامًا جَائِرًا فَلَا  
تَقَاتِلُوهُمْ» كَمَا رَوَاهُ الطَّبْرِيُّ<sup>(٥)</sup>، وَفِيهِ رَجُلٌ لَا يُعْرَفُ<sup>(٦)</sup>، وَبِهَذَا قَالَ مَالِكٌ  
وَأَحْمَدُ - فِي رَوَايَةٍ - وَابْنُ الْقَاسِمِ<sup>(٧)</sup>.

## ❦ الْمَوْقِفُ عِنْدَ اجْتِمَاعِ الضَّلَالَاتِ :

وَإِذَا اجْتَمَعَتِ الضَّلَالَاتُ فِي زَمَنِ مِنَ الْأَزْمَنِ وَتَقَاتَلَ أَهْلُهَا، فَلَا  
يَنْتَصِرُ الْمُسْلِمُ لَطَائِفِهِ دُونَ أُخْرَى، وَإِنَّمَا يَنْظُرُ مَا كَانَ لِصَالِحِ الْمُسْلِمِينَ،

(١) «البداية والنهاية» (٥٧٠/١٠).

(٢) «مصنف عبد الرزاق» (١٨٦٧٨)، و«مصنف ابن أبي شيبة» (٣٩٠٥٥).

(٣) «الطبقات الكبرى» (٣٥٠/٧)، و«السُّنَّةُ» لعبد الله (١٥٠٢ و ١٥٤٠).

(٤) «طبقات الحنابلة» (٢٣٠/٢).

(٥) عزاه له الحافظ في «فتح الباري» (٣٠١/١٢). وأخرجه ابن أبي شيبة (٣٩٠٧١)،

وأبو يعلى في «حديث بNDAR» (٣٥).

(٦) قال الحافظ في الموضوع السابق: وقد أخرج الطبري بسند صحيح عن عبد الله بن

الحارث، عن رجل من بني نصر، عن علي... فذكره. وعند ابن أبي شيبة: رجل

من بني نصر بن معاوية وعند أبي يعلى: رجل من بني نصر.

(٧) «السُّنَّةُ» للخلال (ص ١١٣)، و«المدونة» (٥٣٠/١)، و«البيان والتحصيل» (٦٠٢/٢)،

و«أحكام القرآن» لابن العربي (٥٣/٤).

وإن تقاربت أو شك، توقّف واعتزل؛ فهو أسلم لدينه ونفسه.

والخوارج يجعلون رأيهم ديناً، والزنادقة يجعلون الدين رأياً، وأهل السنة يفرقون بين الدين والرأي، ومواضع القطع ومواضع الاجتهاد، وأئمة الجور والمرجئة يحبون الإكثار من دم الخوارج، والخوارج يحبون الإكثار من دم أئمة الجور والمرجئة.

وكل فئة تسحب دم الأخرى على كل مخالف فيها ولو كان وسطاً بينهم من أهل الاعتدال.

والعالم المنصف لا يتكلم بما تحبه كل فئة في خصمها، بل بما يحبه الله فيهم؛ فكم تأذى الحق، بمحاباة الخلق!

### الموازنة بين المرجئة والخوارج:

والمرجئة أشد خطراً وأثراً على الإسلام من الخوارج في البلاد، والخوارج أشد عليه من المرجئة في مواضع الجهاد؛ لأنهم يقدمون قتال المسلمين في زمن شدة الحاجة بصد عادية الكافرين، ويعينون - وإن لم يشعروا - الكفار على الإسلام من خارجهم، والمرجئة عليه من داخله، ويفعل الخوارج ذلك يتخلل الكفر والبذعة من خلال ثغور شغلوا المسلمين عن حمايتهم، وربما أعانهم الكفار على المسلمين خديعة بما يتوهمونه غيمة ونصراً.

### زيادة الإيمان ونقصانه:

قال ابن أبي زيد: يزيد بزيادة الأعمال، وينقص بنقصها؛ فيكون فيها النقص، وبها الزيادة؛

والإيمان يزيد وينقص؛ يزيد بالطاعة، وينقص بالمعصية، وقد عبر

ابن أبي زيد بنحو هذا في كتابه «الجامع»<sup>(١)</sup>، ولكنه هنا جعل الزيادة والنقصان بزيادة الأعمال ونقصها؛ ليكون أشمل في المعنى؛ فإن الإيمان ينقص إن نقصت الطاعات ولو لم يرتكب المؤمن معصية؛ فمن كان يقوم الليل ويحبيه، يزيد إيمانه، فإن ترك قيام الليل، لم يكن إيمانه بدون القيام مثله مع القيام.

وقد توارت الأدلة في زيادة الإيمان ونقصانه من الكتاب والسنة؛ قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [الأنفال: ٢]، وقال: ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَبَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَرَبُّمُ الْوَكِيلُ﴾ [آل عمران: ١٧٣]، وقال: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ﴾ [الفتح: ٤].

وفي «الصحيح» من حديث أبي سعيد رضي الله عنه مرفوعاً: (يَدْخُلُ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ، وَأَهْلُ النَّارِ النَّارَ، ثُمَّ يَقُولُ ﷻ: أَخْرِجُوا مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِنْ قَلْبٍ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ مِنْ إِيْمَانٍ...) <sup>(٢)</sup>.

ومن ذلك: قوله ﷺ: (الإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ شُعْبَةً) - وفي رواية: (بِضْعٌ وَسِتُّونَ شُعْبَةً) - (أَفْضَلُهَا: شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَدْنَاهَا: إِمَامَةُ الْأَدَى مِنَ الطَّرِيقِ، وَالْحَيَاءُ: شُعْبَةٌ مِنَ الْإِيْمَانِ) <sup>(٣)</sup>.

وليس في المسألة خلاف عند الصحابة والتابعين وأتباعهم؛ جاء

(١) «الجامع» (ص ١١٠).

(٢) البخاري (٢٢)، ومسلم (١٨٤).

(٣) البخاري (٩)، ومسلم (٣٥).

ذلك عن معاذ<sup>(١)</sup>، وأبي هريرة<sup>(٢)</sup>، وابن عباس<sup>(٣)</sup>، وجُنْدُب<sup>(٤)</sup>، وعُمَيْرُ بْنُ حَبِيبٍ<sup>(٥)</sup>، وسعيد بن جبيرة<sup>(٦)</sup>؛ قال يحيى بن سعيد القطان: «ما أدركتُ أحدًا من أصحابنا إلا على سُنَّتِنَا في الإيمان، ويقولون: الإيمان يزيد وينقص»<sup>(٧)</sup>.

وقد حكى الإجماع على ذلك غير واحد؛ كعبد الرزاق<sup>(٨)</sup>، وأحمد<sup>(٩)</sup>، والبخاري<sup>(١٠)</sup>، وأبي حاتم<sup>(١١)</sup>، وأبي زُرْعَةَ<sup>(١٢)</sup>، وأبي عُبَيْدٍ<sup>(١٣)</sup>، وابن عبد البر<sup>(١٤)</sup>، وغيرهم<sup>(١٥)</sup>، ولصراحة الأدلة على ذلك من الكتاب والسنة جَزَمَ بعض أصحاب مالك بكفر منكر زيادة الإيمان ونقصانه؛ كأبي مُصْعَبٍ أَحْمَدَ بْنِ أَبِي بَكْرٍ فقيه المدينة<sup>(١٦)</sup>.

والإيمان كما يزيد بالطاعة، فإنه ينقص بتزكها، ولو لم يكن الترك حرامًا؛ كما في الخبر في الحائض: وَمَا نُقْصَانُ دِينِهَا؟ قَالَ: (تَمَكُّثُ كَذَا

(١) علقه البخاري (١١/١) عن معاذ قال: «اجلس بنا نُؤْمِنُ ساعة».

(٢) «السُّنَّة» للخلال (١١١٨)، و«شرح أصول الاعتقاد» (١٧١١).

(٣) ابن ماجه (٧٤)، واللالكائي (١٧١٢) عن ابن عباس وأبي هريرة.

(٤) «الإبانة» لابن بطة ١١٣٦/كتاب الإيمان، و«شرح أصول الاعتقاد» (١٧١٥).

(٥) ابن أبي شيبة (٣٠٩٦٣)، وعبد الله في «السُّنَّة» (٦٢٤ و ٦٢٥ و ٦٨٠).

(٦) «الإبانة» (١١١٧/كتاب الإيمان).

(٧) «مسائل أحمد؛ رواية ابن هاني» (١٨٩٨).

(٨) «شرح أصول الاعتقاد» (١٧٣٧)، و«الاستذكار» (١٣٤/٢٦).

(٩) «طبقات الحنابلة» (٣٤٩/١ - ٣٥٠)، و«مناقب أحمد» لابن الجوزي (ص ١٧٢).

(١٠) «شرح أصول الاعتقاد» (٣٢٠)، وليس فيه لفظة: يزيد وينقص. وانظر: «فتح الباري» (٤٧/١).

(١١) «شرح أصول الاعتقاد» (٣٢١).

(١٢) «التمهيد» (٢٣٨/٩).

(١٣) «الإبانة» (١١١٧/كتاب الإيمان).

(١٤) «التمهيد» (٢٣٨/٩).

(١٥) كالفسوي، والطبري، وأبي الحسن الأشعري. انظر: «صريح السُّنَّة» (٢٧)، و«رسالة إلى أهل الثغر» (ص ٢٧٢)، و«شرح أصول الاعتقاد» (١٧٥٣).

(١٦) «ترتيب المدارك» (١٨٨/١).

وَكَذًا يَوْمًا لَا تُصَلِّيَ لِلَّهِ سَجْدَةً<sup>(١)</sup> فصار تركُ الطاعة - ولو كان بأمرٍ خارجٍ عن الإرادة - مؤثراً على الإيمان، فكيف بتركِ النوافلِ التي يُسنُّ فعلُها، وقد قال أحمدُ: «إِذَا عَمِلْتَ الْخَيْرَ زَادَ، وَإِذَا ضَيَّعْتَ نَقَصَ»<sup>(٢)</sup>، ونقلَ صالحٌ عن أبيه أحمدُ: «نَقَصَانُهُ بِتَرْكِ الْعَمَلِ»<sup>(٣)</sup>.

### ❦ زوال الإيمان وكماله:

وَالْإِيمَانُ يَنْقُصُ حَتَّى يَزُولَ كُلُّهُ، وَيَزِيدُ وَلَكِنْ لَا يَبْلُغُ أَحَدٌ مَرْتَبَةَ الْكَمَالِ النَّامِ، وَالْكَامِلُ مِمَّنْ لَكِنَّهُ لَا يَحْضُلُ فِي النَّاسِ؛ فإِمَّا كَانَ الشَّيْءُ شَيْئًا، وَحَصُولُهُ شَيْءٌ آخَرُ، وَاسْتَنَى إِسْحَاقُ الْأَنْبِيَاءَ؛ فَرَأَى أَنَّهُ يُشْهَدُ لَهُمْ بِاسْتِكْمَالِ الْإِيمَانِ، وَبُلُوغِ غَايَتِهِ، وَلَكِنْ الْأَنْبِيَاءُ يَتَفَاضَلُونَ فِيمَا بَيْنَهُمْ فِي الْإِيمَانِ الْمُسْتَحَبِّ؛ وَلِهَذَا قَالَ مَالِكٌ: «لَيْسَ لِلْإِيمَانِ مُنْتَهَى؛ هُوَ فِي زِيَادَةٍ أَبَدًا»<sup>(٤)</sup>.

وقال سَلْمَانُ الْفَارِسِيُّ: «لَوْ تَقَطَّعَتْ أَعْضَاءُ، مَا بَلَّغْتَ الْإِيمَانَ»<sup>(٥)</sup>.

### ❦ نقصان الإيمان عند مالك:

وَلَا يَخْتَلِفُ الْقَوْلُ عَنْ مَالِكِ بْنِ أَنَسٍ فِي زِيَادَةِ الْإِيمَانِ، وَلَهُ فِي نَقْصَانِهِ رَوَايَتَانِ:

الأولى: الْقَوْلُ بِنَقْصَانِهِ؛ وَقَدْ حَكَاهَا عَنْهُ ابْنُ نَافِعٍ، وَمُحَمَّدُ بْنُ

(١) البخاري (٣٠٤)، ومسلم (٨٠) من حديث أبي سعيد، ومسلم (٧٩) من حديث ابن عمر، و(٨٠) من حديث أبي هريرة.

(٢) «السُّنَّةُ لِلْخَلَالِ» (١٠١٣). (٣) «مَسَائِلُ أَحْمَدَ» (٦٨١ و ١٥١٩).

(٤) «السُّنَّةُ لِعَبْدِ اللَّهِ» (٦٨٧ و ٧٣٧).

(٥) «تَعْظِيمُ قَدْرِ الصَّلَاةِ» (٨٠١)، و«السُّنَّةُ لِلْخَلَالِ» (١٥٤٧).

يحيى، وغيرهما<sup>(١)</sup>.

والثانية: يُمَسِّكُ فيها عن الكلام في نقصانه<sup>(٢)</sup>؛ لا لعدم تحققه، وإنما لأن النصوص لم تُنصَّ عليه بلفظه، فأراد الامتثال.

ومن نقل عنه أنه يقول بعدم نقصان الإيمان والجزم بذلك، فقد أخطأ في النقل أو في فهم قوله.

وكان ابن أبي زيد - كما في «الجامع»<sup>(٣)</sup> - يجعل توقف مالك عن النقصان خوفاً من الذريعة أن تُتأَوَّلَ أنه ينقص حتى يذهب كله؛ فيؤول ذلك إلى قول الخوارج الذين يُحِيطُونَ الإيمان بالذنوب، ويجعل قول مالك في النقص فيما وقعت فيه الزيادة؛ وهو العمل؛ ولهذا نقل عنه ابن أبي زيد أنه قيل لمالك: «فبعضه - يعني: الإيمان - أفضل من بعض؟ قال: نعم»<sup>(٤)</sup>.

### ❦ الاستثناء في الإيمان:

ولما كان الإيمان شيئاً واحداً عند طوائف من المرجئة، فلا يرون أن الإيمان يزيد وينقص -: تبع ذلك عندهم القول بعدم الاستثناء في الإيمان، وهو أن المؤمن يقول: «أنا مؤمن»، ولا يستثنى، فيزيد على ذلك: «إن شاء الله»، ومنهم: من يمنع من الاستثناء ويحرمه.

والذي عليه عامة السلف: الاستثناء في الإيمان؛ لأن الإيمان يزيد

(١) «مسائل حرب» (١٥٦٨)، و«السنة» لعبد الله (٢١٣ و ٦٣٦)، و«السنة» للخلال (١٠١٤ و ١٠٨٢)، و«القضاء والقدر» (٥٧٢).

(٢) «الجامع» لابن أبي زيد (ص ١٢١)، و«الانتقاء» (ص ٣٣)، و«التمهيد» (٩/ ٢٥٢)، و«ترتيب المدارك» (٤٣/ ٢)، و«المقدمات الممهدات» (٥٧/ ١).

(٣) «الجامع» (ص ١٢٢). (٤) الموضع السابق.



وينقُصُ، والاستثناء يَقَعُ على مقداره، لا على أصلِ ثبوته، وفيه دفعٌ لتزكية النفس<sup>(١)</sup>.

وأما الاستثناء شُكًّا في الإيمان، فلا يجوز؛ وعلى هذا: يُحْمَلُ ما جاء عن مالك، لما قيل له: «أقول: مؤمن، والله محمود، أو: إن شاء الله؟ فقال: قل: مؤمن، ولا تخلِطْ معها غيرها»<sup>(٢)</sup>.  
وينحو هذا قال سُحُونُ<sup>(٣)</sup>.

فالاستثناء في الإيمان الذي عليه السلف، هو أن يقول: «أنا مؤمنٌ إن شاء الله».

ومن أدلة ذلك: ظاهرُ الكتابِ والسنةِ والأثر؛ فالله تعالى يقولُ لنبيه ﷺ وأصحابه: ﴿لَتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ ءَامِنِينَ﴾ [الفتح: ٢٧]، ويقولُ النبي ﷺ للموتى: (وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللَّهُ بِكُمْ لَاحِقُونَ)<sup>(٤)</sup>، ولا بُدَّ أَنَّهُمْ دَاخِلُونَ مَكَّةَ، ولا بُدَّ أَنَّهُمْ مَيِّتُونَ؛ فالاستثناء وَقَعَ على أشياء، منها: الإيمان، وأنَّهُمْ دَاخِلُونَ مَكَّةَ، وأنَّهُمْ لَاحِقُونَ بِهِمْ على الإيمان.  
وأما في الإسلام، فيقول: «أنا مسلم»، ولا يَسْتَشِينِي؛ كما نصَّ عليه أحمد وغيره<sup>(٥)</sup>؛ لأنَّ الإسلامَ أَوْسَعُ دَائِرَةٌ مِنَ الْإِيمَانِ.

### الإيمان قولٌ وعملٌ:

قَالَ ابْنُ أَبِي زَيْدٍ: ﴿وَلَا يَكْمُلُ قَوْلُ الْإِيمَانِ إِلَّا بِالْعَمَلِ، وَلَا قَوْلٌ وَعَمَلٌ إِلَّا بِنِيَّةٍ، وَلَا قَوْلٌ وَعَمَلٌ وَنِيَّةٌ إِلَّا بِمُوَافَقَةِ السُّنَّةِ﴾:

(١) «الإيمان» لأبي عبيد (ص ٣٤ - ٣٨). (٢) «الجامع» لابن أبي زيد (ص ١٢٢).

(٣) الموضع السابق.

(٤) مسلم (٢٤٩) من حديث أبي هريرة، و(٩٧٤) من حديث عائشة، و(٩٧٥) من حديث بريدة.

(٥) «السنة» للخلال (١٠٨٧ و ١٠٨٨)، و«الإبانة» لابن بطة (١٢٠١/الإيمان).

**الإيمان:** قولٌ وعَمَلٌ واعتقاد؛ وبهذا يقولُ السلفُ بإجماعهم<sup>(١)</sup>،  
ولا يَصِحُّ واحدٌ من هذه الثلاثة إلا بالآخر:

فَمَنْ انتَفَى مِنْه الْعَمَلُ كُلُّهُ؛ كَمَنْ انتَفَى مِنْه الْقَوْلُ كُلُّهُ، أَوْ الْإِعْتِقَادُ كُلُّهُ، وَمَنْ انتَفَى مِنْه الْقَوْلُ كُلُّهُ؛ كَمَنْ انتَفَى مِنْه الْإِعْتِقَادُ كُلُّهُ، أَوْ الْعَمَلُ كُلُّهُ، وَمَنْ انتَفَى مِنْه الْإِعْتِقَادُ كُلُّهُ؛ كَمَنْ انتَفَى مِنْه الْقَوْلُ كُلُّهُ، أَوْ الْعَمَلُ كُلُّهُ؛ وَانْتِفَاءُ وَاحِدٍ مِنَ الثَّلَاثَةِ بِجَمِيعِهِ كَانْتِفَاءُ الثَّلَاثَةِ.

ولكن ليس المرادُ من ذلك انتفاء أيِّ جزءٍ مِنَ الثَّلَاثَةِ؛ فهذا قولٌ يوافقُ أصولَ الخوارج؛ فإنَّ السلفَ وأهلَ السُّنَّةِ لا يكفُّرونَ أحداً بتركِ شيءٍ معيَّنٍ مِنَ الْبَاطِنِ أَوْ الظَّاهِرِ، إِلَّا بِدَلِيلٍ خَاصٍّ، ويفرِّقونَ بين التَّركِ الْكُلِّيِّ وبين التَّركِ الْجُزْئِيِّ؛ كما كان يقولُهُ أئِمَّةُ السَّلفِ؛ كسعيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، وَابْنِ عُيَيْنَةَ، وَمَالِكٍ، وَالشَّافِعِيِّ، وَأَحْمَدَ، وَإِسْحَاقَ، وَالْحَمِيدِيَّ، وَأَبِي ثَوْرٍ<sup>(٢)</sup>.

وقال الوليدُ بْنُ مُسْلِمٍ: «سَمِعْتُ الْأَوْزَاعِيَّ، وَمَالِكََ بْنَ أَنَسٍ، وَسَعِيدَ بْنَ عَبْدِ الْعَزِيزِ، يُنْكِرُونَ قَوْلَ مَنْ يَقُولُ: إِنَّ الْإِيمَانَ قَوْلٌ بِلا عَمَلٍ، وَيَقُولُونَ: لا إيمانَ إِلَّا بِعَمَلٍ، ولا عَمَلٍ إِلَّا بِإيمانٍ»<sup>(٣)</sup>.

### ❦ حَكْمُ تَارِكِ الْعَمَلِ كُلِّهِ:

وَمَنْ آمَنَ بِقَلْبِهِ، وَأَقَرَّ بِلِسَانِهِ، وَلَمْ يَعْمَلْ بِأَرْكَانِهِ شَيْئاً مِنَ الْعَمَلِ -: لَمْ يَصِحَّ إِيمَانُهُ عِنْدَ السَّلفِ، وَكَانَ الْأئِمَّةُ يَعْتَفُونَ عَلَى مَنْ يَقُولُ بِخِلَافِ ذَلِكَ.

(١) سبق عند الكلام على مسألة زيادة الإيمان ونقصانه.

(٢) «أصول الاعتقاد» (١/٥٧، ٣٤٨، ٤/٨٤٨، ٨٤٩، ٥/٨٨٦)، و«السُّنَّة» للخلال

(٣/٥٧٠)، و«أصول السُّنَّة» للحميدي (ص ٣٨)، و«السُّنَّة» لعبد الله بن أحمد (١/٣٤٨)،

و«فتح الباري» لابن رجب (١/٢١).

(٣) «شرح أصول الاعتقاد» (١٥٨٦).

وكان أحمدٌ لا يكفّرُ مَنْ يَجْعَلُ الْإِيمَانَ قَوْلًا واعتقادًا بلا عَمَلٍ، وَيَصِفُهُ بِالْبِدْعَةِ وَالْإِرْجَاءِ، ويقول: «أَدْعُوا لَهُم بِالصَّلَاحِ»<sup>(١)</sup>.

وعن أحمدَ روايةٌ أُخْرَى رواها حَنْبَلٌ: أَنَّ مَنْ تَرَكَ الْعَمَلَ كُلَّهُ حَتَّى يَمُوتَ، وَلَا بَرَى الْعَمَلَ كُلَّهُ لَهُ أَثَرٌ فِي ثُبُوتِ الْإِيمَانِ وَلَا نَفْيِهِ: «أَنَّهُ كَافِرٌ بِاللَّهِ»<sup>(٢)</sup>؛ وهو قولُ الْحُمَيْدِيِّ<sup>(٣)</sup>.

وَالْأَحَادِيثُ الَّتِي فِيهَا: أَنَّ مَنْ نَطَقَ بِالشَّهَادَتَيْنِ، دَخَلَ الْجَنَّةَ، حَمَلَهَا السَّلَفُ عَلَى أَنَّهَا قَبْلَ أَنْ تُحَدَّ الْحُدُودُ، وَتُنَزَلَ الْفَرَائِضُ؛ قَالَ ذَلِكَ الضُّحَّاكُ بْنُ مُزَاحِمٍ<sup>(٤)</sup>، وَالزَّهْرِيُّ<sup>(٥)</sup>، وَأَحْمَدُ<sup>(٦)</sup>، وَغَيْرُهُمْ.

وَقَالَ أَبُو ثَوْرٍ: «فَأَمَّا الطَّائِفَةُ الَّتِي ذَهَبَتْ إِلَى أَنَّ الْعَمَلَ لَيْسَ مِنَ الْإِيمَانِ، فَيَقَالُ لَهُمْ: مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ مِنَ الْعِبَادَةِ؛ إِذْ قَالَ لَهُمْ: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾ [البقرة: ٤٣]؛ الْإِقْرَارَ بِذَلِكَ، أَوِ الْإِقْرَارَ وَالْعَمَلَ؟

فَإِنْ قَالَتْ: إِنَّ اللَّهَ أَرَادَ الْإِقْرَارَ، وَلَمْ يُرِدِ الْعَمَلَ، فَقَدْ كَفَرَتْ عِنْدَ أَهْلِ الْعِلْمِ؛ مَنْ قَالَ: إِنَّ اللَّهَ لَمْ يُرِدْ مِنَ الْعِبَادَةِ أَنْ يُصَلُّوا، وَلَا يُؤْتُوا الزَّكَاةَ!

وَإِنْ قَالَتْ: أَرَادَ مِنْهُمْ الْإِقْرَارَ وَالْعَمَلَ، قِيلَ: فَإِذَا كَانَ أَرَادَ مِنْهُمْ الْأَمْرَيْنِ جَمِيعًا، لِمَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُ يَكُونُ مُؤْمِنًا بِأَحَدِهِمَا دُونَ الْآخَرِ، وَقَدْ أَرَادَهُمَا جَمِيعًا؟!

أَرَأَيْتُمْ لَوْ أَنَّ رَجُلًا قَالَ: أَعْمَلُ جَمِيعَ مَا أَمَرَ بِهِ اللَّهُ، وَلَا أَقْرُ بِهِ؛ أَيْكُونُ مُؤْمِنًا؟

(١) «السُّنَّةُ» لِلْخَلَال (٩٨٩).

(٢) «السُّنَّةُ» لِلْخَلَال (١٠٢٧)، و«شرح أصول الاعتقاد» (١٥٩٥).

(٣) «السُّنَّةُ» لِلْخَلَال (١٠٢٧)، و«شرح أصول الاعتقاد» (١٥٩٤).

(٤) «السُّنَّةُ» لِلْخَلَال (١٢٤١)، و«الشریعة» (٣٠٣).

(٥) «صحيح مسلم» (٢٦٤). (٦) «السُّنَّةُ» لِلْخَلَال (٥٦٤/٣).

فإن قالوا: لا .

قيل لهم: فإن قال: أقر بجميع ما أمر الله به، ولا أعمل به؛  
أ يكون مؤمناً؟

فإن قالوا: نعم .

قيل لهم: ما الفرق؟ فقد زعمتم أن الله أراد الأمرين جميعاً، فإن  
جاز أن يكون بأحدهما مؤمناً إذا ترك الآخر، جاز أن يكون بالآخر إذا  
عمل به ولم يُقر مؤمناً؛ لا فرق بين ذلك .

فإن احتج، فقال: لو أن رجلاً أسلم، فأقر بجميع ما جاء به  
النبي ﷺ: أ يكون مؤمناً بهذا الإقرار قبل أن يجيء وقت عمل؟ قيل له:  
إنما يطلق له الاسم بتصديقه أن العمل عليه بقوله أن يعمل في وقته إذا  
جاء، وليس عليه في هذا الوقت الإقرار بجميع ما يكون به مؤمناً، ولو  
قال: أقر ولا أعمل، لم يطلق عليه اسم الإيمان<sup>(١)</sup> .

### ﴿ أثر إخراج العمل من الإيمان: ﴾

والأصل: أن من أخرج شيئاً من الإيمان؛ سواء القلبى أو القولى  
أو العملى، فإنه لا يجعل للذنوب الواقعة في الشيء الذي أخرجه أثراً  
على الإيمان؛ لأنها ليست منه أصلاً؛ فمن أخرج قول اللسان من  
الإيمان، فلا يرى ذنوب اللسان وكفره مؤثراً على الإيمان؛ لأن القول  
عنده ليس من الإيمان؛ فتبعاً لذلك لا يأتي منه كفر أو ذنب مؤثر عليه .

وكل طوائف الإرجاء التي تُخرج العمل من الإيمان بالكلية،  
لا تجعل لأفعال الذنوب أثراً عليه؛ فتقول: « لا تضر الذنوب مع

(١) «شرح أصول الاعتقاد» (١٥٩٠)، و«مجموع الفتاوى» (٣٨٨/٧ - ٣٨٩).

التوحيد»، وقد كان أئمة المغرب يُكْرَوْنَهُ؛ كما كان محمد بن سحنون يقول: «لا أقول ما قالت المرجئة: لا تضر الذنوب مع التوحيد»<sup>(١)</sup>.

وأما تعبير ابن أبي زيد بالكمال في قوله: «وَلَا يَكْمُلُ قَوْلُ الْإِيمَانِ إِلَّا بِالْعَمَلِ، وَلَا قَوْلُ وَعَمَلٍ إِلَّا بِنِيَّةٍ، وَلَا قَوْلُ وَعَمَلٍ وَنِيَّةٍ إِلَّا بِمُوَافَقَةِ السُّنَّةِ»، فلا يعني من ذلك: أَنَّ مَنْ تَرَكَ الْعَمَلَ بِالْكَلِّيَّةِ: أَنَّهُ مُؤْمِنٌ، وَلَكِنَّهُ عَبَّرَ بِالْكَمَالِ، يُرِيدُ: كَمَالَ الْإِيمَانِ فِي وَاحِدٍ، لَا يَتَحَقَّقُ إِلَّا بِكَمَالِ الْبَقِيَّةِ، لَا أَصْلَ وَجُودِ الْإِيمَانِ؛ فَلَا يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ الرَّجُلُ كَامِلًا الْإِيمَانِ بِالْأَقْوَالِ، وَهُوَ غَيْرُ كَامِلٍ فِي الْعَمَلِ، وَلَا يَكْمُلُ قَوْلُهُ وَعَمَلُهُ ظَاهِرًا، وَهُوَ بِلَا نِيَّةٍ؛ فَلَا بُدَّ أَنْ يَنْقُصَ مِنَ الثَّلَاثَةِ مَقْدَارٌ مُتْقَارِبٌ أَوْ مُتطَابِقٌ، وَكَمَالٌ وَاحِدٌ مِنْهَا يَعْنِي كَمَالَ الْاِثْنَيْنِ.

ويدلُّ على ذلك أنه قال: «وَلَا قَوْلُ وَعَمَلٍ إِلَّا بِنِيَّةٍ»؛ فَيَسْتَحِيلُ أَنَّهُ يَصَحُّحُ الْقَوْلَ وَالْعَمَلَ الصَّالِحَ بِلَا وَجُودِ شَيْءٍ مِنَ النِّيَّةِ؛ فَيَكُونُ قَوْلُهُ أَنَّ الْمُرَائِيَّ مَقْبُولَ الْعَمَلِ، وَلَكِنْ عَمَلُهُ نَاقِصٌ؛ وَهَذَا غَلَطٌ.

وكذلك قوله: «وَلَا قَوْلُ وَعَمَلٍ وَنِيَّةٍ إِلَّا بِمُوَافَقَةِ السُّنَّةِ»؛ فَيَسْتَحِيلُ أَيْضًا: أَنَّهُ يَصَحُّحُ الْعَمَلَ بِالْبِدْعَةِ، وَأَنَّ مَنْ جَاءَ بِبِدْعَةٍ أَنَّ عَمَلَهُ صَحِيحٌ، لَكِنَّهُ نَاقِصٌ.

فَسِيَاقُ قَوْلِهِ يَقْتَضِي أَنَّهُ أَرَادَ كَمَالَ الثَّلَاثَةِ جَمِيعًا، وَنَقْصَانَهَا جَمِيعًا؛ وَهَذَا يُوَافِقُ مَا سَبَقَ مِنْ قَوْلِ الْأَئِمَّةِ: أَنَّهُ لَا إِيمَانَ إِلَّا بِعَمَلٍ، وَلَا عَمَلَ إِلَّا بِإِيمَانٍ.

وَالْبَاطِنُ وَالظَّاهِرُ كُلُّهُ مُؤَثِّرٌ فِي إِيمَانِ الْإِنْسَانِ وَلَوْ كَانَ دَقِيقًا،

وأعمالُ القلوب - كالخَوْفِ والرجاءِ والمحبةِ، والتوكلِ والاستعانةِ والاستغاثةِ - يواخِذُ العبدُ عليها إذا وَضَعَهَا في غيرِ مَوْضِعِهَا، فللمخلوقِ قَدْرٌ يناسبُ ما أعطاه الله، والزيادةُ على ذلك أخذٌ مِنْ حَقِّ الله، وجَعَلُهُ في المخلوقِ؛ كالخوفِ؛ حينما يُوضَعُ في الوَهْمِ، خطأ، وقد يَأْتِمُ صاحِبُهُ؛ يقولُ النبي ﷺ في الحَيَاتِ: (مَنْ تَرَكَ مِنْهُنَّ شَيْئًا خِيفَتْهُنَّ، فَلَيْسَ مِنَّا) <sup>(١)</sup>.

### التكفيرُ بالذنوبِ، وأحوالُ الطوائفِ:

قَالَ أَبُو بَكْرِ زَيْدٌ: ﴿وَأَنَّهُ لَا يَكْفُرُ أَحَدٌ بِذَنْبٍ مِنْ أَهْلِ الْقِبْلَةِ﴾:

أَهْلُ الْقِبْلَةِ: مَنْ تَوَجَّهَ مع الْمُسْلِمِينَ إلى قِبْلَتِهِمْ وهي الكَعْبَةُ؛ سُمُوا بذلك للمفارقةِ بينهم وبين أربابِ الْمَلِكِ الأخرى الذين لا يتوجَّهون إليها؛ لأنَّ كُفْرَهُمْ أَصْلِيٌّ ثابتٌ؛ فلم يَثْبُتْ حتى يقال برفعِهِ؛ فإنه لا يرتفعُ الإيمانُ مِنَ الْعَبْدِ إِلَّا بِالْكَفْرِ وَالشُّرْكِ، مهما وَقَعَ في الذنوبِ والمعاصي ولو كانت كِبَائِرَ أو مَوِيقَاتٍ.

وقد وَقَعَ جماعةٌ مِنَ النَّاسِ في زَمَنِ النَّبِيِّ ﷺ في ذنوبٍ؛ كالْقَتْلِ والسَّرْقَةِ والزَّوْنِ، والكذبِ والغِيْبَةِ والنَمِيمَةِ، ولم يُخْرِجْ هو ولا خَلْفَاؤُهُ واحدًا مِنْهُمْ عن الإسلامِ، ولا عاملوه معاملةَ الْكَافِرِ؛ بل كان يَنْهَى عن لَعْنِ شَارِبِ الْخَمْرِ مَرَّاتٍ، وَيَعْتَذِرُ لَهُ بأنه يُحِبُّ اللهَ ورسولَهُ <sup>(٢)</sup>.

فلا يُحِيطُ الْإِيمَانُ وَالْعَمَلُ إِلَّا بِالْكَفْرِ وَالشُّرْكِ، لا الذَّنْبُ وإنْ كان كَبِيرًا؛ فَإِنَّ الذَّنْبَ قد تَوَثَّرَ على بعضِ حَسَنَاتِ الْعَبْدِ إذا شاءَ اللهُ ذلك،

(١) أحمد (٥٢٠/٢) رقم (١٠٧٤١) من حديث أبي هريرة.

(٢) البخاري (٦٧٨٠) من حديث عمر.

ولكن لا تحببها جميعها؛ قال سبحانه: ﴿لَنْ أَشْرَكَتَ لِيَحْبُطَنَّ عَنْكَ﴾ [الزمر: ٦٥].

ولا يختلف الصحابة والتابعون وأئمة الإسلام في ذلك:

قال مالك: «أهل الذنوب مؤمنون مذبذبون»<sup>(١)</sup>.

وقال زهير بن عباد: «كل من أدركت من المشايخ - مالك بن أنس، وسفيان بن عيينة، وعيسى بن يونس، وفصيل بن عياض، وعبد الله بن المبارك، ووكيع بن الجراح، وغيرهم - لا يكفرون أحدا بذنب، ولا يشهدون لأحد أنه في الجنة»<sup>(٢)</sup>.

وقد خالف في هذا الباب بعض الطوائف:

- كالخوارج والمعتزلة: فسلبوا الإيمان عن مرتكب الكبيرة.

- وكالمُرَجئة: فلم يجعلوا الذنب مؤثرا على الإيمان.

وكل هذه الطوائف التزمت بالأصل الذي اتفقوا عليه: أن الإيمان شيء واحد لا يتجزأ: إن زال بعضه، زال كله؛ ففرطت طائفة، وأفرطت أخرى.

والخوارج والمعتزلة: محجوجون بما تواتر في النصوص من إيمان مرتكب الكبيرة، ومن هذا الباب: أنزل الله أحكام الحدود على السارق والزاني، والقاتل وشارب الخمر، ولو كانت كفرا، لكان حدها واحدا؛ وهو الردة؛ لأنه لا فرق عند الخوارج في حقيقة سلب الإيمان بين مرتكب الكبيرة عندهم، وفاعل الكفر الذي يتفقون فيه مع غيرهم من أهل السنة.

(١) «الجامع» لابن أبي زيد (ص ١٢٣).

(٢) «أصول السنة» لابن أبي زمنين (ص ٢٢٢).

والمُرَجَّةُ: محجوجون بما تواترَ من أدلّة زيادة الإيمان بالطاعات، ونقصانه بالمعاصي، وما يتبع ذلك من لوازم تفاوت مراتب المؤمنين في الجنّة، وتعذيب بعض عصاة المؤمنين في النار، ثم إخراجهم منها برحمة الله.

### ❦ أرواح المَوْتَى وأحوالها:

❦ قَالَ ابْنُ أَبِي زَيْدٍ: ﴿وَأَنَّ الشُّهَدَاءَ أَحْيَاءَ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ، وَأَرْوَاحُ أَهْلِ السَّعَادَةِ بَاقِيَةٌ نَاعِمَةٌ إِلَى يَوْمٍ يُبْعَثُونَ، وَأَرْوَاحُ أَهْلِ الشَّقَاوَةِ مُعَذَّبَةٌ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ﴾:

الأرواح كائنة قائمة بذاتها، تُنعم وتُعذب، وتشقى وتُسعد بنفسها، ولا يلزم أن يكون معها البدن في ذلك؛ لأنها مغايرة له، فليست عضواً منه كاليد والوجه، وهي مخلوقة بلا خلاف؛ فالله خالق كل شيء، وهي من أمر الله يعلم حقيقتها وكنهها؛ كما قال تعالى: ﴿وَسْتَلْوْكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: ٨٥].

وللأرواح مستقر غير الأبدان بعد موتها، ويُعيدّها الله إلى الأبدان في حياة البرزخ عند سؤال القَتَانِ؛ كما يُعيدُّ الله روح النبي ﷺ إليه في قبره؛ قال ﷺ: (مَا مِنْ رَجُلٍ يُسَلَّمُ عَلَيَّ إِلَّا رَدَّ اللَّهُ عَلَيَّ رُوحِي؛ حَتَّى أَرُدَّ عَلَيْهِ السَّلَامَ)<sup>(١)</sup>، وقد كانت قبل ذلك في الرفيق الأعلى؛ كما قال ﷺ: لما حضرته الوفاة: (اللَّهُمَّ، الرَّفِيقُ الْأَعْلَى)<sup>(٢)</sup>.

(١) أبو داود (٢٠٤١) من حديث أبي هريرة.

(٢) البخاري (٤٤٦٣ و ٦٣٤٨ و ٦٥٠٩)، ومسلم (٢٤٤٤) من حديث عائشة.



وقد جاءت الأدلة في مستقر الأرواح، بعد موت الأبدان:

○ أما أرواح الشهداء: فكما قال تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ [آل عمران: ١٦٩]، وقد روى ابن مسعود عن النبي ﷺ قوله: (أرواحهم في أجواف طير خضر، لها قناديل معلقة بالعرش، تسرح من الجنة حيث شاءت، ثم تأوي إلى تلك القناديل)<sup>(١)</sup>.

○ وأما أرواح المؤمنين عامة: فإنها تكون طيوراً تعلق في شجر الجنة؛ كما قال النبي ﷺ: (إنما نسمه المسلم طير يعلق في شجر الجنة، حتى يرجعها الله إلى جسده إلى يوم القيامة)<sup>(٢)</sup>، وإن كانت أرواح المؤمنين في الجنة، فإن الله يعيدها إلى أبدانها متى شاء.

وكون أرواح المؤمنين في الجنة: يشهد به ظاهر الحديث؛ وبه قال الشافعي وأحمد وغيرهما<sup>(٣)</sup>.

ومنهم من قال: إن أرواحهم بأفنية القبور؛ باعتبار أنه يقال له: «هذا مقعدك»، وأنه يسلم على أهل القبور؛ وبهذا قال ابن عبد البر<sup>(٤)</sup>.

وفيه نظر؛ فالحديث صريح في أنها في الجنة، والمقعد إنما هو للبدن، والله يعيد الروح متى شاء؛ فينزلها من الجنة، ثم يرفعها.

وروي عن مالك أنه قال: «بلغني أن الأرواح مرسلة تذهب حيث شاءت»<sup>(٥)</sup>.

(١) مسلم (١٨٨٧).

(٢) الترمذي (١٦٤١)، والنسائي (٢٠٧٣)، وابن ماجه (٤٢٧١) من حديث كعب بن مالك.

(٣) انظر: «مجموع الفتاوى» (٤٤٧/٥).

(٤) نقله ابن عبد البر في «التمهيد» (٦٥/١١) عن ابن وضاح.

(٥) «الاستذكار» (٣٦١/٨).

وهذا باعتبار ما وردَ مِنْ نصوصٍ تُفيدُ حضورَها في أماكنٍ منها: عندَ سؤالِ الملكين<sup>(١)</sup>، وعن يمينِ آدَمَ في السماء<sup>(٢)</sup>، وفي الجنة، ولكن مع صحة الحديث يُقال: إِنَّ أصلَها في الجنة، والله يأذنُ لها بالخروج متى شاء.

○ وأما أرواحُ الكافرين: ففي الهاوية؛ كما في الحديث: (أَنَّ الْمَلَائِكَةَ تَقْبِضُ رُوحَ الْعَبْدِ الْمُؤْمِنِ، وَتَرْفِي بِهِ إِلَى السَّمَاءِ، فَتَقُولُ الْمَلَائِكَةُ: مَا أَطْيَبَ هَذِهِ الرِّيحَ الَّتِي جَاءَتْكُمْ مِنَ الْأَرْضِ يَا بَنَاتُنَا بِهِ أَرْوَاحُ الْمُؤْمِنِينَ، فَلَهُمْ أَشَدُّ فَرَحًا مِنْ أَحَدِكُمْ بِغَائِبِهِ يَقْدُمُ عَلَيْهِ، فَيَسْأَلُونَهُ: مَاذَا فَعَلَ فَلَانٌ؟ مَاذَا فَعَلَ فَلَانٌ؟ فَيَقُولُونَ: دَعُوهُ؛ فَإِنَّهُ كَانَ فِي غَمِّ الدُّنْيَا، فَيَقُولُ: قَدْ مَاتَ، أَمَا أَنْتُمْ؟ قَالُوا: ذَهَبَ بِهِ إِلَى أُمِّهِ الْهَآوِيَةِ)<sup>(٣)</sup>.

وفيه: أَنَّ المكانَ في باطنِ الأرض؛ حيثُ قال: (تَخْرُجُ مِنْهُ كَأَنَّ رِيحًا، حَتَّى يَأْتُونَ بِهِ بَابَ الْأَرْضِ، فَيَقُولُونَ: مَا أَتَنَّنَ هَذِهِ الرِّيحَ حَتَّى يَأْتُونَ بِهِ أَرْوَاحُ الْكُفَّارِ)<sup>(٤)</sup>.

وقد جاء عن بعضِ السلف أَنَّ أرواحَ الكافرين في بئرِ برّهوت وهو بحضرموت، كما رَوَى عَبْدُ الرَّزَّاقِ بِسَنَدٍ جَيِّدٍ عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ أَنَّهُ قَالَ: «شَرُّ وَادِيَيْنِ فِي النَّاسِ: وَادِي الْأَحْقَافِ، وَوَادِي بِحَضْرَمُوتِ يَقَالُ لَهُ: بَرَّهُوت»<sup>(٥)</sup>.

(١) كما في حديث البراء بن عازب عند أحمد (٢٨٧/٤) و٢٨٨ رقم ١٨٥٣٤ و١٨٥٣٥ و١٨٥٣٦.

(٢) كما في حديث أبي ذر عند البخاري (٣٤٩ و٣٣٤٢)، ومسلم (١٦٣).

(٣) النسائي (١٨٣٣) من حديث أبي هريرة.

(٤) الموضوع السابق.

(٥) «المصنف» (٩١١٨).

وينحوه رُوي عن عبد الله بن عمرو<sup>(١)</sup> ومقاتل بن سليمان<sup>(٢)</sup>، وليس فيه شيء مرفوع.

وقد جزم ابن أبي زيد في «الجامع»: «أَنَّ أَرْوَاحَ الْكُفَّارِ بَاقِيَةٌ فِي سِجِّينَ»<sup>(٣)</sup>.

وقد صَحَّ الدليل: أَنَّ الْعَذَابَ وَالنَّعِيمَ فِي حَيَاةِ الْبَرْزَخِ، يَكُونُ لِلرُّوحِ وَالْبَدَنِ جَمِيعًا، وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِأَجَلِ كُلِّ عَذَابٍ وَنَّعِيمٍ، وَمَقْدَارِهِ وَنَوْعِهِ، وَقَدْ قَالَ تَعَالَى: ﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾ [غافر: ٤٦].

وعن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما؛ قال: «وَقَفَّ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى قَلْبِ بَذْرٍ، فَقَالَ: (هَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا؟) ثُمَّ قَالَ: إِنَّهُمْ الْآنَ يَسْمَعُونَ مَا أَقُولُ»<sup>(٤)</sup>.

وروي أحمدٌ من حديث عائشة مرفوعًا: (فَإِذَا كَانَ الرَّجُلُ الصَّالِحُ، أُجْلِسَ فِي قَبْرِهِ غَيْرَ قَزِيعٍ، وَإِذَا كَانَ الرَّجُلُ السُّوءُ، أُجْلِسَ فِي قَبْرِهِ قَزِيعًا)<sup>(٥)</sup>.

❦ الْقَبْرُ وَفَنَّتُهُ:

❦ قَالَ ابْنُ أَبِي زَيْدٍ: ﴿وَأَنَّ الْمُؤْمِنِينَ يُفْتَنُونَ فِي قُبُورِهِمْ وَيُسْأَلُونَ﴾؛ ﴿يُسْأَلُونَ﴾ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾ [إبراهيم: ٢٧]:

(١) ابن حبان بعد حديث (٣٠١٣). وانظر: «الروح» (١/ ٣٢١ - ٣٢٢).  
(٢) «تفسير مقاتل» (٣/ ٤٤١ و ٤٤٦). (٣) «الجامع» (ص ١١١).  
(٤) البخاري (٣٩٨٠)، ومسلم (٩٣٢). (٥) أحمد (١٣٩/٦) رقم (٢٥٠٨٩).

يجبُ الإيمانُ بـ «حياة البرزخ»، وهي: ما بين الدنيا وقيام الساعة؛  
 فالنَّاسُ يَمُوتُونَ في ثلاثٍ: الحياة الدنيا، وحياة البرزخ، والحياة الآخرة.  
 وإنَّما سُمِّيت حياة البرزخ؛ لكونها برزخاً حاجزاً بين الدنيا والآخرة؛  
 كما قال تعالى: ﴿وَمَنْ وَرَّاهُمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ [المؤمنون: ١٠٠].  
 وتبدأ حياة البرزخ من خروج الروح ومفارقة الدنيا بالموت.  
 وقد تواترت النصوص في حياة البرزخ وفننة القبر وعذابه، وقد جاء  
 من حديث عُمر، والبراء، وأبي هريرة، وأنس بن مالك، وأبي قتادة،  
 وغيرهم<sup>(١)</sup>.

أمَّا فننة القبر: فالمرادُ بها: ما يتعرَّضُ له الميت من امتحانٍ وابتلاءٍ  
 وسؤال، وما يلحقه من كربٍ وشدة، وفزعٍ وهلع، وقد قال ﷺ: (إِنَّ  
 هَذِهِ الْأُمَّةُ تُبْتَلَى فِي قُبُورِهَا)<sup>(٢)</sup>، وقال: (وَلَقَدْ أَوْحَى إِلَيَّ أَنَّكُمْ تُفْتَنُونَ فِي  
 قُبُورِكُمْ، مِثْلَ أَوْ قَرِيْبًا مِنْ فِتْنَةِ الْمَسِيحِ الدَّجَالِ)<sup>(٣)</sup>.

وتعادُ رُوحُ الميت إليه؛ كما جاء في حديث البراء<sup>(٤)</sup>، فيحيا حياة  
 كحياته في الدنيا بيَّظة وانتباه، وليست مناماً وخيالاً؛ قال عمر: «أَبْرَدُ  
 إِلَيْنَا عُقُولُنَا؟ قال النبي ﷺ: (نَعَمْ؛ كَهَيْتِكُمُ الْيَوْمَ)»<sup>(٥)</sup>.

وروي في «الترمذي»: أن اسمَ الفَتَّانَيْنِ مُنْكَرٌ وَنَكِيرٌ، وأنهما  
 أَسْوَدَانِ أَرْزَقَانِ<sup>(٦)</sup>، والفننة بالسؤال عن ثلاث؛ كما جاء في حديث

(١) انظر: «شرح الصدور» (ص ١١٧ - ١٣٧).

(٢) مسلم (٢٨٦٧) من حديث زيد بن ثابت.

(٣) البخاري (٨٦)، ومسلم (٩٠٥) من حديث أسماء بنت أبي بكر.

(٤) سبق تخريجه قريباً.

(٥) أحمد (١٧٢/٢) رقم (٦٦٠٣) من حديث عبد الله بن عمرو.

(٦) الترمذي (١٠٧١) من حديث أبي هريرة.

البراء؛ قال ﷺ: (فَيَأْتِيهِ مَلَكَانِ شَدِيدَا الْإِنْهَارِ، فَيَنْتَهَرَانِهِ وَيُجْلِسَانِهِ، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَنْ رَبُّكَ؟ مَا دِينُكَ؟ مَنْ نَبِيُّكَ؟ وَهِيَ آخِرُ فِتْنَةٍ تُعْرَضُ عَلَى الْمُؤْمِنِ؛ فَذَلِكَ حِينَ يَقُولُ اللَّهُ ﷻ: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾ [إبراهيم: ٢٧]، فَيَقُولُ: رَبِّيَ اللَّهُ، وَدِينِيَ الْإِسْلَامُ، وَنَبِيِّ مُحَمَّدٌ ﷺ؛ فَيَنَادِي مُتَادٍ مِنَ السَّمَاءِ أَنْ صَدَقَ عَبْدِي<sup>(١)</sup>.

وَأَمَّا عَذَابُ الْقَبْرِ: فهو حقٌّ كذلك؛ ثَبَتَ فِيهِ الدَّلِيلُ مِنْ وَجْوهٍ كثيرة، وقد أَخْبَرَ بِهِ الْأَنْبِيَاءُ مِنْ قَبْلُ، وَثَبَتَ بِهِ النَّصُّ فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ؛ قال تعالى: ﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾ [غافر: ٤٦]، وفي «الصَّحِيحَيْنِ» أيضًا: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَقُولُ فِي دَعَائِهِ فِي الصَّلَاةِ: (اللَّهُمَّ، إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ)<sup>(٢)</sup>.

وعَذَابُ الْقَبْرِ: يَلْحَقُ الْكَافِرِينَ وَمَنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ الْمُقْصِرِينَ، وقد مرَّ النَّبِيُّ ﷺ بِقَبْرَيْنِ؛ فَقَالَ: (إِنَّهُمَا لَيُعَذَّبَانِ، وَمَا يُعَذَّبَانِ فِي كَبِيرٍ)<sup>(٣)</sup>، وهذان مُسْلِمَانِ؛ فلو كانا كَافِرَيْنِ، لكان عَذَابُهُمَا عَلَى الْكُفْرِ أَوْلَى مِنْ عَذَابِهِمَا عَلَى الْبَوْلِ وَالنَّمِيمَةِ، وَلَمْ يَتَّخِذِ النَّبِيُّ ﷺ سَبَبًا لِلتَّخْفِيفِ عَنْهُمَا.

وقد ذَكَرَ ابْنُ أَبِي زَيْدٍ فِي «جَامِعِهِ»: «أَنَّ النَّاسَ يُضْغَطُونَ وَيُبْلَوْنَ، وَيُثَبِّتُ اللَّهُ مَنْطِقَ مَنْ أَحَبَّ تَثْبِيتهُ»<sup>(٤)</sup>.

(١) سبق تخريجه قريباً.

(٢) البخاري (٨٣٢)، ومسلم (٥٨٩) من حديث عائشة.

(٣) البخاري (٢١٦)، ومسلم (٢٩٢) من حديث ابن عباس.

(٤) «الجامع» (ص ١١٢).

وَضَمَّةُ الْقَبْرِ قَدْ جَاءَ فِيهَا عِدَّةُ أَحَادِيثَ مِنْ وَجُوهِ مُتَعَدِّدَةٍ، وَفِيهَا جَمَلَةٌ مِنَ الْآثَارِ عَنِ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ؛ فَقَدْ جَاءَ فِي «الْمُسْنَدِ» مِنْ حَدِيثِ عَائِشَةَ: (إِنَّ لِلْقَبْرِ ضَغْطَةً، لَوْ كَانَ أَحَدٌ نَاجِيًا مِنْهَا، لَنَجَا سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ)<sup>(١)</sup>؛ وَلَهُ طَرُقٌ مُتَعَدِّدَةٌ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عُمَرَ<sup>(٢)</sup>، وَابْنِ عَبَّاسٍ<sup>(٣)</sup>، وَغَيْرِهِمَا<sup>(٤)</sup>.

وَقَدْ أَنْكَرَ بَعْضُ طَوَائِفِ الضَّلَالِ وَالْمَادِّيُونَ عَذَابَ الْقَبْرِ؛ بِاعْتِبَارِ رُؤْيَيْهِمْ لِلْمَيِّتِ وَلَيْسَ عَلَيْهِ عَذَابٌ يُرَى، وَاللَّهُ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يَحْجُبَ عَنْهُمْ مَا يَشَاءُ؛ كَمَا حَجَبَ عَنْهُمْ الرُّوحَ الَّتِي بِهَا حَيَاتُهُمْ وَلَا يَرَوْنَهَا، وَكَمَا يَرَى الْجِنُّ الْإِنْسَانَ وَلَا يَرَاهُمْ.

### ❦ كِتَابَةُ الْأَعْمَالِ عَلَى الْمَكْلُفِينَ

❦ قَالَ ابْنُ أَبِي زَيْدٍ: ﴿وَأَنَّ عَلَى الْعِبَادِ حَفَظَةَ يَكْتُبُونَ أَعْمَالَهُمْ، وَلَا يَسْقُطُ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ عَنْ عِلْمِ رَبِّهِمْ﴾:

يَجِبُ الْإِيمَانُ بِالْمَلَائِكَةِ؛ فَالْإِيمَانُ بِهِمْ رُكْنٌ مِنْ أَرْكَانِ الْإِيمَانِ، وَأَنْتَهُمْ عِبَادُ اللَّهِ مُقَرَّبُونَ، وَفِي حَدِيثِ جَبْرِيلَ لَمَّا سَأَلَ النَّبِيَّ ﷺ عَنِ الْإِيمَانِ؟ قَالَ: (الْإِيمَانُ: أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَبِالْقَدْرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ)<sup>(٥)</sup>.

وَقَدْ قَرَنَ اللَّهُ الْإِيمَانَ بِالْمَلَائِكَةِ بِالْإِيمَانِ بِهِ سُبْحَانَهُ؛ فَقَالَ: ﴿كُلُّ

(١) «الْمُسْنَدُ» ٥٥/٦ و ٩٨ رقم ٢٤٢٨٣ و ٢٤٦٦٣.

(٢) عِنْدَ النَّسَائِيِّ (٢٠٥٥).

(٣) عِنْدَ الطَّبْرَانِيِّ فِي «الْكَبِيرِ» (١٠/٤٠٦ رقم ١٠٨٢٧).

(٤) كَأَنَسٍ عِنْدَ أَبِي يَعْلَى؛ كَمَا فِي «إِتْحَافِ الْخَيْرَةِ» (٢/٤٩٣).

(٥) سَبَقَ تَخْرِيجُهُ.

ءَامَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ ﴿البقرة: ٢٨٥﴾ وقال تعالى: ﴿وَلَكِنَّ الْإِنسَانَ مِّنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ الْمَلَائِكَةَ وَالْكِتَابَ وَالنَّبِيِّينَ﴾ [البقرة: ١٧٧].

والملائكة كثير لا يحصيهم عدا إلا الله؛ ولكن قد يأتي في الوحي بيان لعدد بعضهم في عمل معين، أو موضع معين، أو زمان معين:

منهم: الواحد؛ كالموكل بالوحي، وخازن الجنة، وخازن النار، وملك الجبال، وقابض الأرواح، وناfix الصور، وناfix الروح.

ومنهم: اثنان؛ كالموكلين بالكتابة: رقيب وعتيد.

ومنهم: ثمانية؛ كحملة العرش.

ومنهم: تسعة عشر؛ وهم خزنة النار، ومقدمهم مالك.

ومنهم: سبعون ألفا؛ وهم الذين يطوفون بالبيت المعمور؛ كما في الحديث قال ﷺ: (... فَرَفَعَ لِي الْبَيْتُ الْمَعْمُورُ، فَسَأَلْتُ جِبْرِيلَ؟ فَقَالَ: هَذَا الْبَيْتُ الْمَعْمُورُ؛ يُصَلِّي فِيهِ كُلُّ يَوْمٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ، إِذَا خَرَجُوا، لَمْ يَعُودُوا إِلَيْهِ آخِرَ مَا عَلَيْهِمْ)؛ متفق عليه<sup>(١)</sup>.

ومن الملائكة: الحفظة الذين يحضون على العباد أفعالهم، ويكتبونها؛ لإقامة الحجة عليهم؛ قال تعالى: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ۝ كَرِيمًا ۝ كَتِبِينَ ۝ يَكْتُونَ مَا تَعْمَلُونَ﴾ [الانفطار: ١٠ - ١٢]، وقال: ﴿إِذْ يُلْقَى السُّلَيْمَانُ عَلَى الْأَيْمَنِ وَفِي السَّمَاءِ مُعِدَّةٌ ۝ مَا يُلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [ق: ١٧ - ١٨].

والله يعلم أفعال العباد وأقوالهم ونياتهم، ولا يحتاج الله إلى أحد يحصي ذلك له ليعلم ويحاسب، ولكن الله أراد إقامة الحجة على عباده وقطع أعدائهم بإحصاء محسوس.

(١) البخاري (٣٢٠٧)، ومسلم (١٦٤) من حديث مالك بن صعصعة.

وأما علم الله وإحاطته، فلا يحتاج إلى كَتَبَةٍ وَحَفَظَةٍ؛ فكلُّ ذلك يسيرٌ عليه؛ فقد فرَّق الله بين عِلْمِهِ وبين الكتاب، وأنَّ علم كلِّ شيءٍ عليه يسيرٌ بكتابٍ وقبل الكتاب؛ كما قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [الحج: ٧٠]، وقال: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا وَمَا تَحِيطُ مِنْ أَنْثَى وَلَا نَذْرٍ إِلَّا بِعِلْمِهِ وَمَا يُعَمَّرُ مِنْ مُعَمَّرٍ وَلَا يُنْقَصُ مِنْ عُمُرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [فاطر: ١١].

وكلُّ الملائكة عِبَادٌ مُكْرَمُونَ، ليس لهم من خصائص الربوبية والالوهية شيء، خلقهم الله من نور؛ قال الله عن عبادتهم: ﴿وَمَنْ عِنْدَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحِيرُونَ﴾ ١٩ ﴿يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ﴾ [الأنبياء: ١٩ - ٢٠]، وقال: ﴿بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ﴾ ٢١ ﴿لَا يَسْقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَتَمَلَّوْنَ﴾ [الأنبياء: ٢٦ - ٢٧]، وقال: ﴿لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحريم: ٦].

### الأرواح وقبضها:

﴿قَالَ ابْنُ أَبِي زَيْدٍ: وَأَنَّ مَلِكَ الْمَوْتِ يَقْبِضُ الْأَرْوَاحَ (في الجامع: كُلُّهَا)﴾<sup>(١)</sup> بِإِذْنِ رَبِّهِ:

خلق الله الأرواح كما خلق الأجساد، وخلقها للأرواح سابقاً لخلقها للأجساد، وقد حكى الإجماع على ذلك إسحاق وغيره<sup>(٢)</sup>.

وقد وكل الله بالأرواح ملكاً يبدأ مع الإنسان في تكوينه في بطن أمه، ويستأذن ربه في كلِّ عملٍ يعملُه؛ كما في «الصحيحين» عن أنس بن

(٢) «التمهيد» لابن عبد البر (١٨/٨٤).

(١) «الجامع» (ص ١١١).



مالك - ورفَع الحديث - أنه قال: (إِنَّ اللَّهَ ﷻ قَدْ وَكَّلَ بِالرَّحِمِ مَلَكًا، فَيَقُولُ: أَيُّ رَبِّ، نُطْفَةٍ، أَيُّ رَبِّ، عَلَقَةٍ، أَيُّ رَبِّ، مُضْغَةٍ؛ فَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَقْضِيَ خَلْقًا، قَالَ: قَالَ الْمَلَكُ: أَيُّ رَبِّ، ذَكَرٌ أَوْ أُنْثَى؟ شَقِيٌّ أَوْ سَعِيدٌ؟ فَمَا الرِّزْقُ؟ فَمَا الْأَجَلُ؟ فَيَكْتُبُ كَذَلِكَ فِي بَطْنِ أُمِّهِ<sup>(١)</sup>).

ثُمَّ يُنْفَخُ فِيهِ الرُّوحُ؛ كما جاء في حديث ابن مسعود في «الصحيحين»<sup>(٢)</sup>.

والمَلَكُ المَوْكَّلُ بِالرُّوحِ عند نَفْخِهَا، غيرُ المَلَكِ المَوْكَّلِ بِالرُّوحِ عند قَبْضِهَا.

ثُمَّ إِنَّ الْمَلَكَ المَوْكَّلَ مِنَ اللَّهِ بِالتَّخْلِيْقِ وَيَنْفَخُ الرُّوحَ وَاحِدًا، ليس معه أَحَدٌ؛ في ظَاهِرِ النُّصُوصِ.

وَأَمَّا مَلَكُ قَبْضِ الرُّوحِ، فوَاحِدٌ مُقَدَّمٌ، وَمَعَهُ غَيْرُهُ:

أَمَّا كَوْنُهُ وَاحِدًا مُقَدَّمًا، ففي قوله تعالى: ﴿قُلْ يَتَوَفَّنَا مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ﴾ [السجدة: ١١].

وَأَمَّا كَوْنُهُ مَعَهُ غَيْرُهُ، ففي قوله تعالى: ﴿فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُ الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ﴾ [محمد: ٢٧]، وقوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ﴾ [الأنعام: ٦١].

وَمَلَكُ الْمَوْتِ المُقَدَّمُ يَقْبِضُ، وَالبَقِيَّةُ يُعِينُونَ في قَبْضِ الرُّوحِ، وَتَجْهِيْزِهَا، وَرَفْعِهَا؛ كما في حديث البراء في «المسند»؛ قال ﷺ: (إِنَّ الْعَبْدَ الْمُؤْمِنَ إِذَا كَانَ فِي انْقِطَاعٍ مِنَ الدُّنْيَا، وَإِقْبَالٍ مِنَ الْآخِرَةِ،

(١) البخاري (٣١٨)، ومسلم (٢٦٤٦).

(٢) البخاري (٣٢٠٨)، ومسلم (٢٦٤٣).

نَزَلَ إِلَيْهِ مَلَائِكَةٌ مِنَ السَّمَاءِ بِضُفُوفٍ أَلْبَسُوا لَهُمُ الْكُفَّانَ الْجَنَّةَ، وَحَنُوطٌ مِنْ حَنُوطِ الْجَنَّةِ، حَتَّى يَجْلِسُوا مِنْهُ مَدَّ الْبَصَرِ، ثُمَّ يَجِيءُ مَلَكُ الْمَوْتِ ﴿١﴾ حَتَّى يَجْلِسَ عِنْدَ رَأْسِهِ...؛  
الحديث<sup>(١)</sup>.

قال إبراهيم النخعي: «لِمَلَكِ الْمَوْتِ أَعْوَانٌ مِنَ الْمَلَائِكَةِ، يَتَوَقَّفُونَ عَنْ أَمْرِهِ»<sup>(٢)</sup>.

ويكون قبضُ الأرواح بعلمِ الله وحده، لا يستقدمون ساعة ولا يستأخرون.

### ﴿ فضل خير القرون: ﴾

﴿ قَالَ ابْنُ أَبِي زَيْدٍ: ﴿وَأَنَّ خَيْرَ الْقُرُونِ: الْقَرْنُ الَّذِي رَأَوْا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، وَآمَنُوا بِهِ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ﴾: ﴾

أفضل الأزمنة الذي فيه بُعِثَ النَّبِيُّ ﷺ، وأصحابه خيرٌ من أصحاب غيره؛ لأنَّه أفضلُ من غيره، وقد تعدَّى فضلُ النَّبِيِّ ﷺ إلى ما اتصل به من الزمان؛ فكان أفضلُ القرون بعد قَرْنِهِ الذي يليهم، ثُمَّ الذي يليهم؛ فالتابعون لأصحاب النَّبِيِّ ﷺ أفضلُ من التابعين لأصحاب غيره من الأنبياء، وهكذا في أتباع الأتباع؛ قال ﷺ: (خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ)<sup>(٣)</sup>.

(١) سبق تخريجه.

(٢) «تفسير ابن جرير» (٩/ ٢٩٠ و ٢٩١)، و«معاني القرآن» للنحاس (٢/ ٤٣٨ - ٤٣٩)، و«تفسير السمعاني» (٢/ ١١٢).

(٣) البخاري (٢٦٥٢)، ومسلم (٢٥٣٣) من حديث ابن مسعود.

﴿ معنى الْقَرْن: ﴾

والمراد بالْقَرْن: الطَّبَقَةُ، وَأَوَّلُهُم: الصحابة، ثُمَّ التَّابِعُونَ، ثُمَّ أَتْبَاعُ التَّابِعِينَ، وليس المراد بذلك: القرن الذي هو مِئَةُ سَنَةٍ، والذي يُورِّخُ عليه المؤرِّخون.

والقرنُ المفضَّلُ: أَوَّلُهُ أَفْضَلُ مِنْ آخِرِهِ؛ لِأَنَّ فَضْلَهُ بِفَضْلِ أَهْلِهِ، وَفَضْلُ أَهْلِهِ بِسَبْقِهِمْ وَقُرْبِهِمْ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ.

وَيَذْهَبُ فَضْلُ ذَلِكَ الْقَرْنِ بِذَهَابِ جُمْهُورِ أَهْلِهِ.

وقد انصَرَمَتْ عَامَّةُ الْقُرُونِ الْمَفْضَلَةِ بِأَتْبَاعِ التَّابِعِينَ؛ وَذَلِكَ قَبْلَ تَمَامِ الْمِئَةِ الثَّانِيَةِ، وَلَيْسَ فِي الْمِئَةِ الثَّالِثَةِ مِنْهُمْ كَبِيرٌ أَحَدٌ، مَعَ فَضْلِ كَثِيرٍ مِنْ أَهْلِهَا فِي الْعِلْمِ وَالْعَمَلِ.

وَالْفَضْلُ الْمُتَعَلِّقُ بِالْقَرْنِ إِنَّمَا هُوَ لْجُمْهُورِهِمْ، وَجُمْهُورُ الصَّحَابَةِ كَانَ فِي زَمَنِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْأَرْبَعَةِ، وَمَنْ بَقِيَ مِنَ الصَّحَابَةِ، فَلَا يُنْتَزَعُ فَضْلُهُ؛ فَفَضْلُهُ مَعَهُ وَلَوْ تَأَخَّرَ بَقَاؤُهُ.

وهكذا في التَّابِعِينَ، وَذَهَبَ جُمْهُورُهُمْ قَبْلَ تَمَامِ الْمِئَةِ.

وَمِثْلُهُمْ أَتْبَاعُ التَّابِعِينَ؛ فَذَهَابَ جُمْهُورُهُمْ قُبَيْلَ مُتَنَصِّفِ الْمِئَةِ الثَّانِيَةِ، وَمَنْ تَأَخَّرَ مِنْهُمْ، فَفَضْلُهُ بَاقٍ مَعَهُ؛ إِلَّا أَنَّ فَضْلَ زَمَانِهِ ضَعُفَ وَقَلَّ.

وَالْقَرْنُ يُطْلَقُ عَلَى الْحَقْبَةِ مِنَ الزَّمَنِ الَّتِي يَعِيشُ فِيهَا الْجِيلُ مِنْ وَلَادَتِهِ إِلَى وَفَاتِهِ، وَيُطْلَقُ كَذَلِكَ عَلَى الْمِئَةِ عَامٍ؛ وَمِنْ ذَلِكَ: مَا يُرَوَى عِنْدَ الْحَاكِمِ مَرْفُوعًا: (يَعِيشُ هَذَا الْغُلَامُ قَرْنًا؛ فَعَاشَ مِئَةَ سَنَةٍ)<sup>(١)</sup>؛ يَعْنِي: عَبْدَ اللَّهِ بْنِ بُسَيْرٍ.

## ﴿ فضل الصحابة، وتفاضلهم :

ولا خلاف في فضل الصحابة عامة، وأنهم خيرُ الناس بعد الأنبياء، وخيرُ الأمة بعد نبيها ﷺ، وفضلهم من فضل النبي ﷺ، والنبي ﷺ أفضلُ الأنبياء، وقد ذكرَ الله فضلهم في التوراة والإنجيل والقرآن؛ قال تعالى: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّامًا سَاجِدًا يَنْتَوُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمِثْلَهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الفتح: ٢٩].

ومن رأى النبي ﷺ ولو ساعة مؤمناً به، فهو صحابي، وهو أفضلُ ممَّن جاء ولم يرَ النبي ﷺ؛ كما قال ابنُ أبي زيد في «جامعه»؛ قال: «وَكُلُّ مَنْ صَحِبَهُ وَلَوْ سَاعَةً، أَوْ رَأَاهُ وَلَوْ مَرَّةً، فَهُوَ بِذَلِكَ أَفْضَلُ مِنْ أَفْضَلِ النَّابِعِينَ»<sup>(١)</sup>.

وأفضلُ الصحابة: مَنْ جَمَعَ مع الإيمان به نُصْرَتَهُ، وأكثرَهُمُ جمعاً لهذينِ وأقدمَهُمُ فيهما، فهو أفضلُهم؛ ولهذا فضَّلَ الله المهاجرين على الأنصار، وفضَّلَ الله السابقين على اللاحقين، وفضَّلَ مَنْ أَسْلَمَ قَبْلَ الْفَتْحِ على مَنْ أَسْلَمَ بَعْدَهُ.

وفي هذا قال تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَتْلَ أَوْلِيكَ أَعْظَمَ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدِ وَقَتْلَوْا وَكُلًّا وَعَدَّ اللَّهُ الْحَسَنَ﴾ [الحديد: ١٠]؛ فلم يذكرِ الله سبقَ الإيمانِ فقط، وإنما ذكرَ معه ما يدلُّ

على النصر؛ فقال: «أَنْفَقَ وَقَاتَلَ»، وكلما كان إسلام الصحابي في زمنٍ أشدَّ من غيره، كان أفضلَ منه، ولما كانت حال المهاجرين أشدَّ من الأنصار، فُضِّلُوا عليهم، ولم يكن في المهاجرين نفاق؛ كما قاله أحمدُ فيما نقله عنه المروزي<sup>(١)</sup>.

وقال: ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ١٠٠].

ومن هذا: كان فضلُ مَنْ شَهِدَ بَدْرًا على مَنْ شَهِدَ أَحَدًا فقط، ومَنْ بايَعَ تحت الشجرة على مَنْ لم يُبايِعْ؛ لتحقيقِ النصر في هذه المواقف مع الإيمان؛ قال تعالى: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ [الفتح: ١٨].

### الوقوف في الصحابة:

حُبُّ الصحابة وتوقيرهم: من أعظم القُرْبَات؛ لأنه من تعظيم النبي ﷺ تعظيم أصحابه، ومن إجلال الله إجلال أصحاب نبيه:

فمن عبد الله بن مغفل المُرَنِّي؛ قال: قال رسول الله ﷺ: (الله الله في أصحابي! الله الله في أصحابي! لا تتخذوهم غرضا بعدي؛ فَمَنْ أَحَبَّهُمْ فَبِحُبِّي أَحَبَّهُمْ، وَمَنْ أَبْغَضَهُمْ فَبِإِبْغِضِي أَبْغَضَهُمْ، وَمَنْ آذَاهُمْ فَقَدْ آذَانِي، وَمَنْ آذَانِي فَقَدْ آذَى اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، وَمَنْ آذَى اللَّهَ فَبُوشِكُ أَنْ يَأْخُذَهُ)<sup>(٢)</sup>.

وقال أحمد بن حنبل: «فَحُبُّهُمْ سُنَّةٌ، والدُّعَاءُ لَهُمْ قُرْبَةٌ، والافتداء

(٢) الترمذي (٣٨٦٢).

(١) مجموع الفتاوى (٢٠١/٧).

بهم وسيلة، والأخذ بآثارهم فضيلة»<sup>(١)</sup>.

ولا يَقَعُ فيهم إلا مبتلى في دينه.

وَمَنْ طَعَنَ فِي الصَّحَابَةِ أَوْ فِي وَاحِدٍ مِنْهُمْ، فَلَا يَخْلُو مِنَ الْوُقُوعِ فِي الْبِدْعَتَيْنِ: إِمَّا الْكِبْرَى الْمَكْفُرَةَ، وَإِمَّا الصَّغْرَى الْمُضَلِّلَةَ:

أَمَّا الْبِدْعَةُ الْكِبْرَى الْمَكْفُرَةُ: فَكَمَنْ تَنَقَّصَهُمْ، أَوْ سَبَّاهُمْ فِي شَيْءٍ ثَبَتَ بِالتَّوَاتُرِ خِلَافُهُ؛ وَهَذَا كَمَنْ سَبَّ جَمِيعَ الصَّحَابَةِ أَوْ عَامَّتَهُمْ؛ فَهَذَا أَرَادَ صُحْبَتَهُمْ، وَلَمْ يُرِدْ أَعْيَانَهُمْ، وَلَوْ زَعَمَ خِلَافَ ذَلِكَ، وَفَضْلُهُمْ جَمِيعُهُمْ أَوْ عَامَّتُهُمْ مُتَوَاتِرٌ لَا خِلَافَ فِيهِ.

وَمِثْلُ ذَلِكَ: مَنْ طَعَنَ فِي عِرْضِ عَائِشَةَ، وَاللَّهُ قَدْ بَرَّاهَا فِي الْقُرْآنِ، وَنَحْوُ ذَلِكَ، أَوْ طَعَنَ فِي الْمُهَاجِرِينَ أَوْ الْأَنْصَارِ، أَوْ مَنْ بَايَعَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ، أَوْ طَعَنَ فِي عُمومِ أَهْلِ بَذْرِ وَأُحُدٍ؛ فَأُولَئِكَ تَوَاتَرَ فَضْلُهُمْ وَثَبَتَ؛ فَالطَّعْنُ فِي جَمِيعِهِمْ أَوْ عَامَّتِهِمْ كُفْرٌ.

وَمِثْلُهُ: الطَّعْنُ فِي وَاحِدٍ تَوَاتَرَ فَضْلُهُ كَأَبِي بَكْرٍ، وَعُمَرَ، وَعَائِشَةَ؛ قَالَ مَالِكٌ: «مَنْ سَبَّ عَائِشَةَ، قُتِلَ، قِيلَ لَهُ: لِمَ؟ قَالَ: مَنْ رَمَاهَا، فَقَدْ خَالَفَ الْقُرْآنَ»<sup>(٢)</sup>.

وَقَدْ جَاءَ عَنْ أَحْمَدَ: أَنَّهُ سُئِلَ عَمَّنْ يَشْتُمُ أَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ وَعَائِشَةَ؛ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَجْمَعِينَ؟ فَقَالَ: «مَا أَرَاهُ عَلَى الْإِسْلَامِ»<sup>(٣)</sup>.

وَقَدْ جَعَلَ اللَّهُ مَنْ حَمَلَ غِيظًا فِي قَلْبِهِ عَلَى الصَّحَابَةِ كَافِرًا، كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارُ﴾ [الفتح: ٢٩]؛ وَبِهَذَا اسْتَدَلَّ مَالِكٌ<sup>(٤)</sup>

(١) انظر: «طبقات الحنابلة» (١/٦٣ - ٦٤).

(٢) «مسند الموطأ» (٨٧)، و«المحلى» (١١/٤١٤ - ٤١٥).

(٣) «السُّنَّةُ» لِلْخَلَالِ (٧٧٩ وَ ٧٨٢). (٤) «السُّنَّةُ» لِلْخَلَالِ (٧٦٠).

وأبو معمر الكرخي<sup>(١)</sup> وغيرهما.

وأما البدعة الصغرى المضللة: فكمن وقع في شيء فيهم لم يثبت بالتواتر خلافه، وإن صح فيه الخبر.

فهذا مبتدع؛ لعدوانه على جناب الصحابة ولو كان واحدا.

وخرج من بدعة الكفر؛ لكونه لم ينكر متواترا معلوما من الدين ضرورة؛ كمن يسب من صح فضل ولم يتواتر، أو ذم خصلة فيه لم يثبت بالتواتر خلافها؛ كالبلخل والكذب والجبن، وإنما بدع لعدوانه على أصحاب النبي ﷺ، ومخالفته لوصيته فيهم؛ كما قال ﷺ في «الصحيحين»: (لَا تَسُبُّوا أَصْحَابِي؛ فَلَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أَتَفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا، مَا بَلَغَ مُدَّ أَحَدِهِمْ وَلَا نَصِيفَهُ)<sup>(٢)</sup>، وروى أحمد والترمذي عنه ﷺ؛ قال: (أَوْصِيَكُمْ بِأَصْحَابِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ)<sup>(٣)</sup>.

وقد قال الإمام أحمد: «إذا رأيت رجلا يذكر أصحاب رسول الله ﷺ بسوء، فاتهمة على الإسلام»<sup>(٤)</sup>.

### التفاضل بين الصحابة:

قَالَ ابْنُ أَبِي زَيْدٍ: ﴿وَأَفْضَلُ الصَّحَابَةِ: الْخُلَفَاءُ الرَّاشِدُونَ الْمَهْدِيُّونَ:

أَبُو بَكْرٍ، ثُمَّ عُمَرُ، ثُمَّ عُثْمَانُ، ثُمَّ عَلِيٌّ؛ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَجْمَعِينَ﴾:

كَانَ الصَّدْرُ الْأَوَّلُ يُجِلُّونَ الصَّحَابَةَ، وَيَعْظُمُونَ قَدْرَهُمْ عَلَى سَبِيلِ

(١) «السنة» للخلال (٦٦٦).

(٢) البخاري (٣٦٧٣)، ومسلم (٢٥٤١) من حديث أبي سعيد.

(٣) أحمد (١٨/١) ٢٦ رقم ١١٤ و (١٧٧)، والترمذي (٢١٦٥) من حديث عمر.

(٤) «شرح أصول الاعتقاد» (٢٣٥٩).

الإجمال والتفصيل، ولم يكونوا يُوغلون في التفضيل بينهم؛ لعدم قيام الموجب لذلك، ولأنهم على الفطرة الصحيحة، ولم تظهر البدع في الوقعة في الصحابة والطعن فيهم؛ فكانوا يعرفون مقاديرهم وفضلهم ويحكمونه، ويعرفون تفاضلهم في صدورهم، وإن أمسكوا عن التعبير عن ذلك:

كما قال مالك: «إن التفاضل بين الصحابة ليس من أمر الناس الذين مضوا، وإنما كان من هديهم الإمساك عن مثل هذا»<sup>(١)</sup>.

وقول مالك هذا من جنس قول النبي ﷺ: (لَا تَخْبِرُوا بَيْنَ الْأَنْبِيَاءِ)<sup>(٢)</sup>، وقوله ﷺ: (لَا تَخْبِرُونِي عَلَى مُوسَى)<sup>(٣)</sup>، وفي حديث ثانٍ، قال ﷺ: (لَا يَنْبَغِي لِعَبْدٍ أَنْ يَقُولَ: أَنَا خَيْرٌ مِنْ يُونُسَ بْنِ مَتَّى)<sup>(٤)</sup>؛ لأن من التفضيل ما يتوهم به السامع نقص المفضول وعيباً فيه.

وقد كان مالك نفسه يفضل أبا بكر وعمر على غيرهما<sup>(٥)</sup>.

وتفاضل الصحابة في بعض الخصال، لا يعني الفضل المطلق؛ فقد يفضل واحد الصحابة في خصلة - كالشجاعة والكرم والحلم - وغيره أفضل منه؛ ومن هذا قول ابن عمر: «ما رأيت أسود من معاوية!»، ففيل لابن عمر: هو كان أسود من أبي بكر؟ قال ابن عمر: «أبو بكر والله أخير منه، وهو والله أسود من أبي بكر»<sup>(٦)</sup>، وقال ابن عمر - أيضاً -:

(١) «الاستذكار» (٢٤١/١٤ و ٢٤٣)؛ بنحوه.

(٢) البخاري (٢٤١٢ و ٦٩١٦)، ومسلم (٢٣٧٤) من حديث أبي سعيد.

(٣) البخاري (٢٤١١ و ٣٤٠٨ و ٦٥١٧ و ٧٤٧٢)، ومسلم (٢٣٧٣) من حديث أبي هريرة.

(٤) البخاري (٣٣٩٥)، ومسلم (٢٣٧٧) من حديث ابن عباس.

(٥) «الاستذكار» (٢٤٤/١٤)، و«الانتقاء» (ص ٣٥).

(٦) «الآحاد والمثاني» (٥١٦)، و«السنة للخلال» (٦٧٩).



«إِنَّهُ أَسْوَدُ مِنْ عُمَرَ وَعُثْمَانُ»<sup>(١)</sup>، و«أَسْوَدُ»؛ بمعنى: أَسْحَى<sup>(٢)</sup>، وفي هذا يقول أحمدُ: «أَعْطَى معاويةَ أهلَ المدينةَ عَطَايَا ما أَعْطَاهَا خَلِيفَةُ كان قَبْلَهُ»<sup>(٣)</sup>.

### التوسُّع في التفضيل بين الصحابة:

وقد بدأ التوسُّع في أبواب التفضيل بين الصحابة، والنزاع فيه: في العَجَم، وكان مَدْخَلًا لتَنْقِصِ المفضول؛ فبدؤوا بالتفضيل، ثم تدرَّجوا والتمسوا أسبابَ الكمالِ في الفاضل، ثم تدرَّجوا والتمسوا أسبابَ النقصِ في المفضول، ثم استدرَّجهم الشيطانُ للدخولِ في أبوابِ النقائصِ وثَلَبِ الصحابةِ وعِيهِم.

وقد قال عبدُ الله بنُ أبي حَسَّانٍ - تلميذُ مالكٍ - لَمَّا سُئِلَ عن التفاضلِ بينَ خيارِ الصحابةِ؟ فَرَفَعَ يَدَهُ، وَضَرَبَ السَّائِلَ، وقال: «ليس هذا دِينُ قُرَيْشٍ، ولا دِينُ العَرَبِ؛ هذا دِينُ أَهْلِ قُمْ»<sup>(٤)</sup>؛ وهو يُدْرِكُ تَفَاضُلَ الصحابةِ على الحَقِيقَةِ، وَلَكِنَّهُ يَعْلَمُ ما يُرَادُ مِن فَتْحِ هذا البابِ، وَلَمَّا فُتِحَ في المَشْرِقِ، وانتهى بأصحابِهِ إلى ما انتهَى إليه، كان المغاربةُ أَوَّلَ الأمرِ يُغْلِقُونَ فَتْحَ هذا البابِ؛ حتى لا يَنْتَهِيَ في المَغْرِبِ إلى ما انتهَى إليه في المَشْرِقِ؛ وهذا مِن كَمالِ العِلْمِ والحِكمةِ.

ومن هذا الباب: إمساكُ مالكٍ وغيرِهِ في إحدى الروايتين عن التفضيلِ بين عُثْمَانَ وعليٍّ، وقولُهُ: «مَا أَذْرَكْتُ أَحَدًا أَقْتَدِي بِهِ يَفْضُلُ أَحَدَهُما على صاحِبِهِ»<sup>(٥)</sup>.

ولا يَخْتَلِفُ المُسْلِمُونَ في فَضْلِ الصحابةِ، وأنَّ فَضْلَهُم فرُعٌ عن

(١) الموضع السابق.

(٢) انظر: «النهاية» لابن الأثير (٤١٨/٢). (٣) كما في رواية الحلال السابقة.

(٤) «رياض النفوس» (٢٨٧/١).

(٥) «المدونة» (٤/٦٧٠)، و«الاستذكار» (١٤/٢٤٠).

فضل النبي ﷺ، وكما يتفاضل الأنبياء، فإن الصحابة يتفاضلون فيما بينهم من باب أولى.

وقد كان سُحُنُونٌ يُلَقُّنُ ابْنَ الْقَصَّارِ فِي مَرَضِ مَوْتِهِ: «أَنْ أَفْضَلَ هَذِهِ الْأُمَّةُ بَعْدَ نَبِيِّهَا أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ»<sup>(١)</sup>.

وَلَا يَخْتَلِفُ السَّلَفُ فِي هَذَا، وَوَقَعَ فِي قَلِيلَةٍ مِنْهُمْ نِزَاعٌ فِي التَّفَاضُلِ بَيْنَ عُثْمَانَ وَعَلِيٍّ<sup>(٢)</sup>:

فَمِنْهُمْ: مَنْ فَضَّلَ عُثْمَانَ عَلَى عَلِيٍّ.

وَمِنْهُمْ: مَنْ فَضَّلَ عَلِيًّا عَلَى عُثْمَانَ.

وَمِنْهُمْ: مَنْ تَوَقَّفَ.

ثُمَّ اسْتَقَرَّ الْأَمْرُ عَلَى أَنَّ تَرْتِيبَهُمْ فِي الْفَضْلِ؛ كَتَرْتِيبِهِمْ فِي الْخِلَافَةِ: عُثْمَانُ ثُمَّ عَلِيٌّ، وَقَدْ قَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ: وَاللَّهِ مَا بَايَعْتُ لِعُثْمَانَ حَتَّى سَأَلْتُ صَبِيَّانَ الْمَدِينَةِ؛ فَقَالُوا: عُثْمَانُ خَيْرٌ مِنْ عَلِيٍّ<sup>(٣)</sup>.

وَقَدْ وَصَفَ ابْنُ أَبِي زَيْدٍ هَذَا الْقَوْلَ فِي «جَامِعِهِ»، بِأَنَّهُ قَوْلُ أَهْلِ الْحَدِيثِ؛ قَالَ: «وَهُوَ قَوْلُ أَهْلِ الْحَدِيثِ، ثُمَّ بَقِيَّةُ الْعَشْرَةِ، ثُمَّ أَهْلُ بَدْرٍ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ، ثُمَّ مِنَ الْأَنْصَارِ، وَمِنْ جَمِيعِ أَصْحَابِهِ؛ عَلَى قَدْرِ الْهِجْرَةِ وَالسَّابِقَةِ وَالْفَضِيلَةِ»<sup>(٤)</sup>.

### ﴿ظُهُورُ الطَّعْنِ فِي الصَّحَابَةِ فِي الْمَغْرِبِ﴾:

وَقَدْ انْتَشَرَ الطَّعْنُ فِي الصَّحَابَةِ فِي زَمَنِ بَنِي عُبَيْدٍ فِي الْمَغْرِبِ، خَاصَّةً الْقِيَرَوَانِ، وَامْتَحَنَ النَّاسُ فِي ذَلِكَ؛ حَتَّى أَكْرَهُوا عَلَى سَبِّ

(١) «رياض النفوس» (١/٣٦٧ - ٣٦٨)، وقد سبق.

(٢) «مجموع الفتاوى» (٤/٤٢٦).

(٣) «المسائل التي حلف عليها أحمد» (ص ٩٧). (٤) «الجامع» (ص ١١٥).

الصحابية على المنابر، وقُتِلَ جماعةٌ من العلماءِ لأجلِ ذلك، وقد قام جماعةٌ من أهلِ العلمِ في وجهِ تلكِ الفتنَةِ، وعلى رأسِهِمُ ابنُ الحَدَّادِ. وقد شبَّه بعضهم مقامَهُ في فتنَةِ الرفضِ في المغربِ، بمقامِ أحمدَ في المشرقِ في فتنَةِ القرآنِ<sup>(١)</sup>.

وقد كان له حُجَّةٌ وبيانٌ وقوةٌ في الحقِّ، وقد سأله أبو عبدِ الله الرافضي: «أنتم تفضّلون على الخمسةِ أصحابِ الكِسَاءِ غَيْرَهُمْ؟ - يعني بأصحابِ الكِسَاءِ: محمدًا ﷺ، وعليًا وفاطمةَ، والحسنَ والحسينَ ﷺ، ويعني بغيرِهِم: أبا بكرٍ ﷺ - فقال ابنُ الحَدَّادِ: أيُّما أَفْضَلُ؟ خمسةٌ سادِسُهُمُ جبريلُ ﷺ، أو اثنانِ اللهُ تَالِيُهُمَا؟! فَبُهِتَ الرافضي»<sup>(٢)</sup>.

### ﴿ ما شَجَرَ بَيْنَ الصَّحَابَةِ ﴾

قَالَ ابْنُ أَبِي زَيْدٍ: ﴿وَأَلَّا يُذَكَّرَ أَحَدٌ مِنْ صَحَابَةِ الرَّسُولِ ﷺ إِلَّا بِأَحْسَنِ ذِكْرٍ، وَالْإِمْسَاكِ عَمَّا شَجَرَ بَيْنَهُمْ، وَأَنَّهُمْ أَحَقُّ النَّاسِ (فِي) «الْجَامِعِ»: أَنْ تُنْشَرَ مَحَاسِنُهُمْ»<sup>(٣)</sup>؛ أَنْ يُلْتَمَسَ لَهُمْ أَحْسَنُ الْمَخَارِجِ، وَيُظَنَّ بِهِمْ أَحْسَنُ الْمَذَاهِبِ»:

لا يُتَحَدَّثُ بما وَقَعَ بَيْنَ الصَّحَابَةِ مِنْ خِلَافٍ وَنِزَاعٍ، ما لم يكنْ في ذلكِ فِقْهٌ لِلْخَاصَّةِ؛ فذِكْرُ الْخِلَافِ وَالنِّزَاعِ بَيْنَهُمْ يُوْغِرُ الصَّدُورَ، وَيُسْقِطُ هَيْبَتَهُمْ وَجَلَّالَتَهُمْ فِي بَعْضِ النُّفُوسِ، وَكَانَ أَحْمَدُ يَقُولُ: «هَذِهِ الْأَحَادِيثُ تُورِثُ الْغِلَّ فِي الْقَلْبِ»<sup>(٤)</sup>.

ولم يكنِ الصَّحَابَةُ يُتَحَدَّثُونَ بِخِلَافِهِمْ عِنْدَ غَيْرِهِمْ، ولا كذلكِ فقهاءُ

(٢) «معالم الإيمان» (٢/ ٢٩٨ - ٢٩٩).

(٤) «المُسْنَدُ» لِلْمَخْلَلِ (٨١٦).

(١) «معالم الإيمان» (٢/ ٢٩٨).

(٣) «الجامع» (ص ١١٦).

التَّابِعِينَ: كانوا لا يذكُرُونَ خِلافَ الصَّحَابَةِ، وَإِنَّمَا تَفَرَّغَ لِأَكْثَرِهِ أَهْلُ سَيْرٍ وَأَخْبَارِيُونَ، فَنَقَلُوا وَزَادُوا وَنَقَصُوا، وَمِنْ فَقْهِ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ قَوْلُهُ: «لَقَدْ رَأَيْتُ عَلِيًّا وَعُثْمَانَ يَسْتَبَانِ سِبَابًا مَا أَخْبَرْتُ بِهِ أَحَدًا بَعْدُ»<sup>(١)</sup>.

وقد كان أحمدُ يعتزلُ مجلسَ عبدِ الرَّزَّاقِ إذا حَدَّثَ بِأَحَادِيثِ الْخِلافِ بَيْنَ الصَّحَابَةِ، فَإِذَا انْتَهَى، رَجَعَ، وَرَبَّمَا وَضَعَ إصْبَعِيهِ فِي أُذُنَيْهِ طَوِيلًا، حَتَّى مَرَّتْ بَعْضُ الْأَحَادِيثِ، ثُمَّ يُخْرِجُهُمَا، ثُمَّ يَرُدُّهُمَا... حَتَّى مَضَتْ الْأَحَادِيثُ كُلُّهَا<sup>(٢)</sup>؛ لَا يُرِيدُ أَنْ يَلْقَى بِقَلْبِهِ شَيْءَ مِنْهَا.

وَأَكْثَرُ تِلْكَ الْأَحَادِيثِ لَيْسَ فِيهَا أَحْكَامٌ وَعَمَلٌ، وَإِنَّمَا هِيَ حِكَايَاتٌ وَأَقْوَالٌ وَأَفْعَالٌ لِقَرْنٍ فَاضِلٍ انْصَرَمَ، وَيُسْتَنْتَفَى مِنْ ذَلِكَ: مَا يَتَضَمَّنُ فَقْهًا وَحَلَالًا وَحَرَامًا، وَكَانَ أَحْمَدُ يَقُولُ: «لَا أُحِبُّ لِأَحَدٍ أَنْ يَكْتُبَ هَذِهِ الْأَحَادِيثَ الَّتِي فِيهَا ذِكْرُ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ؛ لَا حَلَالَ وَلَا حَرَامَ وَلَا سُنَنٍ»<sup>(٣)</sup>.

وَتَعَرَّضُ الصَّحَابَةُ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ، لَيْسَ كَتَعَرَّضِ غَيْرِهِمْ لَهُمْ؛ فَهَمَّ مُجْتَهِدُونَ، وَفِي مَنْزِلَةٍ وَفَضْلٍ عَالٍ، وَلَدَيْهِمْ مِنَ الْعَمَلِ الصَّالِحِ الْعَظِيمِ مِنَ صُحْبَةِ النَّبِيِّ ﷺ: مَا يُوجِبُ تَكْفِيرَ ذُنُوبِهِمْ، وَلَيْسَ لَدَى مَنْ بَعْدَهُمْ مِنَ الْحَسَنَاتِ مَا يَقْوَى عَلَى تَكْفِيرِ الْوَقِيعَةِ فِي أَعْرَاضِ الصَّحَابَةِ، إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ.

وَلَمَّا كَادَ الْوَلِيدُ أَنْ يَقَعَ فِي عَائِشَةَ، ذَكَرَهُ الزُّهْرِيُّ بِقَوْلِ أَبِي مُسْلِمٍ الْخَوْلَانِيِّ لِأَهْلِ الشَّامِ؛ لَمَّا أَرَادُوا الْوَقِيعَةَ فِي عَائِشَةَ: «أَلَا أَخْبِرُكُمْ بِمَثَلِكُمْ وَمَثَلِ هَذِهِ؟ كَمَثَلِ عَيْنَيْنِ فِي رَأْسِ يُؤْذِيَانِ صَاحِبَهُمَا، وَلَا يَسْتَطِيعُ

(١) «السُّنَّةُ» لعبدِ الله (١٢٩٧ و ١٢٩٨).

(٢) «السُّنَّةُ» للخلال (٨٠٣).

(٣) «السُّنَّةُ» للخلال (٨١١).

أَنْ يَعَاقِبَهُمَا، إِلَّا بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ لَّهُمَا»<sup>(١)</sup>.

وَالْوَقِيعَةُ فِي الصَّحَابَةِ ذَنْبٌ عَظِيمٌ، لَا يَبْتَلِي اللَّهُ بِهِ أَحَدًا إِلَّا لِسُوءِ طَوِيَّةٍ، وَقُبْحِ نِيَّةٍ، وَمَا رَأَيْنَا أَحَدًا طَعَنَ فِي أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ إِلَّا وَلَهُ خَبِيثَةٌ سُوءٌ تَخْرُجُ وَلَوْ بَعْدَ حِينٍ، لَا نَعْلَمُ الْغَيْبَ، وَلَكِنْ رَأَيْنَاهُمْ يَبْدُؤُونَ بِالطَّعْنِ فِي الصَّحَابَةِ، ثُمَّ لَا يَصْبِرُونَ، فَيُظْهِرُ اللَّهُ خَفَايَا وَمَخَازِييَ أُخْرَى، كَانُوا يُخْفَوْنَهَا؛ وَفِي هَذَا يَقُولُ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ: «مَا انْتَقَصَ أَحَدٌ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ إِلَّا لَهُ دَاخِلَةٌ سُوءٌ»<sup>(٢)</sup>.

وَعَلَى ذَلِكَ: فَيَجِبُ الْإِمْسَاكُ عَمَّا وَقَعَ بَيْنَ الصَّحَابَةِ؛ لِأَنَّهُ وَقَعَ فِي طَبَقَةٍ فَاضِلَةٍ؛ فَلَيْسَ لِلْمَفْضُولِ الْفَصْلُ بَيْنَ الْفَاضِلِينَ عَلَيْهِ فِيمَا لَا يَغْنِيهِ؛ فَإِنَّ لَهُمْ حَسَنَاتٍ لَا يَنَالُهَا مَنْ بَعْدَهُمْ يَغْفِرُ اللَّهُ لَهُمْ بِهَا بِإِذْنِهِ، وَالْوَقِيعَةُ فِيهِمْ بِالسَّبِّ وَاللَّعْنِ سَيِّئَةٌ عَظِيمَةٌ؛ حَتَّى تَصِلَ فِي بَعْضِ الْأَحْيَانِ بِصَاحِبِهَا إِلَى الْكُفْرِ، وَحِينَهَا فَلَنْ تُقَاوِمَهَا حَسَنَةٌ مِنْ حَسَنَاتِ الْمُتَأَخِّرِينَ؛ فَتَمَحُّوْهَا.

وَكَانَ مَالِكٌ يَرَى أَنَّ لَا نَصِيبَ فِي الْفِيءِ لِمَنْ سَبَّ الصَّحَابَةَ وَالتَّابِعِينَ؛ لِأَنَّ اللَّهَ ذَكَرَ الْفِيءَ وَأَهْلَهُ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿مَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ﴾ [الحشر: ٧]، إِلَى قَوْلِهِ: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ﴾ [الحشر: ١٠].

### ﴿مَنْحَانُ أَهْلِ الْمَغْرِبِ بِالصَّحَابَةِ﴾

وَلَا تَعْرِفُ بِلَادَ الْمَغْرِبِ الْوَقِيعَةَ فِي الصَّحَابَةِ وَالطَّعْنَ فِيهِمْ، وَذَكَرَ مَثَالِيهِمْ وَسَبَّهُمْ، وَكَانُوا يَعْلَمُونَ أَنَّ بِدْعَةَ الْوَقِيعَةِ فِي الصَّحَابَةِ جَاءَتْ مِنَ الْمَشْرِقِ الْأَقْصَى مِنْ بِلَادِ خُرَّاسَانَ الْعَجَمِ.

وَلَمَّا سُئِلَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي حَسَّانَ الْيَحْصِييُّ - وَهُوَ مِنْ تَلَامِيذِ مَالِكٍ -

(١) «فضائل الصحابة» لأحمد (١٦٣٠). (٢) «السُّنَّة» للخلال (٦٩٠).

عَمَّا يَقُولُهُ النَّاسُ فِي التَّفْضِيلِ بَيْنَ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ، وَالتَّفَاضُلِ بَيْنَهُمَا وَغَيْرَهُمَا؟ فَقَالَ: «لَيْسَ هَذَا دِينَ قُرَيْشٍ، وَلَا دِينَ الْعَرَبِ؛ هَذَا دِينُ أَهْلِ قَوْمٍ»<sup>(١)</sup>، وَكَانَ يَقُولُ: «وَاللَّهِ، لَا يَخْفَى عَلَيْنَا نَحْنُ مَنْ يَسْتَحِقُّ الْوَلَايَةَ بَعْدَ وَالَيْنَا، وَلَا مَنْ يَسْتَحِقُّ الْقَضَاءَ بَعْدَ قَاضِينَا؛ فَكَيْفَ يَخْفَى عَلَى أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ الْأَمْرُ بَعْدَ نَبِيِّهِمْ؟»<sup>(٢)</sup>.

وَبَنُو أُمَيَّةَ فِي الْمَغْرِبِ لَمْ يَكُونُوا يَقْعُونَ فِي عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ، مَعَ مَا يَجِدُونَهُ لِأَثَرَةِ الْمُلْكِ عَلَيْهِمْ؛ تَعْظِيمًا لِلصَّحَابَةِ، وَلِقَرَابَتِهِ خَاصَّةً. عَلَى خِلَافِ مَا يَفْعَلُهُ بَعْضُ بَنِي أُمَيَّةَ فِي الْمَشْرِقِ؛ مِنَ النِّيلِ مِنْهُ بَغْيًا ﷺ.

حَتَّى جَاءَ بَنُو عُبَيْدٍ؛ فَامْتَحَنُوا النَّاسَ فِي ذَلِكَ، وَقَتَلُوا مَنْ خَالَفَهُمْ، وَمَنَعُوا الْفَتَى بِمَذْهَبِ مَالِكٍ؛ حَتَّى كَانَ الْوَاحِدُ مِنْهُمْ يَسْتَتِرُ بِمَدْحِ الصَّحَابَةِ؛ كَاسْتَتَارِ الذَّمِّيِّ بِعِبَادَتِهِ؛ كَمَا ذَكَرَهُ الْقَاضِي عِيَاضٌ وَغَيْرُهُ<sup>(٣)</sup>، وَقَدْ قَتَلُوا خَلْقًا مِنَ الْعُلَمَاءِ، وَفَرَّ كَثِيرٌ مِنْهُمْ.

حَتَّى قَالَ أَبُو الْحَسَنِ الْقَاسِمِيُّ: «إِنَّ مَنْ قَتَلَهُمْ عُبَيْدُ اللَّهِ وَبَنُوهُ: أَرْبَعَةُ آلَافٍ بَيْنَ عَالِمٍ وَعَابِدٍ؛ مِمَّنْ يَتَرَضَّوْنَ عَنِ الصَّحَابَةِ، حَتَّى خَصَّصَ دَارًا لِلْقَتْلِ سَمَّاها: «دَارَ النَّحْرِ»، حَتَّى لُعِنَ الصَّحَابَةُ عَلَى الْمَنَابِرِ، وَانْقَطَعَ النَّاسُ عَنِ الْجُمُعَةِ بِالْقَيْرَوَانِ مُدَّةً»<sup>(٤)</sup>.

### ﴿فِتْنَةُ الرَّافِضَةِ إِذَا تَمَكَّنُوا﴾:

وَفِتْنَةُ الرَّافِضَةِ إِنْ تَمَكَّنُوا عَلَى أَهْلِ السُّنَّةِ، أَشَدُّ مِنْ فِتْنَةِ الْيَهُودِ

(١) «رياض النفوس» (٢٨٧/١)، وقد سبق قريباً.

(٢) «رياض النفوس» (٢٨٧/١ - ٢٨٨). (٣) «ترتيب المدارك» (٣٠٣/٥).

(٤) «سير أعلام النبلاء» (١٤٥/١٥).

والنصارى فيهم؛ لِمَا يَجِدُونَهُ مِنْ شَدِيدِ الْحَقْدِ وَالْغِلِّ عَلَيْهِمْ، يَكْتُمُونَهُ وَيُرْبُونَ صِغَارَهُمْ عَلَيْهِ، وَيُنْشِدُونَ الْأَشْعَارَ فِيهِ؛ حَتَّى تَمْتَلِئَ النَفُوسُ، فَيَتَرَقَّبُونَ تَمَكُّينًا، فَإِنْ تَمَكَّنُوا، بَغَوْا بَغْيًا لَا يَبْغِيهِ غَيْرُهُمْ؛ وَهَذَا مَعْرُوفٌ فِي كُلِّ زَمَنٍ؛ وَلِهَذَا لَا يَمَكَّنُونَ فِي الدُّوَلِ وَالْوِلَايَاتِ، وَمَنْ مَكَّنَهُمْ فَلَا بَدَّ أَنْ يَتَأَمَّرُوا عَلَيْهِ إِنْ كَانُوا قَلَّةً، أَوْ يَنْقَلِبُوا عَلَيْهِ إِنْ كَانُوا كَثْرَةً.

وَقَدْ قَالَ جَبَلَةُ بْنُ حَمُودٍ الصَّدْفِيُّ؛ وَقَدْ هَرَبَ مِنَ الرَّافِضَةِ فِي الرِّبَاطِ، وَنَزَلَ الْقَيْرَوَانَ، فَكُلَّمَا فِي ذَلِكَ؟ فَقَالَ: «كُنَّا نَحْرُسُ عَدُوًّا بَيْنَنَا وَبَيْنَهُ الْبَحْرُ، وَالْآنَ حَلَّ هَذَا الْعَدُوُّ بِسَاحَتِنَا؛ وَهُوَ أَشَدُّ عَلَيْنَا مِنْ ذَلِكَ»<sup>(١)</sup>.

وَكَانَ يُنْكِرُ عَلَى مَنْ خَرَجَ مِنَ الْقَيْرَوَانِ إِلَى سُوسَةَ، أَوْ نَحْوِهَا مِنَ الثُّغُورِ، وَيَقُولُ: «جِهَادٌ هَؤُلَاءِ أَفْضَلُ مِنْ جِهَادِ أَهْلِ الشُّرْكِ»<sup>(٢)</sup>.

### الطاعة لأئمة المسلمين بالمعروف:

قَالَ أَبُو أَيُّوبَ زَيْدٍ: «وَالطَّاعَةُ لِأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ؛ مِنْ وِلَاةِ أُمُورِهِمْ، وَعُلَمَائِهِمْ»:

تَوَاتَرَتْ النُّصُوصُ فِي وَجُوبِ السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ لِأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ بِالْمَعْرُوفِ، وَتَحْرِيمِ الْخُرُوجِ عَلَيْهِمْ؛ وَقَدْ قَالَ تَعَالَى: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ [النساء: ٥٩]، وَقَالَ ﷺ: (عَلَى الْمَرْءِ: السَّمْعُ وَالطَّاعَةُ فِيمَا أَحَبَّ وَكَرِهَ، إِلَّا أَنْ يُؤْمَرَ بِمَعْصِيَةٍ؛ فَإِنْ أُمِرَ بِمَعْصِيَةٍ، فَلَا سَمْعَ وَلَا طَاعَةَ)<sup>(٣)</sup>.

(١) «ترتيب المدارك» (٤/٣٧٥)، و«معالم الإيمان» (٢/٢٧٢).

(٢) «ترتيب المدارك» (٤/٣٧٦)، و«معالم الإيمان» (٢/٢٧٢ - ٢٧٣).

(٣) البخاري (٢٩٥٥)، ومسلم (١٨٣٩) من حديث ابن عمر.

ولا يجوزُ أن يَبْقَى مُسْلِمٌ بلا بَيْعَةٍ لِإِمَامٍ؛ إلا إن كان في أرضٍ ليس فيها حاكمٌ مُسْلِمٌ، أو كان فيها نزاعٌ على الولاية ولم يتمكَّن فيها أحد.

ولا يجوزُ أن يُخْرَجَ على الحاكمِ المُسْلِمِ ما لم يأت بكفرٍ بَوَاحٍ؛ وقد قال عُبَادَةُ بْنُ الصَّامِتِ رضي الله عنه: «بَايَعْنَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ؛ فِي مَنْشَطِنَا وَمَكْرَهِنَا، وَعُسْرِنَا وَيُسْرِنَا، وَأَثَرَةٍ عَلَيْنَا، وَأَلَّا نُنَازِعَ الْأَمْرَ أَهْلَهُ»، قال: (إِلَّا أَنْ تَرَوْا كُفْرًا بَوَاحًا؛ عِنْدَكُمْ مِنَ اللَّهِ فِيهِ بُرْهَانٌ) <sup>(١)</sup>.

ولا يجوزُ الخروجُ بشبهةٍ كفرٍ أو توهمٍ مكفرٍ؛ ولذا قال في الحديث: (بَوَاحًا؛ عِنْدَكُمْ مِنَ اللَّهِ فِيهِ بُرْهَانٌ).

والبَيْعَةُ؛ إنما هي للحاكمِ المُسْلِمِ بالمعروف، وأما الكافرُ: فلا تصحُّ له بَيْعَةٌ أصلاً، والطاعةُ له تكونُ بما يُقِيمُ الدنيا، وَيَحْفَظُ حُرُمَاتِ النَّاسِ وَحُقُوقَهُمْ، وما يَحْفَظُ الْعَدْلَ الَّذِي أَمَرَ اللَّهُ بِهِ.

وكان السَّلَفُ يَعِظُمُونَ أَبْوَابَ السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ لِلْأُئِمَّةِ، وَيَجْعَلُونَهَا فِي أَبْوَابِ الْعَقَائِدِ؛ لِأَنَّهَا مِنَ الْمَسَائِلِ الَّتِي خَالَفَتْ فِيهَا الْفِرْقُ الْبِدْعِيَّةُ؛ فَأَصْبَحَتْ عِلْماً وَفَارِقاً بَيْنَ أَهْلِ السُّنَّةِ وَغَيْرِهِمْ مِنَ الطَّوَائِفِ؛ كَالْخَوَارِجِ وَالْمُعْتَزِلَةِ.

### ﴿الْخُرُوجُ عَلَى الْأُئِمَّةِ وَأَحْوَالُهُ﴾

والفتنةُ بالخروجِ على أئِمَّةِ الْجَوْرِ الْمُسْلِمِينَ شَرٌّ أَعْظَمُ مِمَّا يُرْجَى دَفْعُهُ، وَالْخُرُوجُ عَلَيْهِمْ يُسَاهِلُ فِي أَوَّلِهِ، وَالشَّرُّ كَامِنٌ فِي آخِرِهِ.

(١) البخاري (٧٠٥٥)، ومسلم (١٧٠٩).



وقد كان سُحْنُونُ يُلقِّنُ ابْنَ القَصَّارِ فِي مَرَضٍ مَوْتِهِ: «أَلَّا تَخْرُجَ عَلَى الْأُمَّةِ بِالسَّيْفِ، وَإِنْ جَارُوا»<sup>(١)</sup>.

وَأَكْثَرُ مَنْ يَنْجَرُّ فِي هَذَا الْبَابِ: مَنْ يَتَوَهَّمُ نَصْرَةَ الْعَامَّةِ، وَالْعَامَّةُ يُطْلِقُونَ الْأَلْسُنَ، وَيَجْبُنُونَ عِنْدَ إِطْلَاقِ الرِّمَاحِ، وَالْعَالِمُ لَا تَخْدَعُهُ كَثْرَةُ الْعَامَّةِ عِنْدَ تَقْرِيرِ الْحَقِّ.

وقد كان ابْنُ قَرْوِخٍ قَاضِي القَيْرَوَانِ مِنْ تَلَامِذَةِ مَالِكٍ، رَأَى الْخُرُوجَ عَلَى الْعَكِّيِّ؛ حَيْثُ كَانَ رَجُلٌ سُوءٍ، وَتَوَاعَدَ ابْنُ قَرْوِخٍ مَعَ قَوْمٍ عَلَى أَنْ يَكُونَ اجْتِمَاعُهُمْ بِيَابِ ثُوْسٍ، فَذَهَبَ ابْنُ قَرْوِخٍ لِمَكَانِ الْمَوْعِدِ، وَتَخَلَّفُوا عَنْهُ؛ فَلَمْ يَأْتِ إِلَّا مُحَمَّدُ بْنُ مَنُوتَا مِنَ الْمَدِينِيِّينَ، وَابْنُ مُحَرِّزٍ الْقَاضِي مِنَ الْعِرَاقِيِّينَ، فَرَجَعَ ابْنُ قَرْوِخٍ.

وَحِينَمَا أَرَادَ الذَّهَابَ إِلَى مِصْرَ، وَشِيعَهُ النَّاسُ، التَفَّتْ إِلَى أَصْحَابِهِ، فَقَالَ: «اشْهَدُوا أَنِّي رَجَعْتُ عَمَّا كُنْتُ أَقُولُ بِهِ مِنَ الْخُرُوجِ عَلَى أُمَّةِ الْجَوْرِ، وَتَائِبٌ إِلَى اللَّهِ مِنْهُ».

وَكَانَ ابْنُ قَرْوِخٍ يَرَى الْخُرُوجَ قَبْلَ ذَلِكَ؛ إِذَا اجْتَمَعَ مِمَّنْ يَأْمُرُ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَى عَنِ الْمُنْكَرِ عِدَّةُ أَهْلِ بَدْرٍ، وَلَيْسَ كُلُّ مَنْ صَحَّ الْخُرُوجُ عَلَيْهِ تَأْصِيلًا، جَازَ عَمَلًا وَتَطْبِيقًا، حَتَّى تَكُونَ الْقُدْرَةُ وَيَغْلِبَ الظَّنُّ لَا تَوْهُمًا وَاعْتِرَازًا<sup>(٢)</sup>.

وقد رَجَعَ ابْنُ عُمَرَ عَنْ قِتَالِ نَجْدَةِ الْحُرُورِيِّ لَمَّا رَأَى الْعَامَّةَ مَعَهُ؛ حَتَّى قِيلَ لَهُ: «إِنَّ النَّاسَ لَنْ تَخْرُجَ مَعَكَ إِلَيْهِ، وَاسْتَرْكُوكَ وَحَدَّكَ»<sup>(٣)</sup>؛ مَعَ أَنَّ قِتَالَ نَجْدَةِ مَشْرُوعٌ، وَمَنْدُوبٌ إِلَيْهِ.

(١) «رياض النفوس» (١/٣٦٧ - ٣٦٨). وقد سبق.

(٢) «ترتيب المدارك» (٣/١١١ - ١١٢). (٣) «السُّنَّةُ» لعبد الله (١٥٢٨).

وَمَنْ أَجَارَتِ الشَّرِيعَةُ الْخُرُوجَ عَلَيْهِ مِنَ الْحُكَّامِ، يُشْتَرَطُ فِي ذَلِكَ: الْقُدْرَةُ، وَالْأَلَّا تَكُونَ بِالتَّوَهُّمِ، وَأَنْ يَغْلِبَ عَلَى ظَنِّهِمْ أَنَّ الْحَاكِمَ الْمَوْضُوعَ، أَفْضَلُ مِنَ الْحَاكِمِ الْمَدْفُوعِ، وَالْحَالُ اللَّاحِقَةُ، أَفْضَلُ مِنَ السَّابِقَةِ، وَكَثِيرُ مِنَ النَّاسِ يَفْكُرُونَ فِي الْخِلَاصِ مِنَ الْحَالِ، وَيَغِيبُ عَنْهُمْ الْمَالُ، وَالتَّفَكِيرُ فِي أَذَى السُّلْطَانِ الْمَوْجُودِ لَا يَنْبَغِي أَنْ يُنْسِيَ الْحَالَ بَعْدَهُ، فَإِنْ كَانَ خَيْرًا بِغَلْبَةِ ظَنٍّ مَعَ قُدْرَةٍ، جَازَ، وَهَذَا نَادِرٌ؛ فَإِنَّ مَنْ أَخَذَ الْمُلْكَ كَرَهَا، لَنْ يَتْرُكَهُ طَوْعًا إِلَّا بِمَوْتِهِ، وَبِذَلِكَ الْوُسْعِ فِي قَتْلِ النَّاسِ وَإِفْسَادِ حَيَاتِهِمْ بَعْدَهُ؛ وَلِهَذَا سَمَّى اللَّهُ زَوَالَ الْمُلْكِ: نَزْعًا؛ مُشَابِهَةً لَهُ بِنَزْعِ الرُّوحِ: ﴿وَتَنْزِعُ الْمُلُوكَ وَمَنْ نَشَاءُ﴾ [آل عمران: ٢٦].

وَيَجِبُ النَّظَرُ إِلَى صِلَاحِ الدِّينِ وَالْدُنْيَا، وَتَغْلِيْبُ صِلَاحِ الدِّينِ عَلَى صِلَاحِ الدُّنْيَا عِنْدَ التَّزَاوُلِ، فَإِنَّ الْمَرْجئَةَ مِيزَانُهُمْ صِلَاحُ الدُّنْيَا وَحَدَهَا وَلَوْ فَسَدَ الدِّينُ كُلُّهُ، وَإِنَّ الْخَوَارِجَ مِيزَانُهُمْ صِلَاحُ الدِّينِ وَحَدَهُ وَلَوْ فَسَدَتِ الدُّنْيَا كُلُّهَا، فَلَا يَفْرُقُونَ بَيْنَ حِفْظِ أَصْلِ الدِّينِ وَبَيْنَ حِفْظِ فُرْعِهِ، وَلَا بَيْنَ إِضَاعَةِ أَصْلِ الدُّنْيَا وَبَيْنَ إِضَاعَةِ فُرْعِهَا، فَإِنَّ لِلدُّنْيَا أَصْلًا لَا يَقُومُ الدِّينُ إِلَّا بِهِ، وَإِنْ لَهَا فُرْعًا لَا يَضِيْعُ الدِّينُ لِأَجْلِهِ.

وَقَدْ قَالَ ابْنُ أَبِي زَيْدٍ فِي «الْجَامِعِ»: «وَكُلُّ مَنْ وَلِيَ أَمْرَ الْمُسْلِمِينَ عَنْ رِضَا أَوْ عَنْ غَلْبَةٍ؛ فَاشْتَدَّتْ وَطْأَتُهُ مِنْ بَرٍّ أَوْ فَاجِرٍ -: فَلَا يُخْرِجُ عَلَيْهِ، جَارَ أَوْ عَدَلًا، وَيُعْزِي مَعَهُ الْعَدُوَّ، وَيُحِجُّ الْبَيْتَ، وَدَفَعُ الصَّدَقَاتِ إِلَيْهِمْ مُجْزِيَةً إِذَا طَلَبُوهَا، وَتَصَلَّى خَلْفَهُمُ الْجُمُعَةَ وَالْعِيدَانِ»<sup>(١)</sup>.

(١) «الجامع» (ص ١١٦).

## ﴿ نَصْحُ الْأَئِمَّةِ ﴾

وَيَجِبُ مَعَ السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ: النَّصْحُ لِأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ بِعِلْمٍ وَحِكْمَةٍ، وَلَا يَلْزَمُ مِنْ مَنَعِ الْخُرُوجِ عَلَيْهِمْ فِي النُّصُوصِ: تَرْكُ النِّكَيرِ عَلَيْهِمْ بِالْقِسْطِ.

وَالْفَرْقُ بَيْنَ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْمَرْجِيَّةِ فِي هَذَا الْبَابِ: أَنَّ أَهْلَ السُّنَّةِ يَرَوْنَ الْإِنْكَارَ عَلَى مَنْ جَارَ مِنَ الْأَئِمَّةِ عَلَى حَقِّ اللَّهِ وَحَقِّ الْمُسْلِمِينَ، وَلَا يَتَّخِذُونَ الْإِصْلَاحَ بَابًا لِلْخُرُوجِ، وَأَمَّا الْمَرْجِيَّةُ: فَيَتَّخِذُونَ خَوْفَ الْفِتْنَةِ بَابًا لِإِغْلَاقِ الْإِنْكَارِ عَلَى الْأَئِمَّةِ.

وَالْإِصْلَاحُ يَكُونُ بِعِلْمٍ وَحِكْمَةٍ وَعَدْلٍ، وَلَا يَكُونُ بِذِكْرِ مَا يُخْفِيهِ الْأَئِمَّةُ مِنْ عِيُوبٍ وَذُنُوبٍ تَخُصُّهُمْ، وَلَا تُتَّبَعُ زَلَّاتُهُمْ، وَلَا تُذَكَّرُ عِنْدَ مَنْ لَا تَغْنِيهِ تِلْكَ الزَّلَّاتُ؛ فَتِلْكَ لَا تَكُونُ إِلَّا مِنْ أَهْلِ الْهَوَى وَالْغِلِّ، وَيَتَوَهَّمُونَهُ إِصْلَاحًا.

## وَجَوْرُ أَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَظُلْمُهُمْ وَأَخْطَاؤُهُمْ عَلَى نَوْعَيْنِ:

النَّوْعُ الْأَوَّلُ: مَا يَخُصُّهُمْ مِنْ تَقْصِيرٍ فِي حَقِّ اللَّهِ بِفَعْلٍ الْمَحْرَمِ، وَتَرْكِ الْوَاجِبِ، وَلَا يَدْعُونَ إِلَيْهِ الْعَامَّةُ، وَلَا يَشْرَعُونَهُ فِيهِمْ:

فَهَذَا يُشْرَعُ إِنْكَارُهُ عَلَيْهِمْ عِنْدَ الْعِلْمِ بِهِ، وَيَكُونُ بَيْنَ الْمُصْلِحِ وَبَيْنَهُمْ؛ لِأَنَّهُ خَاصٌّ لَا عَامٌّ، وَكُلُّ حَاكِمٍ مُسْلِمٍ، فَلَعَرَضِيَّةُ حُرْمَةٍ كَالْمُسْلِمِينَ بَلْ أَشَدُّ، وَلَا تَجُوزُ إِلَّا بِشُرُوطِهَا الْمَعْرُوفَةِ.

وَمَنْ خَشِيَ أَذَى السُّلْطَانِ وَضَرَرَهُ فِي هَذَا الْبَابِ، جَازَ لَهُ تَرْكُ نَصْحِهِ؛ لِأَنَّ ضَرَرَهُ خَاصٌّ بِفَاعِلِهِ، لَا عَامٌّ لِلنَّاسِ، وَالْأَذْيَةُ فِيهِ مُضَرَّةٌ بِالْعَالِمِ، وَمَصْلَحَةُ النَّاسِ بِالْعَالِمِ عَامَّةٌ؛ وَمِنْ هَذَا قَوْلُ مَالِكٍ: «أَدْرَكْتُ

سَبْعَةَ عَشَرَ تَابِعِيًّا؛ فَمَا سَمِعْتُ أَنَّهُمْ قَامُوا إِلَى إِمَامٍ جَائِرٍ يَعْظُونَهُ»<sup>(١)</sup>.  
وَكَانَ حَمْدِيسُ مِنْ أَصْحَابِ سُخُنُونٍ يُسْأَلُ عَنِ الْإِمَامِ الَّذِي يَعْمَلُ  
بِالْمَعْصِيَةِ: أَكُنْتُ تَأْمُرُهُ وَتَنْهَاهُ؟ قَالَ: «لَا»؛ وَاحْتَجَّ بِقَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ:  
«لَا يَنْبَغِي لِلْمُؤْمِنِ أَنْ يُدِلَّ نَفْسَهُ»، قِيلَ: كَيْفَ يُدِلُّ نَفْسَهُ؟ قَالَ ﷺ:  
(يَتَعَرَّضُ مِنَ الْبَلَاءِ مَا لَا يُطِيقُ)<sup>(٢)</sup>، ثُمَّ ذَكَرَ عَنْ مَالِكٍ قَوْلَهُ السَّابِقَ<sup>(٣)</sup>.

وَهَذَا لَيْسَ فِي تَرْكِ نَصْحِ الْأَثَمَةِ بِكُلِّ حَالٍ، وَإِنَّمَا مَرَادُهُ مَا خَصَّصَهُمْ  
مِنْ ذُنُوبٍ، وَقَدْ قِيلَ لِحَمْدِيسٍ: «فَلَوْ أَنَّ إِمَامًا دَعَا إِلَى بِدْعَةٍ، وَأَمَرَ بِهَا؟  
قَالَ: نُجَاهِدُهُ»<sup>(٤)</sup>؛ يَعْنِي: لَا نَدْعُهُ، بَلْ يُجَاهَدُ حَسَبَ مَقْدَارِ الْبِدْعَةِ  
الْوَاقِعَةِ مِنْهُ عَلَى الْمَرَاتِبِ الْمَشْرُوعَةِ؛ مَا لَمْ تُخْرِجْهُ الْبِدْعَةُ مِنَ الْإِسْلَامِ؛  
فِيُجَاهَدُ بِاللِّسَانِ مَعَ الْعَدْلِ، وَمَا أَخْرَجَتْهُ مِنَ الْإِسْلَامِ، فَيُجَاهَدُ بِالْيَدِ مَعَ  
الْقُدْرَةِ.

النَّوْعُ الثَّانِي: جَوْرُهُ وَظُلْمُهُ الْمُتَعَدِّي مِنْ نَفْسِهِ إِلَى غَيْرِهِ:

فَيُتَصَرُّ لِلظَّالِمِ عِنْدَهُ بِنَصِيحِهِ، وَعِنْدَ الْمَظْلُومِ بَيَانِ حَقِّهِ لَهُ بِعَدْلٍ.  
وَإِنْ كَانَ ظُلْمُهُ فِي حَقِّ اللَّهِ وَإِظْهَارِ الشَّرِّ وَالْمُنْكَرِ، وَدَعْوَةِ النَّاسِ  
إِلَيْهِ، فَهَذَا يَقْتَضِي أَنَّ عَلَى الْقَادِرِ بَيَانَ الْمُنْكَرِ وَحُدُّهُ فِي الشَّرِيعَةِ عِنْدَ مَنْ  
أَخَذَ بِقَوْلِ السُّلْطَانِ؛ فَلِلْعَامَّةِ تَأَثُّرٌ بِتَقْلِيدِ السُّلْطَانِ وَمَحَاكَاتِهِ، وَيَكُونُ ذَلِكَ  
بَيَانِ الْمُنْكَرِ وَمَنْزِلَتِهِ فِي الشَّرِيعَةِ.

وَلَا يَلْزَمُ مِنْهُ تَسْمِيَةُ السُّلْطَانِ؛ لِأَنَّ اللَّهَ أَمَرَ بِإِزَالَةِ الْمُنْكَرِ، لَا بِتَعْيِينِ  
فَاعِلِيهِ، وَقَدْ يَكُونُ فِي تَعْيِينِ فَاعِلِيهِ مِنَ الْفِتْنَةِ لَهُمْ مَا يَدْفَعُهُمْ لِلْإِسْتِمْسَاكِ

(١) «رياض النفوس» (٤٨٩/١).

(٢) الترمذي (٢٢٥٤)، وابن ماجه (٤٠١٦) من حديث حذيفة.

(٣) «رياض النفوس» (٤٨٩/١). (٤) الموضع السابق.

بالشرِّ وتشريعهِ؛ فيكونُ الْمُصْلِحُ في مِثْلِ هذهِ الحالِ عَظَمَ فسادُ الحاكِمِ ووسَّعهُ، ولم يُضِعْهُ وِضِيقُهُ.

وهذا كُلُّهُ يُنْظَرُ فِيهِ: الزَّمانُ، وتغيُّرُ الحالِ، ومآلاتُ الأمورِ وتقديرُها، وعِظَمُ الشرِّ والخيرِ مِنَ الجَهِتَيْنِ زيادَةً ونقصًا، وأحوالُ السلاطينِ، ونَوْعُ مُنْكَرِهِمْ وَقَدْرُهُ، وَسَعَةُ أَخْذِ النَّاسِ بِهِ وَضِيقُهُ.

وهذا البابُ مِنْ أَحْوَجِ الأبوابِ للسياسةِ الشرعيَّةِ، وكثيرًا ما تَوَثَّرَ فِيهِ طَبَائِعُ النُّفُوسِ وهواها على العَدْلِ والإنصافِ بينِ أَرْبَعَةِ حَقُوقٍ: حَقُّ الحاكِمِ، وحَقُّ الناصِحِ، وحَقُّ المحكومِ، وحَقُّ اللهِ.

### ❦ الخطأُ في نصوصِ السَّمْعِ والطاعةِ:

وَعَدَمُ العَدْلِ في نصوصِ السَّمْعِ والطاعةِ قد يَدْخُلُ على طائفتَيْنِ مِنَ المتدبِّئَةِ:

طائفةٌ: تَأْخُذُ نصوصَ التحذيرِ مِنَ الدخولِ على السُّلْطَانِ وإمامِ الجَوْرِ المُسْلِمِ وما جاءَ في دَمِّهِ، فَتَقَعُ في المحظورِ مِنْ جِهَةِ استحلالِ ما حَرَّمَ اللهُ مِنْ عِرْضِهِ، وَهَتَكَ سِتْرِهِ، والنُّفْرَةَ مِنْ نصوصِ السَّمْعِ والطاعةِ ولزومِ الجماعةِ، والزُّهْدِ فِيهَا، والاقتصارِ على نصوصِ المنابَذَةِ والمجاهدةِ.

وطائفةٌ: تَأْخُذُ نصوصَ السَّمْعِ والطاعةِ والصبرِ على إمامِ الجَوْرِ المُسْلِمِ وَمَنْعَ الخروجِ عليه، فَتَقَعُ في المحظورِ مِنْ جِهَةِ تعظيمِهِ وإطرائِهِ وَمَدْحِهِ بما لَا يَسْتَحِقُّهُ - أو يَسْتَحِقُّهُ، لَكِنَّهُ يَغْرُهُ وَيُفْسِدُهُ وَيُطْغِيهِ - والزهدِ في نصوصِ النَّصِيحِ لَهُ، والاقتصارِ على نصوصِ السَّمْعِ والطاعةِ.

والمُرْجِئَةُ: يُوَالُونَ مَنْ كانَ شَدِيدَ الوَلَاءِ للسلطانِ، ولو كانَ شَدِيدَ العداءِ لله وَدِينِهِ.

وأهل السنة: جعلوا الولاء للإمام تحت الولاء لله؛ كما قال الله عن بيعة الصحابة لنبيه ﷺ - وهو معصوم -: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ﴾ [الفتح: ١٠]، وجعل النبي ﷺ الطاعة بالمعروف لا في معصية الله في أحاديث متواترة.

وربما يبلغ بعض غلاة المرجئة: بغض من يبغضه السلطان، وحُب من يحبه، وقد يبلغ بعضهم عقد الولاء والبراء على السلطان مبلغاً أعظم من عقده الله، ولو لم يظهر ذلك من قولهم، فربما ظهر من فعلهم؛ فيوالون من والى الحاكم ولو عادى الله بالزندقة والمجون، موالاة أكبر من الولاء لمن عادى السلطان ونابذته - سواء كان موصياً أو مخطئاً - ولو كان من أهل الولاية لله بالعلم والديانة، وقد كان ابن أبي دؤاد يوالي الجاحظ؛ لكونه يوافق السلطان، ويعادي أحمد بن حنبل؛ لأنه يخالفه.

مع كون الجاحظ - مع أدبه وبلاغته - متهماً بالزندقة، وقد ذمه تلميذه ابن قتيبة ووصفه بأنه من أكذب الأمة، وأوضعهم لحديث، وأنصرهم لباطل<sup>(١)</sup>، وأنه لا يصلي ولا يصوم، وقال بعذر عوام اليهود والنصارى والمجوس<sup>(٢)</sup>، وكفر بعض أقواله جماعة؛ كالباقلاني، وابن قدامة<sup>(٣)</sup>.

ومع هذا يعادون أحمد بن حنبل، ويقربون الجاحظ، ويلبسون معه؛ لأن ولائهم ليس لله؛ وإنما لما عليه السلطان، وإذا كان العالم كيتاً مع زنديق، وشديداً على عالم مجتهد، فتلك من أظهر علامات الهوى، ولو سؤد الصحف بنصوص السنة والأثر!

(١) «تأويل مختلف الحديث» (ص ٥٩ - ٦٠).

(٢) «الفصل» (١٤٨/٤).

(٣) «روضة الناظر» (٢/ ٣٥٠ - ٣٥١).

وَرُبَّمَا فُسِّرَ بَعْضُهُمُ الْفِتْنَةُ بِمَقْدَارٍ مَا يُسَخِّطُ الْحَاكِمَ، لَا بِمَقْدَارٍ مَا يُسَخِّطُ اللَّهَ؛ فَيَتَنَاقَضُونَ فِي تَقْدِيرِ أَشْيَاءٍ مُتَسَاوِيَاتٍ، بَلْ يَعْكِسُونَ الْمُتَبَايِنَاتِ، فَرُبَّمَا هَانَ فِي أَنْفُسِهِمْ مَا أَسَخَطَ اللَّهَ، وَعَظُمَ فِيهَا مَا أَسَخَطَ السُّلْطَانَ.

وَصِلَةُ الْمَحْكُومِ بِالْحَاكِمِ تَوَثَّرَ فِيهَا الْعِلَلُ النَّفْسِيَّةُ وَالْأَطْمَاعُ بِطَرَفَيْهَا:  
الإفراط والتفريط:

فمنها: نفوسٌ تُحِبُّ التَذَلُّلَ وَالْعُلُوَّ بِتَعْظِيمِ رُؤُوسِ النَّاسِ، وَرُبَّمَا يَكْسُونَ عِلَّتَهُمُ النَّفْسِيَّةَ وَأَطْمَاعَهُمُ بِالذِّينِ وَالِاسْتِدْلَالِ بِأَدَلَّتِهِ، وَهَذَا يُوجَدُ فِي كُلِّ مِلَّةٍ قَدِيمًا وَحَدِيثًا؛ لِأَنَّ اللَّهَ عَظُمَ الْاجْتِمَاعَ لِمَصَالِحِ النَّاسِ، فَرَأَوْا أَنَّ هُنَاكَ رِعَايَةً إِلَهِيَّةً لِلْمُلُوكِ، وَلَيْسُوا مُحَلًّا لِتَقْوِيمٍ وَلَا اعْتِرَاضٍ مِنْ أَحَدٍ؛ لِأَنَّ لَهُمْ تَفْوِضًا إِلَهِيًّا؛ كَمَا عِنْدَ الرُّومَانِ وَالْيُونَانِ! وَفِي الْيَابَانِ: يَرَوْنَ الْمِيكَادُو (الْمَلِكُ) هُوَ اللَّهُ! وَفِي الْهِنْدِ: يَرَوْنَ أَنَّ لِلْمُلُوكِ سُلْطَةً مِنَ الْإِلَهِ الْأَكْبَرِ (بَرَاهِمَا)! وَنَحْوُهُمُ الصِّينِيُّونَ، وَفِي مِصْرَ: اعْتَقَدَ الْفِرَاعِيَّةُ الْمَلِكِيَّةُ الْإِلَهِيَّةَ<sup>(١)</sup>

وَيَسْتَغْلُّ النُّصُوصَ السَّمَاوِيَّةَ فِي السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ سَلَاطِينُ وَأَتْبَاعُ لَهُمْ يَرَوْنَ طَاعَتَهُمْ دِينًا بِلَا اسْتِثْنَاءٍ؛ كَالْحَجَّاجِ بْنِ يُونُسَ فِي الْإِسْلَامِ، وَكَانَ حَسَّانُ أَبُو الْمُنْذِرِ حَجَّاجِيًّا؛ يَقُولُ: «مَنْ خَالَفَ الْحَجَّاجَ، فَقَدْ خَالَفَ الْإِسْلَامَ»<sup>(٢)</sup>.

(١) انظر: «الموسوعة الميسرة» (٢/٧٣٢، ٩٨٥)، و«النظام الدستوري في اليابان» (ص ٥٥)، و«نظرية الدولة» (ص ٤٧).

(٢) «الثقات» لابن حبان (٥/٤٢١).

وهذا في النصارى كذلك؛ فقد ذكرَ لُويس الرابعَ عشرَ في «مذكراته»: «أنَّ سُلْطَةَ الملوكِ مستمدَّةٌ مِن الله، وهم مسؤولونَ أمامَهُ وحدهُ، لا مِن الشَّعبِ، وكان يقولُ: «الْمَلَكِيَّةُ وَكَالَةُ إِلَهِيَّةٍ! وبنحوه يقولُ لُويس الخامسَ عشرَ<sup>(١)</sup>، وكذلك عُليُّومُ الثاني قيصرُ ألمانيا<sup>(٢)</sup>.

ويقابلُ تلكَ النفوسَ: نفوسٌ تُحبُّ المخالفةَ وإظهارَ الشجاعةِ والقُوَّةَ والتمردَ تُجاءَ كُلُّ رأسٍ في الناسِ، وربما يَكْسُونَ عِلَّتَهُمُ النَّفْسِيَّةَ بالدينِ والاستدلالِ بأدلتِهِ؛ وهذا - كذلك - يُوجَدُ في كُلِّ مِلَّةٍ، تَحْمِلُ شجاعةُ الإنسانِ وَحُبُّ الظهورِ والذُّكْرِ وَحَمْدِ الناسِ: على الجُرْأَةِ على الحُكَّامِ في كُلِّ صغيرة وكبيرة، وإِسماعِ الناسِ ما يريدونَ؛ كما يُذكرُ أنَّ فَاكِهَةَ مجالسِ العامَّةِ الكلامِ في السلاطينِ، وتَحْمِلُهُ شجاعتهُ لاستدعاءِ مصالحِ الخروجِ وأدلتِهِ وغيابِ مفاصلِهِ وأدلتِها، وتحضُّرُ في نَفْسِهِ البداياتِ، وتَغِيْبُ عنها النِّهاياتِ؛ فقد يُبتَلَى الإنسانُ بالشجاعةِ في غيرِ موضعِها؛ كما يُبتَلَى بالجُبْنِ في غيرِ موضعِهِ، ويَجِبُ على العاقلِ أن يجاهدَ نَفْسَهُ قبلَ أن يجاهدَ بها غيره، وإذا اجتمعَ في الإنسانِ العِلْمُ والتجرُّدُ، أصابَ الحقُّ.

والناسُ في حاجةٍ إلى عالمٍ متجرَّدٍ، لا إلى متجرَّدٍ جاهلٍ، ولا إلى عالمٍ يَخَافُ وَيَطْمَعُ؛ فالعالمُ بلا تجرُّدٍ يعطِّلُ الأُمَّةَ بإحجامِهِ، والمتجرَّدُ بلا عِلْمٍ يَهْلِكُ الأُمَّةَ بإقدامِهِ، وأعظَمُ الشرورِ تأتي إذا قاد الناسَ جاهلٌ غيرُ متجرَّدٍ!

(١) Barthelemy and duez, deals Ele stration of Constitutional Law, Paris, 1933, p.65.

(٢) في خطابٍ ألقاه عام ١٩١٠م.



### ﴿ ابتلاء المصلح: ﴾

وقد يُتَلَى العالمُ المصلِحُ بالمحرَّشِينَ بينه وبين السُّلْطَانِ، ويستَغْلُونُ خلافَهُ مع السُّلْطَانِ في بابٍ، فَيَجْعَلُونَهُ في كُلِّ الأبوابِ؛ كما ابتُلِيَ أحمدُ بنُ حَنْبَلٍ لَمَّا كانتِ فِتْنَةُ خَلْقِ الْقُرْآنِ؛ فَقَدْ وَشَى به قومٌ - منهم ابنُ الثَّلْجِيِّ - عندَ الخليفةِ: أَنَّهُ لَا يَرَى البَيْعَةَ، وَيُؤْوِي في بَيْتِهِ عُلُوِيَّيْنِ لَا يَرَوْنَ بَيْعَةَ لِلْعَبَّاسِيِّينَ؛ فَبَعَثَ السُّلْطَانُ إِلَيْهِ، فَاسْتَحْلَفَهُ بِاللَّهِ وَبِالطَّلَاقِ، فَحْلَفَ، وَلَمْ يَقْنَعْ الخليفةُ، وجاءَ برَجُلَيْنِ وامرأتَيْنِ يَفْتِشُونَ بَيْتَهُ وَبَيْتَ ابْنِهِ صَالِحٍ - حَتَّى النِّسَاءَ وَالْعَوْرَاتِ - يَبْحَثُونَ عَمَّنْ يَعْبُثُهُ مِنْ طَلِيَةِ الخليفةِ<sup>(١)</sup>.

وكثيرًا ما يدخلُ أمثالُ هؤلاءِ على السُّلْطَانِ مِنْ بابِ خَوْفِهِ على مُلْكِهِ؛ فيكونُ أَسْرَعَ تصديقًا للظنونِ والأوهامِ.

### ﴿ تجرُّد المصلح: ﴾

وَيَجِبُ أَنْ يَكُونَ العالمُ عَدْلًا في مَصَالِحِ النَّاسِ، فَلَا يَحْمِلُهُ كُرْهُ الحَاكِمِ وَلَا حُبَّهُ على إِضَاعَةِ مَصَالِحِ الْمُسْلِمِينَ التي بَيْنَ يَدَيْهِ، وَأَنْ يَكُونَ رَأْيُهُ في الشَّدَائِدِ حِفْظًا لِلْإِسْلَامِ وَالْمُسْلِمِينَ، لَا تَشْفِيًا مِنْهُ، وَلَا طَمَعًا فِيهِ.

فَقَدْ وَجَدَ أحمدُ مِنَ المَأْمُونِ والمُعْتَصِمِ شَرًّا عَظِيمًا في دِينِهِ وَدُنْيَاهُ: بِحَبْسِهِ وَضَرْبِهِ وَحَمْلِ النَّاسِ على الْقَوْلِ بِخَلْقِ الْقُرْآنِ، وَلَمَّا ظَهَرَتِ الحُرْمِيَّةُ بِقِيَادَةِ الرُّنْدِيقِ بَابَكَ الحُرْمِيِّ، كَتَبَ أحمدُ إِلَى الْعُلَمَاءِ وَالْوَلَاةِ - كَكِتَابِهِ لَابْنِ المَدِينِيِّ، وَوَالِي البَصْرَةِ - يَسْتَحِثُّهُمْ على قِتَالِ بَابَكَ، وَأَنْ يَحْثُوا مَنْ حَوْلَهُمْ على ذَلِكَ<sup>(٢)</sup>.

وقد كان من قادة الجيشِ ضدَّ بابك: إسحاق بن إبراهيم والي شُرطة بغداد، وجَلَّادُ أحمد<sup>(١)</sup>؛ لأنَّ شرَّ بابك على المسلمين أعظمُ من شرِّ المأمون والمعتصم؛ وهذا من فقه أحمد وتجرده وصدقُه.

### ❦ فضل السلف وأتباعهم:

❦ قَالَ ابْنُ أَبِي زَيْدٍ: ﴿وَاتَّبَاعُ السَّلَفِ الصَّالِحِ، وَافْتِئَاءُ آثَارِهِمْ، وَالِاسْتِعْقَارُ لَهُمْ﴾.

السلف الصالح هم الصِّدْرُ الأوَّلُ وما اتَّصَلَ بهم: الصحابةُ والتابعون وأتباعهم، وسُمُّوا سَلَفًا؛ لأنَّهم بالنسبة لمن جاء بعدهم: سَالِفُونَ، وَمَنْ بعدهم: خَالِفُونَ، وسُمُّوا بالصالحين؛ لَعَلَّبة الصلاح عليهم، وعلى زَمَانِهِمْ.

وقد يكونُ السلفُ اسمًا نسبيًا بحسبِ الزمان؛ فالصحابةُ سَلَفٌ بالنسبة للتابعين، والتابعون خَلَفٌ بالنسبة للصحابة، وهكذا بالنسبة للتابعين مع أتباعهم، وأتباعِ الأتباعِ مع أتباعِ التابعين.

ويَغْلِبُ إطلاقُ السلفِ الصالحِ على أصحابِ القرونِ المفضَّلة، وخاصَّةً الطبقتين: الصحابةُ والتابعين، وكلُّ طبقةٍ منهم يعظُمُ اللاحقُ منهم السابق؛ فالصحابةُ يتبايئون في الفضلِ، ومثلهم التابعون وأتباعهم، وقد جاء في الحديث؛ قال ﷺ: (خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ)<sup>(٢)</sup>.

(١) «السُّنَّة» للخلال (١/ ١٢٠ - ١٢٤).

(٢) سبق تخريجه.

## سَبَبُ تَفْضِيلِ السَّلَفِ :

وَعِلَّةُ التَّفْضِيلِ لَيْسَتْ لِمَجْرَدِ احْتَوَاءِ الزَّمَانِ، وَإِنَّمَا لِقُرْبِهِمْ مِنَ الْعَهْدِ الْأَوَّلِ، وَنَزُولِ الْوَحْيِ، وَأَقْرَبُهُمْ إِلَيْهِمْ أَفْضَلُهُمْ غَالِبًا؛ وَإِلَّا فَفِي زَمَانِهِمْ مِنَ الْكُفَّارِ وَالْمُنَافِقِينَ وَالْعَصَاةِ مَا هُوَ مَعْلُومٌ، وَلَكِنْ مَنْ قَامَ بِالذِّينِ مِنْهُمْ وَالْحَقِّ، فَهُوَ أَصَحُّ قَوْلًا، وَأَصَوَّبُ عَمَلًا، وَأَصْدَقُ نِيَّةً؛ لَطَهَارَةِ قُلُوبِهِمْ، وَصِحَّةِ لِسَانِهِمْ، وَقُرْبِهِمْ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ وَعَهْدِهِ؛ فَلَمْ يَتَبَاعَدْ بِهِمُ الْعَهْدُ حَتَّى يَقَعَ الْخِلَافُ وَالْفِتْنَةُ؛ كَمَا وَقَعَ فِيمَنْ جَاءَ بَعْدَهُمْ.

فَالْخِلَافُ كَانَ زَمَنَ الصَّحَابَةِ أَضْيَقَ مِنْهُ فِي زَمَنِ التَّابِعِينَ، وَهُوَ فِي زَمَنِ التَّابِعِينَ أَضْيَقُ مِنْهُ فِي زَمَنِ الصَّحَابَةِ، وَهَكَذَا، وَمَنْ نَظَرَ فِي كِتَابِ فَقِهِ السَّلَفِ، وَجَدَ ذَلِكَ ظَاهِرًا، وَلَا يَعْنِي ذَلِكَ سُوءَ الْقَصْدِ، وَلَكِنَّهُ بُعْدُ الْعَهْدِ.

وَقَدْ قَرَنَ النَّبِيُّ ﷺ ذَهَابَ الصَّحَابَةِ وَأَثَرَهُ عَلَى مَنْ بَعْدَهُمْ، بِذَهَابِهِ وَأَثَرِهِ عَلَى الصَّحَابَةِ؛ فَقَالَ ﷺ: (أَنَا أَمْنَةٌ لِأَصْحَابِي؛ فَإِذَا ذَهَبْتُ، أَتَى أَصْحَابِي مَا يُوعَدُونَ، وَأَصْحَابِي أَمْنَةٌ لِأُمَمِي؛ فَإِذَا ذَهَبَ أَصْحَابِي، أَتَى أُمَمِي مَا يُوعَدُونَ)<sup>(١)</sup>.

وَذَلِكَ الْاقْتِرَانُ لِبَيَانِ أَنَّ الْعِلَّةَ فِي الْأَمَانِ هِيَ الْقُرْبُ مِنَ الْوَحْيِ وَالْإِعْتَصَامُ بِهِ؛ فَلَا أَعْظَمَ وَأَشَدَّ قُرْبًا مِنْ رَبِّهِ كَالنَّبِيِّ ﷺ، ثُمَّ يَلِيهِ أَصْحَابُهُ؛ فَكَانَ الْأَمَانُ لِلصَّحَابَةِ وَالْأُمَّةُ بِالنَّبِيِّ ﷺ أَعْظَمَ مِنْ غَيْرِهِ، وَالْأَمَانُ بِالصَّحَابَةِ لِلتَّابِعِينَ وَالْأُمَّةُ أَعْظَمُ مِنْ غَيْرِهِمْ مِمَّنْ جَاءَ بَعْدَهُمْ.

(١) مسلم (٢٥٣١) من حديث أبي موسى.

## ﴿ نعظيم فقه الصحابة ﴾

وكلُّ سنةٍ لا تنتهي إلى الصحابة يُتوقَّف فيها؛ فهم أعلمُ الناسِ بالنبِيِّ ﷺ وسُنَّته، والناسخ والمنسوخ من شريعته، فإذا دَلَّ الحديثُ على تشريع، ودَلَّ الدليلُ على تركِ الصحابة له، فليس لأحد أن يتعبدَ به، ليس لأنَّ منزلَتَهُم أرفعُ من الوحي، ولا من النبي ﷺ، ولكنَّ لأنَّ منزلَتَهُم وفَهَمَهُم أعظمُ من منزلة من بعدهم وفَهَمِهِ.

وقد كان الأئمة يشددون في مخالفة قول الصحابة وفَهَمِهِم للسنة، ولو كان المخالف لهم من التابعين؛ كما كان ينصُّ على ذلك مالك، وأحمد، وغيرهما، وقد قال الهيثم بن جميل: «قلتُ لمالك بن أنس: يا أبا عبد الله، إنَّ عندنا قوماً وضَّعوا كُتُباً يقول أحدهم: حدَّثنا فلان، عن فلان، عن عمر بن الخطاب، بكذا، وحدَّثنا فلان، عن إبراهيم، بكذا، ونأخذ بقول إبراهيم؟ قال مالك: صحَّ عندهم قولُ عمر؟ قلتُ: إنما هي رواية؛ كما صحَّ عندهم قولُ إبراهيم؟ فقال مالك: هؤلاء يُستتابون»<sup>(١)</sup>.

وإذا صحَّ إجماعُ الصحابة، فلا تجوزُ المنازعةُ في ذلك؛ فالإجماعُ إجماعُهم، ومن بعدهم تبعٌ لهم؛ كما قاله أحمد<sup>(٢)</sup>.

وإنَّ قال واحدٌ من الصحابة قولاً، واشتهر ولم يُخالف، فلا يُخرَج عنه، خاصَّةً في العبادات<sup>(٣)</sup>.

(١) «الإحكام» لابن حزم (١٢٠/٦ - ١٢١).

(٢) «اعتقاد الإمام أحمد بن حنبل» (ص ٧٥).

(٣) «المعتمد» (٢/٢٦٦)، و«الإحكام» لابن حزم (٤/٦١٥)، و«إحكام الفصول» (ص ٤٠٧).

وَإِذَا ثَبَتَ إِجْمَاعُ التَّابِعِينَ، فَلَا يَجُوزُ الْخُرُوجُ عَنْ ذَلِكَ<sup>(١)</sup>.

وَأَنَّ قَالَ وَاحِدٌ مِنْهُمْ بِقَوْلٍ، فَلَا أَمْرٌ فِيهِ سَعَةٌ، فَأَمْرُهُمْ لَيْسَ كَأَمْرِ الصَّحَابَةِ، إِلَّا أَنَّ قَوْلَ الْوَاحِدِ مِنْهُمْ الَّذِي لَا يُخَالِفُ فِيهِ، فَلَا أَصْلَ: أَنَّهُ أَخَذَهُ مِنْ صَحَابِيٍّ، وَلَوْ لَمْ يَذْكُرْهُ، وَقَدْ نَصَّ عَلَى هَذَا أَحْمَدُ.

### ❦ الاستدلالُ بحديثِ يَخَالِفُ الصَّحَابَةَ:

وَلَا يَجُوزُ لِأَحَدٍ مِنَ الْمَتَأَخِّرِينَ أَنْ يَسْتَنْبِطَ مِنْ نَصِّ سُنَّةِ تَخَالِيفِ قَوْلِ أَهْلِ الصِّدْرِ الْأَوَّلِ، وَقَدْ كَانَ التَّابِعُونَ وَأَتْبَاعُهُمْ - مَعَ قُرْبِ عَهْدِهِمْ - يَعْظُمُونَ أَقْوَالَ الصَّحَابَةِ، وَفَهْمَهُمُ لِلْوَحْيِ، وَيَقْدُمُونَهُ عَلَى فَهْمِهِمْ؛ لِتَزْكِيَةِ اللَّهِ لَهُمْ، وَقُرْبِ عَهْدِهِمْ، وَصِدْقِهِمْ، وَسَلَامَةِ قُلُوبِهِمْ؛ فَلَا يُمَكِّنُ أَنْ يَقُولُوا بِقَوْلٍ يُخَالِفُ النَّصَّ، فَضْلًا عَنْ أَنْ يُجْمِعُوا عَلَيْهِ؛ قَالَ النَّخَعِيُّ: «لَوْ رَأَيْتُ الصَّحَابَةَ يَتَوَضَّؤُونَ إِلَى الْكُوعَيْنِ، لَتَوَضَّأْتُ كَذَلِكَ، وَأَنَا أَقْرَأُهَا: ﴿إِلَى الْمَرَاغِقِ﴾ [المائدة: ٦]»<sup>(٢)</sup>.

وَذَلِكَ لِأَنَّهُمْ لَا يُتَّهَمُونَ فِي تَرْكِ السُّنَنِ الثَّابِتَةِ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ لَعَلَّهُمْ وَحَرَصَهُمْ وَوَرَعَهُمْ؛ فَلَا يَظُنُّ ذَلِكَ بِهِمْ أَحَدٌ إِلَّا وَهُوَ مَتَّهَمٌ فِي دِينِهِ.

وَكَانَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ يَجْعَلُ مَا فَعَلَهُ الْخُلَفَاءُ الرَّاشِدُونَ بَعْدَ النَّبِيِّ ﷺ مِنَ التَّصَدِيقِ بَكْتَابِ اللَّهِ، وَكَانَ الْإِمَامُ مَالِكٌ يُعْجِبُهُ عَزْمُ عُمَرَ فِي قَوْلِهِ: «سَنَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَوَلَاةُ الْأَمْرِ مِنْ بَعْدِهِ سُنَنًا، الْأَخْذُ بِهَا تَصَدِيقٌ بِكِتَابِ اللَّهِ، وَاسْتِكْمَالٌ لَطَاعَةِ اللَّهِ، وَقُوَّةٌ عَلَى دِينِ اللَّهِ، لَيْسَ لِأَحَدٍ تَبْدِيلُهَا وَلَا تَغْيِيرُهَا وَلَا النَّظَرُ فِيهَا خَالَفَهَا؛ مَنْ اقْتَدَى بِهَا مُهْتَدٍ، وَمَنْ اسْتَنْصَرَ

(١) «الإحكام في أصول الأحكام» (٢٣١/١)، و«مجموع الفناوى» (١٩٨/١٣).

(٢) «الجامع» لابن أبي زيد (ص ١١٨).

بها منصور، ومن تركها واتبع غير سبيل المؤمنين، ولأه الله ما تولى، وأضلّاه جهنّم، وساءت مصيرًا»<sup>(١)</sup>.

قال مالك: «أعجبني عزم عمر في ذلك»<sup>(٢)</sup>.

وكان الأئمة من التابعين ومن بعدهم يعظمون عمل الصحابة، وخاصة الخلفاء، ويقدمونه على ظاهر الحديث؛ ليس لأنه أجل منه، ولكن لأنهم أعلم الناس بتفسيره.

قال مالك: «والعمل أثبت من الأحاديث؛ قال من أفتدي به: إنه لضعيف أن يقال في مثل ذلك: «حدّثني فلان عن فلان»، وكان رجال من التابعين تبنّوهم عن غيرهم الأحاديث، فيقولون: ما نجهل هذا؛ ولكن مضى العمل على خلافه»<sup>(٣)</sup>.

وكان محمد بن أبي بكر بن حزم ربّما قال له أخوه: لِمَ لَمْ تَقْضِ بحديث كذا؟ فيقول: «لم أجِدِ الناسَ عليه»<sup>(٤)</sup>.

### ❦ حقيقة العمل الذي يقدّم على الحديث:

وليس كل عمل متقدّم يقدّم على الحديث، بل ما قرّب من الوحي زمانًا ومكانًا؛ فليس قرّب الزمان وحده كافيًا في تقديم العمل؛ فلا يقدّم قول كل بلد - مهما تباعد - على الحديث، ولا قرّب المكان وحده كافيًا في تقديمه على الحديث؛ فليس كل عمل أهل المدينة مهما تباعد زمانه وتأخّر كافيًا في تقديمه على الحديث، بل قد يكون تقديمه ضلالةً وشرًا.

(١) «مسائل حرب» (١٩٥٨)، و«السنة» لعبد الله (٧٦٦)، و«السنة» للخلال (١٣٢٩)، و«شرح أصول الاعتقاد» (١٣٤).

(٢) «الجامع» لابن أبي زيد (ص ١١٧).

(٣) «الجامع» لابن أبي زيد (ص ١١٧ - ١١٨). (٤) الموضع السابق.

وَأَمَّا الَّذِي يَقْدَمُ مِنَ الْعَمَلِ مَا جَمَعَ الْقُرْبَيْنِ: قَرَبَ الزَّمَانِ، وَقَرَبَ الْمَكَانِ؛ قَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مَهْدِيٍّ: «السُّنَّةُ الْمُتَقَدِّمَةُ مِنْ سُنَّةِ أَهْلِ الْمَدِينَةِ خَيْرٌ مِنَ الْحَدِيثِ»<sup>(١)</sup>.

وَلَيْسَ هَذَا تَأْخِيرًا لِلْحَدِيثِ، وَأَمَّا هُوَ تَقْدِيمٌ لِفَهْمِهِمْ عَلَى فَهْمِ غَيْرِهِمْ؛ فَإِنَّ عَمَلَ أَهْلِ الْمَدِينَةِ الْمُتَقَدِّمَ لَمْ يَفْضَلْ إِلَّا لِأَجْلِ الْحَدِيثِ؛ فَفَضْلُهُ فَرَعٌ عَنْ فَضْلِهِ، وَإِلَّا فَمَكَّةُ أَفْضَلُ مِنَ الْمَدِينَةِ، وَلَيْسَ فَضْلُهَا بِمُقَدِّمٍ لَهَا فِي فَضْلِ الْعَمَلِ عَلَى غَيْرِهَا؛ فَالْمَدِينَةُ مَنَزِلُ أَكْثَرِ الْحَدِيثِ وَالْعَمَلِ بِهِ.

وَمَنْ كَانَ جَاهِلًا بِعَمَلِ الصَّدْرِ الْأَوَّلِ وَفَقْهِهِمْ، كَثُرَ خَطَاؤُهُ، وَجَاءَ بِشَذُوذِ الْأَقْوَالِ، وَلَوْ كَانَ مَعَهُ ظَاهِرُ الْحَدِيثِ؛ قَالَ ابْنُ عُيَيْنَةَ: «الْحَدِيثُ مَضَلَّةٌ إِلَّا لِلْفُقَهَاءِ»<sup>(٢)</sup>.

وَقَدْ قَالَ ابْنُ أَبِي زَيْدٍ فِي بَيَانِ ذَلِكَ: يَرِيدُ: أَنَّ غَيْرَهُمْ قَدْ يَحْمِلُ شَيْئًا عَلَى ظَاهِرِهِ، وَلَهُ تَأْوِيلٌ مِنْ حَدِيثٍ غَيْرِهِ، أَوْ دَلِيلٍ يَخْفَى عَلَيْهِ، أَوْ مَتْرُوكٍ وَجِبَ تَرْكُهُ؛ غَيْرَ شَيْءٍ مِمَّا لَا يَقُومُ بِهِ إِلَّا مَنْ اسْتَبَحَرَ وَتَفَقَّهَ.

وَمِنْ هَذَا قَوْلُ ابْنِ وَهْبٍ: «كُلُّ صَاحِبِ حَدِيثٍ لَيْسَ لَهُ إِمَامٌ فِي الْفَقْهِ، فَهُوَ ضَالٌّ، وَلَوْ لَا أَنَّ اللَّهَ أَنْقَذَنَا بِمَالِكٍ وَاللَيْثِ، لَضَلَلْنَا»<sup>(٣)</sup>.

وَرَبَّمَا أَجْمَعَ الصَّحَابَةُ وَالتَّابِعُونَ عَلَى تَرْكِ الْعَمَلِ بِحَدِيثٍ، وَهُوَ صَحِيحٌ؛ لِأَنَّهُمْ يَعْلَمُونَ سَبَبًا مَشْرُوعًا لِتَرْكِ الْعَمَلِ وَإِنْ لَمْ يَبَيِّنُوهُ؛ فَصَارَ مَجْرَدُ تَرْكِهِمْ دَلِيلًا مُسْتَقْلًا فِي ذَاتِهِ عَلَى التَّركِ، لَا أَنَّ تَرْكَهُمْ لِدَاوَتِهِ أَفْضَلُ مِنَ الْحَدِيثِ لِدَاوَتِهِ.

(١) «الجامع» لابن أبي زيد (ص ١١٨)، و«مسند الموطأ» (٥٦).

(٢) «الجامع» لابن أبي زيد (ص ١١٨).

(٣) «الجامع» لابن أبي زيد (ص ١١٩).

فلا يُمكنُ أَنْ يَجْتَمِعُوا على تركِ سُنَّةٍ، ولا أَنْ يَجْتَمِعُوا على فعلِ خطأ، وقد قال ابنُ أبي زيدٍ في «جامعِهِ»: «والتَّسْلِيمُ لِلسُّنَنِ لا تُعَارِضُ بِرَأْيٍ، وَلَا تُدَافِعُ بِقِيَاسٍ، وَمَا تَأَوَّلَهُ مِنْهَا السَّلَفُ الصَّالِحُ تَأَوَّلْنَاهُ، وَمَا عَمِلُوا بِهِ عَمِلْنَاهُ، وَمَا تَرَكُوهُ تَرَكْنَاهُ، وَيَسَعُنَا أَنْ نُمَسِكَ عَمَّا أُمْسَكُوا، وَنَتَّبِعَهُمْ فِيْمَا بَيَّنُّوا، وَنَقْتَدِيَ بِهِمْ فِيْمَا اسْتَنْبَطُوهُ وَرَأَوْهُ فِي الْحَوَادِثِ، وَلَا نَخْرُجَ عَنْ جَمَاعَتِهِمْ فِيْمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ أَوْ فِي تَأْوِيلِهِ»<sup>(١)</sup>.

وكان ابنُ أبي زيدٍ معظَّمًا للسُّنَّةِ، بصيرًا بها، عالمًا بأقوال السلف، عارفًا بتاريخ البدع ونشأتها، وقد كان يقولُ في بدعِ أصولِ الدين: «بنو أُمِّيَّةٍ لم يكن فيهم خليفةٌ ابتَدَعَ في الإسلامِ بدعةً»<sup>(٢)</sup>.

ولا تنتشرُ البدعُ إلا عند مَنْ عَطَّلَ الأثرَ وَجَهِلَ منزلةَ الصحابةِ والتابعينَ في حِفْظِ الدِّينِ، فَمَنْ جَهِلَ الأثرَ اسْتَحْسَنَ العملَ بالرأي فَعَبَدَ اللهَ بِذَوْقِهِ وما يُعْجِبُهُ، حتى يَجِدَ مِنَ المَيْلِ والنشاطِ في عبادةِ اللهِ بالبدعةِ أَكْثَرَ مِنَ السُّنَّةِ، حتى مِنْهُمْ مَنْ لا يَزْكِي ولا يَتَصَدَّقُ في الواجباتِ وَيُنْفِقُ الأموالَ الطائلةَ على الاحتفالِ بالمولِدِ النبويِّ، ويسوِّلُ له أَنْ مَنْ يَنْهَاهُ عن ذلك لا يَعْظُمُ النَّبِيَّ ﷺ، وما تعظيمُهُ إلا بِاتِّبَاعِ عملِهِ مِنْ صلاةٍ وصدقةٍ وصِلَةٍ وإحسانٍ، وتركِ ما يَكْرَهُهُ مِنَ الأفعالِ، قال تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾ [آل عمران: ٣١]، فإذا كَانَتْ محبةُ اللهِ - وهي أعْظَمُ محبةٍ - لا تتَحَقَّقُ إلا بِاتِّبَاعِ فعلِ النَّبِيِّ ﷺ، فإنَّ محبةَ نبيِّهِ مِنْ بابِ أَوَّلَى.

(١) «الجامع» (ص ١١٧).

(٢) الحجة على تارك المحبة (ص ٤٩٧).



## ❦ ترك المِرَاءِ والجِدَالِ :

❦ قَالَ ابْنُ أَبِي زَيْدٍ: ﴿وَتَرَكَ الْمِرَاءَ وَالْجِدَالَ فِي الدِّينِ، وَتَرَكَ مَا أَحَدَتْهُ الْمُحَدِّثُونَ﴾ :

وقد أنزل الله وَحْيَهُ كِتَابًا وَسُنَّةً؛ لِيَكُونَ دَلِيلًا لِلْعَالَمِينَ إِلَى مَعْرِفَةِ دِينِهِمْ، وَلَوْ كَانَتِ الْعُقُولُ الْمَجْرَدَةُ كَافِيَةً فِي ذَلِكَ، لَأَمَرَ بِالْأَخْذِ بِهَا مِنْ غَيْرِ وَحْيٍ وَلَا رَسُولٍ، وَكُلُّ مَنْ أَرَادَ أَنْ يَصِلَ إِلَى اللَّهِ بِطَرِيقِ غَيْرِ وَحْيِهِ، فَهُوَ فِي ضَلَالٍ وَتَبِيٍّ؛ قَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ﴾ [الأنعام: ١٥٣]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَقْبِصُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ [آل عمران: ١٠٣]، وَحَبْلُ اللَّهِ: وَحْيُهُ وَدِينُهُ<sup>(١)</sup>.

وكل نزاع وخلاف في الدين يجب رده إلى الوحي، لا إلى الرجال والأذواق والأهواء؛ كما قال تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ [النساء: ٥٩].

وقد قال عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ: «قَدْ سُنَّتْ لَكُمْ السُّنَنُ، وَفُرِضَتْ لَكُمْ الْفَرَائِضُ، وَتُرِكْتُمْ عَلَى الْوَاضِحَةِ، إِلَّا أَنْ تَمِيلُوا بِالنَّاسِ يَمِينًا وَشِمَالًا»<sup>(٢)</sup>.

## ❦ طُرُقُ مَعْرِفَةِ حَقِّ اللَّهِ :

وكل سبيل يُرَادُ بِهِ أَنْ يَدُلَّ صَاحِبَهُ إِلَى رَبِّهِ مِنْ غَيْرِ الْوَحْيَيْنِ، فَهُوَ مِمَّا حَذَّرَ اللَّهُ مِنْهُ مِنْ تِلْكَ الْأَهْوَاءِ: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ

(١) انظر في هذا المعنى: «تفسير ابن جرير» (٦٤٣/٥).

(٢) «الموطأ» (٨٢٤/٢).

سَبِيلِهِ ﴿[الأنعام: ١٥٣]، ولن يُوصَلَ صاحِبُهُ إلى شيء؛ لأنه حتى وإن أصاب الحقَّ ضُدْفَةً، فقد ضَلَّ بأن اتَّخَذَ وسيلةً للدَّلَالَةِ على الله غيرَ ما شرَّعَهُ الله؛ وهذا بذاتِهِ محادَّةٌ لله ولرسولِهِ؛ لأنَّ الله جَعَلَ الدِّينَ كاملاً مِنْ جِهَتَيْهِ: جِهَةِ الطَّرِيقِ، وَجِهَةِ الْغَايَةِ:

أَمَّا جِهَةُ الطَّرِيقِ: فقد جَعَلَ اللهُ فِي وَحْيِهِ كَفَايَةً؛ لهذا أَمَرَ بِالْأَخْذِ مِنْهُ، وَحَذَّرَ مِنَ الْأَخْذِ مِنْ غَيْرِهِ، وَمَنْ لَمْ يَجِدْ مَا يُرْشِدُهُ مِنْ وَحْيِهِ، أَوْ قَصَّرَ نَظْرُهُ عَنِ الْفَهْمِ، فَهُوَ مَعْذُورٌ، وَلَا يَجُوزُ لَهُ التَّمَسُّسُ حَقَّ اللهِ مِنْ غَيْرِ طَرِيقِ اللهِ؛ قَالَ ﷺ: (قَدْ تَرَكْتُكُمْ عَلَى الْبَيْضَاءِ لَيْلُهَا كَنَهَارِهَا، لَا يَزِيغُ عَنْهَا بَعْدِي إِلَّا هَالِكٌ، وَمَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ، فَسِيرَى اخْتِلَافًا كَثِيرًا؛ فَعَلَيْكُمْ بِمَا عَرَفْتُمْ مِنْ سُنَّتِي، وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ، عَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِدِ، وَعَلَيْكُمْ بِالطَّاعَةِ، وَإِنْ عَبْدًا حَبَشِيًّا؛ فَإِنَّمَا الْمُؤْمِنُ كَالْجَمَلِ الْأَنِيفِ، حَيْثُمَا قِيدَ انْقَادًا)<sup>(١)</sup>.

وَأَمَّا جِهَةُ الْغَايَةِ: فَهِيَ الْعِبَادَةُ الَّتِي لِأَجْلِهَا خَلَقَ اللهُ الْخَلْقَ؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْإِنْسَ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦]؛ فَلَيْسَ لِأَحَدٍ أَنْ يَزِيدَ فِي الْعِبَادَةِ مَا شَاءَ، وَلَا أَنْ يَنْقُصَ مِنْهَا مَا شَاءَ؛ فَاللهُ أَكْمَلَ دِينَهُ وَأَتَمَّهُ، وَكُلُّ مَنْ زَادَ فِيهِ، فَقَدْ أَتَمَّهُ بِالنَّقْصَانِ، وَكُلُّ مَنْ نَقَصَ مِنْهُ، فَقَدْ أَتَمَّهُ بِالزِّيَادَةِ؛ وَاللهُ تَعَالَى يَقُولُ: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣].

### المجتهدُ بِبِدْعَةٍ:

وَالْمَجْتَهِدُ فِي طَرِيقٍ غَيْرِ مَشْرُوعٍ يُؤَدِّيهِ اجْتِهَادُهُ إِلَى بِدْعَةٍ، لَيْسَ بِمَعْذُورٍ؛ لِأَنَّ ضَلَالَتَهُ: فِي سُلُوكِ الطَّرِيقِ، قَبْلَ وَصُولِهِ إِلَى الْفَهْمِ، فَهُوَ

(١) أبو داود (٤٦٠٧)، والترمذي (٢٦٧٦)، وابن ماجه (٤٢ - ٤٤). واللفظ لابن ماجه.

ضَلَّ فِي طَرِيقِهِ قَبْلَ فَهْمِهِ، بِخِلَافِ مَنْ أَخْطَأَ فِي فَهْمِ نَصِّ الْوَحْيِ؛ فَضْلَانُهُ فِي اجْتِهَادِهِ فِي الْفَهْمِ، لَا فِي الطَّرِيقِ؛ لِأَنَّ طَرِيقَهُ الْوَحْيِ.

وَلَوْ كَانَ كُلُّ مُجْتَهِدٍ مُعَذَّوْرًا بِغَضِّ النَّظَرِ عَنْ صِحَّةِ الْوَسَائِلِ وَالطَّرِيقِ، فَلَا قِيَمَةَ لِإِنْزَالِ الْوَحْيَيْنِ، وَحَصْرِ التَّشْرِيعِ فِيهِمَا، وَقَدْ قَالَ ابْنُ أَبِي زَيْدٍ: «وَمِنْ قَوْلِ أَهْلِ السُّنَّةِ: أَنَّهُ لَا يُعَذَّرُ مَنْ أَدَّاهُ اجْتِهَادُهُ إِلَى بَدْعَةٍ؛ لِأَنَّ الْخَوَارِجَ اجْتَهَدُوا فِي التَّأْوِيلِ؛ فَلَمْ يُعَذَّرُوا؛ إِذْ خَرَجُوا بِتَأْوِيلِهِمْ عَنِ الصَّحَابَةِ؛ فَسَمَّاهُمْ عَلِيًّا مَارِقِينَ مِنَ الدِّينِ، وَجَعَلَ الْمُجْتَهِدَ فِي الْأَحْكَامِ مَأْجُورًا وَإِنْ أَخْطَأَ»<sup>(١)</sup>.

### ❦ التَّحْذِيرُ مِنَ الْجِدَالِ وَالْمِرَاءِ فِي الدِّينِ:

وَالْجِدَالُ وَالْمِرَاءُ لِبَسَ طَرِيقًا مُوَضَّلًا إِلَى الْحَقِّ بِذَاتِهِ؛ فَمَتَى بَانَتْ الْحُجَّةُ، وَاتَّضَحَ الدَّلِيلُ، وَجَبَ اتِّبَاعُهُ وَالْعَمَلُ بِهِ، وَتَرَكُ الْجِدَالِ وَالْمِرَاءِ فِيهِ؛ فَإِنَّمَا هَلَكَ أَصْحَابُ الْعُقُولِ بِاسْتِحْسَانِهِمْ رَأْيَهُمْ، وَاسْتِنْبَاطِهِمُ الْمَجْرَدَ عَنِ النَّصِّ؛ فَاسْتَدْرَجُوا إِلَى الْأَهْوَاءِ خُطْوَةً خُطْوَةً، حَتَّى انْتَهَوْا إِلَى غَيْرِ مَا قَصَدُوا الْبِدْءَةَ بِهِ.

وَلِهَذَا حَذَّرَ الْعُلَمَاءُ مِنَ الْمِرَاءِ وَالْجِدَالِ فِي الدِّينِ؛ فَاللَّهُ تَعَالَى لَمْ يُنَزِّلْ كِتَابَهُ إِلَّا وَاضِحًا وَبَيِّنًا لِقَاصِدِهِ مِنْ أَهْلِ لُغَتِهِ، وَلَيْسَ مَغْلَقًا مَقْفَلًا يَحْتَاجُ إِلَى جِدَالٍ وَمِرَاءٍ لِيُعْرَفَ مَا فِيهِ؛ فَاللَّهُ وَصَفَ كِتَابَهُ بِالْبَيِّنِ وَالشَّافِءِ، وَالنُّورِ وَالْهُدَايَةِ، وَالْحُجَّةِ وَالْمُحْكَمِ، وَالْمَفْصَّلِ وَالْتَّبَيَانِ، وَإِنْ كَانَ هُنَاكَ اسْتِغْلَاقٌ فِي الْفَهْمِ، فَهُوَ فِي الْعُقُولِ وَالْقُلُوبِ، لَا فِيهِ؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ أَلَمْ يَكُنْ أَمْرٌ عَلَى قُلُوبِ أَقْفَالِهَا﴾ [مُحَمَّدٌ: ٢٤]؛ فَجَعَلَ الْقُلُوبَ عَلَى الْقَلْبِ، لَا عَلَى الْقُرْآنِ.

﴿حَسَنُ الْقَصْدِ وَسُوءُهُ، وَأَثَرُهُ عَلَى فَهْمِ الْقُرْآنِ:

وَمَنْ لَمْ يَفْهَمْ الْقُرْآنَ مِنْ أَهْلِ اللِّسَانِ الْعَرَبِيِّ، فَلْيُحَسِّنْ قَصْدَهُ يُحَسِّنِ اللَّهُ لَهُ الْوُصُولَ إِلَى مَرَادِهِ، وَإِنْ لَمْ يَصِلْ يَسْأَلْ مَنْ هُوَ أَعْلَمُ مِنْهُ؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿فَسْتَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٤٣].

وَمَنْ نَظَرَ فِي الْقُرْآنِ بِلَا قَصْدٍ حَسَنٍ، وَفِي قَلْبِهِ مَرَضٌ بِتَصِيدِ مَا يَرِيدُ بِالْهَوَى -: زَادَهُ النَّظَرُ فِيهِ حَيْرَةٌ وَهَوًى؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا مَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿١٢٤﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ﴾ [التوبة: ١٢٤ - ١٢٥].

وَاللَّهُ لَا يُضِلُّهُمْ وَهُمْ يُرِيدُونَ الْهَدَايَةَ، وَلَوْ أَرَادُوا الْهَدَايَةَ، لَوَقَّعَهُمْ إِلَيْهَا: ﴿وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ﴾ [الأنفال: ٢٣]، وَلَكِنَّهُ لَمَّا عَلِمَ قَصْدَهُمْ، أَعْطَاهُمْ إِيَّاهُ؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾ [الصف: ٥]؛ لِأَنَّ قَصْدَهُمْ مِنَ النَّظَرِ فِي الْقُرْآنِ وَالْحَدِيثِ: اتِّبَاعُ الْمُتَشَابِهِ؛ كَمَا قَالَ: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَبَّهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ﴾ [آل عمران: ٧].

قَالَ مَالِكٌ: «وَلَقَدْ قَالَ رَجُلٌ: لَقَدْ دَخَلْتُ هَذِهِ الْأَدْيَانَ كُلَّهَا، فَلَمْ أَرْ شَيْئًا مُسْتَقِيمًا، فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مِنَ الْمُتَكَلِّمِينَ: أَنَا أَخْبَرُكَ لَمْ ذَلِكَ؛ لِأَنَّكَ لَا تَتَّقِي اللَّهَ تَعَالَى، وَلَوْ اتَّقَيْتُهُ، لَجَعَلَ لَكَ مَخْرَجًا»<sup>(١)</sup>.

وَلَوْ كَانَ الْجِدَالُ وَالْمِرَاءُ الزَائِدُ عَنِ الْبَيَانِ طَرِيقًا لِمَعْرِفَةِ دِينِ اللَّهِ، لَأَرْشَدَ اللَّهُ إِلَيْهِ؛ وَقَدْ قَالَ مَالِكٌ: «وَلَيْسَ هَذَا الْجِدَالُ مِنَ الدِّينِ بِشَيْءٍ»<sup>(٢)</sup>.

(١) «الجامع» لابن أبي زيد (ص ١٢٠).

(٢) الموضوع السابق.

وما سَلَكَ أَحَدٌ طَرِيقًا غَيْرَ الْوَحْيِ لِيَصِلَ بِهِ إِلَى اللَّهِ، إِلَّا كَثُرَ نَحْوُهُ وَتَنَقَّلَهُ مِنْ قَوْلٍ إِلَى قَوْلٍ، وَمِنْ مَذْهَبٍ إِلَى مَذْهَبٍ، وَمِنْ رَأْيٍ إِلَى رَأْيٍ؛ لَأَنَّهُ يَبْدَأُ يَرِيدُ شَيْئًا فَيَسْتَأْنِسُ فِي الْبَدَايَةِ، ثُمَّ يَسْتَوْحِشُ بِالنِّهَايَةِ، فَيَتَحَوَّلُ؛ كَسَالِكِ طَرِيقِ الْهَرَبَةِ بِلَا دَلِيلٍ: يَسْتَوْحِشُ كُلَّمَا طَالَ سَيْرُهُ، حَتَّى يَتَخَبَّطَ يَمْنَةً وَيَسْرَةً مِنَ الْخَيْرَةِ، عَكَسَ مَنْ كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ فِي أَوَّلِ طَرِيقِهِ وَأَوْسَطِهِ وَمُنْتَهَاهُ؛ قَالَ عَمْرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ: «مَنْ جَعَلَ دِينَهُ غَرَضًا لِلْخُصُومَاتِ، أَكْثَرَ التَّنَقُّلِ»<sup>(١)</sup>.

### هَجْرُ الْجَدَالِ وَالْمِرَاءِ وَأَهْلِهِ:

وهذا النوعُ من الجدالِ والمِرَاءِ في كلامِ اللَّهِ وَسُنَّةِ نَبِيِّهِ: مِنَ الْخَوْضِ الْمَحْرَمِ، وَقَدْ نَهَى اللَّهُ عَنْهُ فِي كِتَابِهِ: ﴿وَإِنَّا رَأَيْنَا الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرَضْنَا عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِنَّمَا يُجِيبَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدَ بَعْدَ الذِّكْرَى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [الأنعام: ٦٨].

وإنما نُهِيَ عَنِ الْمَخَالَطَةِ لِلْبَاطِلِ؛ لِأَنَّ الْقُلُوبَ تَتَشَرَّبُ مَا تَسْمَعُ، فَتَسْتَنْكِرُ أَوَّلَ مَرَّةٍ، ثُمَّ يَنْقُصُ اسْتِنكَارُهَا حَتَّى تَأْلَفَهُ، فَأَمَرَ اللَّهُ بِالْهَجْرِ حَتَّى لَا تَأْلَفَهُ الْقُلُوبُ، فَرُبَّمَا تَأْثُرُ الْقَلْبُ حَتَّى يَعِجَزَ صَاحِبُهُ عَنْ تَرْكِهِ؛ لضعفِ قَلْبِهِ، وَلِقُوَّةِ الشَّبْهِ عَلَيْهِ؛ فَمِنْ الشَّبْهَاتِ مَا يَتَعَلَّقُ بِقَلْبِ صَاحِبِهِ، كَمَا يَتَعَلَّقُ بِهِ الْمَرَضُ الْمُعْدِي بِكَرْهُهِ وَلَا يَجِدُ خَلَاصًا مِنْهُ.

كما قال مالكٌ: «وكان يقالُ: «لا تَمْكُنْ زَائِعَ الْقَلْبِ مِنْ أَذْنِيكَ؛ فَإِنَّكَ لَا تَدْرِي مَا يَغْلُقُكَ مِنْ ذَلِكَ، وَلَقَدْ سَمِعَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ شَيْئًا مِنْ بَعْضِ أَهْلِ الْقَدَرِ، فَعَلِقَ بِقَلْبِهِ؛ فَكَانَ يَأْتِي إِخْوَانَهُ الَّذِينَ

(١) «الجامع» لابن أبي زيد (ص ١٢٠).

يَسْتَنْصِحُهُمْ، فَإِذَا نَهَوهُ، قَالَ: فَكَيْفَ بَمَا عَلَّقَ بِقَلْبِي، وَلَوْ عَلِمْتُ أَنَّ اللَّهَ رَضِيَ أَنْ أُلْقِيَ بِنَفْسِي مِنْ فَوْقِ هَذِهِ الْمَنَارَةِ، لَفَعَلْتُ»<sup>(١)</sup>.

وقد كان السلفُ يَنْهَوْنَ عن مخالطة أهل الأهواء ومجالستهم، وقلما يقيّدون؛ لأن كثيراً من العقول تغترّ بنفسها، وتخدع بعلمها القاصر؛ فأكثر النفوس تظنُّ كمال عقليها، وقوتها على معرفة ما ينفعها ويضرّها، ويغرها الشيطان عند نفسها، ويظهر لها من المعاني القليلة ما تُدركه، وربّما أوحى إليها من الاستنباط الدقيق ما تَخْدَعُ به: ﴿وَإِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ يَكُونُ إِيَّاهُ أَوْلَىٰ أَلَيْسَ لِكُلِّ أَفْوَكَ وَلِيٌّ مُّبِينٌ﴾ [الأنعام: ١٢١].

وربّما كان القصد من هذا النوع من الوحي الشيطاني: أن تسير النفس إلى مضايق الجدَل والمراء؛ حتى تقع في شرك الجهالات، وحبال من هو أعلم منها بالباطل؛ فتغترّ به وتتقاد له.

وكثيراً ما يأتي بعضهم أهل الأهواء الذين هم أكثر منه علماً بالجدَل والمراء؛ لِيَسْمَعَ منهم، أو يردّ باطلهم؛ فيقع في باطلهم حتى يفتنوه لضعفه لا لقوته؛ فإنَّ الأضعف يرى الضعيف قوياً.

وقد رأيت شاباً جاهلاً في أوّل طلبه يقصد صاحب هوى يريد الانتفاع منه، فحذّرتُه منه، فقال: «إنّه إناءٌ مُلِئَ علماً»، فقلت له: صدقت؛ هو فنجان، وأنت نَمْلَةٌ؛ فتراه كجبلٍ أُحِدٍ، ولو كبرت علماً، رأيتُه كما هو، ولكنك لصغرِكَ وضعفِكَ ترى كبره وقوته عليك، لا في العلم والمعرفة.

وقد قيل لمالك: «مَنْ قَوِيَ على كلام الزنادقة والإباضية والقدرية

(١) «الجامع» لابن أبي زيد (ص ١٢٠).

وأهل الأهواء؛ أَيُكَلِّمُهُمْ؟ قال: لا؛ وإنَّ الذين خَرَجُوا إنما عابوا  
المَعاصِي، وهؤلاء تكلَّموا في أمرِ الله، وقال ذلك الرجلُ - يعني:  
ابنَ عُمَرَ -: أمَّا أنا، فعلى بَيِّنَةٍ مِن رَبِّي، وأمَّا أنتَ، فاذْهَبْ إلى شاكِّ  
مِثْلِكَ خَاصِمُهُ<sup>(١)</sup>.



❁ قَالَ ابْنُ أَبِي زَيْدٍ: ﴿وَصَلَّى اللهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَأَزْوَاجِهِ  
وَذُرِّيَّتِهِ، وَسَلَّمْ تَسْلِيمًا كَثِيرًا﴾.

وقد خَتَمَ مَقْدَمَتَهُ بِالصَّلَاةِ عَلَى النَّبِيِّ - صَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ عَلَيْهِ وَآلِهِ  
وَأَزْوَاجِهِ وَذُرِّيَّتِهِ - تِيْمُنًا بِذَلِكَ، وَإِجْلَالًا لِمَبْلَغِ الدِّينِ عَنْ رَبِّهِ، وَالتَّمَاثُلِ  
لِشَفَاعَتِهِ، وَنَحْمَدُ اللهَ عَلَى تَمَامِهِ وَفَضْلِهِ وَإِحْسَانِهِ، وَنَسْأَلُهُ السَّدَادَ  
وَالْهُدَايَةَ، وَبِهَذَا انْتَهَى الشَّرْحُ لِمَقْدَمَةِ الرِّسَالَةِ، مَعَ بُعْدٍ عَنْ كَثِيرٍ مِنَ  
الْكُتُبِ، جَبَرَ اللهُ الْخَلَلَ، وَأَحْسَنَ الْقَصْدَ، وَمِنَ الْقَبُولِ!



# الفَهَارِسُ الْعَامَّةُ

وتتضمن:

- ١ - فهرس الآيات.
- ٢ - فهرس الأحاديث.
- ٣ - فهرس الآثار وأقوال الأئمة والعلماء.
- ٤ - فهرس الأشعار والأرجاز وأنصاف الأبيات.
- ٥ - فهرس المصطلحات.
- ٦ - فهرس القواعد والكتليات.
- ٧ - معجم الموضوعات ورؤوس المسائل.
- ٨ - فهرس المذاهب والأقوال.
- ٩ - فهرس حكمة التشريع ومقاصد الشريعة.
- ١٠ - فهرس الحكم والأمثال ومأثور الأقوال.
- ١١ - فهرس الفوائد.
- ١٢ - فهرس الموضوعات.





## ١ - فهرس الآيات

الآية	رقم الآية	الصفحة
٢ - سورة البقرة		
﴿فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا﴾	١٠	٧٦
﴿أَعَدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾	٢٤	٢٠٥
﴿ثُمَّ أَسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ﴾	٢٩	١٢٤
﴿وَقُلْنَا يَحَادِّثْهُمْ أَتَكُنَّ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ﴾	٣٥	٢٠٤ ، ٢٠٣
﴿وَقُلْنَا أَهْبَطُوا مَعْشَرَ لَيْعُوسٍ عَدُوٍّ وَلَكْرٍ فِي الْأَرْضِ مُسْتَكْرٍ وَمَتَّعَ إِلَىٰ حِينٍ﴾	٣٦	٢٠٣
﴿قُلْنَا أَهْبَطُوا مِنْهَا جَمِيعًا﴾	٣٨	٢٠٣
﴿وَأَسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالْعِلْمِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾	٤٥	٨٠
﴿الَّذِينَ يَبْتَغُونَ الْإِيمَانَ مَلَاقُوا رَبَّهُمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾	٤٦	٨٠
﴿وَأَقْبُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا﴾	٤٨	١٨٩
﴿وَأَقْبُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا﴾	١٢٣	١٨٩
﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ إِلَّا رَحْمَةٌ وَلِتَسْمِعُوا وَلِتُحَقِّقُوا وَيَتَّقُوا وَالْأَسْبَابُ...﴾	١٣٦	١٨٥
﴿وَمَنْ يَسِدْ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ﴾	١٤٥	١٥١
﴿وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾	١٦٩	٥٣
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾	١٧٢	٧٤
﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالْدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهْلَ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ﴾	١٧٣	٧٤
﴿وَلَكِنَّ الْإِيمَانَ مِنَ اللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ﴾	١٧٧	٢٤٢
﴿يَسْأَلُونَكَ﴾	١٨٩	٧٤

الآية	رقم الآية	الصفحة
﴿يَأْتِيهَا الذِّبَرُ مَاسُوا أَدْخُلُوا فِي السِّلَاحِ كَافَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾	٢٠٨	٧٤
﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ﴾	٢١٠	٢٠٦ ، ٦٦ ، ٦٤
﴿وَلَعَبْدٌ مُؤْمِنٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكٍ﴾	٢٢١	١٥٨
﴿الْعَلِيِّ﴾	٢٥٥	١٠٦
﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾	٢٥٥	١١٨
﴿وَلَا يُعِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾	٢٥٥	٩
﴿وَلَا يُعِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾	٢٥٥	١٠٥
﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾	٢٥٦	١٨٣ ، ١٨٢
﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُجْمَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ﴾	٢٨١	١٨٩
﴿كُلٌّ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَمَلَكِيَّاتِهِ وَرُسُلِهِ لَا تَرِفُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ﴾	٢٨٥	٢٤١ ، ١٧٧

٣ - سورة آل عمران

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ﴾	٥	١٢١ ، ١٦٦
﴿ءَامَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا﴾	٧	١٨٨
﴿فَالَمَّا الدَّيْنُ فِي قُلُوبِهِمْ نَبِّئْ فَيَتَّبِعُونَ مَا نَشَاءُ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَنَالِغَةً تَبَوَّلُوهُ﴾	٧	٢٧٩
﴿إِنَّ الذِّبَرُ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾	١٩	١٨١
﴿وَنَنْزِجُ الْمُلُوكَ وَمَنْ نَشَاءُ﴾	٢٦	٢٦١
﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾	٣١	٢٧٥ ، ١٨٨
﴿يُقَدِّرْ مَا يَشَاءُ﴾	٤٠	١٢٩
﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾	٥٩	١٤١
﴿مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْحَبْرِ﴾	٦١	١٥١
﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ لَمْ ءَانِثُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ﴾	٨١	١٧٨

الآية	رقم الآية	الصفحة
﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾	٨٥	١٨١
﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾	١٠٣	٢٧٦
﴿أَعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾	١٣١	٢٠٥
﴿أَعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾	١٣٣	٢٠٤
﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَرُزِّقَهُمْ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾	١٦٤	١٨٧
﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قِيلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَالًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾	١٦٩	٢٣٦
﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾	١٧٣	٢٢٤
﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾	١٩٠	٩١
﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ وِثْمًا وَحُقُودًا وَعَلَى جُثُوبِهِمْ يَتَنَفَّسُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَطُلًا سُبْحَنَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾	١٩١	٩١
٤ - سورة النساء		
﴿إِنْ تَحْسَبُوا كِتَابَ اللَّهِ لَئِنْ هُوَ لَكُنْفُرٌ عَنْكُمْ سَعْيًا لَكُمْ وَلَذِئْلٌ لَكُمْ مُدْخَلًا كَرِيمًا﴾	٣١	١٩٤
﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾	٤١	١٧٧
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ آمِنُوا بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ﴾	٤٧	١٧٨
﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ افْتَرَى إِثْمًا عَظِيمًا﴾	٤٨	١١
﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَيْهَا أَعْلَمُهَا﴾	٥٨	١٢٣ ، ١٠١
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اطِيعُوا اللَّهَ وَاطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾	٥٩	٢٧٦ ، ٢٥٨
﴿وَأَقْلَابًا يَنْدَبُونَ الْقُرْآنَ﴾	٨٢	٢٧٨ ، ٩٥

الآية	رقم الآية	الصفحة
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ﴾	١٣٦	١٨٥
﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ﴾	١٥٠	١٧٧
﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾	١٦٤	١٣٧ ، ٦٦
﴿رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾	١٦٥	١٧٧
﴿خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا﴾	١٦٩	٢٠٦
﴿بَسْمُتُونَا﴾	١٧٦	٧٤

٥ - سورة المائدة

﴿الْيَوْمَ أَكُنْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَمَسْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي﴾	٣	٢٧٧ ، ١٨٧
﴿وَكُتِبَ ثَمِينٌ﴾	١٥	٩٥
﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾	٤٨	١٨٦ ، ١٨٥
﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَفْلُوءَةٌ﴾	٦٤	١٢٣ ، ١٠٢

٦ - سورة الأنعام

﴿وَهُوَ الْغَايُثُ فَوْقَ عِبَادِهِ﴾	١٨	١١٤ ، ١٠٦
﴿قُلْ أَتَىٰ شَيْءٌ أَكْبَرَ شَهَادَةً مِّنَ اللَّهِ﴾	١٩	١٤٩
﴿وَلَوْ رَدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهَوْا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾	٢٨	١٦٦
﴿وَعِنْدَهُ مَفَاحِشُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنَ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٌ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا زَكَاةٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾	٥٩	١٦٦
﴿وَمَا تَسْقُطُ مِنَ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٌ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا زَكَاةٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾	٥٩	٩
﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمْ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفْرِطُونَ﴾	٦١	٢٤٤
﴿وَهُوَ الْغَايُثُ فَوْقَ عِبَادِهِ﴾	٦١	١١٤ ، ١٠٦
﴿وَإِنَّا رَأَيْنَا الَّذِينَ يَحْضُرُونَ فِي مَائِلَتِنَا فَلَا عَرَضَ عَلَيْهِمْ حَتَّىٰ يَخْرُجُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِنَّا يُنْسِيكَ الشَّيْطَانُ﴾	٦٨	٢٨٠

الآية	رقم الآية	الصفحة
﴿أَوْ قَالَ أُوْحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ﴾	٩٣	١٤٩
﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾	١٠١	١٥٨
﴿لَا تُذِرْكُمُ الْأُصْبُرُ﴾	١٠٣	٢٠١
﴿وَأَنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَيْكَ أَوَّلِيَّائِهِمْ لِيُجْبِلُواكُمْ وَإِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَشَاكِرُونَ﴾	١٢١	٢٨١ ، ١٨١
﴿فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ﴾	١٤٩	١٦٤
﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ﴾	١٥٣	٢٧٦
﴿وَمَنْ يَظُنُّ أَنْ تَأْتِيَهُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِ بِشَيْءٍ مِنْ رَبِّكَ﴾	١٥٨	٢٠٦
﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَثْنَاءِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِنْهَا وَمَنْ لَا يَظْلُمُونَ﴾	١٦٠	١٩٣
٧ - سورة الأعراف		
﴿وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾	٨	٢٠٩ ، ١١
﴿كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ﴾	٢٩	١٩٠
﴿وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾	٣٣	٥٣
﴿وَأِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ﴾	١٢٧	١١٤
﴿رَبِّ أَرْبَعِ أَفْئِدٍ إِلَيْكَ﴾	١٤٣	٢٠٠
﴿فَلَمَّا جَعَلْ رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا﴾	١٤٣	١٥٣ ، ١٥٢ ، ٦٦
﴿إِنْ رَبِّي أَعْلَمُ وَلَكِنْ أَعْلَمُ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنْ اسْتَفَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرْنِي﴾	١٤٣	٢٠١
﴿وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ﴾	١٤٣	١٣٧
﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ بِمِيعَةٍ﴾	١٥٨	١٧٧
﴿الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾		
﴿وَاللَّهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا﴾	١٨٠	١٣٢
﴿أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَكُونِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ﴾	١٨٥	٧٣
﴿لَا يَحِيطُ بِرُحْمَتِهِ إِلَّا قَلِيلٌ﴾	١٨٧	١٩٢

الآية	رقم الآية	الصفحة
٨ - سورة الأنفال		
﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾	٢	٢٢٤
﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَنْ يَكُ اللَّهُ رَئِيًّا﴾	١٧	١٧١
﴿وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ﴾	٢٣	٧٥، ٧٦، ١٦٦، ٢٧٩
٩ - سورة التوبة		
﴿حَقٌّ يَسْمَعُ كُلُّهُ﴾	٦	١٤٣
﴿فَقِيلُوا الَّذِينَ لَا يُمِشُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾	٢٩	١٨٩
﴿وَلَكِنْ كَرِهَ اللَّهُ آلِعَائِهِمْ فَضَبَّطَهُمْ﴾	٤٦	١٦٩
﴿فَلَمَّا تَرَضُوا عَنْهُمْ قَابَ اللَّهُ لَا يَرْضَىٰ عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾	٩٦	١٩٩
﴿وَالسَّيِّئُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُحْجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾	١٠٠	٢٤٨
﴿لَا يَزَالُ بُكِنُهُمُ الَّذِي بَنَوْا رِيبَةً فِي قُلُوبِهِمْ﴾	١١٠	١٦٨
﴿وَإِذَا مَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُمْ مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْ هَؤُلَاءِ إِيمَانًا فَالَّذِينَ آمَنُوا زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾	١٢٤	٢٧٩
﴿وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ﴾	١٢٥	٧٦، ٢٧٩
﴿ثُمَّ أَنْصَرُوا صرفَ اللَّهِ قُلُوبَهُمْ﴾	١٢٧	٧٦
١٠ - سورة يونس		
﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنَّنُوا بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ﴾	٧	١٨٩
﴿وَيَقْبِضُونَ مِنْ دُونَ اللَّهِ مَا لَا يَبْصُرُهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شَفَعَتُنَا عِنْدَ اللَّهِ﴾	١٨	١٩٨
﴿وَلَوْ لَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ﴾	١٩	١٥٠

الآية	رقم الآية	الصفحة
﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا لِمَتَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾	٢٦	٢٠٢
﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولٌ﴾	٤٧	١٧٧
﴿وَيَسْتَأْذِنُكَ أَحَقُّ مَوْ قُلْ إِي وَرَقِ إِنَّهُ لَحَقٌّ﴾	٥٣	١٨٩
﴿قُلْ أَظْهَرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ﴾	١٠١	٩٠
١١ - سورة هود		
﴿وَأَوْحِ إِلَيَّ نُوحٍ إِنَّهُ لَن يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ ءَامَنَ﴾	٣٦	١٦٨
﴿خَنَازِيرَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَكُوتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَقَالَ لِمَا يُرِيدُ﴾	١٠٧	١٢٩
﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ﴾	١١٠	١٥٠
﴿فَأَسْتَفِمْ كَمَا أُمِرْتُ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ﴾	١١٢	١٨٦
١٢ - سورة يوسف		
﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾	٢	٩٤
﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْمَرْشِ﴾	١٠٠	١٢٢
١٣ - سورة الرعد		
﴿الْمُتَعَالَى﴾	٩	١٠٦
﴿اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾	١٦	١٧٠ ، ١٦٢ ، ١٤٩
١٤ - سورة إبراهيم		
﴿يُشِيتُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾	٢٧	٢٤٠ ، ٢٣٨ ، ١٢
١٦ - سورة النحل		
﴿فَأَنفَ اللَّهُ يُضِلُّهُمْ مِنْ الْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّفْفُ مِنْ فَوْقِهِمْ﴾	٢٦	٦٤
﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾	٣٦	١٨٥ ، ١٧٧
﴿فَتَتَلَوَّا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾	٤٣	٢٧٩



الآية	رقم الآية	الصفحة
﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾	٤٤	١٨٦
﴿يَتَأَلَّفُونَ نَفْسَهُمْ مِن قُوفِهِمْ﴾	٥٠	١١٤ ، ١٠٦
﴿لَا يَكْفُرُوا بِمَا ءَاتَيْنَاهُمْ فَتَسْعُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾	٥٥	١٨٤
١٧ - سورة الإسراء		
﴿وَكُلِّ إِسْنِ الزَّمَنَةِ طَلَبُهُ فِي عُنُقِهِ وَخُرُجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ كَتَبًا يَلْقَاهُ مَنشُورًا﴾	١٣	٢١١
﴿أَقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾	١٤	٢١١
﴿مَنْ كَانَ يُرِيدِ الْمَجَالَهَ عَجَلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ﴾	١٨	٢٠
﴿وَلَا تَقِفْ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾	٣٦	١٦١
﴿قُلْ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا﴾	٥٠	١٩٠
﴿وَأَوْ خَلْقًا مِّمَّا يَكْفُرُ فِي صُدُورِكُمْ فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَا قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾	٥١	١٩٠
﴿عَسَىٰ أَن يَْعَذَّبَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مُّحْمُودًا﴾	٧٩	١٢٤
﴿وَيَسْتَلْزِمُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾	٨٥	٢٣٥
١٨ - سورة الكهف		
﴿فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ﴾	٢٩	١٨٣ ، ١٨٢
﴿وَيَقُولُونَ يَتْلُونَنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يَغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظُنُّ رَبُّكَ أَحَدًا﴾	٤٩	١٩٣
﴿أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسْكِينٍ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرْسَلْنَا أَن نَحْنُهَا﴾	٧٩	١٦٠
﴿فَارَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَرَاهِيَةً﴾	٨٢	١٦٠
﴿فَلَا يُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَزَنًا﴾	١٠٥	٢١٠
١٩ - سورة مريم		
﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَيًّا﴾	٦٥	١٣٢
﴿وَلَا يَنْفَكُ إِلَّا وَارِدَهَا﴾	٧١	٢١٣

الآية	رقم الآية	الصفحة
٢٠ - سورة طه		
﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾	٥	١٢٧ ، ١٢٦ ، ١٢١
﴿وَأَنَّا اخْتَفَيْنَاكَ فَاَسْتَجِبْ لِمَا يُوحَى﴾	١٣	١٤٣
﴿إِنَّا أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي﴾	١٤	١٤٧
﴿إِنَّهُمْ مَن بَانَ رَبُّهُمُ تَجَرُّمًا فَإِنَّ لَهُمُ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى﴾	٧٤	٢٠٦
﴿فَلَا يُخْرِجَنَّكَ مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى﴾	١١٧	٢٠٤
﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْثَنَّهُمْ فِيهِ وَرَرُّكَ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾	١٣١	٢٠
٢١ - سورة الأنبياء		
﴿مَا يَأْتِيهِمْ مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِمْ مُّحَدَّثٍ﴾	٢	١٥٠ ، ١٥١
﴿فَسْتَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾	٧	٢٧٩
﴿وَمَنْ عِنْدَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ﴾	١٩	٢٤٣
﴿يُسَبِّحُونَ أَثَرِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَا يَفْتُرُونَ﴾	٢٠	٢٤٣
﴿لَا يَسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾	٢٣	١٦٤
﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾	٢٥	١٨٥ ، ١٥
﴿وَلِ عِبَادٍ مُّكْرَمُونَ﴾	٢٦	٢٤٣
﴿لَا يَسْقُوتُ عَلَيْهِمُ الْكُفُولُ وَهُمْ يَأْمُرُهُ بِعَمَلِهِمْ﴾	٢٧	٢٤٣
﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا﴾	٤٧	٢٠٩
﴿وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ﴾	٧٩	١٤٦
﴿لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾	٨٧	١٠٧
﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾	١٠٧	١٧٨
٢٢ - سورة الحج		
﴿يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ﴾	١٨	١٢٩
﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾	٧٠	٢٤٣

الآية	رقم الآية	الصفحة
﴿إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّكَابُ مِنْهَا لَا يَسْتَفِيدُوا مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبِ وَالْمَطْلُوبِ﴾	٧٣	٩١
﴿مَا فَكَّرُوا اللَّهَ حَتَّىٰ قَدَرُوا إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾	٧٤	٩١
٢٣ - سورة المؤمنون		
﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرًا﴾	٤٤	١٧٧
﴿أَفَلَمْ يَذْكُرُوا الْقَوَالَ﴾	٦٨	٩٥
﴿وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِمُ الْمُرْتَضِ إِلَىٰ قَوْمِهِمْ يَبْعَثُونَ﴾	١٠٠	٢٣٩
٢٥ - سورة الضحى		
﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَرَهُ مَقْدِيرًا﴾	٢	١٥٦
﴿وَلَكِنْ مَتَّعْتُهُمْ وَءَاثَرَهُمْ حَتَّىٰ نَسُوا الذِّكْرَ وَكَانُوا قَوْمًا بُورًا﴾	١٨	٢١
﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾	٥٩	١٤٩
﴿وَرِيعَادَ الرَّحْمَنِ﴾	٦٣	٤٧
٢٦ - سورة الشعراء		
﴿وَمَا بِالْأَيْمِ مِنْ ذِكْرِ مِنَ الرَّحْمَنِ تُحَدِّثُونَ﴾	٥	١٥١
﴿فَلَمَّا تَرَىٰ الْجُمُعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَىٰ إِنَّا لَمَذْكُورُونَ﴾	٦١	٢٠١
﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾	٨٠	١٦٠
﴿هَلْ أَتَيْتُكُمْ عَلَىٰ مَنْ نَزَّلَ الشَّيْطَانُ﴾	٢٢١	١٨١
﴿نَزَّلَ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ﴾	٢٢٢	١٨١
٢٧ - سورة النمل		
﴿وَأَوْفَيْتَ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ﴾	٢٣	١٤٩
﴿إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾	٣٠	٧١
﴿وَمَا مِنْ عَالِمٍ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾	٧٥	١٦٦ ، ١٢١
﴿وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَتَذَرُجُ مِنْ فِي السَّمَكِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ وَكُلُّ أَتَوٍّ ذَاخِرِينَ﴾	٨٧	١٨٩
﴿صُنِعَ اللَّهُ الْإِلَهَ أَفْعَنَ كُلِّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ﴾	٨٨	١٦٩

الآية	رقم الآية	الصفحة
٢٨ - سورة القصص		
﴿كُلُّ نَفْسٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾	٨٨	٢٠٥
٢٩ - سورة العنكبوت		
﴿أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾	١٩	١٩٠
٣٠ - سورة لقمان		
﴿يَبْنِيْ اِنَّهَا اِنْ تَكُ وِثْقَالُ حَبْرٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِيْ صَخْرَةٍ اَوْ فِي السَّمٰوٰتِ اَوْ فِي الْاَرْضِ يٰٓاَيُّهَا اللّٰهُ اِنَّ اللّٰهَ لَطِيْفٌ خَبِيْرٌ﴾	١٦	١٦٦ ، ١٢١
﴿وَلَا تَخْشَوْاْ يَوْمًا لَا يَجْزِي وَالِدٌ عَن وَلَدِهِ﴾	٣٣	١٨٩
﴿اِنَّ اللّٰهَ عِنْدَهُ جُلُومُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ﴾	٣٤	١٩٢
٣٢ - سورة السجدة		
﴿خَلَقَ السَّمٰوٰتِ وَالْاَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ اَيَّامٍ﴾	٤	١٤٩
﴿قُلْ يَتُوبُكُمْ مَّلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ﴾	١١	٢٤٤
٣٣ - سورة الأحزاب		
﴿وَكَانَ اَمْرُ اللّٰهِ قَدَرًا مَّقْدُوْرًا﴾	٣٨	١٥٦
﴿وَمَا كَانَ مُحَمَّدٌ اَبًا اَحَدٍ مِّنْ رِّجَالِكُمْ وَلٰكِنْ رَّسُوْلَ اللّٰهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّيْنَ﴾	٤٠	١٨٠
﴿هُوَ الَّذِي يُصَلِّيْ عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ﴾	٤٣	٨٤
﴿تُحِيْثُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ﴾	٤٤	٢٠٠
﴿خٰلِدِيْنَ فِيْهَا اَبَدًا﴾	٦٥	٢٠٦
٣٤ - سورة سبأ		
﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْاَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيْهَا وَهُوَ الرَّحِيْمُ الْغَفُوْرُ﴾	٢	١٦٦ ، ١٢١
﴿وَقَالَ الَّذِيْنَ كَفَرُوْا لَا تَأْتِيْنَا السَّاعَةُ قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ﴾	٣	١٨٨

الآية	رقم الآية	الصفحة
﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾	٢٨	١٧٨
٢٥ - سورة فاطر		
﴿مَلَّ مِنَ خَلْقٍ عَدُوٍّ اللَّهُ يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾	٣	١٧٠ ، ١٥٨
﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ ثُمَّ مِنْ نُّطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا وَمَا تَحْسِلُ مِنْ أُنْثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ وَمَا يُعَمَّرُ مِنْ مُّعَمَّرٍ وَلَا يُنْقِصُ مِنْ عُمرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾	١١	٢٤٣
﴿وَلَٰئِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾	٢٤	١٧٧
﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾	٢٨	٦٠
٢٦ - سورة يس		
﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾	٨٢	١٥٠ ، ١٤٥
٢٧ - سورة الصافات		
﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾	٩٦	١٦٢
﴿مَا أَنتُمْ عَلَيْهِ بِفَاعِلِينَ﴾	١٦٢	١٦٩
﴿إِلَّا مَنْ هُوَ صَالِي الْجَنَّةِ﴾	١٦٣	١٦٩
﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا﴾	١٧١	١٥٠
٢٨ - سورة ص		
﴿لِيَذَّبُوا عَنِتْهِ﴾	٢٩	٩٥
٢٩ - سورة الزمر		
﴿قُلْ لِلَّهِ الشَّفَعَةُ جَمِيعًا﴾	٤٤	١٩٨
﴿قُلْ يَكْفُرُ الَّذِينَ أَشْرَفُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْطُلُوا رَحْمَةً اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾	٥٣	١٩٣
﴿بِحَضْرَتِي عَلَىٰ مَا فَرَطْتُ فِي حُبِّ اللَّهِ﴾	٥٦	٤٧
﴿اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾	٦٢	١٧٠ ، ١٦٢ ، ١٤٩
﴿لَئِنْ أَشْرَكَتَ لَيَحْطَبَنَّ عَلَيْكَ﴾	٦٥	٢٣٤

الآية	رقم الآية	الصفحة
﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَتٌ بَيْتِينَ﴾	٦٧	٩١ ، ١٠٢ ، ١١٢
﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ فِيَامٍ يُنظَرُونَ﴾	٦٨	١٩٠
٤٠ - سورة غافر		
﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَهْمَنُ ابْنِي صَرَحًا لَمَلِي أَتُبْلَغُ الْأَسْبَابَ﴾	٣٦	١٠٦
﴿أَسْبَابَ السَّمَوَاتِ فَأَطْلِعْ إِلَيَّ إِلَهُ مُوسَى وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ كَازِبًا﴾	٣٧	١٠٦
﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾	٤٦	٢٣٨ ، ٢٤٠
٤١ - سورة فصلت		
﴿قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾	٣	٩٤
﴿كَذَّبُ قُضِلَتْ ءَايَتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾	٣	٩٥
﴿قَالُوا إِنَّا نَالِهَا طَالِعِينَ﴾	١١	١٤٦
﴿أَنطَقْنَا اللَّهُ الَّذِي أَنطَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾	٢١	١٤٦
﴿وَأَمَّنْ بَلَقْن فِي النَّارِ خَيْرٌ أَمْ مَن يَأْتِي ءَامِنًا يَوْمَ الْقِيَمَةِ اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾	٤٠	١٨٤
﴿وَإِنَّهُ لَكَنُذِيرٌ عَزِيزٌ﴾	٤١	١٤٦
﴿لَا يَأْتِيهِ الْبُطْلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِن خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾	٤٢	١٨٦ ، ١٤٦
﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ﴾	٤٦	١٦٤

## ٤٢ - سورة الشورى

﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾	١١	٤٥ ، ٨٦ ، ٨٨ ، ٩٧ ، ١٠٢ ، ١١٢ ، ١١٧ ، ١١٩ ، ١٢١ ، ١٢٣ ، ١٢٧ ، ١٢٨ ، ١٣٠ ، ١٣٤ ، ١٣٦ ، ١٤٦
---	----	---

الآية	رقم الآية	الصفحة
﴿وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌُ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌُ﴾	٨٤	١٠٨
٤٦ - سورة الأحقاف		
﴿تَدْمِرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا﴾	٢٥	١٤٩
٤٧ - سورة محمد		
﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَسْتَعْتُونَ وَالْكُفْرَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارَ مَنُورٍ﴾	١٢	٢١
﴿فَهُلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا﴾	١٨	١٩١
﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْفَرَارَاتِ أَوْ عَلَى قُلُوبٍ أَفْقَالُهَا﴾	٢٤	٢٧٨ ، ٩٥
﴿فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَذْذَرُفُهُمْ﴾	٢٧	٢٤٤
٤٨ - سورة الفتح		
﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ رَبِّهِمْ﴾	٤	٢٢٤
﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ﴾	١٠	٢٦٥
﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾	١٨	٢٤٨
﴿لَتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ عَامِينَ﴾	٢٧	٢٢٨
﴿لِيُغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ﴾	٢٩	٢٤٩
﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّامًا سُجَّدًا﴾	٢٩	٢٤٧
٥٠ - سورة ق		
﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعَلَهُ مَا تُوَسَّوَسُ بِهِ نَفْسُهُ وَحَنَ أَرْبُؤَ إِلَهِ مِنْ حَلِي الْوَرِيدِ﴾	١٦	١١١ ، ٩
﴿إِذْ يَتْلَى التَّائِيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَهُنَّ الشَّيَاطِينُ فَيَذَرُهَا يَلْفُظٌ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَيْنٌ﴾	١٧	٢٤٢
	١٨	٢٤٢

الآية	رقم الآية	الصفحة
٥١ - سورة الذاريات		
﴿وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ﴾	٢٠	٧٣
﴿وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾	٢١	٩٠
﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾	٥٦	٢٧٧ ، ١٧٦ ، ١٥
٥٣ - سورة النجم		
﴿وَلَقَدْ رَمَاهُ نَزْلَةً أُخْرَى﴾	١٣	٢٠٥
﴿عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى﴾	١٤	٢٠٥
﴿عِنْدَهَا جَنَّةُ الْأُفُقِ﴾	١٥	٢٠٥
﴿وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَوَاتِ لَا تُغْنِي عَنْهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْمُرَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُرْسِلُ﴾	٢٦	١٩٩
٥٤ - سورة القمر		
﴿وَلَقَدْ بَشَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ﴾	١٧	٧٥
﴿إِنَّا كُلُّ شَيْءٍ خَلَقْتُهُ بِقَدَرٍ﴾	٤٩	١٦٤ ، ١٥٦
٥٧ - سورة الحديد		
﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ﴾	٣	٨٥
﴿لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَتْلَ أَوْلِيَّكَ أَكْثَمَ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدِ وَقَتْلُوا﴾	١٠	٢٤٧
﴿فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ﴾	١٦	٧٧
٥٨ - سورة المجادلة		
﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا أَحْصَاهُ اللَّهُ وَنُصُوهُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾	٦	١٩٣
﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسَلِّمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾	٧	١١١
﴿فَيَوْمَ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾	٧	١٠٩
﴿وَمَا يَكُونُ مِنْ قَبْرَيْنِ ثُلَّةٍ إِلَّا هُوَ رَاقِبُهُمَا﴾	٧	١٠٨
﴿هُوَ مَعَهُمْ إِنْ مَا كَانُوا﴾	٧	١١١
٥٩ - سورة الحشر		
﴿يَا أَيُّهَا اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ﴾	٧	٢٥٦



الآية	رقم الآية	الصفحة
﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ﴾	١٠	٢٥٦
٦١ - سورة الصف		
﴿فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾	٥	٢٧٩ ، ٧٥
٦٤ - سورة التغابن		
﴿زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُخْرِجَهُمُ اللَّهُ مِنْ دِينِهِمْ وَلَنْ يَكُونَ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾	٧	١٨٩
٦٥ - سورة الطلاق		
﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ﴾	١٢	١٥٨ ، ١٥٠
٦٦ - سورة التحريم		
﴿لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾	٦	٢٤٣ ، ١٧٥
٦٧ - سورة الملك		
﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾	١٤	١٠ ، ١٥٨ ، ١٦٦ ، ١٦٧
٦٩ - سورة الحاقة		
﴿فَأَمَّا مَنْ أَوْفَى كَيْدَهُ بِسَمِينِهِ فَقَوْلُ هَٰؤُلَاءِ أَقْرَبُوا كَلِيبَةً﴾	١٩	٢١١
﴿وَأَمَّا مَنْ أَوْفَى كَيْدَهُ بِسَمَالِهِ فَقَوْلُ بَلِّغْنِي لَوْ أَوْفَى كَلِيبَةً﴾	٢٥	٢١٢
٧١ - سورة نوح		
﴿وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاكِراً كَفَّاراً﴾	٢٧	١٦٩
٧٢ - سورة الجن		
﴿خَلِيلِينَ فِيهَا أَبَدًا﴾	٢٣	٢٠٦
٧٤ - سورة المدثر		
﴿رَكْنَا غُرُوشَ مَعَ الْفَاضِينَ﴾	٤٥	٨٧
﴿فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ﴾	٤٨	١٩٩
٧٥ - سورة القيامة		
﴿فَإِذَا قَرَأْتَ فَأَنْجِ فَأَنْجِ قَوْمَكَ﴾	١٨	١٨٦

الآية	رقم الآية	الصفحة
﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَتَهُ﴾	١٩	١٨٦
﴿كَلَّا بَلْ يُخَيِّبُونَ الْعَاجِلَةَ﴾	٢٠	٢٠
﴿وَيُجِزُّهُ يُؤْمِلُ نَاصِرُهُ﴾	٢٢	٢٠٣ ، ٢٠٠
﴿إِلَّا رَبُّهَا نَاطِرُهُ﴾	٢٣	٢٠٣ ، ٢٠٠

## ٧٦ - سورة الإنسان

﴿إِنَّ هَؤُلَاءِ يُخَيِّبُونَ الْعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَاءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا﴾	٢٧	٢٠
﴿إِنَّ هَؤُلَاءِ تَذَكَّرَةٌ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذْ إِلَيْنَا رَيْدٌ سَبِيلًا﴾	٢٩	١٧١
﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾	٣٠	١٧١ ، ١٧٠

## ٧٨ - سورة النبأ

﴿إِنَّهُمْ كَافُوا لَا يَرْجُونَ حِسَابًا﴾	٢٧	١٨٩
--	----	-----

## ٧٩ - سورة النازعات

﴿هَلْ أُنَبِّئُكَ حَبِثُ مَوْحًا﴾	١٥	١٤٣
﴿إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ﴾	١٦	١٤٣

## ٨٠ - سورة عبس

﴿كَلَّا إِنَّهَا تَذَكَّرَةٌ﴾	١١	١٧١
﴿فَمَنْ شَاءَ ذَكَّرَهُ﴾	١٢	١٧١
﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ﴾	٢٤	٩٠
﴿أَنَا صَبَّأُ الْمَاءَ صَبًّا﴾	٢٥	٩٠

## ٨١ - سورة التکویر

﴿لَئِنْ شَاءَ يَنْصَبَكُمْ أَنْ يَسْقِفَكُم﴾	٢٨	١٧١
﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾	٢٩	١٧١ ، ١٧٠

## ٨٢ - سورة الانفطار

﴿وَرَأَى عَلَيْكُمْ كُفُوفًا﴾	١٠	٢٤٢
﴿كَرَامًا كَثِيرًا﴾	١١	٢٤٢
﴿يَتْلُمُونَ مَا تَعْمَلُونَ﴾	١٢	٢٤٢

الآية	رقم الآية	الصفحة
٨٣ - سورة المطففين		
﴿لَا يَنْفَعُ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّحْجُورُكُمْ﴾	١٥	٢٠٤ ، ٢٠٣ ، ٢٠٠
٨٤ - سورة الانشقاق		
﴿فَأَمَّا مَنْ أَوْفَى كَيْبَهُ بِسَيْتِهِ﴾	٧	٢١٢ ، ٢١١ ، ١١
﴿فَسَوْفَ يَحْشَابُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾	٨	٢١٢ ، ٢١١ ، ١١
﴿وَيَنْفَلِتُ إِلَى أَهْلِهِ مَسْرُورًا﴾	٩	٢١٢
﴿وَأَمَّا مَنْ أَوْفَى كَيْبَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ﴾	١٠	٢١٢ ، ٢١١
٨٦ - سورة الطارق		
﴿يَنْظُرُ الْإِنْسَانُ مِنْ خَلْقٍ﴾	٥	٩٠
٨٧ - سورة الأعلى		
﴿الْأَعْلَى﴾	١	١٠٦
٨٨ - سورة الفاشية		
﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ﴾	١٧	٩٠ ، ٧٣
﴿وَأِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ﴾	١٨	٩٠ ، ٧٣
﴿وَأِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ﴾	١٩	٩٠ ، ٧٣
﴿وَأِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ﴾	٢٠	٩٠ ، ٧٣
٨٩ - سورة الفجر		
﴿وَبَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾	٢٢	١٥٢ ، ١٥٠ ، ١١
		٢٠٦
٩١ - سورة الشمس		
﴿نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا﴾	١٣	٦٤ ، ٤٧
٩٥ - سورة التين		
﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾	٤	١٧٠
٩٩ - سورة الزلزلة		
﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾	٧	١١

الآية	رقم الآية	الصفحة
١٠١ - سورة القارعة		
﴿فَأَمَّا مَنْ نَقَلَتْ مَوَازِينُهُ﴾	٦	٢١٠
﴿هُمْ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ﴾	٧	٢١٠
﴿وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ﴾	٨	٢١٠
﴿فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ﴾	٩	٢١٠
﴿وَمَا أَذْرَكَ مَا هِيَ﴾	١٠	٢١٠
﴿نَارٌ حَامِيَةٌ﴾	١١	٢١٠
١٠٧ - سورة الماعون		
﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يَكْذِبُ بِالْغَيْبِ﴾	١	١٨٩
١١٢ - سورة الإخلاص		
﴿اللَّهُ الصَّمَدُ﴾	٢	٨٥
﴿لَمْ يَكُنْ لَكَ وِلاَةٌ يُكَلِّمُكَ﴾	٣	٨٥
﴿وَلَمْ يَكُنْ لَكَ كُفُوًا أَحَدٌ﴾	٤	٨٥

## ٢ - فهرس الأحاديث

الصفحة	الحديث
١٦٢	- أَبْهَذَا أَمِرْتُمْ ١؟ أَمْ بِهَذَا أُرْسِلْتُ إِلَيْكُمْ ١؟ إِنَّمَا هَلَكَ ...
٨٣	- أَتَأْنِي جَبْرِيلَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ ...
٢١٠	- أَتَعَجَّبُونَ مِنْ دَقَّةِ سَاقِيهِ ١؟ فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَهُمَا فِي الْمِيزَانِ أَنْقَلُ مِنْ أَحَدٍ
١٩٥	- أَخْرَجُوا مِنَ النَّارِ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ مِنْ إِيْمَانٍ
٢٢٤	- أَخْرَجُوا مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ مِنْ إِيْمَانٍ
٨١	- اذْعُ تَجَبُّ، وَصَلْ تُعْطَ
٢٣٦	- أَرْوَاهُمْ فِي أَجْوَابِ طَبِيرِ خُضِرٍ، لَهَا قَنَادِيلُ مُعَلَّقَةٌ بِالْعَرْشِ، تَسْرُخُ مِنَ الْجَنَّةِ ...
٢٣٩	- اسْمِ الْفَتَاتَيْنِ: مُنْكَرٌ وَنَكِيرٌ، وَأَنْهُمَا أَسْوَدَانِ أَرْزَقَانِ
١٧٦	- أَظْهِرُوا الْمَصَابِيحَ؛ فَإِنَّ الْفَوْسِقَةَ رُبَّمَا جَرَّتِ الْفَتِيلَةَ؛ فَأَخْرَقَتْ أَهْلَ الْبَيْتِ
٩٢	- أَغْدَدْتُ لِعِبَادِي الصَّالِحِينَ مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ
١٦٢	- اْعْمَلُوا؛ فَكُلُّ مُيَسَّرٍ لِمَا خُلِقَ لَهُ
٢٥٩	- إِلَّا أَنْ تَرَوْا كُفْرًا بَوَاحًا؛ عِنْدَكُمْ مِنَ اللَّهِ فِيهِ بُرْهَانٌ
٢٤١، ١٨٨، ١٥٦	- الْإِيْمَانُ أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَبِالْقَدَرِ خَيْرُهُ وَشَرُّهُ
٢٢٤	- الْإِيْمَانُ بِضَعٍ وَسَبْعُونَ شُعْبَةً ...
٨٣	- الْبَخِيلُ مَنْ ذُكِرَتْ عِنْدَهُ، فَلَمْ يُصَلِّ عَلَيَّ
٦٤	- الْحَجَرُ الْأَسْوَدُ يَمِينُ اللَّهِ فِي الْأَرْضِ
٢١٠	- الظُّهُورُ شَطْرُ الْإِيْمَانِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلَأُ الْمِيزَانَ، وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلَأَانِ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ
١٠٣	- الْقُلُوبُ بَيْنَ إِضْبَعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ

## الصفحة

## الحديث

- ١١٩ - الْكُرْسِيُّ هُوَ عِلْمُ اللَّهِ
- ٢٤٨ - اللَّهُ اللَّهُ فِي أَصْحَابِي! اللَّهُ اللَّهُ فِي أَصْحَابِي! لَا تَتَّخِذُوهُمْ غَرَضًا بَعْدِي ...
- ١٢١ - اللَّهُ فَوْقَ الْعَرْشِ
- ٢٣٥ - اللَّهُمَّ، الرَّفِيقَ الْأَعْلَى
- ٨٥ - اللَّهُمَّ، أَنْتَ الْأَوَّلُ؛ فَلَيْسَ قَبْلَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الْآخِرُ؛ فَلَيْسَ بَعْدَكَ شَيْءٌ ...
- ٢٤٠ - اللَّهُمَّ، إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ
- ١٢٥ - الْمَقَامُ الْمَحْمُودُ هُوَ الشَّفَاعَةُ الْعُظْمَى
- ٢١٣ - الْمُؤْمِنُ عَلَيْهَا كَالظَّرْفِ، وَكَالْبَرْقِ، وَكَالرَّيْحِ، وَكَأَجَاوِدِ الْخَيْلِ وَالرَّكَابِ ...
- ١٨٤ - الْوَالِدُ أَوْسَطُ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ؛ فَحَافِظْ عَلَى وَالِدَيْكَ أَوْ أَتْرُكْ
- ٢٢١ - أُمَرَاءُ يَكُونُونَ بَعْدِي، لَا يَقْتَدُونَ بِهَدْيِي، وَلَا يَسْتَنْوُونَ بِسُنَّتِي ...
- ١٤٩ - أَمَعَكَ مِنَ الْقُرْآنِ شَيْءٌ؟
- ٨٧ - إِنَّ الشَّيْطَانَ يَأْتِي أَحَدَكُمْ، فَيَقُولُ: مَنْ خَلَقَ السَّمَاءَ؟ فَيَقُولُ ...
- إِنَّ الْعَبْدَ الْمُؤْمِنَ إِذَا كَانَ فِي انْقِطَاعٍ مِنَ الدُّنْيَا، وَإِقْبَالٍ مِنَ الْآخِرَةِ، نَزَلَ إِلَيْهِ
- ٢٤٤ - مَلَائِكَةٌ ...
- ١٠٣ - إِنَّ الْعَرْشَ اهْتَزَّ لِمَوْتِ سَعْدٍ
- ١٠٣ - إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ آدَمَ عَلَى صُورَتِهِ
- ١٦٣ - إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ صَانِعَ الْخَزَمِ وَصَنَعْتَهُ
- ١٦٣ - إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ كُلَّ صَانِعٍ وَصَنَعْتَهُ
- ٢٤٤ - إِنَّ اللَّهَ ﷻ قَدْ وَكَّلَ بِالرَّجَمِ مَلَكَ، فَيَقُولُ ...
- ١٠٤ - إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ يَدَهُ فِي جَهَنَّمَ، فَيُخْرِجُ مِنْهَا مَنْ أَرَادَ
- ١٠٣ - إِنَّ اللَّهَ يَكْشِفُ عَنْ سَاقِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ
- ٨٤ - إِنَّ الْمَلَائِكَةَ تُصَلِّي عَلَى أَحَدِكُمْ؛ مَا دَامَ فِي مُصَلَّاهُ الَّذِي صَلَّى فِيهِ ...
- ٢٤١ - إِنَّ لِلْقَبْرِ ضَغْطَةً، لَوْ كَانَ أَحَدٌ نَاجِيًا مِنْهَا، لَنَجَا سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ
- ١٣٣، ٨٨، ٦٢ - إِنَّ اللَّهَ تِسْعَةَ وَتِسْعِينَ اسْمًا؛ مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ
- ١٤٣ - إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ أُنْزِلَ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ
- ٢٣٩ - إِنَّ هَذِهِ الْأُمَّةَ تُبْتَلَى فِي قُبُورِهَا
- ٢٧٠ - أَنَا أَمَنَةٌ لِأَصْحَابِي؛ فَإِذَا ذَهَبْتُ، أَتَى أَصْحَابِي مَا يُوعَدُونَ ...

- ١٨٠ - أَنَا خَاتَمُ النَّبِيِّينَ  
- إِنَّمَا نَسَمَةُ الْمُسْلِمِ طَيْرٌ يُعَلَّقُ فِي شَجَرِ الْجَنَّةِ، حَتَّى يَرْجِعَهَا اللَّهُ إِلَى جَسَدِهِ  
إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ  
٢٣٦  
٧٠ - إِنَّهُ لَمْ يَخَفْ عَلَيَّ مَكَانُكُمْ  
٢٣٨ - إِنَّهُمْ الْآنَ يَسْمَعُونَ مَا أَقُولُ  
٢٤٠ - إِنَّهُمَا لَيُعَذَّبَانِ، وَمَا يُعَذَّبَانِ فِي كَبِيرٍ  
٦٤ - إِنِّي أَجِدُ نَفْسَ الرَّحْمَنِ مِنْ قِبَلِ الْيَمَنِ  
٢١٤ - إِنِّي عَلَى الْحَوْضِ حَتَّى أَنْظَرَ مَنْ يَرُدُّ عَلَيَّ مِنْكُمْ، وَسَيُؤْخَذُ نَاسٌ دُونِي...  
٢٥٠ - أُوصِيكُمْ بِأَصْحَابِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ  
١٥١ - أَوَّلَ مَا خَلَقَ اللَّهُ الْقَلَمَ  
٢٥٩ - بَايَعَنَا رَسُولُ اللَّهِ عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ؛ فِي مَنْشَطِنَا وَمَكْرَهِنَا...  
٢٣٧ - تَخْرُجُ مِنْهُ كَأَنَّ رِيحًا، حَتَّى يَأْتُونَ بِهِ بَابَ الْأَرْضِ...  
٢٠٣ - تَطْلُبُ مِنْ آدَمَ الشَّفَاعَةَ فِي الْمَوْقِفِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيُعْتَلِّزُ مِنْهَا  
١٥٩ - تَعَوَّدُوا بِاللَّهِ مِنْ جَهْدِ الْبَلَاءِ، وَدَرْكِ الشَّقَاءِ، وَسُوءِ الْقَضَاءِ، وَشَمَاتَةِ الْأَعْدَاءِ  
٢٣٧ - تَقْبِضُ الْمَلَائِكَةُ رُوحَ الْعَبْدِ الْمُؤْمِنِ، وَتَرْقِي بِهِ إِلَى السَّمَاءِ، فَتَقُولُ...  
٢٢٥ - تَمَكُّتْ كَذَا وَكَذَا يَوْمًا لَا تَصَلِّيَ لِلَّهِ سَجْدَةً  
١٩٥ - حَتَّى إِذَا أَرَادَ اللَّهُ رَحْمَةً مَنْ أَرَادَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ...  
١٣٠ - حَدِّثُوا عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ، وَلَا حَرَجَ  
٢٠٦ - حَدِيثُ الْإِتْيَانِ بِالْمَوْتِ فِي صُورَةِ كَبْشٍ أَمْلَحَ، فَيُدْبَحُ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ  
٢١٤ - حَوْضِي مَسِيرَةُ شَهْرٍ، مَاءُهُ أَيْضُ مِنَ اللَّبَنِ، وَرِيحُهُ أَطْيَبُ مِنَ الْمِسْكِ...  
٢٦٩، ٢٤٥، ٢١ - خَيْرُ النَّاسِ قُرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ  
١٢٣ - رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقْرَأُ: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ...﴾  
١٠١ - رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ يَضَعُ إِنْهَامَهُ عَلَى أُذُنِهِ، وَالَّتِي تَلِيهَا عَلَى عَيْنِهِ  
١٠١ - رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ يَقْرُؤُهَا، وَيَضَعُ إِصْبَعَهُ  
٨٣ - رَغِمَ أَنْفُ امْرِئٍ ذُكِرَتْ عِنْدَهُ، فَلَمْ يُصَلِّ عَلَيَّ  
٦٤، ٤٧ - سَيِّفٌ مِنْ سُيُوفِ اللَّهِ؛ سَلَهُ اللَّهُ

## الصفحة

## الحديث

- ٨٤ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْكَ، وَعَلَى جَسَدِ كُنْتَ تَعْمُرُهُ
- ٨١ - عَجَلْتَ أَيْهَا الْمُصَلِّي
- ٢٥٨ - عَلَى الْمَرْءِ السَّمْعُ وَالطَّاعَةُ فِيمَا أَحَبَّ وَكَرِهَ، إِلَّا أَنْ يُؤْمَرَ بِمَعْصِيَةٍ...
- فَإِذَا كَانَ الرَّجُلُ الصَّالِحُ، أَجْلَسَ فِي قَبْرِهِ غَيْرَ فَرْعٍ، وَإِذَا كَانَ الرَّجُلُ  
السُّوءُ...
- ٢٣٨
- ٢١٣ - فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ يُجِيزُ، وَدُعَاءُ الرُّسُلِ يَوْمَئِذٍ: اللَّهُمَّ، سَلِّمْ سَلِّمْ...
- ٢١٠ - فَتَوَضَّعَ السَّجَّاثُ فِي كِفَّةٍ، وَالْبِطَاقَةُ فِي كِفَّةٍ؛ فَطَاشَتِ السَّجَّاثُ
- ٦٩ - فَحَمِدَ اللَّهُ، وَأَثْنَى عَلَيْهِ
- فَرَفَعَ لِي الْبَيْتَ الْمَعْمُورُ، فَسَأَلْتُ جِبْرِيلَ؟ فَقَالَ: هَذَا الْبَيْتُ الْمَعْمُورُ؛ يُصَلِّي  
فِيهِ كُلُّ يَوْمٍ...
- ٢٤٢
- ١٠٤ - فَضَحِكَ حَتَّى بَدَتْ...
- ٢١٠ - فَطَاشَتِ السَّجَّاثُ، وَثَقَلَتِ الْبِطَاقَةُ
- فَيَأْتِيهِ مَلَكَانِ شَدِيدَا الْإِنْتِهَارِ، فَيَسْتَهْرَانِهِ وَيُجْلِسَانِهِ، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَنْ رَبُّكَ؟
- ٢٧٧ - قَدْ تَرَكْتُكُمْ عَلَى الْبَيْضَاءِ لَيْلَهَا كَنَهَارُهَا، لَا يَزِيغُ عَنْهَا بَعْدِي إِلَّا هَالِكٌ...
- ٨٦ - كَانَ اللَّهُ وَلَمْ يَكُنْ شَيْءٌ غَيْرُهُ، وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ...
- ١٧٨ - كَانَ النَّبِيُّ يَبْعَثُ إِلَى قَوْمِهِ خَاصَّةً، وَيَبْعَثُ إِلَى النَّاسِ كَافَّةً
- ١٨٧ - كَانَ خُلُقُهُ الْقُرْآنَ
- ١٧٨ - كَانَ يُكَاتِبُ النَّاسَ بِرِسَالَتِهِ، وَيَأْمُرُهُمْ بِإِجَابَتِهِ عَلَيْهَا
- ١٧٦ - كَانَ يَنْفُخُ عَلَى إِبْرَاهِيمَ (الْوَزْغ)
- ١٩٥ - كُلُّ ابْنِ آدَمَ تَأْكُلُهُ النَّارُ إِلَّا أَنْتَ السُّجُودُ...
- ١٩٤ - كُلُّ ابْنِ آدَمَ خَطَاءٌ، وَخَيْرُ الْخَطَّائِينَ التَّوَّابُونَ
- ٧٠ - كُلُّ حُطْبَةٍ لَيْسَ فِيهَا تَشَهُدٌ، فَهِيَ كَالْيَدِ الْجَذْمَاءِ
- ١٥٦ - كُلُّ شَيْءٍ بِقَدَرٍ حَتَّى الْعَجْزُ وَالْكَيْسُ
- ٢٥١ - لَا تَخَيَّرُوا بَيْنَ الْأَنْبِيَاءِ
- ٢٥١ - لَا تَخَيَّرُونِي عَلَى مُوسَى



الحديث

الصفحة

- لَا تَسُبُّوا أَصْحَابِي؛ فَلَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا، مَا بَلَغَ مُدَّ أَحَدِهِمْ وَلَا نَصِيفَهُ ٢٥٠
- لَا يُبْغِي حَذَرَ مَنْ قَدَرِ ١٥٧
- لَا يَبْغِي لِعَبْدٍ أَنْ يَقُولَ: أَنَا خَيْرٌ مِنْ يُونُسَ بْنِ مَتَّى ٢٥١
- لَا يَبْغِي لِلْمُؤْمِنِ أَنْ يَدُلَّ نَفْسَهُ... ٢٦٣
- لَا يُؤْمِنُ عَبْدٌ حَتَّى يُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ ١٥٩
- لَعَلَّ اللَّهَ أَطْلَعَ عَلَى أَهْلِ بَدْرٍ، فَقَالَ: ااعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ، فَقَدْ عَفَرْتُ لَكُمْ ١٨٤
- اللَّهُ أَفْرَحُ بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ مِنْ أَحَدِكُمْ؛ سَقَطَ عَلَى بَعِيرِهِ، وَقَدْ أَضَلَّهُ فِي أَرْضٍ فَلَاةٍ... ١٩٣
- لَوْ كَانَ مُوسَى حَيًّا بَيَّنَّ أَظْهَرَكُمْ، مَا حَلَّ لَهُ إِلَّا أَنْ يَتَّبِعَنِي ١٨٠
- لَيَقْتَصِرَنَّ اللَّهُ لِلشَّاءِ الْجَمَاءِ مِنَ الشَّاءِ الْقَرْنَاءِ ١٧٦
- مَا السَّمَوَاتُ السَّنْعُ فِي الْكُرْسِيِّ، إِلَّا كَحَلَقَةٍ مُلْقَاةٍ بِأَرْضٍ فَلَاةٍ... ١١٢
- مَا السَّمَوَاتُ السَّنْعُ مَعَ الْكُرْسِيِّ إِلَّا كَحَلَقَةٍ مُلْقَاةٍ بِأَرْضٍ فَلَاةٍ... ١١٩
- مَا تَرْضَى أَنْ تَكُونَ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى، إِلَّا أَنَّهُ لَا نَبِيَّ بَعْدِي ١٨٠
- مَا مِنْ رَجُلٍ يُسَلِّمُ عَلَيَّ إِلَّا رَدَّ اللَّهُ عَلَيَّ رُوحِي؛ حَتَّى أَرُدَّ عَلَيْهِ السَّلَامَ ٢٣٥
- مَا مِنْ مَوْلُودٍ إِلَّا وَيُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ؛ فَأَبَوَاهُ يَهُودَانِهِ أَوْ يَمَجْسَانِهِ... ٧٦
- مَرُّوا أَوْلَادَكُمْ بِالصَّلَاةِ وَهُمْ أَبْنَاءُ سَنِينَ، وَاضْرِبُوهُمْ عَلَيْهَا وَهُمْ أَبْنَاءُ عَشْرِ... ٧٩، ٧٧
- مَنْ بَدَّلَ دِينَهُ، فَاقْتُلُوهُ ١٨٢
- مَنْ تَرَكَ مِنْهُمْ شَيْئًا خِيفَتَهُنَّ، فَلَيْسَ مِنَّا ٢٣٣
- مَنْ صَلَّى عَلَيَّ وَاحِدَةً، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ بِهَا عَشْرًا ٨٢
- مَنْ صَلَّى عَلَيَّ وَاحِدَةً، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ عَشْرَ صَلَوَاتٍ... ٨٢
- مَنْ قَالَ لِأَخِيهِ: يَا كَافِرُ، فَقَدْ بَاءَ بِهَا أَحَدُهُمَا ٢١٩
- مَنْ قَرَأَ حَرْفًا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ ١٤٣
- نَعَمْ؛ كَهَيِّتُكُمْ الْيَوْمَ ٢٣٩
- هَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا؟ ٢٣٨
- وَالْخَيْرُ كُلُّهُ فِي يَدَيْكَ، وَالشَّرُّ لَيْسَ إِلَيْكَ ١٦٠

## الصفحة

## الحديث

- وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَا يَسْمَعُ بِي أَحَدٌ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ يَهُودِيٍّ وَلَا  
نَصْرَانِيٍّ، ثُمَّ يَمُوتُ وَلَمْ يُؤْمِنْ... ١٧٩
- وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَوْ لَمْ تُذَيِّبُوا، لَدَهَبَ اللَّهُ تَعَالَى بِكُمْ... ١٩٤
- وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللَّهُ بِكُمْ لَاحِقُونَ ٢٢٨
- وَتُؤْمِنُ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ ١٥٩
- وَضَعَ إِنْهَامَهُ عَلَى أُذُنِهِ، وَسَبَّابَتَهُ عَلَى عَيْنِهِ ١٢٣
- وَلَقَدْ أَوْحَى إِلَيَّ أَنَّكُمْ تُفْتَنُونَ فِي قُبُورِكُمْ، مِثْلَ أَوْ قَرِيبًا مِنْ فِتْنَةِ الْمَسِيحِ  
الدَّجَالِ ٢٣٩
- وَلَكِنِّي عَلَى مَا أَشَاءُ قَادِرٌ ١٧٤
- وَمَا جَمِيعُ ذَلِكَ فِي قَبْضَةِ اللَّهِ إِلَّا كَالْحَبَّةِ... ١١٢
- وَيَحْكُ! أَتَذَرِي مَا اللَّهُ! إِنْ عَرْشُهُ عَلَى سَمَوَاتِهِ لَهَكَذَا... ٩٢
- وَيَحْكُ! أَتَذَرِي مَا تَقُولُ! ٩١
- وَيَحْكُ! إِنَّهُ لَا يُسْتَشْفَعُ بِاللَّهِ عَلَى أَحَدٍ مِنْ خَلْقِهِ؛ شَأْنُ اللَّهِ أَعْظَمُ مِنْ  
ذَلِكَ... ٩١
- وَيُضْرَبُ جِسْرُ جَهَنَّمَ ٢١٣
- يَا عَائِشَةُ، إِنَّهُ بَلَغَنِي عَنْكَ كَذًا وَكَذًا؛ فَإِنْ كُنْتِ بَرِيئَةً، فَسَيِّرْكَ اللَّهُ ٧٠
- يَتَعَرَّضُ مِنَ الْبَلَاءِ مَا لَا يُطِيقُ ٢٦٣
- يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ١٩٥
- يَدْخُلُ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ، وَأَهْلُ النَّارِ النَّارَ، ثُمَّ يَقُولُ... ٢٢٤
- يَعِيشُ هَذَا الْغُلَامُ قَرْنًا؛ فَعَاشَ مِئَةَ سَنَةٍ ٢٤٦
- يُبَادَى بِصَوْتٍ: إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكَ أَنْ تَخْرُجَ مِنْ دُرَّتِكَ بَعَثًا إِلَى النَّارِ ١٤٣
- يَنْزِلُ رَبُّنَا إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا ١٥٢
- يَنْزِلُ عِيسَى فِي آخِرِ الزَّمَانِ، وَيَقْتُلُ الدَّجَالَ وَالْخِزْيِرَ، وَيَكْسِرُ الصَّلِيبَ... ١٨٠

### ٣ - فهرس الآثار وأقوال الأئمة والعلماء

الصفحة	الأثر / القول
٦٧	إبراهيم بن إسحاق بن إبراهيم، أبو إسحاق الحربي - كان أهل البصرة أهل العريضة، منهم أصحاب الأهواء، إلا أربعة...
٢٤٥	إبراهيم بن يزيد بن عمرو أبو عمران النخعي الكوفي الأعور - لَمَلِكِ الموتِ أعوانٌ مِنَ الملائكة، يَتَوَقَّوْنَ عَنْ أَمْرِهِ
٢٧٢	- لو رَأَيْتُ الصَّحَابَةَ يَتَوَضَّؤُونَ إِلَى الْكُوعَيْنِ، لَتَوَضَّأْتُ كَذَلِكَ...
١٣٩	أبو إسحاق الفزاري - كَافِرٌ (القاتل بخلق القرآن)
٧١	أبو الْبَحْتَرِيِّ - كُلُّ حَاجَةٍ لَيْسَ فِيهَا تَشْهَدٌ، فَهِيَ بَثْرَاءُ
٢٠٠	أبو العباس بن طالب - كَانَ يَسْتَفْتِيهِ خُطْبَةُ الْجُمُعَةِ بِإثْبَاتِ رُؤْيَى اللَّهِ فِي الْآخِرَةِ
١٣٩	أبو بكر بن أبي أُوَيْسٍ - أَكْفَرُ بِاللَّهِ بَعْدَ نَيْفٍ وَتَسْعِينَ سَنَةً، وَمَجَالَسَةُ مَالِكٍ!؟
١٠٣	أبو بكر المروزي - رَأَيْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ يُشِيرُ بِإِصْبَعِهِ إِصْبَعٍ
١٣٩	أبو بكر بن عياش بن سالم الأسدي الكوفي المقرئ الحنات - كَافِرٌ، وَمَنْ لَمْ يَقُلْ: إِنَّهُ كَافِرٌ، فَهُوَ كَافِرٌ (القاتل بخلق القرآن)
١٦٥	أبو عمرو بن العلاء بن عمار بن عبد الله البصري - أَشْهَدُ أَنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ، وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ، وَاللَّهُ عَلَيْنَا الْحُجَّةُ...

- أبو مالك الأشعري  
١١٨ - الكُرْسِيُّ مَوْضِعُ الْقَدَمَيْنِ
- أحمد بن محمد بن حنبل، أبو عبد الله الشيباني المروزي  
٢٣٠ - أَدْعُوا لَهُم بِالصَّلَاحِ
- ٧٨ - إِذَا أَصَبْتَ الْكُوفِيَّ صَاحِبَ سُنَّةٍ، فَهُوَ يَقُوقُ النَّاسَ
- ٢٥٠ - إِذَا رَأَيْتَ رَجُلًا يَذْكُرُ أَصْحَابَ رَسُولِ اللَّهِ بِسُوءٍ، فَاتَّهِمُهُ عَلَى الْإِسْلَامِ
- ٢٢٦ - إِذَا عَمِلْتَ الْخَيْرَ زَادَ، وَإِذَا ضَيَّعْتَ نَقَصَ
- ١٤١ - أَشْهَدُ أَنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَقُولُ، وَقَوْلُهُ الْحَقُّ، خَلَقَهُ خَلْقٌ، وَقَوْلُهُ بَاطِلٌ مِنْ خَلْقِهِ
- ٢٥٢ - أَعْطَى مَعَاوِيَةَ أَهْلَ الْمَدِينَةِ عَطَايَا مَا أَعْطَاهَا خَلِيفَةُ كَانَ قَبْلَهُ
- ٩٥ - أَمْرُهَا كَمَا جَاءَتْ
- ١٤٤ - إِنَّ اللَّهَ تَكَلَّمَ بِالصَّوْتِ وَالْحَرْفِ
- ١٤٤ - بَلْ تَكَلَّمَ بِصَوْتٍ؛ هَذِهِ الْأَحَادِيثُ تُرَوَّى كَمَا جَاءَتْ
- ٢٤٨ - فَحُبُّهُمْ سُنَّةٌ، وَالِدُّعَاءُ لَهُمْ قُرْبَةٌ، وَالْإِقْتِدَاءُ بِهِمْ وَسِيلَةٌ (الصَّحَابَةُ)
- ٤٥ - فَاتَّلَهُ اللَّهُ! الْخَبِيثُ عَمَدَ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ، فَعَيَّرَهُ
- ١٤٦ - قَالُوا: إِنَّ اللَّهَ لَمْ يَتَكَلَّمْ وَلَا يَتَكَلَّمْ، إِنَّمَا كَوَّنَ شَيْئًا، فَعَبَّرَ عَنِ اللَّهِ (الْجَهْمِيَّة)
- ٩٣ - قَالُوا: هُوَ شَيْءٌ لَا كَالْأَشْيَاءِ
- ١٠٣ - قَطَعَهَا اللَّهُ! قَطَعَهَا اللَّهُ!
- ٢٠٩، ٢٠٧، ١٥٣، ١٠٥ - قِفْتَ بِنَا عَلَى هَذَا الْمَتَخَرِّصِ
- ١٥٨ - كَانَ يُسَمِّي الْقَدَرَ: قُدْرَةُ اللَّهِ
- ٢٧١ - كَانَ يُشَدِّدُ فِي مَخَالَفَةِ قَوْلِ الصَّحَابَةِ وَفَهْمِهِمْ لِلْسُّنَّةِ
- ١٥١ - لَا تَجْزِعْ أَنْ تَقُولَ: ذَلِكَ كَلَامُ اللَّهِ مِنَ اللَّهِ، وَمِنْ ذَاتِ اللَّهِ
- ٩٩ - لَا كَيْفَ، وَلَا مَعْنَى
- ٩٩ - لَا نُزِيلُ عَنْهُ صِفَةً مِنْ صِفَاتِهِ؛ لِشِنَاعَةِ شُنُئَتْ
- ١٤٨ - لَا يَكُونُ مِنْ أَهْلِ السُّنَّةِ، وَلَا كَرَامَةِ (الْوَاقِفَةِ)
- ٢٤٩ - مَا أَرَاهُ عَلَى الْإِسْلَامِ
- ١٠٤ - مَا أَعْلَمُ أَنِّي حَدَّثْتُ بِهِ إِلَّا لِمُحَمَّدِ بْنِ دَاوُدَ الْمُصْطَيْصِي

- ٢٥٦ - ما انتَقَصَ أَحَدٌ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ إِلَّا لَهُ دَاخِلَةٌ سُوءٌ
- ٢٢٢ - نَعَمْ؛ أَغْطِيهِ لَعَلَّ اللَّهَ يَنْفَعُهُ بِهِ
- ١٤٤ - نَفْيُ الصَّوْتِ وَالْحَرْفِ هُوَ قَوْلُ الْجَهْمِيَّةِ
- ٢٢٦ - نُقْصَانُهُ بَرَكَةُ الْعَمَلِ
- ٢٥٤ - هَذِهِ الْأَحَادِيثُ تُورِثُ الْغِلَّ فِي الْقَلْبِ
- ٢٠٩ ، ٢٠٧ ، ١٥٣ ، ١٠٥ - يَا هَذَا؛ رَسُولُ اللَّهِ أَغْيَرُ عَلَى رَبِّهِ مِنْكَ...
- أحمد بن محمد بن زياد، أبو سعيد، ابن الأعرابي
- ١٤٨ - مَا رَأَيْتُ قَوْمًا أَكْذَبَ عَلَى اللِّغَةِ مِنْ قَوْمٍ يَزْعُمُونَ أَنَّ الْقُرْآنَ مَخْلُوقٌ
- أحمد بن يحيى بن يسار الشيباني، أبو العباس ثعلب
- ١٣٨ - خَرَجَ الشُّكُّ الَّذِي كَانَ يَدْخُلُ فِي الْكَلَامِ
- أرسطو طاليس بن نيقوماخوس بن ماخلون
- لماذا كلُّما تجاوزنا المستوى المتوسط في الفلسفة، تملَّكنا الأحزان، ولازمتنا الأمراض
- ٦٠
- إسحاق بن إبراهيم بن مخلد، أبو يعقوب الحنظلي النيسابوري، ابن راهويه
- ١٥٤ - إِنَّ اللَّهَ يَقْدِرُ عَلَى أَنْ يَنْزِلَ وَيَصْعَدَ وَلَا يَتَحَرَّكَ
- ١٣٤ - إِنَّمَا يَكُونُ التَّشْبِيهُ إِذَا قَالَ: يَدٌ كَيْدٌ أَوْ مِثْلٌ يَدٌ...
- ١٥٠ - مُحَدَّثٌ مِنَ الْعَرْشِ
- أسد بن الفرات
- ٢٠٢ - وَاللَّهِ، لَوْ أَدْخَلْتُ الْجَنَّةَ، فَحُجِّبْتُ عَنْ رُؤْيَةِ اللَّهِ، لَشَكَّكْتُ...
- ١٤٧ - وَنَحْنُ أَهْلُ الْبَيْتِ؛ هَلَكْتُ هَوَالِكُهُمْ؛ يَزْعُمُونَ أَنَّ اللَّهَ خَلَقَ كَلَامًا...
- الحسن بن يسار، أبو سعيد البصري
- ٦٢ - أَهْلَكْتُهُمُ الْعُجْمَةُ؛ يَتَأَوَّلُونَ الْقُرْآنَ عَلَى غَيْرِ تَأْوِيلِهِ
- ٩٢ - نَعَمْ، بِغَيْرِ مِثَالٍ
- الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم، أبو عبد الرحمن الفراهيدي
- ١٦٥ - تُبَصِّرُ شَيْئًا مِنْ مَخَارِجِ الْكَلَامِ؟ قَالَ: نَعَمْ...
- ٢٠١ - تَجَلَّى: ظَهَرَ وَبَانَ

- صُدِّي بن عجلان بن وهب، أبو أمانة الباهلي  
٢٢٠ - رَحْمَةً لَهُمْ؛ لِأَنَّهُمْ كَانُوا مِنْ أَهْلِ الْإِسْلَامِ
- القاسم بن سلام الأزدي البغدادي، أبو عبيد القاضي  
٩٩ - إِذَا قِيلَ: كَيْفَ وَضَعَ قَدَمَهُ؟ وَكَيْفَ ضَحَكَ؟ قُلْتُ: لَا يُفَسَّرُ هَذَا...  
٦٥ - لِأَهْلِ الْعَرَبِيَّةِ لُغَةً، وَلِأَهْلِ الْحَدِيثِ لُغَةً، وَلِغَةُ أَهْلِ الْعَرَبِيَّةِ أَقْسَى...  
١٤٧ - لَوْ حَلَفَ الرَّجُلُ إِلَّا يَتَكَلَّمُ بِشَيْءٍ، فَقَرَأَ الْقُرْآنَ، لَمْ يَحْنُثْ  
٩٩ - نَحْنُ نَرَوِي هَذِهِ الْأَحَادِيثَ، وَلَا تُرِيعُ لَهَا الْمَعَانِي
- الليث بن سعد بن عبد الرحمن الفهمي، أبو الحارث المصري  
٩٥ - أَمَرُوهَا كَمَا جَاءَتْ  
١٣٩ - كَافِرٌ (الْقَائِلُ بِخُلُقِ الْقُرْآنِ)
- المختار بن عوف الأزدي أبو حَمَزَةَ  
٢٢١ - النَّاسُ مِنَّا وَنَحْنُ مِنْهُمْ، إِلَّا عَابِدٌ وَفَنٍّ، أَوْ كَفَرَةٌ أَهْلُ الْكِتَابِ...
- النعمان بن ثابت الكوفي، أبو حنيفة الإمام  
٥٨ - لَعَنَ اللَّهُ عَمْرُو بْنَ عُيَيْدٍ؛ فَإِنَّهُ فَتَحَ لِلنَّاسِ الطَّرِيقَ إِلَى الْكَلَامِ...
- الوليد بن أبان الكرابيسي  
٥٩ - إِنِّي أَوْصِيكُمْ بِمَا عَلَيْهِ أَصْحَابُ الْحَدِيثِ؛ فَإِنِّي رَأَيْتُ الْحَقَّ مَعَهُمْ  
٥٩ - هَلْ تَعْلَمُونَ أَحَدًا أَعْلَمَ بِالْكَلَامِ مِنِّي؟
- الوليد بن مسلم  
٩٥ - أَمَرُوهَا بِلَا كَيْفٍ  
١٣٩ - كَافِرٌ (الْقَائِلُ بِخُلُقِ الْقُرْآنِ)
- جبله بن حمود الصدفي  
٢٥٨ - جِهَادٌ هَؤُلَاءِ أَفْضَلُ مِنْ جِهَادِ أَهْلِ الشُّرْكِ  
٢٥٨ - كُنَّا نَحْرُسُ عَدُوًّا بَيْنَنَا وَبَيْنَهُ الْبَحْرُ، وَالْآنَ حَلَّ هَذَا الْعَدُوِّ بِسَاحَتِنَا...
- حسان أبو المنذر  
٢٦٦ - مَنْ خَالَفَ الْحَجَّاجَ، فَقَدْ خَالَفَ الْإِسْلَامَ

حمديس

٢٦٣ - يُجَاهِدُ حَسَبَ مَقْدَارِ الْبِدْعَةِ الْوَاقِعَةِ مِنْهُ عَلَى الْمَرَاتِبِ الْمَشْرُوعَةِ

سحنون بن سعيد بن حبيب، أبو سعيد التتوخي القيرواني

٢٥٣ - أَفْضَلُ هَذِهِ الْأَمَّةِ بَعْدَ نَبِيِّهَا أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ

٢٦٠ - أَلَّا تَخْرُجَ عَلَى الْأَثَمَةِ بِالسَّيْفِ، وَإِنْ جَارُوا

٢٢٨ - قُلْ: مُؤْمِنٌ، وَلَا تَخْلُطْ مَعَهَا غَيْرَهَا

٢٠٠ - كَانَ يَلْقَى ابْنَ الْقَضَائِ فِي مَرَضٍ مَوْتِهِ أَنْ اللَّهَ يُرَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ

٤٥ - مَا هَذَا الْقَلْبُ؟

سعيد بن المسيب بن حزن بن أبي وهب، أبو محمد المخزومي

٢٥٥ - لَقَدْ رَأَيْتُ عَلِيًّا وَعُثْمَانَ يَسْتَبَانِ سَبَابًا مَا أَخْبَرْتُ بِهِ أَحَدًا بَعْدَ

سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري، أبو عبد الله الكوفي

٩٥ - أَمَرُوهَا كَمَا جَاءَتْ

سفيان بن عيينة بن ميمون أبو محمد الهلالي الكوفي

٢٧٤ - الْحَدِيثُ مَضَلَّةٌ إِلَّا لِلْفُقَهَاءِ

١٣٩ - كَافِرٌ (الْقَاتِلُ بِخُلُقِ الْقُرْآنِ)

٩٥ - هِيَ كَمَا جَاءَتْ؛ تُقَرُّ بِهَا، وَتُحَدَّثُ بِهَا بِلاَ كَيْفٍ

سلمان الفارسي، أبو عبد الله

٢١٣ - الصُّرَاطُ إِنَّهُ كَحَدِّ الْمَوْسَى

٢٢٦ - لَوْ تَقَطَّعَتْ أَعْضَاءُ، مَا بَلَّغْتَ الْإِيمَانَ

شبيب الخارجي

٢٢٠ - مِنْ دِينِنَا قَتْلُ مَنْ كَانَ عَلَى غَيْرِ رَأْيِنَا؛ مِمَّا كَانَ أَوْ مِنْ غَيْرِنَا

عاصم بن أبي النجود

٢١٩ - وَاللَّهِ مَا أَعَزَّ هَذَا مِنْ دِينٍ، وَلَا دَفَعَ عَنْ مَظْلُومٍ

عبد الرحمن بن عمرو، أبو عمرو الأوزاعي الفقيه

٩٥ - أَمَرُوهَا كَمَا جَاءَتْ

- عبد الرحمن بن مهدي بن حسان اللؤلؤي، أبو سعيد البصري  
 - السُّنَّةُ الْمُتَقَدِّمَةُ مِنْ سُنَّةِ أَهْلِ الْمَدِينَةِ خَيْرٌ مِنَ الْحَدِيثِ ٢٧٤  
 - مَنْ طَلَبَ الْكَلَامَ، فَأَخَّرَ أَمْرَهُ زُنْدَقَةٌ ٥٩
- عبد العزيز بن أبي سلمة، الماجشون  
 - مَنْ زَعَمَ أَنَّ اللَّهَ لَا يُرَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ، اسْتُيِبَ ٢٠٢  
 - هَذَا الْكَلَامُ هَذُمٌ بِلَا بِنَاءٍ، وَصِفَةٌ بِلَا مَعْنَى ٩٦
- عبد الغني بن عبد الواحد بن علي، أبو محمد المقدسي  
 - بِلَا تَنْزِيهِ يَنْفِي حَقِيقَةَ النُّزُولِ ١٠٠
- عبد الله بن أبي حسان  
 - لَيْسَ هَذَا دِينُ قُرَيْشٍ، وَلَا دِينُ الْعَرَبِ؛ هَذَا دِينُ أَهْلِ قُمْ ٢٥٧، ٢٥٢، ٤٢  
 - وَاللَّهِ، لَا يَخْفَى عَلَيْنَا نَحْنُ مَنْ يَسْتَحِقُّ الْوَلَايَةَ بَعْدَ وَالَيْنَا... ٢٥٧
- عبد الله بن إدريس  
 - كَافِرٌ (الْقَاتِلُ بِخُلُقِ الْقُرْآنِ) ١٣٩
- عبد الله بن المبارك بن واضح الحنظلي التميمي، أبو عبد الرحمن المروزي  
 - كَافِرٌ (الْقَاتِلُ بِخُلُقِ الْقُرْآنِ) ١٣٩  
 - يَنْزِلُ كَيْفَ شَاءَ ١٥٤
- عبد الله بن طالب، أبو العباس  
 - الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي يُشْكِرُ عَلَى مَا بِهِ أَنْعَمَ... ٢٠٠، ١٢٢، ١٠٨، ٤٦
- عبد الله بن عباس بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف، أبو محمد الهاشمي  
 - إِذَا جَاءَ الْقَدَرُ، حَالَ دُونَ الْبَصَرِ ١٥٧  
 - الْكُرْسِيُّ مَوْضِعُ الْقَدَمَيْنِ ١١٨  
 - كَانَ يَسْمِي الْقَدَرَ: نِظَامَ التَّوْحِيدِ ١٥٧
- لا أَعْلَمُ الصَّلَاةَ تَبْغِي مِنْ أَحَدٍ عَلَى أَحَدٍ إِلَّا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ  
 - لَيْسُوا بِأَشَدَّ مِنَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى وَهُمْ يَضِلُّونَ (الْخَوَارِجُ) ٨٤  
 - مَا بَعَثَ اللَّهُ نَبِيًّا إِلَّا أَخَذَ عَلَيْهِ الْمِيثَاقَ: لَئِنْ بُعِثَ مُحَمَّدٌ... ٢٢١  
 - مَا فَرَّقَ هَؤُلَاءِ؟ يَجِدُونَ عِنْدَ مُحْكَمِهِ، وَيَهْلِكُونَ عِنْدَ مُتَشَابِهِهِ! ١٧٨  
 ٩٤



- عبد الله بن عثمان بن عامر التيمي، أبو بكر الصديق  
٧٠ - تَشَهَّدَ فِي خُطْبَةٍ غَيْرِ الْجُمُعِ
- عبد الله بن عمر بن الخطاب، أبو عبد الرحمن العدوي  
٢٥١ - أَبُو بَكْرٍ وَاللَّهُ أَخِيرُ مِنْهُ، وَهُوَ وَاللَّهُ أَسْوَدُ مِنْ أَبِي بَكْرٍ!  
٢٨٢ - أَمَّا أَنَا، فَعَلَى بَيْتِهِ مِنْ رَبِّي، وَأَمَّا أَنْتَ، فَاذْهَبْ إِلَى شَاكٍّ مِثْلِكَ خَاصِمُهُ  
٧٠ - جَمَعَ بَيْنَهُ وَأَهْلَهُ فِي إِنْبَاتٍ بَيْعَتِهِ يَزِيدُ لَمَّا خَلَعَهُ النَّاسُ  
٢٥١ - مَا رَأَيْتُ أَسْوَدَ مِنْ مُعَاوِيَةَ!  
٢٥٢ - مُعَاوِيَةُ أَسْوَدُ مِنْ عُمَرَ وَعُثْمَانَ!
- عبد الله بن عمرو بن العاص بن وائل، أبو محمد السهمي  
٢٣٨ - شَرُّ وَادِيَيْنِ فِي النَّاسِ: وَادِي الْأَحْقَافِ، وَوَادِي بِحَضْرَمَوْتَ يَقَالُ لَهُ: بَرَهُوتُ
- عبد الله بن قيس بن سليم بن حضار، أبو موسى الأشعري  
١١٨ - الْكُرْسِيُّ مَوْضِعُ الْقَدَمَيْنِ
- عبد الله بن لبيبة بن عقبة الحضرمي، أبو عبد الرحمن المصري القاضي  
١٣٩ - كَافِرٌ (الْقَاتِلُ بِخُلُقِ الْقُرْآنِ)
- عبد الله بن محمد الضعيف  
١٤٨ - قُعْدُ الْخَوَارِجِ أَخْبَثُ الْخَوَارِجِ، وَقُعْدُ الْجَهْمِيَّةِ هُمْ الْوَاقِفَةُ
- عبد الله بن مسعود بن غافل بن حبيب الهذلي، أبو عبد الرحمن  
١٤٣ - إِذَا تَكَلَّمَ اللَّهُ بِالْوَحْيِ، سَمِعَ صَوْتَهُ أَهْلُ السَّمَاءِ  
١٦٢ - إِذَا ذُكِرَ الْقَدَرُ، فَأَمْسِكُوا  
٧١ - التَّشَهُّدُ فِي كُلِّ حَاجَةٍ يَخْطُبُ لَهَا  
- بَيْنَ السَّمَاءِ الدُّنْيَا وَالَّتِي تَلِيهَا خَمْسُ مِئَةِ عَامٍ، وَبَيْنَ كُلِّ سَّمَاءٍ خَمْسُ مِئَةِ  
١٢٠ عَامٍ...
- ١٢٤ - عَبَّرَ عَنِ الْإِسْتَوَاءِ بِالْجُلُوسِ  
٢١٣ - وَالصُّرَاطُ كَحَذِّ السَّيْفِ، دَخُضُ مَزِلَّةٍ
- عبد الله بن وهب بن مسلم، أبو محمد الفهري القرشي  
٢٧٤ - كُلُّ صَاحِبٍ حَدِيثٍ لَيْسَ لَهُ إِمَامٌ فِي الْفَقْهِ، فَهُوَ ضَالٌّ...

## الصفحة

## الأثر/ القول

- ٢٧٤ - لولا أَنَّ الله أنقَذَنَا بِمَالِكٍ وَاللَيْثِ، لَضَلَلْنَا  
عبد الله بن يزيد المقرئ
- ١٠١ - يَخْبِي أَنَّ الله سَمِيعٌ بَصِيرٌ  
عبد الملك بن عبد الله بن يوسف، أبو المعالي الجويني إمام الحرمين
- ٥٩ - أَمُوتُ عَلَى مَا يَمُوتُ عَلَيْهِ عَجَائِزُ نَيْسَابُورِ  
عبد الملك بن قريب بن عبد الملك بن علي، أبو سعيد الأصمعي البصري
- ١٣٣ - إِذَا سَمِعْتَ الرَّجُلَ يَقُولُ: الْإِسْمُ غَيْرُ الْمُسَمَّى، فَاحْكُمْ عَلَيْهِ بِالزُّنْدَقَةِ  
١٦٥ - جَلَسْتُ إِلَى أَبِي عَمْرٍو بْنِ الْعَلَاءِ عَشْرَ حِجَجٍ ...  
١٢٨ - هِيَ كَافِرَةٌ بِهَذِهِ الْمَقَالَةِ  
عبدة بن سليمان الكلابي
- ١٣٩ - كَافِرٌ (الْقَاتِلُ بِخُلُقِ الْقُرْآنِ)  
عثمان بن سعيد بن عثمان، أبو عمرو الداني
- ٦٥ - أئِمَّةُ الْقُرَاءِ لَا تَعْمَلُ فِي شَيْءٍ مِنْ حُرُوفِ الْقُرْآنِ عَلَى الْأَفْسَى فِي اللُّغَةِ،  
وَالْأَقْيَسِ فِي الْعَرَبِيَّةِ  
عثمان بن عفان بن أبي العاص الأموي
- ٧٠ - تَشْهَدُ فِي كَلَامِهِ لَمَّا أَقَامَ الْحَدَّ عَلَى الْوَلِيدِ بْنِ عُقْبَةَ  
عقبة بن نافع
- ٢٢ - اللَّهُمَّ، أَشْهَدُ أَنِّي قَدْ بَلَغْتُ الْمَجْهُودَ، وَلَوْ لَا هَذَا الْبَحْرُ، لَمَضَيْتُ فِي الْبِلَادِ  
أُقَاتِلُ مَنْ كَفَرَ بِكَ ...
- ٢٢١ - عَلِيٌّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ بْنُ عَبْدِ الْمَطْلَبِ بْنِ هَاشِمٍ، أَبُو الْحَسَنِ الْهَاشِمِيُّ  
- أَرْجُو أَنْ يَكُونُوا هُمْ؛ فَإِنَّهُمْ سَفَكُوا الدَّمَ الْحَرَامَ  
٧٠ - تَشْهَدُ فِي خُطْبَةٍ غَيْرِ الْجُمُعِ  
٨١ - خَيْرُ هَذِهِ الْأُمَّةِ بَعْدَ نَبِيِّهَا أَبُو بَكْرٍ، وَالثَّانِي عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ  
٢٣٧ - شَرُّ وَادِيَيْنِ فِي النَّاسِ: وَادِي الْأَحْقَافِ، وَوَادِي بَحْضَرَمُوتِ يَقَالُ لَهُ: بَرْهُوتُ  
٨٤ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْكَ

- ٢٢٢ - وَإِنْ خَالَفُوا إِمَامًا جَائِرًا فَلَا تَقَاتِلُوهُمْ (الخوارج)
- ٨١ - يَجْعَلُ اللَّهُ تَعَالَى الْخَيْرَ حَيْثُ أَحَبَّ
- علي بن عاصم
- ١٣٩ - كَافِرٌ (القاتل بخلق القرآن)
- علي بن عقيل، أبو الوفاء البغدادي
- ٦٠ - عُدْتُ الْقَهْقَرَى إِلَى مَذْهَبِ الْمَكْتَبِ
- عمر بن الخطاب بن نفيل، أبو حفص العدوي
- ١٢٦ - إِذَا جَلَسَ الرَّبُّ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى الْكُرْسِيِّ
- ٧٠ - تَشْهَدُ فِي خُطْبَتِهِ لَمَّا مَاتَ النَّبِيُّ
- سَنَّ رَسُولُ اللَّهِ وَوَلَاةُ الْأَمْرِ مِنْ بَعْدِهِ سُنَّتًا، الْأَخْذُ بِهَا تَصْدِيقٌ بكِتَابِ اللَّهِ،
- ٢٧٢ واستكمالاً لطاعة الله...
- ٢٧٦ - قَدْ سُنَّتْ لَكُمْ السُّنَنُ، وَفُرِضَتْ لَكُمْ الْفَرَائِضُ، وَتُرَكِّمُ عَلَى الْوَاضِحَةِ...
- ٢٧٦ - كُلُّ سَبِيلٍ إِلَى اللَّهِ مِنْ غَيْرِ الْوَحْيِ، فَهُوَ بَاطِلٌ
- عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم بن أبي العاص الأموي
- ٢٨٠ - مَنْ جَعَلَ دِينَهُ غَرَضًا لِلْخُصُومَاتِ، أَكْثَرَ التَّنْقُلِ
- عمران بن الحصين
- ١٦٤ - أَرَأَيْتَ مَا يَعْمَلُ النَّاسُ الْيَوْمَ، وَيَكْدَحُونَ فِيهِ؛ أَشَيْءٌ قُضِيَ عَلَيْهِمْ...
- عون بن يوسف الخزاعي
- ١٧٢ - إِذَا أَرَدْتَ أَنْ تَكْفُرَ الْقَدْرِيَّ، فَقُلْ لَهُ: مَا أَرَادَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ خَلْقِهِ؟
- قبيصة بن ذؤيب بن حلحلة، أبو إسحاق
- مَنْ قَالَ: مُحَدَّثٌ، فَهُوَ يَقُولُ
- ١٥١ - إِنَّهُ مَخْلُوقٌ...
- مالك بن أنس بن مالك، أبو عبد الله الأصمعي المدني
- ٢٦٢ - أَدْرَكْتُ سَبْعَةَ عَشَرَ تَابِعِيًّا؛ فَمَا سَمِعْتُ أَنَّهُمْ قَامُوا إِلَى إِمَامٍ جَائِرٍ يَعْظُونَهُ
- ٢١٩ - أَرَاهُ فِي الْحُرُورِيَّةِ

الصفحة

الأثر / القول

- الاستواء معلوم، والكيف مجهول ٩٧، ١٢٧
- السَّيْفُ السَّيْفُ ٢٠٢
- العملُ أثبتُّ من الأحاديث ٢٧٣
- القَدَرِيَّةُ أشرُّ الناسِ، ورأيُهم أهلُ طَيْشٍ وسَخَافَةٍ عقولٍ وبدعٍ... ١٦٨
- القرآنُ كلامُ الله، وكلامُ الله منه، وليس من الله شيءٌ مخلوقٌ ١٣٨
- القرآنُ كلامُ الله، وكلامُهُ لا يَبِيدُ ولا يَفُتُّ، وليس بمخلوقٍ ١٥٥، ١٣٨
- الله في السماء، وعِلْمُهُ في كُلِّ مكانٍ... ١٠٧
- المِيزَانُ حَقٌّ ٢٠٩
- أَمْرُهَا كَمَا جَاءَتْ ٩٦، ٩٥
- أَمْسَكَ عَنِ التَّفْضِيلِ بَيْنَ عُثْمَانَ وَعَلِيٍّ ٢٥٢
- إِنَّ التَّفَاضُلَ بَيْنَ الصَّحَابَةِ لَيْسَ مِنْ أَمْرِ النَّاسِ الَّذِينَ مَضَوْا... ٢٥١
- إِنَّ ظَنَنْتَ ذَلِكَ بِنَفْسِكَ، خِفْتُ أَنْ تَرِلَّ فَتَهْلِكَ... ٥٧
- أَهْلُ الْبِدْعِ الَّذِينَ يَتَكَلَّمُونَ فِي أَسْمَاءِ اللَّهِ وَصِفَاتِهِ... ٥٨، ٥٤
- أَهْلُ الذُّنُوبِ مُؤْمِنُونَ مَذْيُوبُونَ ٢٣٤
- إِيَّاكُمْ وَالْبِدْعَ ٥٤
- بَعْضُ الْإِيمَانِ أَفْضَلُ مِنْ بَعْضٍ ٢٢٧
- بَلَّغْنِي أَنَّ الْأَرْوَاحَ مُرْسَلَةٌ تَذْهَبُ حَيْثُ شَاءَتْ ٢٣٦
- تُوَفِّيتُ حَفْصَةَ عَامَ فُتِحَتْ إِفْرِيقَةُ ٢٣
- رَأَيْتُ أَهْلَ بَلَدِنَا يَنْهَوْنَ عَنِ الْكَلَامِ فِي الدِّينِ ٥٤
- قُلْ: مُؤْمِنٌ، وَلَا تَخْلِطْ مَعَهَا غَيْرَهَا ٢٢٨
- كَافِرٌ زَنْدِيقٌ؛ اقْتُلُوهُ (القائل بخلق القرآن) ١٣٩
- كَانَ ابْنُ هُرْمُزٍ رَجُلًا كُنْتُ أَحِبُّ أَنْ أَقْتَدِيَ بِهِ... ٥٧
- كَانَ يَحْذَرُ مِنْ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ مِنْ غَيْرِ مَعْرِفَةٍ بِلِسَانِ الْعَرَبِ ٦٢
- كَانَ يَشْدُدُّ عَلَى مَنْكِرِ رُؤْيَا اللَّهِ ٢٠١
- كَانَ يَشْدُدُّ عَلَى مُنْكَرِي الْقَدَرِ، وَيُرَى أَنَّهُمْ يُسْتَتَابُونَ ١٥٨
- كَانَ يُشَدِّدُ فِي مَخَالَفَةِ قَوْلِ الصَّحَابَةِ وَفَهْمِهِمُ لِلسُّنَّةِ ٢٧١

- ١٣٨ - كان يصف من قال بخلق كلام الله بالزندقة، ويأمر بقتله
- كان يقال: لا تمكّن زائغ القلب من أدنيتك؛ فإنك لا تدري ما يعلّقك من ذلك
- ٢٨٠
- ٢٠٠ - كذبوا، بل تنظر إلى الله؛ أما سمعت قول موسى...
- ٦٢ - لا أوتى برجل يفسر كتاب الله غير عالم بلغات العرب، إلا جعلته نكالا
- ١٠٣ - لا يتحدث به، وما يدعو الإنسان إلى الحديث بذلك...
- ١٦ - لا، ولكن يخبر بالسنة؛ فإن قيل منه، وإلا سكّت
- ٢٢٦ - ليس للإيمان منتهى؛ هو في زيادة أبدا
- ٢٧٩ - ليس هذا الجدل من الدين بشيء
- ٢٥٢ - ما أدركت أحدا أفتدي به يفضل أحدهما على صاحبه
- ٥٤ - ما قلت الآثار في قوم إلا ظهرت فيهم الأهواء...
- ٢٤٩ - من رمى عائشة، كفر، فقد خالف القرآن
- ٢٤٩ - من سب عائشة، قتل
- ٥٤ - من طلب الدين بالكلام، ترندق
- ١٢٣، ١٠٢ - من وصف شيئا من ذات الله؛ مثل قوله...
- ٢٧١ - هؤلاء يستأبون
- ١٠٠ - ولا يسكتون عما سكّت عنه الصحابة
- ٢٧٩ - ولقد قال رجل: لقد دخلت هذه الأديان كلها، فلم أر شيئا مستقيما...
- ٩٦ - يروونه بأعينهم
- ٢٠٠ - ينظرون إلى الله بأعينهم هاتين
- ٢٠١ - متقدمو المالكية كانوا يشددون على منكر رؤية الله
- مجاهد بن جبر المكي، أبو الحجاج المخزومي المقرئ
- ١٢٤ - يقعد معاه على العرش
- محمد بن إدريس بن العباس، أبو عبد الله الشافعي
- ١٠٤ - سبحان الله! شيء منه مخلوق!
- محمد بن إسماعيل بن إبراهيم، الإمام البخاري
- ١٤٤ - إن الله تكلم بالصوت والحرف

الصفحة	الأثر/ القول
١٤٤	- صوت الله لا يُشبه صوت الخلق
١٤٤	- صوت الله يُسمع من بُعد، كما يُسمع من قرب
٥٨	محمد بن الحسن بن فرقد الشيباني - كان أبو حنيفة يَحْتَنِي على الفقه، وينهاها عن الكلام
	محمد بن سحنون بن سعيد بن حبيب، أبو عبد الله التنوخي القبرواني - أَرَأَيْتَ كُلَّ مخلوق:
١٤٦	- هل يَذِلُّ لخالقه؟
١٦٣	- الإقرارُ غيرُ مخلوق، وما سوى ذلك من الأعمال مخلوقة
٢٣٢	- لا أقول ما قالتِ المرجئة: لا تُضَرُّ الذنوبُ مع التوحيد
	محمد بن عبد الكريم، طراز الشريعة الشهرستاني - عليكم بدين العجائز
٦٠	محمد بن عبد الله الأندلسي، أبو عبد الله، ابن أبي زمنين - الكرسيُّ موضعُ القدمين
١١٨	محمد بن عبد الله بن محمد، القاضي أبو بكر بن العربي - عبّر عن الاستواء بالقعود
١٢٥	محمد بن علي بن عمر التميمي المازري - وبؤدي لو مَحَوْتُ هذا من هذا الكتاب بماء بصري
١٦٧	محمد بن عمر بن الحسين، فخر الدين الرازي - لقد اخْتَبَرْتُ الطُّرُقَ الكلاميةَ، فما رأيتُ فيها فائدةً تساوي فائدةَ القرآن
٦٠	العظيم
	محمد بن مسلم بن عبد الله بن عبيد الله، ابن شهاب الزهري - أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِمَثَلِكُمْ وَمَثَلِ هذه؟ كَمَثَلِ عَيْنَيْنِ فِي رَأْسِ يُؤْذِنَانِ صَاحِبَيْهِمَا...
٢٥٥	- أَمِرُوا الْأَحَادِيثَ كَمَا جَاءَتْ
٩٥	مصعب بن عبد الله بن مصعب، أبو عبد الله الزبيري - رأيتُ أَهْلَ بَلَدِنَا يَنْهَوْنَ عن الكلام في الدين
٥٤	

- مقاتل بن سليمان الأزدي البلخي الخراساني  
 - شرُّ واديين في الناس: وادي الأحقاف، ووادٍ بحضرموت يقال له: برّهوت ٢٣٨
- مكحول بن عبد الله، أبو عبد الله الشامي  
 - أَمِرُوا الْأَحَادِيثَ كَمَا جَاءَتْ ٩٥
- هاني بن مسعود الشيباني  
 - إِنَّ الْحَذَرَ، لَا يُنْجِي مِنَ الْقَدَرِ ١٥٧
- هشيم بن بشير  
 - كَافِرٌ (القاتل بخلق القرآن) ١٣٩
- وكيع بن الجراح بن مليح، أبو سفيان الرواسي الكوفي  
 - كَافِرٌ (القاتل بخلق القرآن) ١٣٩
- نُسَلِمُ هَذِهِ الْأَحَادِيثَ كَمَا جَاءَتْ، وَلَا نَقُولُ: كَيْفَ؟ وَلَمْ جَاءَ هَذَا؟ ٩٥
- وهب بن منه بن كامل البماني، أبو عبد الله الأبنوي  
 - الْكُزْمِيُّ مَوْضِعُ الْقَدَمَيْنِ ١١٨
- يحيى بن زكريا  
 - كَافِرٌ (القاتل بخلق القرآن) ١٣٩
- يحيى بن سعيد القطان  
 - مَا أَدْرَكْتُ أَحَدًا مِنْ أَصْحَابِنَا إِلَّا عَلَى سُنَّتِنَا فِي الْإِيمَانِ ٢٢٥
- يزيد بن هارون  
 - مَنْ زَعَمَ أَنَّ الرَّحْمَنَ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى عَلَى خِلَافٍ مَا يَقْرَأُ فِي قُلُوبِ الْعَامَّةِ... ٩٦
- وَتِلْكَ مَنْ يَدْرِي كَيْفَ هَذَا؟ ١٠٠
- يوسف بن عبد الله بن محمد، جمال الدين بن عبد البر  
 - الْقَدَرُ لَا يُدْرِكُ بِجِدَالٍ، وَلَا يَشْفِي مِنْهُ مَقَالٌ ١٦٢
- يونس بن حبيب  
 - لَا فِكْرَ لِي فِيهِ ١٦٥

## ٤ - فهرس الأشعار والأرجاز وأنصاف الأبيات

يَا عِبْلَ أَتَيْنَ مِنَ الْمَنِيَّةِ مَهْرَبِي	إِنْ كَانَ رَبِّي فِي السَّمَاءِ قَضَاهَا ١٥٧
مَجِدُوا اللَّهَ وَهُوَ لِلْمَجْدِ أَهْلٌ	رَبُّنَا فِي السَّمَاءِ أَمْسَى كَبِيرًا ١٢٢
بِالْبِنَاءِ الْأَعْلَى الَّذِي سَبَقَ النَّا	سَ وَسَوَّى فَوْقَ السَّمَاءِ سَرِيرًا ١٢٢
وَالْقَوْلُ فِي كِتَابِهِ الْمُفَصَّلِ	بِأَنَّهُ كَلَامُهُ الْمُنَزَّلُ ١٤٧
مَا لِي بِأَمْرِكَ تُرْسِي أَكَاتِمُهُ	وَلَا يُكْرِسِي عِلْمَ اللَّهِ مَخْلُوقُ ١١٩
عَلَى رَسُولِهِ النَّبِيِّ الصَّادِقِ	لَيْسَ بِمَخْلُوقٍ وَلَا بِخَالِقٍ ١٤٧
وَالْوَقْفُ فِيهِ بِذَعَةٍ مُضِلَّةُ	وَمِثْلُ ذَاكَ اللَّفْظُ عِنْدَ الْجِلَّةِ ١٤٧
.....	إِنَّ الْمَنَايَا لَا تَطِيشُ سِهَامُهَا ١٥٧
مَنْ قَالَ فِيهِ إِنَّهُ مَخْلُوقُ	أَوْ مُحَدَّثُ فَقَوْلُهُ مُرُوقُ ١٤٧
وَأَنَا سَوْفَ تُذَرِكُنَا الْمَنَايَا	مُقَدَّرَةٌ لَنَا وَمُقَدَّرِينَ ١٥٧



## ٥ - فهرس المصطلحات

الصفحة	المصطلح	الصفحة	المصطلح
١٤٨	- الواقفة	١ - فهرس المصطلحات العقدية والفكرية	
٢٣٩	- حياة البرزخ		
١٩٧	- شفاعَةُ النجاةِ والسلامَةِ	١٣٥	- إضافة التشريف
١٩٧	- شفاعَةُ تخفيفِ العذابِ	١٣٥	- إضافة الصِّفَةِ
١٩٨	- شفاعَةُ دخولِ الجَنَّةِ	١٣٣	- الأسماء الحسنى
١٩٨	- شفاعَةُ رفعِ الدرجاتِ	٢٤٩	- البِدْعَةُ المَكْفُرَةُ
١٩٧	- شفاعَةُ زوالِ العَذابِ	٢٦٩	- السلف الصالح
٨٩	- مائِةُ الشيءِ	٢١٣	- الصراط
١١٣	- مقالة التأويل	٨٦	- الكُنه
	٢ - فهرس المصطلحات الأصولية	١٢٠	- المرفوع حكما
٢٤٧	- الصحابي	٢٤٢	- الملائكة الحَفَظَةُ

## ٦ - فهرس القواعد والكلديات

الصفحة

القاعدة/ الكلية

### ١ - فهرس قواعد المعرفة ومدارك النظر

- ١٥ - الجدال والمراء الزائد يُورث العناد والمكابرة
- ٢٧٨ - الجدال والمراء ليس طريقاً موصلاً إلى الحق بذاته
- ٢٢٣ - العالم المنصف لا يتكلم بما تُحبه كل فئة في خصمها
- ١٦١ - العقول إنما تبحث في مُمكنات الإدراك العقلي، لا في مُحالاته
- ٥٠ - الموافقة في مسائل لا تعني الموافقة في الأصول
- ٨٧ - النّهي عن الخوض فيما لا يُدرّكه العقل
- ٢٢٦ - إمكان الشيء شيء، وحصوله شيء آخر
- ٢٧٨ - أهلك أصحاب العقول استحسنهم رأيهم، وهجر النص
- ١٦ - إيضاح الحق بلا جدال أقرب إلى القبول
- ١٥ - بيان الحق يكون من أصوله، بلا جدال ولا مراء
- ١٩ - فضل العلوم بفضل المعلوم
- ١٢٧ - كل ما لا مجال للعقل فيه، فلا يجوز الخوض فيه
- ٢٢٣ - كم تأذى الحق، بمحاباة الخلق!
- ٢٧٥ - لا تنتشر البدع إلا عند من عطل الأثر
- ٩٩ - لا يُقر من باطل إلى باطل
- ٥٠ - ليس النّاء ولا التلمذة تُدخل أحداً في مذهب أحد
- ١٣٥ - ليس في القرآن ما لا يفهم معناه البتة
- ١٨٧ - ما فهمه الصّدّر الأوّل من القرآن هو مراد الله فيه
- ١٠٣ - ما كل صحيح يصحّ التحديث به
- ٢٧٨ - متى بانّ الحجة، واتضح الدليل، وجب اتباعه والعمل به

- ٢١٥ - مِنْ أَعْظَمِ الْبِدْعِ وَالضَّلَالِ أَنْ يُرَدَّ الدَّلِيلُ بِالنَّظَرِ
- ٢٧٥ - مَنْ جَهِلَ الْأَثَرَ اسْتَحْسَنَ الْعَمَلَ بِالرَّأْيِ
- ٢٠ - مَنْ عَطَّلَ الْعَقْلَ، فَسَدَتْ دُنْيَاهُ، وَمَنْ عَطَّلَ النُّقْلَ، فَسَدَ دِينُهُ
- ١٦١ - نَهَى اللَّهُ عَنِ الْخَوْضِ فِي مَا لَا سَبِيلَ لِإِدْرَاكِهِ
- ١٦ - يَجِبُ بَيَانُ الْحَقِّ بِحُجَّتِهِ بِمَا يَفْهَمُهُ السَّامِعُ وَالْقَارِئُ بَلَا تَكْلُفٍ
- ٥٣ - يُرِيدُ الْأَثَرَ الْعَقْلَ إِلَى الْوُقُوفِ عَلَى مَا لَا يُحِيطُ بِهِ

٢ - فهرس قواعد العقائد

- ١ - فهرس قواعد الإلهيات
- «لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ» ٤٥، ٨٦، ٨٨، ٩٧، ١٠٢، ١١٢، ١١٩، ١٢١، ١٢٧، ١٢٨، ١٣٠، ١٣٤، ١٣٦، ١٤٦
- ٢٠٧ - إثبات أفعال الله الاختيارية على وجه الحقيقة
- ٩٧ - إثبات الحقائق والمعاني الصحيحة ليس منفياً
- ٨٦ - إثبات الصفات لله إثبات للوجود والحقيقة والكيفية
- ٦١ - إثبات الصفة لا يعني تشبيهاً؛ ونقي الكيف لا يعني تعطيلاً
- ١٣٦ - إثبات الصفة للخالق لا يعني مشابهتها لصفة المخلوق
- ١٢٨ - إذا اختلفت لوازم الذات، اختلفت لوازم الصفات
- ١٣٠ - الأصل ألا تثبت الأسماء والصفات لله إلا بما ثبت في الوحيين
- ١٥٤ - الإمساك عن الزيادة على النص أحوط
- ١٦٤ - التشبيه المتوهم أصل ضلال الفرق في الله
- ٨٨، ٦٢ - التفكر في الأسماء يؤدي لمعرفة معناها وآثارها، والعمل بمقتضاها
- ٥٩ - الحق أن تؤخذ مسائل الصفات والغيبيات على ظاهرها
- ٦٥ - السنة تقضي على اللغة، واللغة لا تقضي على السنة
- ٤٧ - السياق مُحْكَمٌ في إثبات الصفات
- ٤٤ - الفقه في الكلام الجهل به
- ١٦١ - القدر من أسرار الله التي لا يجوز الخوض فيها بغير شرع
- ٩ - الله إله واحد لا إله غيره، ولا شبه له، ولا نظير له
- ١٠٥ - الله تعالى لا يُشَبَّهُه شيء في كيفية صفاته

## الصفحة

## القاعدة/ الكلية

- ٨٦ - الله ليس له مثيلٌ يُكَيَّفُ عليه، ولا شبيهٌ يُقَاسُ عليه
- ٩٨ - تركُ حقائِقِ النصوصِ ومَعَانِيهَا الصحيحة هلاكٌ
- ٩ - تعالى الله أن تكونَ صِفَاتُهُ مَخْلُوقَةً، وَأَسْمَاؤُهُ مُحَدَّثَةٌ
- ١٢٧ - ذاتُ الله وصفاته يُكْتَفَى فيها بالقَدْرِ الواردِ في السمعِ
- ١٣٢ - كلُّ اسمٍ له معنى يُثَبَّتُ له الاسمُ والمعنى جميعاً
- ١١٢ - كلُّ ما أَخْبَرَ الله به عن نَفْسِهِ يجبُ إثباته على الحقيقة
- ١٢٤ - لا نَسْمِيهِ، ولا نَصِفُهُ، ولا نُطَلِّقُ عليه، إلَّا ما سَمَى به نَفْسُهُ
- ٨٦ ، ٩ - لا يَتَلَعَّ كُنْهَ صِفَتِهِ تعالى الواصفون، وَلَا يُحِيطُ بِأَمْرِهِ الْمُتَفَكِّرُونَ
- ١١٩ - لا يجوزُ تكييفُ فِعْلِ الله
- ٦١ - لا يَحْمِلُكَ خَوْفُ التشبيهِ على النفي، ولا خوفُ التأويلِ على التشبيهِ
- ١٢٩ - لا يزالُ الله تعالى على كمالِهِ، لا يَغَيِّرُهُ الزمانُ
- ١٢٧ - لا يكونُ الكيفُ إلَّا لِمَا له حقيقةٌ
- ٩٢ ، ٩٣ ، ١٢٢ ، ١٢٦ - لا يَلْزَمُ من إثباتِ حقيقةِ الصفاتِ التشبيهُ
- ١٣٠ ، ١٣٤ ، ١٣٦ ، ٢٠٨
- ٩ - لله تعالى الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى، وَالصِّفَاتُ الْعُلَا
- ٩ - لَمْ يَزَلِ الله تعالى بِجَمِيعِ صِفَاتِهِ وَأَسْمَائِهِ
- ١١٢ - لو خَلَّتْ أذهَانُ المعطَّلة مِنَ القياسِ، لَخَلَّتْ مِنَ التعطيلِ
- ١٣٢ - ليسَ لله تعالى مَنْ يُشَابِهُهُ في أَسْمَائِهِ
- ٩٨ - ليسَ مِنَ السلامةِ تركُ مرادِ الله في كلامِهِ
- ١٣٠ - ليستِ العقائدُ مِنَ مواردِ الزَّوْاعِ
- ٦٥ - ما خَالَفتْ ما أَجْمَعَ عليه السَّلَفُ من المعاني، فهو فاسِدٌ
- ١٢٧ - ما دَلَّ السياقُ على حَقِيقَتِهِ تُثَبَّتْ حَقِيقَتُهُ
- ١٣٥ ، ٤٧ - مجردُ الإضافةِ لا تُفِيدُ إثباتَ الصفةِ
- ١٣٠ - مسائلُ الغيبِ مَرَدُّهَا إلى علمِ الله؛ لا مجالَ فيها للاجتهادِ والنَّظَرِ
- ٤٤ ، ٦١ ، ٨٨ - مِنَ الْعِلْمِ بِاللَّهِ: الْجَهْلُ بما لَمْ يُخَيَّرِ الله به عن نَفْسِهِ
- ١٣٠ ، ١٢٨ - مَنْ كانتْ ذَاتُهُ لا شَبِيهَ لَهَا، فَصِفَاتُهُ لا شَبِيهَ لَهَا
- ١٥٧ - مِنْ كَمَالِ الْخَالِقِ كَمَالُ عِلْمِهِ

الصفحة

القاعدة/ الكلية

- ١٣٠ - مَنْ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ فِي ذَاتِهِ، لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ فِي صِفَاتِهِ
- ٦١ - مَنَعَ الْإِسْتِرْسَالِ فِي التَّفَكُّرِ فِي كَيْفِيَّةِ ذَاتِ اللَّهِ وَصِفَاتِهِ
- ٨٦ - وَاجِبُ الْعُقُولِ الْوَقُوفُ فِي إِثْبَاتِ الصِّفَاتِ عَلَى التَّصَوُّصِ
- ٨٧ - يَجِبُ الْإِمْسَاكُ عَنِ التَّفَكُّرِ فِي كَيْفِيَّةِ ذَاتِ اللَّهِ وَصِفَاتِهِ
- ٢٧٥ - يَسْعُنَا أَنْ نُمْسِكَ عَمَّا أَمْسَكَ عَنْهُ السَّلَفُ
- ٩ - يَغْتَبِرُ الْمُتَفَكِّرُونَ بِآيَاتِهِ، وَلَا يَتَفَكَّرُونَ فِي مَاهِيَّةِ ذَاتِهِ
- ٢ - فِهْرَسُ قَوَاعِدِ النُّبُوَاتِ
- ٢٠١ - الْأَنْبِيَاءُ لَا يَسْأَلُونَ الْمَحَالَ؛ بَلِ الْمُمْكِنَ
- ٣ - فِهْرَسُ قَوَاعِدِ السَّمْعِيَّاتِ
- ٢١٤ - لَيْسَ فِي صَرِيحِ الْعَقْلِ مَا يُحِيلُ الْغَيْبِيَّاتِ
- ٢١٤ - مَا ثَبَتَ بِالنَّصِّ مِنَ الْغَيْبِيَّاتِ لَا يَجُوزُ إِنْكَارُهُ بِالْعَقْلِ
- ٣ - فِهْرَسُ الْقَوَاعِدِ الْأَصُولِيَّةِ
- ١ - فِهْرَسُ الْقَوَاعِدِ الْأَصُولِيَّةِ الْكُبْرَى
- ٧٩ - الْإِهْتِمَامُ فِي الشَّرِيعَةِ يَكُونُ لِلْأَهَمِّ وَالْأَعْظَمِ
- ٢٦٥ - الطَّاعَةُ بِالْمَعْرُوفِ لَا فِي مَعْصِيَةِ اللَّهِ
- ١٣١ - الْفُرُوعُ مَحَلُّ رَأْيٍ وَاجْتِهَادٍ
- ٢١ - أَنْزَلَ اللَّهُ الْوَحْيَ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ
- ٢٧١ - كُلُّ سُنَّةٍ لَا تَنْتَهِي إِلَى الصَّحَابَةِ يُتَوَقَّفُ فِيهَا
- ٢٦١ - يَجِبُ تَغْلِيْبُ صِلَاحِ الدِّينِ عَلَى صِلَاحِ الدُّنْيَا عِنْدَ التَّرَاحُمِ
- ٧٣ - يَنْتَهَى اللَّهُ عَنْ شَيْءٍ، ثُمَّ يُبَيِّنُ سَعَةَ الْحَلَالِ
- ٢ - فِهْرَسُ قَوَاعِدِ الْحُكْمِ الشَّرْعِيِّ
- ٧٩ - الصَّبِيُّ غَيْرُ مَكْلُفٍ
- ٣ - فِهْرَسُ قَوَاعِدِ الْأَدْلَةِ
- ٢٧٢ - إِذَا ثَبَتَ إِجْمَاعُ التَّابِعِينَ، فَلَا يَجُوزُ الْخُرُوجُ عَنْهُ
- ٢٧١ - إِذَا صَحَّ إِجْمَاعُ الصَّحَابَةِ، فَلَا تَجُوزُ الْمَنَازَعَةُ فِي ذَلِكَ
- ١٣٢ - الْأَصْلُ فِي مَرَاثِلِ التَّابِعِينَ التَّوَقُّفُ

## الصفحة

## القاعدة/ الكلية

- ١٣٢ - قول التابعي لَيْسَ حُجَّةً مَقْطُوعَةٌ فِي الْفُرُوعِ وَالْأَصُولِ
- ٢٧٢ - لَا يَجُوزُ اسْتِنْبَاطُ حُكْمٍ يُخَالِفُ قَوْلَ أَهْلِ الصِّدْرِ الْأَوَّلِ
- ٤ - فهرس قواعد دلالات الألفاظ
- ١٣٧ - إِذَا أَكَّدَ الْفِعْلُ بِالْمَصْدَرِ، لَمْ يُحْمَلْ إِلَّا عَلَى الْحَقِيقَةِ
- ١٤٥ - إِذَا تَذَلُّ عَلَى الْمُسْتَقْبَلِ
- ٦٥ - الْأَصْطِلَاحُ وَالْوَضْعُ الشَّرْعِيُّ مَقْدَمٌ عَلَى الْوَضْعِ اللَّغَوِيِّ
- ٤٧ - السِّيَاقُ مُحْكَمٌ فِي تَفْسِيرِ النُّصُوصِ
- ١٠٤ - سِيَاقَاتُ الْكَلَامِ لَا بُدَّ مِنْ مَعْرِفَتِهَا لتمييز الألفاظ
- ١٢٦ - عَلَى تَذَلُّ عَلَى الْعُلُوِّ وَالْفُوقِيَّةِ
- ١٣٢ - كُلُّ اسْمٍ لَهُ مَعْنَى يَثْبُتُ لَهُ الْأَسْمُ وَالْمَعْنَى جَمِيعًا
- ٦٥ - لَا يَجُوزُ تَقْدِيمُ الْوَضْعِ اللَّغَوِيِّ عَلَى الْوَضْعِ الشَّرْعِيِّ
- ٢٧٥ - مَا تَأَوَّلَهُ السَّلَفُ تَأَوَّلْنَاهُ، وَمَا عَمِلُوا بِهِ عَمِلْنَا بِهِ
- ١٠٠ - مَعْرِفَةُ سِيَاقَاتِ كَلَامِ الْأُئِمَّةِ مَفْسَرَةٌ لِأَلْفَظِهِمُ الْمُتَبَايِنَةِ فِي الِاسْتِعْمَالِ
- ٦٤ - يَجِبُ اعْتِبَارُ السِّيَاقِ وَالْقِرَائِنِ وَأَحْوَالِ الْمُتَكَلِّمِ وَالْمَخَاطَبِ
- ١٤٩ - يُطْلَقُ الْعُمُومُ فِي الْقُرْآنِ وَلَهُ مَا يَخْصُصُهُ مِنَ الْحَسِّ وَغَيْرِهِ
- ٥ - فهرس قواعد التعارض والترجيح
- ٢٧٦ - كُلُّ نِزَاعٍ وَخِلَافٍ فِي الدِّينِ يَجِبُ رَدُّهُ إِلَى الْوَحْيِ
- ٢٧٥ - لَا تُعَارَضُ السُّنَنُ بِرَأْيٍ، وَلَا تُدَافَعُ بِقِيَاسٍ
- ٦ - فهرس قواعد الاجتهاد والتقليد
- ٢٧٨ - الْمُجْتَهِدُ فِي الْأَحْكَامِ مَأْجُورٌ وَإِنْ أَخْطَأَ
- ٤ - فهرس القواعد الحديثية
- ١٣٢ - الْأَصْلُ فِي مَرَايِلِ التَّابِعِينَ التَّوَقُّفُ
- ١٣٢ - قول التابعي لَيْسَ حُجَّةً مَقْطُوعَةٌ فِي الْفُرُوعِ وَالْأَصُولِ
- ٥ - فهرس العلل والحكم على الحديث والأثر
- ٨٣ - أَنَا نِي جَبْرِيلُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ...
- ٧١ - الْأَحَادِيثُ الْوَارِدَةُ فِي الْأَمْرِ بِالْبِدْعَةِ بِالسُّمْلَةِ وَالْحَمْدِ مَعْلُومَةٌ

- ١١٩ - الكرسيُّ عِلْمُ اللَّهِ
- ١٢٠ - الكرسيُّ قُدْرَةُ اللَّهِ
- ٢٤١ - إِنَّ لِلْقَبْرِ ضَغْطَةً، لَوْ كَانَ أَحَدٌ نَاجِيًا مِنْهَا، لَنَجَا سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ
- ٨٣ - حَدِيثُ الصَّلَاةِ عَلَى النَّبِيِّ عِنْدَ دُخُولِ الْمَسْجِدِ، وَعِنْدَ الْخُرُوجِ مِنْهُ
- ٢١٤ - دِقَّةُ الصِّرَاطِ لَيْسَ فِيهَا شَيْءٌ مَرْفُوعٌ
- ١٢٤ - عَبَّرَ عَنِ الْإِسْتِوَاءِ بِالْجُلُوسِ
- ٢١٠ - لَا يَثْبُتُ فِي حُجْمِ الْمِيزَانِ حَدِيثٌ
- ١١٢ - مَا السَّمَوَاتُ السَّبْعُ فِي الْكُرْسِيِّ، إِلَّا كَحَلْقَةٍ مُلْقَاةٍ بِأَرْضٍ فَلَاؤُ... .
- ٢٢٢ - وَإِنْ خَالَفُوا إِمَامًا جَائِرًا فَلَا تَقَاتِلُوهُمْ (الخوارج)
- ٦ - فِهْرَسُ الْقَوَاعِدِ وَالضَّوَابِطِ الْفَقْهِيَّةِ
- ٢٥٩ - تَكُونُ طَاعَةُ الْإِمَامِ بِمَا يُقِيمُ الدُّنْيَا
- ٧ - فِهْرَسُ الضَّرُوقِ
- ٤٢ - الْفَرْقُ بَيْنَ أَهْلِ الْحَدِيثِ وَأَهْلِ الْكَلَامِ

## ٧ - معجم الموضوعات ورؤوس المسائل

### الصفحة

### الموضوع/رأس المسألة

- ابن أبي زيد القيرواني
- ٣٩ - تقويم القول بانتماؤه إلى المذهب الأشعري
- ٣٨ - ثناؤه على ابن كُلاب
- ٣٧ - ثناؤه على أبي الحسن الأشعري
- ١٦ - دفاعه عن منهج السلف ومذهبهم
- ٣٢ - رده على ابن مسرة الجبلي الفلسفة المشائية
- ٣٢ - رده على أبي القاسم البكري الفكر الإشراقي الصوفي
- ٣٢ - رده على أبي طالب شيخ المعتزلة
- ٣٠ - رده على الظاهرية
- ٣٦ - رده على علي بن أحمد البغدادي داعية الاعتزال
- ٣٢ - مكاتبائه إلى أبي بكر الباقلاني في الكرامات عند المعتزلة
- ٣٩ - موقفه من قضية الأسماء والصفات
- ابن تومرت
- ٥٢ - مذهبه العقدي بين الأشاعرة والمعتزلة
- أبو المعالي الجويني
- ٤٣ - استحل إطلاق القول بأن العبد خالق أعماله
- ٤٣ - القدرة الحادثة تؤثر في مقدورها عنده
- ٤٣ - فعل العبد واقع بقدرته قطعاً
- ٤٣ - قدرة العبد منفردة بالتأثير في فعله
- ٤٢ - مخالفته بعض أصول المذهب الأشعري



	أحاديث الصفات
١٠٠	- رواية الأئمة إياها، واحترازهم من سوء فهمها
	أدب التأليف
٧٤	- بيان سبب تأليف الكتاب
	أشراط الساعة
١٩١	- الأحاديث الواردة فيها
١٩١	- أنواعها
	أفعال العباد
١٦٢	- خَلَقَهَا
	الإرادة
١٠	- تَعَالَى اللَّهُ أَنْ يَكُونَ فِي مُلْكِهِ مَا لَا يُرِيدُ
	الاستواء على العرش
١٢١	- إثباته
١١٣	- الاستواء على العرش
١٢٦	- التعبير عنه ببعض لوازمه
١٢١	- حقيقته
١١٣	- حكاية الإجماع على إثباتها
١٢٨	- سبب تأويله
١٢٥	- معناه في اللغة
١٠٩	- من شُبهات بعض من عَظَّلَهَا
١٢١	- مواضع ذكره في الكتاب الكريم
١٢٧	- يجب إثبات الاستواء حقيقةً، وتفويض كَيْفِيَّتِهِ
	الإسلام
١٨١	- الإسلام وحرية الدين
	الإسلام والإيمان
٢٢٨	- الإسلام أَوْسَعُ دائرة من الإيمان

الموضوع/رأس المسألة	الصفحة
- العلاقة بَيْنَهُمَا	٢٢٨
الاسم والمسمى	
- العلاقة بَيْنَهُمَا	١٣٣
الأسماء الحسنی	
- إثباتها	١٣٢
- معنی إحصائها	١٣٢
الأسماء والأحكام	
- أَفْضَلُ الصَّحَابَةِ الْخُلَفَاءُ الرَّاشِدُونَ الْمَهْدِيُّونَ	١٢
- الْإِمْسَاكُ عَمَّا شَجَرَ بَيْنَ الصَّحَابَةِ	١٢
- التَّكْفِيرُ بِالذَّنُوبِ، وَأَحْوَالُ الطَّوَائِفِ	٢٣٣
- الْجَنَّةُ وَالنَّارُ، وَلِمَنْ أَعَدَّهُمَا اللَّهُ	٢٠٣
- حُكْمُ اتِّبَاعِ دِينٍ غَيْرِ الْإِسْلَامِ	١٧٩
- حُكْمُ أَصْحَابِ الْكِبَائِرِ	١٩٤
- حُكْمُ مَنْ مَاتَ وَلَمْ يَتُبْ مِنْ ذَنْبِهِ	١٩٤
- خَيْرُ الْقُرُونِ الَّذِينَ رَأَوْا رَسُولَ اللَّهِ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ	١٢، ٢٤٥
- ضَاعَفَ اللَّهُ لِعِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ الْحَسَنَاتِ، وَصَفَحَ لَهُمْ بِالتَّوْبَةِ عَنْ كَبَائِرِ السَّيِّئَاتِ	١١
- لَا يُحِيطُ الْإِيمَانُ وَالْعَمَلُ إِلَّا الْكُفْرُ وَالشُّرْكُ	٢٣٣
- لَا يُذَكَّرُ أَحَدٌ مِنَ الصَّحَابَةِ إِلَّا بِأَحْسَنِ ذِكْرٍ	١٢
- لَا يَكْفُرُ أَحَدٌ بِذَنْبٍ مِنْ أَهْلِ الْقِبْلَةِ	١٢
- مَصِيرُ مَنْ دَخَلَ النَّارَ مِنْ عَصَاةِ الْمُسْلِمِينَ	١٩٥
- مَنْ حَمَلَ غِيظًا فِي قَلْبِهِ عَلَى الصَّحَابَةِ كَافِرٌ	٢٤٩
- مَنْ طَعَنَ فِي عَرَضٍ عَائِشَةَ كَفَرَ	٢٤٩
- مَنْ طَعَنَ فِي مَنْ تَوَاتَرَ فَضْلُهُ كَفَرَ	٢٤٩

### الأسماء والصفات

- ١١ - إثبات رؤية المؤمنين ربهم في جنات النعيم
- ١٢٩ - إثباتها
- ٦١ - اعتقاد السلف فيها
- ١٠٢ - الإشارة باليد عند الحديث عن صفات الرب
- ٨٧ - الإمساك عن التكبر في كيفية الصفات العليا
- التحذير من التشبيه، وحكم التعبير عن الصفات بما لم يرد في الشريعة من
- ١٢٢ - الإشارة والكلام
- ٨٥ - الله هو الأول؛ فليس قبله شيء، وهو الآخر؛ فليس بعده شيء
- ٩٦ - إمرار نصوص الصفات لا يُنافي الإقرار بحقيقتها
- ٨٨ - أنواع ظاهر الصفات
- ١٢٩ - قدمها
- ١٢٩ - كونها غير مخلوقة
- ٨٦، ٩ - لا يبلغ كنه صفته تعالى الواصفون، ولا يحيط بأمره المتفكرون
- ١٣٠ - ما ورد منها عن الصحابة والتابعين
- ٣٥ - مذهب متقدمي المغاربة فيها
- ١١١ - نفى بعض الصفات لأجل توهم إحاطة المخلوقات بالخالق

### الأشاعة

- ١٧٢ - تأثرهم في القول بالكسب بالضرارية والتجارية

### الإمام مالك

- ١٣٨ - شدته على القائلين بخلق القرآن
- ٥٣ - موقفه من علم الكلام
- ٢٢٦ - نقصان الإيمان عنده
- ٥٥ - نهيه عن علم الكلام، ومراده منه

### الإمامة

- ١٣ - الطاعة للأئمة المسلمين؛ من ولاة أمورهم وعلمائهم

## الإمامة العظمى

- ٢٥٩ - الخروج على الحاكم المسلم
- ٢٥٩ - الخروج على الحاكم المسلم بشبهة كفر أو توهم مكفر
- ٢٦٢ - النصيحة للأئمة
- ٢٥٩ - بقاء المسلم بلا تبعية لإمام
- ٢٥٩ - تكون طاعة الإمام بما يقيم الدنيا
- ٢٦١ - شروط الخروج على الحاكم

## الأهواء والبدع

- ٢٠ - حياطة النقل منهما
- الإيمان
- ٢٣١ - أثر إخراج العمل منه
- ٢٢٨ - الاستثناء في الإيمان شكًا لا يجوز
- ٢٢٧ - الاستثناء فيه
- ١٢ - الإيمان قولٌ باللسان، وإخلاصٌ بالقلب، وعملٌ بالجوارح
- ٢٢٨ - الإيمان قولٌ وعمل
- ٢٢٣ - الإيمان يزيدُ بزيادة الأعمال، وينقصُ بنقصها
- ١٢ - الإيمان يزيدُ بزيادة الأعمال، وينقصُ بنقصها
- ٢٢٨ - حقيقة الاستثناء منه
- ٢١٥ - حقيقة
- ٢٢٩ - حكم تارك العمل كله
- ٢٢٦ - زوال الإيمان وكماله
- ٢١٦ - طوائف الغلاة فيه
- ٢٣٣ - لا يحيط الإيمان والعمل إلا الكفر والشرك
- لا يكمل قول الإيمان إلا بالعمل، ولا قول وعمل إلا بنية، ولا قول وعمل
- ٢٣٢، ٢٢٨، ١٢ - نية إلا بموافقة السنة
- ٢٢٨ - ما يدخل فيه
- ٢٢٩ - من انتفى منه العمل كله، كمن انتفى منه القول كله

- الإيمان بالكتب  
 ١٨٥ - الإيمان بالكتب السماوية، والحكمة من إرسال الرسل
- الإيمان بالملائكة  
 ٢٤١ - أدلة وجوبه  
 ٢٤١ - الإيمان بهم ركن من أركان الإيمان  
 ٢٤٢ - عدد الملائكة ووظائفهم  
 ٢٤٣ - كل الملائكة عباد مكرمون
- البدعة  
 ٢٧٧ - المجهد بدعة
- التأويل  
 ٤٦ - التأويل في كلام بعض أهل السنة  
 ١٠٥ - توهم اللوازم الباطلة يقضي إليه
- التشبيه  
 - التحذير منه، وحكم التعبير عن الصفات بما لم ير في الشريعة من الإشارة  
 ١٢٢ والكلام  
 ٩٣ - لا يلزم من إثبات حقيقة الصفات التشبيه  
 ١٠٠ - لا يلزم من تنزيه الله عن التشبيه نفى الحقيقة عن صفاته
- التعطيل  
 ٩٣ - أسبابه  
 ١٠٥ - توهم اللوازم الباطلة يقضي إليه  
 ٩٣ - لازم نفى الصفات التعطيل
- التعليم  
 ٧٨ - تعليم الصغير أثبت في قلبه من تعليم الكبير  
 ٧٧ - فضل تعليم الصغار والأمر به
- التفويض  
 ٩٨ - ادعاء أن التفويض باعته التعظيم  
 ٩٥ - ادعاء نسبة التفويض إلى السلف

الموضوع/رأس المسألة	الصفحة
- أسبابه	٩٣
- اشتهاؤه في مقالات الكلائية	٩٤
- الإقرار بإثبات الصفة يُبطل التفويض	١٣٥
- التفويض في كلام بعض أهل السنة	٤٦
- تاريخ مذهب التفويض	٩٥ ، ٩٣
- توهم اللوازم الباطلة يُقضي إليه	١٠٥
- حضوره في مقالات أبي الحسن الأشعري ومنصور الماتريدي	٩٤
- شيوخ مقالة التفويض في بلاد المغرب	٩٩
- عقيدة التفويض	٩٢
- لم يؤثر التفويض عن أحد من الصحابة والتابعين	٩٥ ، ٩٣
- نشأة مقالة التفويض وشيوخها	٩٧
التوحيد	
- أعظم الواجبات معرفة الخالق، والغاية من الخلق	١٥
- الله إله واحد لا إله غيره، ولا شبيه له، ولا نظير له	٩
- بدء مباحث الأصول بتقريره	٨٥
- سبب الوقوع في الشرك	٩٠
- ليس لأوليئته ابتداء، ولا لأخيريته انقضاء	٩
- معرفة الله بآياته الكونية	٩٠
الجدل والمناظرة	
- التحذير من الجدال والمراء في الدين	٢٧٨
- الجدال والمراء الزائد يورث العناد والمكابرة	١٥
- بيان الحق يكون من أصوله، بلا جدال ولا مراء	١٥
- ترك المراء والجدال	٢٧٦
- هجر الجدال والمراء وأهله	٢٨٠
الحديث الشريف	
- الإجماع على ترك العمل بالحديث	٢٧٤

	الحرف والصوت
١٤٤	- لم يُعَرَفِ الْخِلَافُ فِي اثْبَاتِهِمَا قَبْلَ ابْنِ كَلَّابٍ
١٤٣	- نَشَأَةُ الْكَلَامِ فِي الْمَسْأَلَةِ
	الحلال والحرام
٧٣	- سَعَةُ الْحَلَالِ، وَضِيقُ الْحَرَامِ
	الحوض
٢١٤	- أَحَادِيثُ اثْبَاتِهِ بَلَّغَتْ مَبْلَغَ التَّوَاتُرِ
٢١٥	- الْحَوْضُ قَبْلَ الصَّرَاطِ فِي الْمَوْقِفِ
٢١٥	- انْكَارُ الْمَادِّيَّينَ لِيَأْهُ
٢١٤	- دَوْدُ أَهْلِ الْبِدْعِ وَالتَّبْدِيلِ عَنْهُ
٢١٤	- لَا يَشْرَبُ مِنْهُ إِلَّا نَفْسٌ مُؤْمِنَةٌ مِنْ أُمَّةٍ مُحَمَّدٍ
٢١٥	- لِلْأَنْبِيَاءِ حَوْضٌ لَهُمْ وَلَأَمَمِهِمْ
٢١٤	- مَنْ شَرِبَ مِنْهُ لَا يَظْلَمُ أَبَدًا
	الخلافا العقدي
٤٢	- الْحَدِيثُ وَالْكَلامُ، وَأَثَرُهُمَا فِي الْخِلَافِ
	الخوارج
٢١٩	- أَسْبَابُ الْإِفْتِتَانِ بِرَأْيِهِمْ
٢٢٠	- الصُّفَّةُ الْجَامِعَةُ لَهُمْ
٢٢٣	- الْمَوَازَنَةُ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْمَرْجُئَةِ
٢٢١	- شِدَّةُ عِبَادَتِهِمْ
٢١٨	- فَتَنَتُهُمْ فِي التَّكْفِيرِ بِغَيْرِ مَكْفَرٍ مِنَ الذُّنُوبِ وَسَائِرِ الْأَعْمَالِ
١٩٦	- مَقَالَتُهُمْ فِي صَاحِبِ الْكِبِيرَةِ
٢٢٢	- نُصْحُهُمْ قَبْلَ قِتَالِهِمْ
	الذات الإلهية
٨٧	- الْإِمْسَاكُ عَنِ التَّفَكُّرِ فِي كَيْفِيَةِ ذَاتِ اللَّهِ
٨٦	- حَكْمُ التَّفَكُّرِ فِي ذَاتِ اللَّهِ

## الصفحة

## الموضوع/رأس المسألة

- ٩ - يَعْتَبِرُ الْمُتَفَكِّرُونَ بِآيَاتِهِ، وَلَا يَتَفَكَّرُونَ فِي مَا هِيَ ذَاتُهُ
- الرافضة
- ٢٥٧ - فَتَنْتَهُمُ إِذَا تَمَكَّنُوا
- الردة
- ١٨١ - حُرِّيَّةُ الدِّينِ
- ١٨٢ - شُبُهَاتٌ فِي حُرِّيَّةِ تَرْكِ الْإِسْلَامِ
- ١٨١ - مَنْ دَخَلَ الْإِسْلَامَ، فَلَا يَسَعُهُ الْخُرُوجُ مِنْهُ بِحَالٍ
- السببية
- ١٧٣ - الْحَتْمِيَّةُ السَّبَبِيَّةُ
- السلف
- ٦١ - اعْتِقَادُهُمْ فِي الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ
- ٢٦٩ - حَقِيقَتُهُمْ
- ١٠٠ - رَوَايَةُ الْأَئِمَّةِ لِأَحَادِيثِ الصِّفَاتِ، وَاحْتِرَازُهُمْ مِنْ سُوءِ فَهْمِهَا
- ٢٧٠ - سَبَبُ تَفْضِيلِهِمْ
- ٢٦٩ - فَضْلُ السَّلَفِ وَاتِّبَاعِهِمْ
- ٢٦٩ - نَسَبُهُ هَذَا الْوَصْفِ بِالسَّلَفِيَّةِ
- السمع والطاعة
- ٢٦٤ - الْخَطَأُ فِي نُصُوصِهِمَا
- السمعيات
- ٢٣٧ - أَرْوَاحُ الْكَافِرِينَ فِي الْهَآوِيَةِ
- ٢٣٥ - أَرْوَاحُ الْمَوْتَى وَأَحْوَالُهَا
- أَرْوَاحُ أَهْلِ الشَّعَادَةِ بَاقِيَةٌ نَاعِمَةٌ إِلَى يَوْمٍ يُنْعَثُونَ، وَأَرْوَاحُ أَهْلِ الشَّقَاوَةِ مُعَذَّبَةٌ
- ١٢ - إِلَى يَوْمِ الدِّينِ
- ١٩١ - أَشْرَاطُ السَّاعَةِ
- ٢٤١ - الْأَحَادِيثُ الْوَارِدَةُ فِي إِثْبَاتِ ضَمَّةِ الْقَبْرِ
- ٢٤٣ - الْأَرْوَاحُ وَقَبْضُهَا



- ٢٤١ - الإيمان بالملائكة رُكْنٌ مِنْ أَرْكَانِ الْإِيمَانِ
- ١٢ - الْإِيمَانُ بِخَوْصِ رَسُولِ اللَّهِ
- ٢٠٤ - الْجَنَّةُ وَالنَّارُ خُلِقَتَا؛ أُعِدَّتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ، وَالنَّارُ لِلْكَافِرِينَ
- ٢٠٤ - الْجَنَّةُ وَالنَّارُ لَا تَفْنِيَانِ وَلَا تَبِيدَانِ
- ٢٠٣ - الْجَنَّةُ وَالنَّارُ، وَلَمْ يَأْكُلْهُمَا اللَّهُ
- ١٩٢ - الْحِسَابُ وَالْعِقَابُ
- ٢١٤ - الْحَوْضُ الْمُرْوَدُّ
- ١٢ - الْحَوْضُ لَا يَظْمَأُ مَنْ شَرِبَ مِنْهُ، وَيُذَادُ عَنْهُ مَنْ بَدَّلَ وَغَيَّرَ
- ١٢ - الشُّهَدَاءُ أَخْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُزْرَقُونَ
- ١١ - الصِّرَاطُ حَقٌّ، يَجُوزُهُ الْعِبَادُ بِقَدْرِ أَعْمَالِهِمْ
- ٢١٢ - الصِّرَاطُ وَأَحْوَالُ النَّاسِ فِيهِ
- ٢٣٨ - الْعَذَابُ وَالنَّعِيمُ فِي الْبَرْزَخِ يَكُونُ لِلرُّوحِ وَالْبَدَنِ جَمِيعًا
- ٢٣٨ - الْقَبْرِ وَفَتْتُهُ
- ٢٤٤ - الْمَلَكُ الْمُوَكَّلُ بِالرُّوحِ عِنْدَ نَفْخِهَا، غَيْرُ الْمَلَكِ الْمُوَكَّلِ بِالرُّوحِ عِنْدَ قَبْضِهَا
- ٢٠٩ - الْمِيزَانُ حَقٌّ
- ٢٠٩ - الْمِيزَانُ وَالْوِزْنُ
- ٢٠٩ - الْمِيزَانُ وَوِزْنُ الْأَعْمَالِ
- ١٨٩ - النَّفْخُ فِي الصُّورِ
- ١٩٠ - بَعَثَ الْأَجْسَادَ وَجَزَاؤُهَا
- ٢٣٩ - تَبْدَأُ حَيَاةَ الْبَرْزَخِ مِنْ خُرُوجِ الرُّوحِ وَمَفَارَقَةِ الدُّنْيَا بِالْمَوْتِ
- ٢١١ - تَكْتُبُ الْمَلَائِكَةُ مَا يَعْمَلُهُ الْعِبَادُ مِنْ حَسَنَاتٍ وَسَيِّئَاتٍ
- ٢٣٩ - تَوَاتَرَتِ النُّصُوصُ فِي حَيَاةِ الْبَرْزَخِ وَفَتْتِ الْقَبْرِ وَعَذَابِهِ
- ١١ - تُوضَعُ الْمَوَازِينُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لِوِزْنِ أَعْمَالِ الْعِبَادِ
- ١١ - جَعَلَ اللَّهُ الْكَافِرِينَ بِهِ مَخْجُوعِينَ عَنْ رُؤْيَيْهِ
- ٢٠٣ ، ١١ - جَنَّةُ الْآخِرَةِ هِيَ الَّتِي أَهْبَطَ اللَّهُ مِنْهَا آدَمَ نَبِيَّهُ وَخَلِيفَتُهُ إِلَى أَرْضِهِ
- ٢٣٩ - حَقِيقَةُ فِتْنَةِ الْقَبْرِ وَعَذَابِهِ
- ٢٠٤ - خَلَقَ الْجَنَّةَ وَالنَّارَ

## الصفحة

## الموضوع/رأس المسألة

- ١١ - خَلَقَ اللهُ الْجَنَّةَ فَأَعَدَّهَا دَارَ خُلُودٍ لِأَوْلِيَائِهِ
- ٢٠٤ - خَلَقَ اللهُ النَّارَ فَأَعَدَّهَا دَارَ خُلُودٍ لِمَنْ كَفَرَ بِهِ
- ١١ - خَلَقَ اللهُ النَّارَ وَأَعَدَّهَا دَارَ خُلُودٍ لِمَنْ كَفَرَ بِهِ
- ٢٠٥ - خُلُودُ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ
- ٢١١ - صَحَائِفُ الْأَعْمَالِ، وَكَيْفِيَّةُ اسْتِلَامِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ
- ٢٤٠ - عَذَابُ الْقَبْرِ حَقٌّ؛ ثَبَّتَ فِيهِ الدَّلِيلُ مِنْ وَجُوهٍ كَثِيرَةٍ
- ١٢ - عَلَى الْعِبَادِ حِفْظُ مَا يَكْتُبُونَ أَعْمَالَهُمْ، وَلَا يَسْقُطُ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ عَنْ عِلْمِ رَبِّهِمْ
- ٢٤١ - كِتَابَةُ الْأَعْمَالِ عَلَى الْمَكَلَّفِينَ
- ٢١٢ - كَيْفَ يُؤْتَى كِتَابُهُ؟
- ٢١٤ - لَا يَجُوزُ إِنكَارُ الصَّرَاطِ بِمَجَرَّدِ الْعَقْلِ
- ٢٣٥ - لِلْأَرْوَاحِ مُسْتَقَرٌّ غَيْرُ الْأَبْدَانِ بَعْدَ مَوْتِهَا
- ٢٣٦ - مُسْتَقَرُّ أَرْوَاحِ الشُّهَدَاءِ
- ١٢ - مَلَكُ الْمَوْتِ يَقْبِضُ الْأَرْوَاحَ بِإِذْنِ رَبِّهِ
- ١١ - مَنْ عَاقَبَهُ اللهُ بِنَارِهِ، أَخْرَجَهُ مِنْهَا بِإِيمَانِهِ، فَأَدْخَلَهُ بِهِ جَنَّتَهُ
- ٢٤٤ - نَفْخُ الرُّوحِ
- ١٩٠ - وَاخْتَلَفَ فِي النَّفْخَاتِ
- ٢٣٩ - يَجِبُ الْإِيمَانُ بِحَيَاةِ الْبَرْدَخِ
- ١١ - يَجِيءُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لِعَرْضِ الْأَمَمِ وَحِسَابِهَا
- ١١ - يُخْرِجُ مِنَ النَّارِ بِشَفَاعَةِ النَّبِيِّ، مَنْ شَفَعَ لَهُ مِنْ أَهْلِ الْكِبَايِرِ مِنْ أُمَّتِهِ
- ١٢ - يُفْتَنُ الْمُؤْمِنُونَ فِي قُبُورِهِمْ وَيُسْأَلُونَ
- ٢٤٥ - يَكُونُ قَبْضُ الْأَرْوَاحِ بَعْلَمَ اللهِ وَحْدَهُ، لَا يَسْتَقْدِمُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَأْخِرُونَ
- ١١ - يُؤْتَى الْعِبَادُ صَحَائِفُهُمْ بِأَعْمَالِهِمْ
- ٢١٢ - يُؤْتَى الْكَافِرُ كِتَابُهُ بِشَمَالِهِ مِنْ وَرَاءِ ظَهْرِهِ
- ٢١١ - يُؤْتَى الْمُؤْمِنُ كِتَابُهُ بِيَمِينِهِ إِكْرَامًا وَبِشَارَةً لَهُ
- الشفاعة
- ١٩٦ - إِبْرَائِيْمُ أَحْكَامُهَا
- ١٩٦ - الشَّفَاعَةُ حَقٌّ لَا يُنْكَرُ أَصْلُهَا مُسْلِمٌ

الموضوع / رأس المسألة	الصفحة
- الغاية منها	١٩٧
- أنواعها	١٩٧
- شروطها	١٩٨
- الصحابة	
- الاستدلال بحديث يخالف الصحابة	٢٧٢
- الإمساك عما وقع بينهم	٢٥٦
- التفاضل بين الصحابة	٢٥٠
- التوسع في التفضيل بين الصحابة	٢٥٢
- المفاضلة بينهم	٢٥٠
- الوقوع فيهم	٢٤٨
- امتحان أهل المغرب بهم	٢٥٦
- تعظيم فقه الصحابة	٢٧١
- حكم ما شجر بينهم	٢٥٤
- ظهور الطعن في الصحابة في المغرب	٢٥٣
- لا يتحدث بما وقع بين الصحابة من خلاف ونزاع	٢٥٤
- موقفهم من قضية الأسماء والصفات	١٣١
الصحابة الكرام	
- فضلهم، وتفاضلهم	٢٤٧
الصراط	
- حقيقته	٢١٣
- لا يجوز إنكاره بمجرد العقل	٢١٤
الصفات	
- الحق نفي تشبيه الصفات، لا نفي حقيقتها	٩٢
الصفات الإلهية	
- الإقرار بإثبات الصفة يُبطل التفويض	١٣٥
- حقيقتها	١٣٣

الموضوع/رأس المسألة	الصفحة
- لازمُ نَقْيِ الصِّفَاتِ التَّعْطِيلُ	٩٣
الصفات الخبرية	
- الإتيانُ والمجيءُ مِنَ الصِّفَاتِ الفِعْلِيَّةِ الْخَبَرِيَّةِ	٢٠٦
الصفات الفعلية	
- أدلَّةُ إِبْتِهَا	١٢٩
الصلاة	
- سببُ تَخْصِيصِهَا بِأَمْرِ الصَّغِيرِ بِهَا	٧٩
الصلاة على النبي	
- حَكْمُ الصَّلَاةِ عَلَى غَيْرِ النَّبِيِّ	٨٤
- خَتْمُ الْكَلَامِ بِهَا	٢٨٢
- فَضْلُهَا	٨١
- مَا يُجْزَى مِنْهَا	٨٣
- مَشْرُوعِيَّتُهَا فِي الْخُطْبِ	٨١
- مَوَاضِعُهَا	٨٢
- هِيَ مِنْ أَعْظَمِ أَسْبَابِ مَكْفَرَاتِ الذُّنُوبِ	٨٢
العذر بالجهل	
- مَجْرَدُ الْجَهْلِ مَعَ إِمْكَانِ رَفْعِهِ لَا يَقُومُ عُذْرًا	٧٦
العرش	
- اللَّهُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى، وَعَلَى الْمَلِكِ اخْتَوَى	٩
- مَا تُطْلَقُ الْعَرْبُ عَلَيْهِ	١٢٢
العقل والنقل	
- الْعِلَاقَةُ بَيْنَهُمَا	٥٣
العلم	
- الْغَايَةُ مِنَ الْعِلْمِ: الْعَمَلُ بِالْمَأْمُورِ، وَتَرْكُ الْمَحْظُورِ	٧٣
- تَعْلِيمُ الْوَلَدَانِ الْحَقِّ وَالْخَيْرِ وَاجِبٌ	٧٦

الموضوع/رأس المسألة	الصفحة
- فضلُ العلمِ وأفضلهُ	١٩
العلمُ الإلهي	
- إحاطةُ عِلْمِ اللَّهِ بِكُلِّ شَيْءٍ	١٢٠
- عِلْمُ اللَّهِ بِكُلِّ شَيْءٍ	١٦٦
- عِلْمُ كُلِّ شَيْءٍ قَبْلَ كَوْنِهِ؛ فَجَرَى عَلَى قَدَرِهِ	١٠
- لَا يَكُونُ مِنْ عِبَادِهِ قَوْلٌ وَلَا عَمَلٌ إِلَّا سَبَقَ عِلْمُهُ بِهِ	١٠
- العلو	
- اللَّهُ فَوْقَ عَرْشِهِ الْمُجِيدِ بِذَاتِهِ، وَهُوَ فِي كُلِّ مَكَانٍ بِعِلْمِهِ	٩
الفتن وأشرار الساعة	
- الموقِفُ عند اجتماع الضلالات	٢٢٢
الفضائل	
- التوسُّعُ في التفضيل بين الصحابة	٢٥٢
- المفاضلةُ بَيْنَ عِثْمَانَ وَعَلِيٍّ	٢٥٣
- ترتيبُ الخلفاءِ الرَّاشِدِينَ فِي الْفَضْلِ كترتيبِهِمْ فِي الْخِلَافَةِ	٢٥٣
- فضلُ الصحابةِ، وتفاضُلُهُمْ	٢٤٧
- فضلُ خَيْرِ الْقُرُونِ	٢٤٥
الفكر الأشعري	
- جذورهُ الفكريةُ قَبْلَ نشأتهِ	٥٢
- رواجهُ فِي بِلَادِ الْمَغْرِبِ الْعَرَبِيِّ	٣٥
الفكر الاعتزالي	
- انتشارُهُ فِي كَثِيرٍ مِنْ أَهْلِ الْعَرَبِيَّةِ	٦٧
الفلاسفة	
- كُلَّمَا تَعَمَّقُوا فِي الْفَلَسَفَةِ، أَزْدَادُوا حُزْنَاً وَحَيْرَةً	٦٠
الفلسفة	
- يَبْدَأُ الدَّاخِلُ فِيهَا بِنَشْوَءٍ، ثُمَّ يَنْتَهِي بِخَيْرَةٍ	٦٠

## القرآن الكريم

- ٦٥ - العملُ في القرآن على الأَثْبِتِ في الأَثَرِ، والأَصَحُّ في الرواية
- ١٥٥ - القرآنُ كلامُ الله غيرُ مخلوق
- ١٠ - القرآنُ كلامُ الله، لَيْسَ بِمَخْلُوقٍ قَبِيذٍ، وَلَا صِفَةٌ لِمَخْلُوقٍ فَيَنْقُذُ
- ٦٥ - أئِمَّةُ القُرَّاءِ لَا تَعْمَلُ في القرآنِ على الأَفْسَى في اللغة، والأَقْسَى في العربية
- ٢٧٩ - حسنُ القصْدِ وشوْءُهُ، وأثَرُهُ على فهمِ القرآنِ
- ١٨٦ - مصدرُ تفسيره
- القضاء والقدر
- ٢٦٨ - ابتلاءُ المُصلِحِ
- ١٥٦ - أدلَّةُ إثباتِهِ مِنَ الكتابِ والسُّنَنِ
- ١٦٢ - أفعالُ العِبَادِ وَخَلْقُهَا
- ١٦٨ - الأمرُ بالإِمْسَاكِ عما سَكَتَ عنه الشرعُ في القَدَرِ
- ١٥٦ - الإِيْمَانُ بِالْقَدَرِ
- ١٠ - الإِيْمَانُ بِالْقَدَرِ خَيْرُهُ وَشَرُّهُ، حُلُوهُ وَمُرَّةُ، وَكُلُّ ذَلِكَ قَدْ قَدَرَهُ اللهُ رَبُّنَا
- ١٦١ - الجدالُ فيه
- ١٦٥ - العلمُ بالأسبابِ لَا يُخْرِجُ صاحِبَهُ مِنَ قَدَرِ اللهِ
- ١٥٧ - الفطرةُ قاطعةٌ بالإِيْمَانِ بِهِ
- ١٥٩ - اللهُ لَا يَقْدَرُ لعبادهُ شَرًّا محضًا
- ١٦٨ - المُخَالِفُونَ في القَدَرِ
- ١٦٣ - أمرُ اللهِ ونَهْيُهُ وَقَدَرُهُ، وتَوْهُمُ بعضِ النفوسِ الظُّلْمَ
- ٢٦٨ - تجرُّدُ المُصلِحِ
- ١٥٨ - تقديرُ الخَيْرِ والشَّرِّ
- ٢٤١ - كتابَةُ الأَعْمَالِ على المَكْلُوفِينَ
- ١٠ - كُلُّ مُيسِّرٍ بِتيسيره، إِلَى مَا سَبَقَ مِنْ عِلْمِهِ وَقَدَرِهِ، مِنْ شَقِيٍّ أَوْ سَعِيدٍ
- ١٥٩ - لَا يَخْلُقُ اللهُ شَرًّا محضًا، وَلَا رَاجِحًا وَلَا مَسَاوِيًا
- ١٠ - لَا يَكُونُ مِنْ عِبَادِهِ قَوْلٌ وَلَا عَمَلٌ إِلَّا وَقَدْ قَضَاهُ
- ١٦٠ - لَا يُنْسَبُ الشَّرُّ إلى اللهِ

- ١٠ - مَقَادِيرُ الْأُمُورِ بِيَدِهِ، وَمَضْدَرُهَا عَنْ قَضَائِهِ
- ١٧٤ - نَفْيُ الْقَدَرِ يَلْزَمُ مِنْهُ الْعَجْزُ
- ١٠ - يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ فَيَحْذِلُهُ بِعَدْلِهِ
- ١٠ - يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ فَيُوقِقُهُ بِفَضْلِهِ
- الكتب السماوية
- ١٨٥ - الْإِيمَانُ بِهَا مِنْ أَرْكَانِ الْإِيمَانِ
- ١٨٥ - الْكُتُبُ كُلُّهَا تَدْعُو إِلَى أَصْلِ التَّوْحِيدِ
- ١٨٥ - الْمَكْذُوبُ بَوَاحِدٍ مِنْهَا مَكْذُوبٌ بِهَا جَمِيعُهَا
- الكرسي
- ١١٨ - إِبَاتُهُ، وَوَرُودُ الْأَدْلَةِ بِهِ
- ١١٩ - الْكُرْسِيُّ مَوْضِعُ الْقَدَمَيْنِ عَلَى مَا يَلِيقُ بِاللَّهِ
- الكسب
- ١٧٢ - الْقَائِلُونَ بِهِ
- الكفر بالله
- ١٧٩ - أَسْبَابُهُ
- الكلام النفسي
- ١٤١ - أَصْلُ فِتْنَةِ الْقَوْلِ بِهِ
- ١٤١ - التَّفْرِيقُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْكَلَامِ اللَّفْظِيِّ لَا يُعْرَفُ قَبْلَ ابْنِ كُتْلَابٍ
- المالكية
- ١٣٨ - ثَبَاتُهُمْ فِي فِتْنَةِ خَلْقِ الْقُرْآنِ فِي الْمَدِينَةِ وَافْرِيقَةِ
- المتكلمون
- ٤٢ - الْحَدِيثُ وَالْكَلامُ، وَأَثَرُهُمَا فِي الْخِلَافِ
- ٦٦ - تَذَرُّعُهُمْ بِقَوَاعِدِ اللُّغَةِ لِتَأْيِيدِ بَدْعِهِمُ الْكَلَامِيَّةَ
- ٦٤ - خَطَأُ الْمُتَكَلِّمِينَ فِي اسْتِعْمَالِ اللُّغَةِ
- ٥٣ - ضَعْفُ إِمَامِهِمْ بِالْحَدِيثِ وَالْأَثَرِ

## الصفحة

## الموضوع/رأس المسألة

## المجيء

- إثباته لله تعالى ٢٠٦  
 - إثبات المجيء لله يوم القيامة ٢٠٧  
 - تقويم ما روي عن الإمام أحمد من تأويله ٢٠٧  
 - حكاية الإجماع على إثباته ٢٠٧

## المذهب المالكي

- أصحاب مالك من المغاربة في حياته ٤٠  
 - أصوله وفروعه ٤٠  
 - شيوخه وانتشاره في بلاد المغرب ٤٠

## المرجئة

- الموازنة بينهم وبين الخوارج ٢٢٣  
 - علوهم في باب الإيمان ٢١٦  
 - مراتبهم في باب الإيمان ٢١٦

## المشيئة الإلهية

- مشيئة الله وقدرته على خلق أفعال العباد ١٦٧

## المعتزلة

- مقالاتهم في صاحب الكبيرة ١٩٦

## المعطلة

- من شبهاتهم ١٣٧

## المنهج القويم

- اتباع السلف الصالح، وإتقاء آثارهم، والاستغفار لهم ١٣  
 - ترك المراء والجدال في الدين، وترك ما أخذته المحدثون ١٣  
 - حفظ العقل والنقل ٢٠  
 - فضل قرب الزمان والمكان الأول ٢١

## النبوات

- الأنبياء يتفاضلون فيما بينهم في الإيمان المستحب ٢٢٦



الصفحة	الموضوع/رأس المسألة
١٧٧	- الإيمان بجميع الرسل واجب
١٧٦	- الغاية من إرسال الرسل
١٧٧	- الكافر بواحد من الرسل كافر بجميع الرسل
١٧٨	- أوجب الله على جميع الأنبياء اتباع محمد
١٧٧	- تتابع الرسل
١٧٧	- ختام رسالة النبي، وعمومها
١٠	- ختم الله الرسالة والندارة والنبوة بمحمد
١٨٠	- ختم النبوات ببعثة محمد
١٧٦	- رسالة النبي، وكتابه
١٧٩	- شريعة الإسلام ناسخة للشرائع قبلها
١٧٧	- عموم رسالة النبي لجميع الأمم
١٨٧	- يجب الإيمان بكل ما جاء الرسول
	النزول
١٥٣	- إثباته الله تعالى
	الواقعة
١٤٨	- حقيقة قولهم
١٤٨	- سبب تشديد الأئمة على الواقعة
	اليوم الآخر
٢٣٥	- أرواح الموتي وأحوالها
١٩١	- أشرار الساعة
٢٤٣	- الأرواح وقبضها
١٨٨	- الإيمان بالبعث بعد الموت من أركان الإيمان
١٨٨	- الإيمان بالقيامة وما فيها
١٩٢	- الحساب والعقاب
١٠	- الساعة آتية لا ريب فيها، وأن الله يبعث من يمت، كما بدأهم يهودون
١٩١	- تنزيل أشرار الساعة على الواقع

## الصفحة

## الموضوع/رأس المسألة

١٨٨

- ذِكْرُهُ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ

أما بعد

٧٤

- استعمالها في الكلام

أهل الحديث

٤٢

- الحديث والكلام، وأثرهما في الخلاف

أهل السُّنَّة والجماعة

٤٦

- إجماعهم على الإقرار بالصفات الواردة كلها في القرآن والسُّنَّة

٢٦٢

- الفرق بينهم وبين المرجئة

٨٥

- مُجَمَّلُ اعتقادهم في الله تعالى

٦٧

- مَنْ كَانَ عَلَى طَرِيقَتِهِمْ مِنْ عُلَمَاءِ اللُّغَةِ

أهل المغرب

٤٥ ، ٤٤

- إثبات عقائدهم على شواهد قبورهم

٣٧

- أثر الاعتزال في قبول المغاربة علم الكلام الأشعري

٤٠

- أصول مالك وفروعه، وأحوال أصحابه في المغرب

٢٦

- اعتقاد أهل المغرب

٤٠

- التزامهم مذهب مالك

٤٣

- امتحانهم بفتنة خلق القرآن

٢١٧

- إنكارهم إخراج العمل من الإيمان

٢٣٢

- إنكارهم مقالة الإرجاء

٢٦

- أهل المغرب أهل سُنَّة وأثر

٤٥

- بداية تصنيفهم في الرد على أهل البدع

٢٩

- بداية رد المغاربة على المشاركة في الفروع لا في الأصول

٤٣

- ثبات أهل المغرب، وامتحانهم بعلم الكلام

١٤٠

- كانوا يسمون القائلين بخلق القرآن: أهل العراق

٣٣

- لم يأخذ أحد من أعيان المَغَارِبَةِ المَعْتَبَرِينَ عن أبي الحسن الأشعري

٤٦

- ما مروا به من فتن

- ٣٥ - مذهب متقدمي المغاربة في الأسماء والصفات
- ١٣٥ - مصنفاتهم في إثبات حقيقة الصفات
- ٢٠٢ - مصنفاتهم في الردّ على مُنْكَرِي رؤية الله
- ٢١٨ - نبذهم مقالة الحَوَارِج
- ٣٩ - نشأة التّصنيف الكلامي فيها
- أولياء الأمور
- ٢٥٨ - طاعتهم في المعروف
- آيات الله في الآفاق
- ٧٢ - الأمر بعبادة النّظَر والتفكّر وتدبّر آيات الله
- ٩١ - التفكّر في الملَكوت مُوجِبٌ لسؤال النجاة مِنَ العذاب
- ٩٠ - معرفة الله بآياته الكونية
- أئمة المسلمين
- ٢٥٩ - الخروج على الأئمة وأحواله
- ٢٦٤ - الخطأ في نصوص الشّنع والطاعة
- ٢٥٨ - الطاعة لأئمة المسلمين في المعروف
- ٢٦٢ - جَوْرُهُمْ وظُلْمُهُمْ وأخطاؤهم
- بلاد المشرق
- ٢٤ - هي موضعُ الفلاسفة في الإسلام
- بلاد المغرب
- ٢٥ - أثر المَشْرِقِ على المَغْرِبِ
- ٣٣ - أسباب انتشار علم الكلام فيها
- ٣١ - أسباب تأخّر ذبوع علم الكلام في المَغْرِبِ
- ٣٤ - أكثر المتكلّمين أثرًا في المَغْرِبِ
- ٢٢ - المَغْرِبُ في زمن الصحابة والتابعين
- ٥٠ - انتشار الفكر الأشعريّ فيها على يد ابن تومرت
- ٣٦ - انتقال بعض أهل الفلسفة والكلام من المشاركة إلى المَغْرِبِ

## الصفحة

## الموضوع/رأس المسألة

- ٣٦ - انتقال كتب المشاركة إلى المغرب مع الرُّسل والنُّسَخ
- ٢٤ - انحسار الفلسفة وعلوم الأوائل فيها
- ٢٧ - أول ظهور الفكر الاعتزالي فيها، وطبقات المنتمين إليه
- ٣٢ - أول ظهور الفلسفة المشائية فيها
- ١٦ - أئمة المغرب الذين كانوا على طريقة السلف
- ٣٣ - بداية الخوض في الكلام والفلسفة عند المغاربة وأسباب انتشاره فيها
- ٢٢ - دخول الإسلام فيها
- ٣٥ - رواج الفكر الأشعري فيها
- ٩٩ - شيوخ مقالة التفويض فيها
- ٢٥٣ - ظهور الطعن في الصحابة في المغرب
- ١٤٠ - ظهور القول بخلق القرآن فيها
- ٥٠ - لم يكن فيها حتى المئة الخامسة أشعريُّ على طريقة المتأخرين
- ٢٨ - من حمل الفكر الاعتزالي إليها
- ٢٣ - من دخلها من الصحابة والتابعين
- ٢٧ - وجود الاعتزال فيها، وموقف العلماء منه
- تأويل الصفات
- ١٣٤ - ما يتضمَّنُه من محظور
- تعطيل الصفات
- ١٣٤ - سببه
- جلال الدين الدواني
- ٤٣ - الحوادث عنده لا أوَّل لها
- ٤٣ - الصفات عنده عِبْرُ الذات
- ٤٣ ، ٤٢ - مخالفته بعض أصول المذهب الأشعري
- ٤٣ - يقول بعينيَّة الصفات
- حق الله
- ٢٧٦ - طُرُق معرفته

### خلق القرآن

- ١٤٠ - أصل القول به مأخوذ من قول اليهود في التوراة
- ١٤١ - أصل فتنة القول به
- ١٣٨ - القول به بدعة، لم يقل بها إمام متبع
- ١٤٨ - الواقفة في خلق القرآن، وسبب التشديد عليهم
- ١٤٠ - ذكر الله القرآن أربعة وخمسين مرة دون إشارة واحدة إلى خلقه
- ١٣٨ - شدة مالك وأصحابه على القائلين به
- ١٤٠ - ظهور القول به في المغرب
- ١٤٩ - من أدلة القائلين بخلق القرآن

### ذكر الله

- ٦٩ - اقتران الحمد لله بالتشهد في الخطب
- ٦٩ - البداءة به قبل الشروع في المقامات المهمة
- ٧١ - التفريق بين الخطب والمكاتبات فيما تستفتح به
- ٧١ - مواضع البداءة بالبسملة
- رسالة ابن أبي زيد القيرواني
- ٧٤ - سبب تأليفها
- ٦٩ - شرح مقدمتها

### صاحب الكبيرة

- ٢١٢ - كيف يؤتى كتابه؟

### صفة التجلي

- ١٥٢ - إثباتها لله تعالى
- ١٥٢ - التجلي صفة فعلية خبرية

### صفة الرؤية

- ١١ - إثبات رؤية المؤمنين ربهم في جنات النعيم
- ٢٠٠ - أدلة إثباتها
- ٢٠٠ - استفاضت النصوص على إثباتها

الصفحة	الموضوع/رأس المسألة
٢٠١	- التفریقُ بَيْنَ الرُّؤْيَةِ والإِدْرَاكِ
١١	- جَعَلَ اللهُ الكَافِرِينَ بِهِ مُحْجُوبِينَ عَنْ رُؤْيَتِهِ
١٩٩	- رُؤْيُ اللهِ فِي الآخِرَةِ
٢٠٠	- مواضعُ ذِكْرِ لِقَاءِ اللهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِي الْقُرْآنِ
	صفة العلو
١٠٧	- العُلُوُّ وَالْمَعِيَّةُ
١٠٧	- حِكَايَةُ الإِجْمَاعِ عَلَى إِبْتَاهِهَا
١٠٥	عُلُوُّ اللهِ
١٠٥	- كَثْرَةُ الأدْلَةِ عَلَى إِبْتَاهِهَا
١٠٩	- مِنْ شُبُهَاتِ بَعْضٍ مِنْ عَظَلِّهَا
	صفة القَدَمِ
١٣١	- أدلة إِبْتَاهِهَا
	صفة الكلام
١٣٧	- إِبْتَاهِهَا
١٣٧	- اللهُ مُتَكَلِّمٌ مَتَى شَاءَ بِمَا شَاءَ
١٤٨	- سَبَبُ تَشْدِيدِ الأَثْمَةِ عَلَى الوَاقِفَةِ
١٣٧	- كَلَامُهُ نَعَالَى بَائِثٌ مِنْ خَلْقِهِ
١٤٤	- مِنْ حُجَجِ نَقَاةِ الصَّوْتِ وَالْحَرْفِ اللهُ
١٤٣	- نَشَأَةُ الْكَلَامِ عَلَى مَسْأَلَةِ الْحَرْفِ وَالصَّوْتِ
	عذاب القبر
٢٤٠	- ثبُوتُهُ وَأَدْلَتُهُ
	علم الكلام
٥٩	- أَثَرُ الْإِسْتِرْسَالِ فِيهِ
٣٣	- أَسْبَابُ انْتِشَارِهِ فِي بِلَادِ الْمَغْرِبِ
٦٠	- التَّعَرُّفُ عَلَى اللهِ بِهِ يورِثُ الْوَحْشَةَ
٥٤	- الرَّأْيُ وَعِلْمُ الْكَلَامِ

- ٦٢ - اللغة وعلم الكلام، وأسباب انتشار البدعة
- ٤٩ - انتشار الكلام في متأخري المالكية أكثر
- ٢٥ - سياق نشأته وغايته
- ٢٦ - طريق المتكلمين كلهم طريق واحد بالنوع، وإن اختلفت أصنافه
- ٢٥ - فلسفة اليونان وأثرها على المتكلمين
- ٢٥ - مقالات المتكلمين مبنية على مقدمات مأخوذة من اليونان والسريان
- ٢٤ - مناطق انتشاره وانحصاره
- ٥٣ - موقف الإمام مالك بن أنس منه
- ٥٥ - نهى الإمام مالك عنه، ومراده منه
- ٦٠ - يبدأ الداخل فيه بنسوة، ثم ينتهي بحيرة
- عمل أهل المدينة
- ٢٧٣ - حقيقة العمل الذي يقدم على الحديث
- فخر الدين الرازي
- ٤٣ - الصفات عنده نسب وإضافات بين الذات، وبين المعلوم والمقدور والمراد
- ٤٢ - مخالفته بعض أصول المذهب الأشعري
- قواعد الحجاج
- ٣٧ - مراتب المخالفين تقتضي مدح الأقرب واللين معه
- كلام الله
- ١٠ - القرآن كلام الله، ليس بمخلوق فيسبى، ولا صفة لمخلوق فينفذ
- مذهب الأشاعرة
- ٤٢ - تشديدهم في الخلاف في العقليات
- ٤٢ - مخالفة بعض رؤوسهم في أصول المذهب
- ٤٢ - مخالفتهم يتردد بين الكفر والابتداع والإثم
- نفي الصفات
- ١١١ - نفي بعض الصفات لأجل توهم إحاطة المخلوقات بالخالق

## ٨ - فهرس المذاهب والأقوال

الصفحة

المذهب/ القول

- إبراهيم بن خالد بن أبي اليمان الكلبي، أبو ثور الإمام الشافعي  
٢٢٩ - يفرقون بين الترك الكَلْبِيِّ للعمل وبين الترك الجُرْتِي  
إبراهيم بن يزيد بن عمرو أبو عمران النخعي الكوفي الأعور  
٢٤٥ - لِمَلِكِ المَوْتِ أعوانٌ مِنَ الملائكة، يَتَوَفَّوْنَ عَنْ أَمْرِه  
ابن أبي زيد القيرواني  
٢٦٩ - اتَّبَعَ السَّلَفُ الصَّالِحَ، وَافْتَقَأَ آثارَهُمْ، وَالِاسْتِغْفَارُ لَهُمْ  
٢٣٨ - أَرْوَاحُ الْكُفَّارِ بَاقِيَةٌ فِي سِجِّينَ  
٢٣٥ - أَرْوَاحُ أَهْلِ السَّعَادَةِ بَاقِيَةٌ نَاعِمَةٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ  
٢٣٥ - أَرْوَاحُ أَهْلِ الشَّقَاوَةِ مُعَذَّبَةٌ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ  
١٤٢ - أَسْمَعَ اللَّهُ مُوسَى كَلَامَهُ الْقَائِمَ بِذَاتِهِ، لَا كَلَامًا قَامَ بغيره  
١٥٦ - الْإِيمَانُ بِالْقَدَرِ خَيْرٌ وَشَرٌّ، حُلُوهُ وَفُرْهُ، وَكُلُّ ذَلِكَ قَدْ قَدَرَهُ اللَّهُ رَبُّنَا  
٢١٤ - الْإِيمَانُ بِحُضْرِ رَسُولِ اللَّهِ، تَرُدُّهُ أُمَّتُهُ؛ لَا يَظْمَأُ مَنْ شَرِبَ مِنْهُ  
٢١٥ - الْإِيمَانُ قَوْلٌ بِاللِّسَانِ، وَإِخْلَاصٌ بِالْقَلْبِ، وَعَمَلٌ بِالْجَوَارِحِ  
٢٧٥ - التَّسْلِيمُ لِلشَّيْءِ لَا تَعَارِضُ بِرَأْيٍ، وَلَا تُدَافَعُ بِقِيَاسٍ  
٢٣٥ - الشُّهَدَاءُ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ  
٢١٢ - الصُّرَاطُ حَقٌّ، يَجُوزُهُ الْعِبَادُ بِقَدْرِ أَعْمَالِهِمْ  
٢٥٨ - الطَّاعَةُ لِأَمْرِ الْمُسْلِمِينَ؛ مِنْ وُلاَةِ أُمُورِهِمْ، وَعُلَمَائِهِمْ  
١٥٥ - الْقُرْآنُ كَلَامُ اللَّهِ، لَيْسَ بِمَخْلُوقٍ فَيَسِيدُ، وَلَا صِفَةٌ لِمَخْلُوقٍ فَيَنْقُذُ  
١٧٤ - تَعَالَى أَنْ يَكُونَ خَالِقُ لَشَيْءٍ إِلَّا هُوَ، رَبُّ الْعِبَادِ وَرَبُّ أَعْمَالِهِمْ  
١٧٤ - تَعَالَى أَنْ يَكُونَ فِي مُلْكِهِ مَا لَا يُرِيدُ، أَوْ يَكُونَ لِأَحَدٍ عَنْهُ غِنَى  
٢٠٩ - تُوضَعُ الْمَوَازِينُ لِوَزْنِ أَعْمَالِ الْعِبَادِ



- ١٦٨ - خَذَلَ اللَّهُ مَنْ عَصَاهُ وَكَفَرَهُ بِهِ، فَأَسْلَمَهُ وَسَرَّهُ لِذَلِكَ فَحَجَبَهُ وَأَضَلَّهُ  
١٦٦ - عَلِمَ كُلُّ شَيْءٍ قَبْلَ كَوْنِهِ؛ فَجَرَى عَلَى قَدَرِهِ  
٢٤٧ - كُلُّ مَنْ صَحَبَهُ وَلَوْ سَاعَةً، أَوْ رَأَاهُ وَلَوْ مَرَّةً، فَهُوَ أَفْضَلُ مِنَ أَفْضَلِ التَّابِعِينَ  
٢٦١ - كُلُّ مَنْ وَلِيَ أَمْرَ الْمُسْلِمِينَ عَنْ رِضَا أَوْ عَنْ غَلَبَةٍ، فَلَا يُخْرَجُ عَلَيْهِ  
١٦٧ - كُلُّ مُسَيَّرٍ بِتَسِيرِهِ، إِلَى مَا سَبَقَ مِنْ عَلَيْهِ وَقَدَرِهِ؛ مِنْ شَقِيٍّ أَوْ سَعِيدٍ  
١٦٨ - كُلُّ يَنْتَهِي إِلَى سَابِقِ عِلْمِهِ؛ لَا مَحِيصَ لِأَحَدٍ عَنْهُ  
١٣٧ - كَلَّمَ مُوسَى بِكَلَامِهِ الَّذِي هُوَ صِفَةُ ذَاتِهِ، لَا خَلْقٍ مِنْ خَلْقِهِ  
٢٣٣ - لَا يَكْفُرُ أَحَدٌ بِذَنْبٍ مِنْ أَهْلِ الْقَبِيلَةِ  
١٦٦ - لَا يَكُونُ مِنْ عِبَادِهِ قَوْلٌ وَلَا عَمَلٌ إِلَّا وَقَدْ قَضَاهُ، وَسَبَقَ عِلْمُهُ بِهِ  
١٥٦ - مَقَادِيرُ الْأُمُورِ بِيَدِهِ، وَمَصْدَرُهَا عَنْ قَضَائِهِ  
٢٥٠ - وَأَفْضَلُ الصَّحَابَةِ: الْخُلَفَاءُ الرَّاشِدُونَ الْمَهْدِيُّونَ  
٢٥٤ - وَالْأَلَا يُذَكَّرُ أَحَدٌ مِنْ صَحَابَةِ الرَّسُولِ ﷺ إِلَّا بِأَحْسَنِ ذِكْرٍ  
٢٤٠ - يُضْعَفُ النَّاسُ وَيُتْلَوْنَ، وَيُثَبِّتُ اللَّهُ مَنْطِقَ مَنْ أَحَبَّ تَثْبِيتَهُ  
١٦٧ - يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ فَيُخْذِلُهُ بِعَدْلِهِ، وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ فَيُوقِفُهُ بِفَضْلِهِ  
٢٣٨ - يُفْتَنُ الْمُؤْمِنُونَ فِي قُبُورِهِمْ وَيُسْأَلُونَ

ابن أبي القبرواني

- ٢٤١ - عَلَى الْعِبَادِ حَفَظَةُ يَكْتُبُونَ أَعْمَالَهُمْ، وَلَا يَسْقُطُ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ عَنْ عِلْمِ رَبِّهِمْ

ابن عزوز المالكي التونسي

- ١٠٨ - اللَّهُ مُسْتَوٍ عَلَى عَرْشِهِ، بَاطِنٌ مِنْ خَلْقِهِ، قَرِيبٌ لَهُمْ بِعِلْمِهِ

ابن فروخ قاضي القيروان

- ٢٦٠ - اشْهَدُوا أَنِّي رَجَعْتُ عَمَّا كُنْتُ أَقُولُ بِهِ مِنَ الْخُرُوجِ عَلَى أُمَّةِ الْجَوْرِ

- ٢٦٠ - رَأَى الْخُرُوجَ عَلَى الْعَكْبِيِّ

أبو الحسن التميمي

- ١٥٣ - نَفِي الزُّوْلِ عَنِ اللَّهِ تَعَالَى

أبو العباس القلانسي

- ١٤٤ - نَازَعَ فِي إِبَاتِ الْحَرْفِ وَالصَّوْتِ

- أبو العباس بن طالب  
٢٠٠ - إثبات رؤية الله في الآخرة
- أبو القاسم المقرئ  
١٠٨ - الله مستو على عرشه، بائن من خلقه، قريب لهم بعلمه
- أبو المطرف القنازعي القرطبي  
١٠٨ - الله مستو على عرشه، بائن من خلقه، قريب لهم بعلمه
- أبو عبد الله الصالحي  
١٤٤ - نازع في إثبات الحرف والصوت
- أحمد بن أبي بكر، أبو مصعب  
٢١٦ - الإيمان قول وعمل، يزيد وينقص، فمن قال غير هذا فهو كافر
- أحمد بن شعيب بن علي، أبو عبد الرحمن النسائي  
١٢٤ - عبر عن الاستواء بالجلوس
- أحمد بن محمد بن حنبل، أبو عبد الله الشيباني المروزي  
٢٠٧ - إثبات أفعال الله الاختيارية على وجه الحقيقة
- ٢٠٩ - الإيمان بالميزان من أصول السنة
- ٢٢٢ - التفريق بين قتال الخوارج لإمام جور وبين قتالهم لإمام عدل
- ١٥٥ - القرآن خرج من الله
- ١١٣ - الله بذاته فوق العرش، وعلمه في كل مكان
- ١٤٣ - الله يتكلم بصوت
- ١١٣ - الله يرى يوم القيامة بالأبصار فوق العرش
- ١١٣ - الله يغضب ويرضى ويتكلم بما شاء
- ١١٣ - الله ينزل إلى سماء الدنيا
- ٥٨ - النهي عن علم الكلام عموماً بلا استثناء
- ١٤٤ - إن الله تكلم بالصوت والحرف
- ١٤٤ - بل تكلم بصوت؛ هذه الأحاديث تروى كما جاءت
- ٢١٩ - توقف في تكفير الخوارج

- ٢٠٥ - جَزَمَ بِكُفْرِ مَنْكِرِ خَلْقِ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ
- ١٢٤ - عَبَّرَ عَنِ الْإِسْتِوَاءِ بِالْجُلُوسِ
- ١٣٢ - قَوْلُ التَّابِعِيِّ لَيْسَ حُجَّةً مَقْطُوعَةً فِي الْفُرُوعِ وَالْأَصُولِ
- ٢٥٥ - كَانَ يَعْتَزِلُ مَجْلِسَ عَبْدِ الرَّزَّاقِ إِذَا حَدَّثَ بِأَحَادِيثِ الْخِلَافِ بَيْنَ الصَّحَابَةِ، ،
- ٢٠٦ - كَفَرُ مَنْ قَالَ بِفُتَاءِ الْجَنَّةِ خَاصَّةً
- ١٥٦ - كَلَامُ اللَّهِ مِنْهُ، وَلَيْسَ بِبَاطِنٍ مِنْهُ، وَلَيْسَ مِنْهُ شَيْءٌ مَخْلُوقٌ
- ٢٥٥ - لَا أَحِبُّ لِأَحَدٍ أَنْ يَكْتَبَ هَذِهِ الْأَحَادِيثَ الَّتِي فِيهَا ذِكْرُ أَصْحَابِ النَّبِيِّ
- ٢٣٠ - لَا يَكْفُرُ مَنْ يَجْعَلُ الْإِيمَانَ قَوْلًا وَاعْتِقَادًا بِلَا عَمَلٍ
- ١٤٨ - لَا يَكُونُ مِنْ أَهْلِ السُّنَّةِ، وَلَا كَرَامَةِ (الْوَاقِفَةِ)
- ٢٣٦ - مُسْتَقَرُّ أَرْوَاحِ الْمُؤْمِنِينَ بَعْدَ الْمَوْتِ فِي الْجَنَّةِ
- ٢٣٠ - مَنْ تَرَكَ الْعَمَلَ كُلَّهُ حَتَّى يَمُوتَ كَافِرٌ فِي رِوَايَةٍ
- ١٤٤ - نَفْيُ الصَّوْتِ وَالْحَرْفِ هُوَ قَوْلُ الْجَهْمِيَّةِ
- ٢٢٩ - يَفْرَقُونَ بَيْنَ التَّرِكِ الْكُلِّيِّ لِلْعَمَلِ وَبَيْنَ التَّرِكِ الْجُزْئِيِّ
- أحمد بن محمد بن عبد الله، أبو عمر الظلمنكي
- ٤٧ - إِبْنَاتُ الْجَنَبِ لِلَّهِ
- أحمد بن يحيى بن يسار الشيباني، أبو العباس ثعلب
- ٦٥ - السُّنَّةُ تَقْضِي عَلَى اللَّعْنَةِ، وَاللَّعْنَةُ لَا تَقْضِي عَلَى السُّنَّةِ
- إسحاق بن إبراهيم بن مخلد، أبو يعقوب الحنظلي النيسابوري، ابن راهويه
- ١١٣ - اللَّهُ بِذَاتِهِ فَوْقَ الْعَرْشِ، وَعِلْمُهُ فِي كُلِّ مَكَانٍ
- ١١٣ - اللَّهُ يُرَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِالْأَبْصَارِ فَوْقَ الْعَرْشِ
- ١١٣ - اللَّهُ يَغْضَبُ وَيَرْضَى وَيَتَكَلَّمُ بِمَا شَاءَ
- ١١٣ - اللَّهُ يَنْزِلُ إِلَى سَمَاءِ الدُّنْيَا
- ١٤٨ - الْوَاقِفَةُ شَرٌّ عِنْدِي مِمَّنْ يَقُولُ: الْقُرْآنُ مَخْلُوقٌ؛ لِأَنَّهُ يَقْتَدِي بِهِ غَيْرُهُ
- ٢٢٩ - يَفْرَقُونَ بَيْنَ التَّرِكِ الْكُلِّيِّ لِلْعَمَلِ وَبَيْنَ التَّرِكِ الْجُزْئِيِّ
- أَفْلَاطُون
- ١٥٩ - الشَّرُّ مِنَ الْجَهْلِ

## الأشاعرة

- أفعالُ العباد الاختيارية بإرادة الله وقُدْرَتِهِ وحْدَهُ، لا باختيارِ العبد ولا قُدْرَتِهِ ١٧٢

الجهنم بن صفوان بن محرز السمرقندي، رأس الجهمية

- أفعالُ الله لها آخرٌ، ومنها الجنة والنارُ ٢٠٥

- الجنة والنارُ ثَقْنَيَانِ ٢٠٥

## الجهمية

- أَظْهَرُوا أسماءَ الله مخلوقةً ١٣٣

- نفي الأسماء الحسنى ١٣٣

الحسن بن بسار، أبو سعيد البصري

- الكرسيُّ هُوَ العَرْشُ ١٢٠

- عَبَّرَ عن الاستواءِ بالجلوسِ ١٢٤

- مِيزَانُ الأعمالِ له لسانٌ ٢١١

الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم، أبو عبد الرحمن الفراهيدي

- تَفْسِيرُ الاستواءِ بالاستيلاءِ لا تَعْرِفُهُ الْعَرَبُ في كلامِها ١٢٧

## الخوارج

- الإِيمَانُ شَيْءٌ وَاحِدٌ لا يَنْجِزُ ٢٣٤

- حَكْمُ تَكْفِيرِهِمْ ٢١٨

- سَلَبُ الإِيمَانِ مِنْ صَاحِبِ الْكِبِيرَةِ ٢٣٤ ، ١٩٦

- لا شِفَاعَةَ لِعَصَاةِ الْمُسْلِمِينَ ١٩٩

- لا يَدْخُلُ النَّارَ إِلَّا نَفْسٌ كَافِرَةٌ ١٩٩

- لا يَرَوْنَ صَاحِبَ الْكِبِيرَةِ مُؤْمِنًا ١٩٩

- لا يُؤْتَمَنُونَ فِي إِمْرَةٍ عَلَى الْمُسْلِمِينَ ٢١٨

## الرافضة

- لا يُؤْتَمَنُونَ فِي إِمْرَةٍ عَلَى الْمُسْلِمِينَ ٢١٨

## السلف

- إثباتُ الصُّفَةِ لا يعني تشبيهاً؛ وَتَفْيُ الْكِيفِ لا يعني تعطيلًا ٦١

الصفحة

المذهب/ القول

- ١٠٠ - إثبات حقائق الصفات ومعانيها الصحيحة
- ٩٢ - إثبات حقيقة الصفات، وتفويض كیفيتها
- ١٣٠ - إثبات ما أثبت الله لنفسه، وما أثبت له نبيه
- ١٢١ - استواء الله على العرش يليق بجلاله، ويتنزه عما يليق بالمخلوق
- ٢٠٥ - الجنة والنار لا تقتيان
- ٢١٣ - الصراط حق
- ١٣٨ - القرآن كلام الله، ليس بمخلوق
- ١١٣ - الله سبحانه بذاته فوق العرش، وأن علمه في كل مكان
- ٦١ - التهي عن الجدال في الله وصفاته وأسمائه
- ٢٢٧ - صحة الاستثناء في الإيمان
- ١٢٢ - قوضوا كيفية الاستواء
- ٦٣ - كانوا يرجعون فهم مسائل الذين إلى ما تواضع عليه أهل الصدر الأول
- ١٥٥ - كلام الله هو هذا الخارج منه المسموع والمقروء، والمكتوب والمحفوظ
- ١٣٤ - لا يلزم من إثبات حقيقة الصفات التشبيه
- ١٢٢ - لم يكر أحد منهم أن الله استوى على عرشه حقيقة
- ٢٨١ - نههم عن مخالطة أهل الأهواء ومجالستهم
- ٧١ - يبدؤون كتبهم بالبسملة قبل الشروع في المقصود
- ٦١ - يثبتون الحقيقة للصفة اللائقة بالله
- ١٣٠ - يثبتون لله الأسماء والصفات؛ كما أثبتها الله لنفسه
- ١٥٢ - ينزل ربنا ويتجلى ويحيى بلا كيف

الصحابه

- ١٥٥ - القرآن كلام الله، منه خرج، وإليه يعود
- ١٥٥ - الله الخالق، وما سواه مخلوق
- ١٣٠ - لبست العقائد من موارد النزاع
- الضحاك بن مزاحم الهلالي، أبو القاسم الخراساني
- ١٢٠ - الكرسي هو العرش
- الفضيل بن عياض بن مسعود، أبو علي الزاهد الخراساني

المذهب/ القول	الصفحة
- الله بذاته فوق العرش، وعلمه في كل مكان	١١٣
- الله يرى يوم القيامة بالابصار فوق العرش	١١٣
- الله يغضب ويرضى ويتكلم بما شاء	١١٣
- الله ينزل إلى سماء الدنيا	١١٣
- لا يكفر أحدا بذنب، ولا يشهد لأحد أنه في الجنة	٢٣٤
الفلاسفة	
- نفوا العلو	١٠٧
القاسم بن سلام الأزدي البغدادي، أبو عبيد القاضي	
- لا نجد بدا من اتباع لغة أهل الحديث من أجل السماع	٦٥
المادبيون	
- إنكار الحوض	٢١٥
- إنكار ضمة القبر	٢٤١
المالكية	
- القرآن كلام الله، ليس بمخلوق	١٣٨
- أهل الأهواء هم أهل الكلام	٥٥
المتكلمون	
- نفوا العلو	١٠٧
- يتأولون النزول والمجيء وغيرهما	١٥٤
- يقدمون من اللغة ما يوافق أصولهم الكلامية	٦٤
المرجئة	
- الإيمان شيء واحد لا يتجزأ	٢٣٤
- لا تضرب الذنوب مع التوحيد	٢٣١
- لا يدخل النار أحد من المسلمين مهما بلغ ذنبه	١٩٦
- لا يدخل النار إلا نفس كافرة	١٩٩
- لا يدخلون النار بالمعاصي أصلاً	١٩٩

الصفحة

المذهب/ القول

- ١٩٩ - لا يَرَوْنَ الشفاعةَ للعصاة
- ٢٣٤ - لا يُؤَثِّرُ الذَّنْبُ عَلَى الْإِيمَانِ
- ٢٦٤ - يُوَالُونَ مَنْ كَانَ شَدِيدَ الْوَلَاءِ لِلسُّلْطَانِ

المعتزلة

- ١٣٣ - إثباتُ الأسماءِ الحُسْنَى مجرّدةٌ عن معانيها
- ١٣٣ - أَظْهَرُوا أَسْمَاءَ اللَّهِ مَخْلُوقَةً
- ٢٣٤ - الْإِيمَانُ شَيْءٌ وَاحِدٌ لَا يَتَجَزَّأُ
- ٢١٥ - إنكارُ الحَوَاضِ
- ٢٣٤ ، ١٩٦ - سلبُ الإيمانِ مِنْ صَاحِبِ الْكِبَرَةِ
- ١٩٩ - لا شفاعَةَ لعصاةِ الْمُسْلِمِينَ
- ١٩٩ - لا يَدْخُلُ النَّارَ إِلَّا نَفْسٌ كَافِرَةٌ
- ١٩٩ - لا يَرَوْنَ صَاحِبَ الْكِبَرَةِ مُؤْمِنًا
- ١٢٧ - نَفَوْا الْإِسْتِواءَ، وَفَسَّرُوهُ بِالْإِسْتِيلَاءِ

النحاة

- ١٣٧ - إِذَا أُكِّدَ الْفِعْلُ بِالْمَصْدَرِ، لَمْ يُحْمَلْ إِلَّا عَلَى الْحَقِيقَةِ

اليهود

- ١٤٠ - التوراةُ مخلوقةٌ

أهل الحديث

- ٢٥٣ - ترتيبُ الخلفاءِ الرَّاشِدِينَ فِي الْفَضْلِ كترتيبِهِمْ فِي الْخِلَافَةِ

أهل السنة والجماعة

- ٤٦ - الإقرارُ بالصفاتِ الْوَاردَةِ كُلِّهَا فِي الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ
- ٢٦٥ - الْوَلَاءُ لِلْإِمَامِ تَحْتَ الْوَلَاءِ لِلَّهِ
- ٢٧٨ - لَا يُعَذَّرُ مَنْ أَذَاهُ أَجْنَهَاهُ إِلَى بِدْعَةٍ
- ٢٢٩ - لا يَكْفُرُونَ أَحَدًا بِتَرْكِ شَيْءٍ مَعْنِيٍّ مِنَ الْبَاطِنِ أَوْ الظَّاهِرِ
- ١٣٢ - مِنْ أَصُولِ السُّنَّةِ التَّمَسُّكُ بِمَا عَلَيْهِ الصَّحَابَةُ

## الصفحة

## المذهب/ القول

- ٢٢٩ - يَفْرُقُونَ بَيْنَ التَّرِكِ الْكُلِّيِّ لِلْعَمَلِ وَبَيْنَ التَّرِكِ الْجُزْئِيِّ
- ٢٢٣ - يَفْرُقُونَ بَيْنَ الدِّينِ وَالرَّأْيِ، وَمَوَاضِعِ الْقَطْعِ وَمَوَاضِعِ الاجْتِهَادِ
- أهل المدينة
- ٥٤ - كَانُوا يَنْهَوْنَ عَنِ الْخَوْضِ فِي عِلْمِ الْكَلَامِ
- أهل المغرب
- ١٠٨ - إِبْثَاتُ الْعُلُوِّ عَلَى الْحَقِيقَةِ
- بشر بن الحارث الحافي
- ١٥٦ - نَشَهِدُ أَنَّ اللَّهَ يَقُولُ وَيَخْلُقُ، وَقَوْلُهُ قَوْلٌ، وَخَلْقُهُ خَلْقٌ، ،،
- بعض الفلاسفة
- ١٦٧، ١٢١ - نَفْيُ عِلْمِ اللَّهِ بِالْجُزْئِيَّاتِ
- بعض المتكلمين
- ١٦٧، ١٢١ - نَفْيُ عِلْمِ اللَّهِ بِالْجُزْئِيَّاتِ
- حرب بن إسماعيل بن خلف الحنظلي الكرمانى
- ١٥٣ - إِبْثَاتُ النُّزُولِ بِلَا تَأْوِيلٍ وَلَا تَشْبِيهِ، وَلَا تَكْيِيفٍ وَلَا تَعْطِيلٍ
- حماد بن زيد بن درهم، أبو إسماعيل الأزرق الجهمي البصري الضريع
- ١١٣ - اللَّهُ بِذَاتِهِ فَوْقَ الْعَرْشِ، وَعِلْمُهُ فِي كُلِّ مَكَانٍ
- ١١٣ - اللَّهُ يُرَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِالْأَبْصَارِ فَوْقَ الْعَرْشِ
- ١١٣ - اللَّهُ يَغْضَبُ وَيَرْضَى وَيَتَكَلَّمُ بِمَا شَاءَ
- ١١٣ - اللَّهُ يَنْزِلُ إِلَى سَمَاءِ الدُّنْيَا
- حماد بن سلمة بن دينار، أبو سلمة البصري
- ١١٣ - اللَّهُ بِذَاتِهِ فَوْقَ الْعَرْشِ، وَعِلْمُهُ فِي كُلِّ مَكَانٍ
- ١١٣ - اللَّهُ يُرَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِالْأَبْصَارِ فَوْقَ الْعَرْشِ
- ١١٣ - اللَّهُ يَغْضَبُ وَيَرْضَى وَيَتَكَلَّمُ بِمَا شَاءَ
- ١١٣ - اللَّهُ يَنْزِلُ إِلَى سَمَاءِ الدُّنْيَا



- خارجة بن مصعب  
- عُبِّرَ عَنِ الْإِسْتِوَاءِ بِالْجُلُوسِ ١٢٤
- سحنون بن سعيد بن حبيب، أبو سعيد التنوخي القبرواني  
- أَفْضَلُ هَذِهِ الْأُمَّةِ بَعْدَ نَبِيِّهَا أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ ٢٥٣
- أَلَّا تَخْرُجَ عَلَى الْأُمَّةِ بِالسَّيْفِ، وَإِنْ جَاؤُوا ٢٦٠
- اللَّهُ يُرَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ ٢٠٠
- إِنَّ اللَّهَ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ١٢١
- مِنَ الْعِلْمِ بِاللَّهِ: الْجَهْلُ بِمَا لَمْ يُخَيَّرِ اللَّهُ بِهِ عَنْ نَفْسِهِ ٨٨، ٦١، ٤٤
- سعيد بن جبير بن هشام الأسدي الوالبي، أبو محمد الكوفي  
- يَفْرَقُونَ بَيْنَ التَّرِكِ الْكُلِّيِّ لِلْعَمَلِ وَبَيْنَ التَّرِكِ الْجُزْئِيِّ ٢٢٩
- سعيد بن عبد العزيز  
- لَا إِيْمَانًا إِلَّا بِعَمَلٍ، وَلَا عَمَلًا إِلَّا بِإِيْمَانٍ ٢٢٩
- يُنْكِرُونَ قَوْلَ مَنْ يَقُولُ: إِنَّ الْإِيْمَانَ قَوْلٌ بِلَا عَمَلٍ ٢٢٩
- سعيد بن محمد بن صبيح الفساني، أبو عثمان بن الحداد  
- كُلُّ مَنْ زَعَمَ أَنَّ مُوسَى سَمِعَ الْكَلَامَ مِنَ الشَّجَرَةِ عَلَى الْحَقِيقَةِ، فَقَدْ كَفَرَ ١٤٢
- سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري، أبو عبد الله الكوفي  
- اللَّهُ بِذَاتِهِ فَوْقَ الْعَرْشِ، وَعِلْمُهُ فِي كُلِّ مَكَانٍ ١١٣
- اللَّهُ يُرَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِالْأَبْصَارِ فَوْقَ الْعَرْشِ ١١٣
- اللَّهُ يَغْضَبُ وَيَرْضَى وَيَتَكَلَّمُ بِمَا شَاءَ ١١٣
- اللَّهُ يَنْزِلُ إِلَى سَمَاءِ الدُّنْيَا ١١٣
- سفيان بن عيينة بن ميمون أبو محمد الهلالي الكوفي  
- الْإِيْمَانُ قَوْلٌ وَعَمَلٌ ٢١٧
- الْقُرْآنُ خَرَجَ مِنَ اللَّهِ ١٥٥
- اللَّهُ بِذَاتِهِ فَوْقَ الْعَرْشِ، وَعِلْمُهُ فِي كُلِّ مَكَانٍ ١١٣
- اللَّهُ يُرَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِالْأَبْصَارِ فَوْقَ الْعَرْشِ ١١٣
- اللَّهُ يَغْضَبُ وَيَرْضَى وَيَتَكَلَّمُ بِمَا شَاءَ ١١٣

الصفحة	المذهب/ القول
١١٣	- الله يَنْزِلُ إِلَى سماءِ الدنيا
٢٣٤	- لا يَكْفُرُ أَحَدًا بِذَنْبٍ، ولا يَشْهَدُ لِأَحَدٍ أَنَّهُ فِي الْجَنَّةِ
٢٢٩	- يَفْرُقُونَ بَيْنَ التَّرِكِ الْكُلِّيِّ لِلْعَمَلِ وَبَيْنَ التَّرِكِ الْجُزْئِيِّ
	سقراط
١٥٩	- يَنْفِي الْقَدَرَ كُلَّهُ
	سلمان الفارسي، أبو عبد الله
٢١١	- مِيزَانُ الْأَعْمَالِ لَهُ لِسَانٌ
	سليمان الفراء
١٤٠	- الْقَوْلُ بِخَلْقِ الْقُرْآنِ فِي الْمَغْرِبِ
	سليمان بن خلف بن سعد، أبو الوليد الباجي
٤٨	- اعْتَمَدَ تَقْرِيرَ الْعَقَائِدِ عَلَى طَرِيقَةِ أَهْلِ الْكَلَامِ
	عبد الجبار بن أحمد، أبو الحسن الهمداني قاضي المعتزلة
٦٦	- تَأْوِيلُ الْيَدِ بِالنُّعْمَةِ
٦٦	- تَأْوِيلُ صِفَةِ الْكَلَامِ
٦٦	- طَرِيقَتُنَا فِي الْمِثَالِ: أَنْ يَكُونَ لَهُ تَأْوِيلٌ صَحِيحٌ، يُخْرِجُ عَلَى مَذْهَبِ الْعَرَبِ
	عبد الرحمن بن عبد الله، أبو القاسم السهيلي الأندلسي
١٣٦	- صِفَةُ الْيَدِ ثَابِتَةٌ عَلَى الْحَقِيقَةِ لَا تَوَوُّلٌ
١٣٦	- إِنَّ اللَّهَ يَدْنِي وَوَجْهًا وَعَيْنَيْنِ
	عبد الرحمن بن عمرو، أبو عمرو الأوزاعي الفقيه
٢٢٩	- لَا إِيْمَانًا إِلَّا بِعَمَلٍ، وَلَا عَمَلٍ إِلَّا بِإِيْمَانٍ
٢٢٩	- يُنْكِرُونَ قَوْلَ مَنْ يَقُولُ: إِنَّ الْإِيْمَانَ قَوْلٌ بِلَا عَمَلٍ
	عبد الرحمن بن مهدي بن حسان اللؤلؤي، أبو سعيد البصري
٩٩	- قَدْ هَلَكَ قَوْمٌ مِنْ هَذَا الْوَجْهِ
	عبد العزيز بن أبي سلمة، الماجشون
٢٠٢	- مَنْ زَعَمَ أَنَّ اللَّهَ لَا يُرَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ، اسْتُثْبِتَ

- عبد الله بن الزبير بن عيسى الحميدي، أبو بكر المكي  
٢٣٠ - مَنْ تَرَكَ الْعَمَلَ كُلَّهُ حَتَّى يَمُوتَ كَافِرٌ فِي رِوَايَةٍ
- ٢٢٩ - يَفْرَقُونَ بَيْنَ التَّرِكِ الْكُلِّيِّ لِلْعَمَلِ وَبَيْنَ التَّرِكِ الْجُزْئِيِّ
- عبد الله بن المبارك بن واضح الجَنْظَلِي التَّمِيمِي، أبو عبد الرحمن المروزي  
١١٣ - اللَّهُ بِذَاتِهِ فَوْقَ الْعَرْشِ، وَعِلْمُهُ فِي كُلِّ مَكَانٍ
- ١١٣ - اللَّهُ يُرَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِالْأَبْصَارِ فَوْقَ الْعَرْشِ
- ١١٣ - اللَّهُ يَغْضَبُ وَيَرْضَى وَيَتَكَلَّمُ بِمَا شَاءَ
- ١١٣ - اللَّهُ يَنْزِلُ إِلَى سَمَاءِ الدُّنْيَا
- ٢٣٤ - لَا يَكْفُرُ أَحَدًا بِذَنْبٍ، وَلَا يَشْهَدُ لِأَحَدٍ أَنَّهُ فِي الْجَنَّةِ
- عبد الله بن سعيد، أبو محمد القَطَانِ البَصْرِي، ابن كُلاب  
١٤١ - أُثْبِتَ الْكَلَامَ النَّفْسِيَّ
- خَلَقَ مَا عدا الْكَلَامَ النَّفْسِيَّ مِنَ الْمَسْمُوعِ وَالْمَقْرُوءِ وَالْمَحْفُوظِ، وَالْمَكْتُوبِ  
١٤١ - وَالْمَتَدَبَّرِ
- ١٤٤ - نَازَعَ فِي إِبْطَالِ الْحَرْفِ وَالصَّوْتِ
- عبد الله بن عباس بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف، أبو محمد الهاشمي  
١٣١ - إِبْطَالُ الْقَدَمَيْنِ لِلَّهِ
- ١١٩ - الْكَرْسِيُّ عِلْمُ اللَّهِ
- ١٢٠ - الْكَرْسِيُّ قُدْرَةُ اللَّهِ
- ٩٤ - آيَاتُ الصِّفَاتِ مِنَ الْمُحْكَمَاتِ
- ٢١١ - مِيزَانُ الْأَعْمَالِ لَهُ لِسَانٌ
- عبد الله بن عمر بن الخطاب، أبو عبد الرحمن العدوي  
٢٦٠ - رَجَعَ عَنْ قِتَالِ نَجْدَةِ الْحُرُورِيِّ
- عبد الله بن قيس بن سليم بن حضار، أبو موسى الأشعري  
١٣١ - إِبْطَالُ الْقَدَمَيْنِ لِلَّهِ
- عبد الله بن محمد الضعيف  
١٤٨ - قُعْدُ الْخَوَارِجِ أَخْبَثُ الْخَوَارِجِ، وَقُعْدُ الْجَهْمِيَّةِ هُمْ الْوَاقِفَةُ

- عبد الله بن مسعود بن غافل بن حبيب الهذلي، أبو عبد الرحمن  
١٣١ - إثبات القدمين لله
- ١٢٠ - الكرسي غير العرش
- ١٢٠ - بين السماء الدنيا والتي تليها خمس مئة عام، وبين كل سماء خمس مئة عام
- عبد الملك بن عبد الله بن يوسف، أبو المعالي الجويني إمام الحرمين  
٤٣ - استحل إطلاق القول بأن العبد خالق أعماله
- ٤٣ - القدرة الحادثة تؤثر في مقدورها عنده
- ٤٣ - فعل العبد واقع بقدرته قطعاً
- ٤٣ - قدرة العبد منفردة بالتأثير في فعله
- ٥٢ - نفى صفة الوجه
- ٥٢ - نفى صفة اليد
- ٥٢ - نفى صفتي العلو والاستواء
- عبد الملك بن قريب بن عبد الملك بن علي، أبو سعيد الأصمعي البصري  
١٣٣ - إذا سمعت الرجل يقول: الاسم غير المسمى، فاحكم عليه بالزندقة
- عبد الوهاب الوراق  
١٢٤ - عبر عن الاستواء بالعود
- عبد الوهاب بن علي بن نصر، القاضي عبد الوهاب  
١١٤ - نص على ذكر استواء الله على العرش بذاته
- عثمان بن جني، أبو الفتح  
٦٧ - أكثر اللغة مجازاً، لا حقيقة
- عثمان بن سعيد بن خالد السجستاني، الحافظ أبو سعيد الدارمي  
١٥٣ - إثبات النزول بلا تأويل ولا تشبيه، ولا تكيف ولا تعطيل
- عثمان بن سعيد بن عثمان، أبو عمرو الداني  
٤٧ - له ميل إلى بعض كلام الباقلاني
- عكرمة مولى ابن عباس  
١٢٤ - عبر عن الاستواء بالجلوس

- علي بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم، أبو الحسن الهاشمي  
٢٢٢ - التفریق بین قتال الخوارج لإمام جَوْرٍ وبين قتالهم لإمام عَدْلٍ  
٢٢٢ - عَدَمُ قتال الخوارج حتَّى يَبْدُؤُوا الْمُسْلِمِينَ بِالْقِتَالِ  
٢٢٢ - وَإِنْ خَالَفُوا إِمَامًا جَائِرًا فَلَا تَقَاتِلُوهُمْ (الخوارج)
- علي بن أحمد بن سعيد، ابن حزم الظاهري  
٢١١ - أَنْكَرَ الْكُفَّتَيْنِ فِي مِيزَانِ الْأَعْمَالِ  
٢١٢ - بِأَخْذِ الْعَصَاةِ كُتِبَ لَهُمْ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ، وَالْمُؤْمِنُونَ بِأَيْمَانِهِمْ، وَالْكَفَّارُ بِشِمَالِهِمْ
- علي بن إسماعيل، أبو الحسن الأشعري البصري  
١٣٧ - إِبْثَاتُ الْيَدِ وَالْوَجْهِ صِفَتَيْنِ حَقِيقَتَيْنِ زَائِدَتَيْنِ عَلَى الذَاتِ  
٩٤ - حُضُورُ مَقَالَةِ التَّفْوِيزِ فِي مُعْتَقِدِهِ  
٢٠٨ - لَيْسَ مَجِيئُهُ حَرَكَةً، وَلَا زَوَالًا، وَلَا انْتِقَالًا  
١٤٤ - نَازَعَ فِي إِبْثَاتِ الْحَرْفِ وَالصَّوْتِ  
١١٤ - نَصَّ عَلَى ذِكْرِ اسْتَوَاءِ اللَّهِ عَلَى الْعَرْشِ بِذَاتِهِ
- علي بن محمد بن خلف، أبو الحسن بن القابسي القيرواني  
٤٨ - الْإِعْتِمَادُ عَلَى السَّمْعِ  
٤٨ - الْإِيمَانُ هُوَ التَّصَدِيقُ فَقَطْ  
٤٨ - الْجَدَلُ وَعِلْمُ الْكَلَامِ  
٤٨ - اللَّهُ يَدَانِ؛ كَمَا يَقُولُ أَهْلُ الْحَدِيثِ وَالْأَثَرِ  
٤٨ - نَصَّ عَلَى إِخْرَاجِ الْعَمَلِ مِنَ الْإِيمَانِ
- علي بن مهدي، أبو الحسن الطبري  
٥٢ - إِبْثَاتُ الْعُلُوِّ وَالْإِسْتَوَاءِ  
٥٢ - إِبْثَاتُ الْوَجْهِ  
٥٢ - إِبْثَاتُ الْيَدِ
- عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم بن أبي العاص الأموي  
٢٧٢ - فَعَلُّ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ مِنَ التَّصَدِيقِ بَكْتَابِ اللَّهِ

## الصفحة

## المذهب/ القول

- عياض بن موسى بن عياض، القاضي أبو الفضل البحصبي  
٤٨ - اعتمد تقرير العقائد على طريقة أهل الكلام
- عيسى بن يونس  
٢٣٤ - لا يكفر أحدًا بذنب، ولا يشهد لأحد أنه في الجنة
- غليوم الثاني  
٢٦٧ - الملوك هم مسؤولون أمام الله وحده
- غيلان الدمشقي  
١٦٨ - تصرف المخلوق منفردًا كتصرف الخالق
- لويس الخامس عشر  
٢٦٧ - الملوك هم مسؤولون أمام الله وحده
- لويس الرابع عشر  
٢٦٧ - الملكة وكالة إلهية
- ٢٦٧ - الملوك هم مسؤولون أمام الله وحده
- ٢٦٧ - سلطة الملوك مستمدة من الله
- مالك بن أنس بن مالك، أبو عبد الله الأصبحي المدني  
٢١٧ - الإيمان قول وعمل
- ٢٢٢ - التفريق بين قتال الخوارج لإمام جور وبين قتالهم لإمام عدل
- ١٣٨ - القرآن كان يصف من قال بخلق كلام الله بالزندقة، ويأمر بقتله
- ١٣٨ - القرآن كلام الله، وكلام الله منه، وليس من الله شيء مخلوق
- ١٥٥ ، ١٣٨ - القرآن كلام الله، وكلامه لا يبيد ولا ينفد، وليس بمخلوق
- ١١٣ - الله بذاته فوق العرش، وعلمه في كل مكان
- ١١٣ - الله سبحانه بذاته فوق العرش، وأن علمه في كل مكان
- ١١٣ - الله يرى يوم القيامة بالأبصار فوق العرش
- ١١٣ - الله يغضب ويرضى ويتكلم بما شاء
- ١١٣ - الله ينزل إلى سماء الدنيا
- ٢٠٩ - الميزان حق

- ٥٨ - النَّهْيُ عَنْ عِلْمِ الْكَلَامِ عَمُومًا بِلَا اسْتِثْنَاءٍ
- ٢٥٢ - أَمْسَكَ عَنْ التَّفْضِيلِ بَيْنَ عُثْمَانَ وَعَلِيٍّ
- ٥٥ - أَهْلُ الْأَهْوَاءِ هُمْ أَهْلُ الْكَلَامِ
- ٢٣٤ - أَهْلُ الذُّنُوبِ مُؤْمِنُونَ مَذْنُوبُونَ
- ٢١٩ - تَوَقَّفْ فِي تَكْفِيرِ الْخَوَارِجِ
- ١٣٢ - قَوْلُ التَّابِعِيِّ لَيْسَ حُجَّةً مَقْطُوعَةً فِي الْفُرُوعِ وَالْأَصُولِ
- ٥٤ - كَانَ يَحْذَرُ أَصْحَابَهُ مِنْ عِلْمِ الْكَلَامِ
- ٢٠١ - كَانَ يَشْدُدُّ عَلَى مَنْكِرِ رُؤْيَا اللَّهِ
- ٢٥١ - كَانَ يَفْضُلُ أَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ عَلَى غَيْرِهِمَا مِنَ الصَّحَابَةِ
- ٢٢٩ - لَا إِيْمَانًا إِلَّا بِعَمَلٍ، وَلَا عَمَلًا إِلَّا بِإِيْمَانٍ
- ٥٥ - لَا تَجُوزُ شَهَادَةُ أَهْلِ الْبِدْعِ وَأَهْلِ الْأَهْوَاءِ
- ٢٥٦ - لَا نَصِيبَ فِي الْفِيءِ لِمَنْ سَبَّ الصَّحَابَةَ وَالتَّابِعِينَ
- ٢٣٤ - لَا يَكْفُرُ أَحَدًا بِذَنْبٍ، وَلَا يَشْهَدُ لِأَحَدٍ أَنَّهُ فِي الْجَنَّةِ
- ١٣٦ - إِنَّ اللَّهَ يَدْنِي وَوَجْهَهَا وَعَيْنَيْنِ
- ٢٢٦ - لَيْسَ لِلْإِيْمَانِ مُنْتَهَى؛ هُوَ فِي زِيَادَةٍ أَبَدًا
- ٥٤ - مَا قَلَّتِ الْآثَارُ فِي قَوْمٍ إِلَّا ظَهَرَتْ فِيهِمُ الْأَهْوَاءُ
- ٥٤ - مَنْ طَلَبَ الدِّينَ بِالْكَلَامِ، تَزَنَّقَ
- ١٢٧ - نَفَى مَالِكٌ مَعْرِفَةَ كَيْفِيَّةِ الصِّفَاتِ وَفَوْضَهَا، وَلَمْ يَفُوضِ الْحَقِيقَةَ
- ٢٢٩ - يَفْرُقُونَ بَيْنَ التَّرِكِ الْكُلِّيِّ لِلْعَمَلِ وَبَيْنَ التَّرِكِ الْجُزْئِيِّ
- ٢٢٩ - يُنْكِرُونَ قَوْلَ مَنْ يَقُولُ: إِنَّ الْإِيْمَانَ قَوْلٌ بِلَا عَمَلٍ

#### متقدمو الأشاعرة

- ١٣٦ - إثباتُ الوجهِ واليدِ لله تعالى على الحقيقة
- ٥٢ - إثباتُهُمُ الصِّفَاتِ الْخَبَرِيَّةَ، وَلَا يَتَأَوَّلُونَهَا

#### متقدمو المالكية

- ٢٠١ - كَانُوا يُشَدِّدُونَ عَلَى مَنْكِرِ رُؤْيَا اللَّهِ
- ١٤٦ - كَلَامُ مُتَقَدِّمِي الْمَالِكِيَّةِ يَجْرِي مَجْرَى كَلَامِ السَّلَفِ

- محمد بن أحمد بن عبد الله، أبو بكر بن خُوَيْرٍ مَنَدَاةَ  
 ٥٥ - أَهْلُ الْأَهْوَاءِ هُمْ أَهْلُ الْكَلَامِ  
 ٥٥ - كَانَ يَنْهَى عَنْ قَبُولِ شَهَادَةِ أَهْلِ الْكَلَامِ كَافَّةً  
 محمد بن أحمد بن مجاهد، أبو عبد الله الطائفي البصري  
 ٥٢ - إِبْثَاتُ الْعُلُوِّ وَالْإِسْتَوَاءِ  
 ٥٢ - إِبْثَاتُ الْوَجْهِ  
 ٥٢ - إِبْثَاتُ الْيَدِ  
 محمد بن إدريس بن العباس، أبو عبد الله الشافعي  
 ٤٤ - الْفِقْهُ فِي الْكَلَامِ الْجَهْلُ بِهِ  
 ٥٨ - النَّهْيُ عَنْ عِلْمِ الْكَلَامِ عَمُومًا بِلَا اسْتِثْنَاءٍ  
 ٢٢٢ - عَدَمُ قِتَالِ الْخَوَارِجِ حَتَّى يَبْدُؤُوا الْمُسْلِمِينَ بِالْقِتَالِ  
 ٢٣٦ - مُسْتَقَرُّ أَرْوَاحِ الْمُؤْمِنِينَ بَعْدَ الْمَوْتِ فِي الْجَنَّةِ  
 ٢٢٩ - يَفْرُقُونَ بَيْنَ التَّرِكِ الْكُلِّيِّ لِلْعَمَلِ وَبَيْنَ التَّرِكِ الْجُزْئِيِّ  
 محمد بن أسعد الصديق، جلال الدين الدواني  
 ٤٣ - الْحَوَادِثُ لَا أَوَّلَ لَهَا  
 ٤٣ - الصِّفَاتُ عِنْدَهُ عَيْنُ الذَّاتِ  
 ٤٣ - يَقُولُ بِعَيْنِيَّةِ الصِّفَاتِ  
 محمد بن إسماعيل بن إبراهيم، الإمام البخاري  
 ١٤٣ - اللَّهُ يَتَكَلَّمُ بِصَوْتٍ  
 محمد بن الطيب، أبو بكر الباقلاني  
 ٥٢ - إِبْثَاتُ الْعُلُوِّ وَالْإِسْتَوَاءِ  
 ٥٢ - إِبْثَاتُ الْوَجْهِ  
 ١٣٦ - إِبْثَاتُ الْوَجْهِ وَالْيَدِ لِلَّهِ تَعَالَى عَلَى الْحَقِيقَةِ  
 ٥٢ - إِبْثَاتُ الْيَدِ  
 ١٧٣ - لَا يَقُولُ بِالْكَسْبِ  
 ١١٤ - نَصَّ عَلَى ذِكْرِ اسْتَوَاءِ اللَّهِ عَلَى الْعَرْشِ بِذَاتِهِ



- ١٣٦ - نفى الوجه واليد لله تعالى من مخازي المعتزلة  
محمد بن الكلاعي
- ١٤٠ - القول بخلق القرآن في المغرب  
محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب، ابن جرير الطبري
- ١١٤ - نص على ذكر استواء الله على العرش بذاته  
محمد بن رشد، أبو الوليد بن رشد الجد
- ١٢٨ - أسماء الله وصفاته إنما تفهم من جهة السمع  
الجلوس والتحيز والمماسه مستحيلة في صفات الله
- ١٢٥ - إن لله يدين ووجهها وعينين  
لم يمنع أن يكون الاستواء من صفات الله الفعلية
- ١٢٨ - ما وصف الله به نفسه لا مجال للعقل فيه  
محمد بن سحنون بن سعيد بن حبيب، أبو عبد الله التنوخي القيرواني
- ١٣٧ - الله سمي نفسه، ولم يزل له الأسماء الحسنى  
محمد بن عبد الله الأندلسي، أبو عبد الله، ابن أبي زمنين
- ١٠٨ - الله مستوي على عرشه، بائن من خلقه، قريب لهم بعلمه  
من العلم بالله: الجهل بما لم يخبر الله به عن نفسه
- ٦١ - محمد بن عبد الله بن محمد، القاضي أبو بكر بن العربي  
اعتمد تقرير العقائد على طريقة أهل الكلام
- ٤٨ - أنكز على ابن خويز مئذاد، وابن أبي زيد طريقتهما في إثبات العقائد  
محمد بن علي بن محمد، أبو أحمد الكرجي القصاب
- ٩٣ - لا يلزم من إثبات حقيقة الصفات التشبيه  
لازم نفي الصفات التعطيل
- ٩٣ - محمد بن عمر بن الحسين، فخر الدين الرازي  
إثبات الأشعري اليد والوجه إثبات لا توقف فيه
- ١٣٧ - الصفات نسب وإضافات بين الذات وبين المعلوم والمقدور والمراد

- محمد بن محمد بن أحمد الطوسي، أبو حامد الغزالي  
٥٢ - نفْيُ صِفَةِ الْوَجْهِ  
٥٢ - نفْيُ صِفَةِ الْيَدِ  
٥٢ - نفْيُ صِفَتَيْ الْعُلُوِّ وَالْإِسْتَوَاءِ  
محمد بن محمد بن محمود، أبو منصور الماتريدي  
٩٤ - حُضُورُ مَقَالَةِ التَّضْوِيزِ فِي مُعْتَقِدِهِ  
معبد الجهني  
١٦٨ - تَصَرُّفُ الْمَخْلُوقِ مُنْفَرِدًا كَتَصَرُّفِ الْخَالِقِ  
مكي بن أبي طالب، أبو محمد القيسي القيرواني  
٤٩ - أَكْثَرُ كَلَامِهِ التَّصْرِيحُ بِإِثْبَاتِ الْإِسْتَوَاءِ  
٤٩ - تَأْوِيلُ الْإِسْتَوَاءِ بِالْقُدْرَةِ  
٤٩ - تَأْوِيلُ صِفَةِ الْيَدِ بِالْقُدْرَةِ  
١٥٣ - نفْيُ النُّزُولِ عَنِ اللَّهِ تَعَالَى  
وكيع بن الجراح بن مليح، أبو سفيان الرواسي الكوفي  
١٢٤ - عُبْرٌ عَنِ الْإِسْتَوَاءِ بِالْجُلُوسِ  
٢٣٤ - لَا يَكْفُرُ أَحَدًا بِذَنْبٍ، وَلَا يَشْهَدُ لِأَحَدٍ أَنَّهُ فِي الْجَنَّةِ  
يعقوب بن إبراهيم بن حبيب، القاضي أبو يوسف  
٥٥ - مَنْ طَلَبَ الدِّينَ بِالْكَلامِ، تَزَنَّدَقَ  
يوسف بن عبد الله بن محمد، جمال الدين بن عبد البر  
٤٧ - أَبْطَلَ قَوْلَ الْمُتَكَلِّمِينَ بِتَفْسِيرِ الْإِسْتَوَاءِ بِالْإِسْتِيْلَاءِ  
٤٧ - إِثْبَاتُ عُلُوِّ الدَّائِي، وَاسْتَوَاءِ اللَّهِ عَلَى عَرْشِهِ  
٤٧ - إِثْبَاتُ نَزُولِ اللَّهِ عَلَى الْحَقِيقَةِ عَلَى مَا يَلِيقُ بِهِ  
٤٧ - الْإِقْرَارُ بِالصِّفَاتِ الْوَارِدَةِ كُلِّهَا فِي الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ  
٢٠٨ - اللَّهُ لَيْسَ بِمَحَلٍّ لِلْحَرَكَاتِ، وَلَا فِيهِ شَيْءٌ مِنْ عِلَامَاتِ الْمَخْلُوقَاتِ  
٥٦ - لَا تَجُوزُ الْمَنَاطَرَةُ فِي مَبَاحِثِ الْغَيْبِيَّاتِ وَمَسَائِلِ الصِّفَاتِ  
٥٦ - لَا تُقَرَّرُ مَبَاحِثُ الْغَيْبِيَّاتِ وَمَسَائِلُ الصِّفَاتِ بِالنَّظَرِ

- ١٢٤ - لا نَسْمِيهِ، ولا نَصِفُهُ، ولا نُطْلِقُ عَلَيْهِ، إِلَّا ما سَمَى بِهِ نَفْسُهُ
- ٥٦ - ليس في صفاتِ اللهِ وأَسْمائِهِ إِلَّا ما جاء في الكتابِ أو السُّنَّةِ
- ٢٠٨ - ليسَ مَجِيئُهُ حَرَكَةً، ولا زَوَالًا، ولا انْتِقَالَ
- ٢٣٦ - مُسْتَقَرُّ أرواحِ المؤمنينَ بَعْدَ الموتِ في أَقْبِيَةِ القُبورِ
- ١٥٣ - نفي النزولِ عَنِ اللهِ تَعَالَى
- ١٢٤ - نَقُولُ: اسْتَوَى مِنْ لَا مَكَانٍ إِلَى مَكَانٍ، ولا نَقُولُ: انْتَقَلَ
- ١٢٤ - نَقُولُ: خَلِيلُ إِبْرَاهِيمَ، ولا نَقُولُ: صَدِيقُ إِبْرَاهِيمَ
- ٨٧ ، ٦١ - نُهَيِّنَا عَنِ التَّفَكُّرِ فِي اللهِ، وَأَمْرُنَا بِالتَّفَكُّرِ فِي خَلْقِهِ الدَّالِّ عَلَيْهِ
- ٢٠٩ - هو على طَرِيقَةِ السَّلَفِ فِي الصِّفَاتِ
- ٢٠٩ - يُثَبِّتُ الاستواءَ على ظاهِرِهِ

## ٩ - فهرس حكمة التشريع ومقاصد الشريعة

الصفحة

٢٨٠

الحكمة/ المقصد

- التَّهْيُّ عن مَخَالَطَةِ الْبَاطِلِ

## ١٠ - فهرس الحكم والأمثال ومأثور الأقوال

الصفحة	الحكمة/ المثل/ ومأثور الأقوال
٧٧	- أَرْجَى الْقُلُوبِ لِلْخَيْرِ مَا لَمْ يَسْبِقِ الشَّرُّ إِلَيْهِ
٢١	- التَّوَسُّعُ بِالْمَتَاعِ الْعَاجِلَةِ يُنْسِي النِّعَمَ الْآجِلَ
٥٩	- الدِّينُ لَمْ يُنْزَلْهُ اللَّهُ لِلْأَذْكِيَاءِ، بَلْ أَنْزَلَهُ اللَّهُ لِلْأَسْوِيَاءِ
٦٠	- الْعِلْمُ الصَّحِيحُ يُورِثُ خَشْيَةَ اللَّهِ
٧٣	- الْغَايَةُ مِنَ الْعِلْمِ: الْعَمَلُ بِالْمَأْمُورِ، وَتَرْكُ الْمَحْظُورِ
١٦٢	- الْقَدَرُ لَا بُدْرَكَ بِجِدَالٍ، وَلَا يَشْفِي مِنْهُ مَقَالٌ
١٠	- الْقُرْآنُ كَلَامُ اللَّهِ، لَيْسَ بِمَخْلُوقٍ فَيُفْسَدُ، وَلَا صِفَةٌ لِمَخْلُوقٍ فَيَنْقُذُ
١٢١	- اللَّهُ تَعَالَى عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى، وَعَلَى الْمُلْكِ اخْتَوَى
٢٦٧	- النَّاسُ فِي حَاجَةٍ إِلَى عَالِمٍ مُتَجَرِّدٍ
١٥٧	- إِنَّ الْحَذَرَ لَا يُنْجِي مِنَ الْقَدَرِ
٧٧	- تَعْلِيمُ الصِّغَارِ لِكِتَابِ اللَّهِ، يُظْفِقُ غَضَبَ اللَّهِ
٧٧	- تَعْلِيمُ شَيْءٍ فِي الصَّغَرِ، كَالنَّقْشِ فِي الْحَجَرِ
١٦٨	- خَذَلَ اللَّهُ مَنْ عَصَاهُ وَكَفَّرَ بِهِ، فَأَسْلَمَهُ وَبَسَّرَهُ لِذَلِكَ فَحَجَبَهُ وَأَضَلَّهُ
٧٧ ، ٦	- خَيْرُ الْقُلُوبِ أَوْعَاها لِلْخَيْرِ
٩٠	- كُلُّ عَظِيمٍ لَهُ آيَاتٌ
١٠	- كُلُّ مُسَرَّرٍ بِتَجْوِيدِهِ، إِلَى مَا سَبَقَ مِنْ عِلْمِهِ وَقَدَرِهِ، مِنْ شَقِيٍّ أَوْ سَعِيدٍ
١٦٨	- كُلُّ يَتَتَبِعِي إِلَى سَابِقِ عِلْمِهِ؛ لَا مَحِيصَ لِأَحَدٍ عَنْهُ
١٩	- كَمَالُ التَّوْفِيقِ إِصَابَةُ الْحَقِّ عَنْ عِلْمٍ بِهِ
٢٧٥	- لَا تُعَارِضُ السُّنَنَ بِرَأْيٍ، وَلَا تُدَافِعُ بِقِيَاسٍ
٢٧٥	- لَا تَتَشَبَّهُ الْبَدْعُ إِلَّا عِنْدَ مَنْ عَقَلَ الْأَثَرَ
٧٦	- لَا يَصْرِفُ أَحَدًا عَنِ الْحَقِّ وَهُوَ يَرِيدُهُ

- لَا يَكْمُلُ قَوْلُ الْإِيمَانِ إِلَّا بِالْعَمَلِ، وَلَا قَوْلٌ وَعَمَلٌ إِلَّا بِنِيَّةٍ، وَلَا قَوْلٌ وَعَمَلٌ وَنِيَّةٌ إِلَّا بِمُوَافَقَةِ السُّنَّةِ  
١٢، ٢٢٨، ٢٣٢
- مَا قَلَّتِ الْأَثَارُ فِي قَوْمٍ إِلَّا ظَهَرَتْ فِيهِمُ الْأَهْوَاءُ، وَلَا قَلَّتِ الْعِلْمَاءُ إِلَّا ظَهَرَ فِي النَّاسِ الْجَفَاءُ  
٥٤
- مَقَادِيرُ الْأُمُورِ بِيَدِهِ تَعَالَى، وَمَصْدَرُهَا عَنْ قَضَائِهِ  
١٠
- مَنْ جَهِلَ الْأَثَرَ اسْتَحْسَنَ الْعَمَلَ بِالرَّأْيِ  
٢٧٥
- مَنْ عَطَّلَ الْعَقْلَ، فَسَدَتْ دُنْيَاهُ، وَمَنْ عَطَّلَ النُّقْلَ، فَسَدَ دِينُهُ  
٢٠
- وَاجِبُ الْعِلْمَاءِ تَبَيُّنُ الْحَقِّ حَسَبَ الطَّاقَةِ، وَاللَّهُ كَفِيلٌ بِإِظْهَارِهِ  
٤٥
- يَجِيءُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لِعَرْضِ الْأُمَمِ وَحِسَابِهَا، وَعُقُوبَتِهَا وَتَوَابِهَا  
١١
- يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ فَيُخْذِلُهُ بِعَذْلِهِ، وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ فَيُوقِفُهُ بِفَضْلِهِ  
١٦٧
- يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ فَيُخْذِلُهُ بِعَذْلِهِ  
١٠
- يَعْتَبِرُ الْمُتَفَكِّرُونَ بِآيَاتِهِ، وَلَا يَتَفَكَّرُونَ فِي مَا هِيَ ذَاتُهُ  
٨٩، ٩
- يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ فَيُوقِفُهُ بِفَضْلِهِ

## ١١ - فهرس الفوائد

الصفحة	الفائدة
١٤١	- ابن كُلاب أول من فَرَّقَ بَيْنَ الكلام النفسي وبين الكلام اللفظي
٢٤	- إذا أُطْلِقَ إفریقیَّة، فالمراد بها: القَيْرَوَانُ
٢٩	- أَكْثَرُ رؤوس الاعتزالِ حنْفِيَّةٌ في الفروع
٣١	- إِنَّمَا قَوِيَّتْ شوكةُ أهلِ الظاهرِ في المَغْرِبِ الأقصى بعدَ ابنِ حزمٍ
٤٢	- أهلُ الحديثِ نَزَّاعُهُم في الفروع، وأهلُ الكلامِ نَزَّاعُهُم في الأصولِ والفروع
٣٠	- أوَّلُ مَنْ أَدْخَلَ الفقهَ الظاهريَّ بلادَ الأندلسِ تَلامِيذُ داودَ الأصفهانيِّ
١٦١	- أوَّلُ مَنْ شَهَرَ نَفْيَ القَدَرِ
٤٥	- تحريفُ المعتزلةِ القرآنَ على كِسْوةِ الكعبةِ
١٣٧	- نَسَمَى العَرَبُ ما يَصِلُ من القولِ إلى الإنسانِ كلامًا
	- كانَ ابنُ الحارِثِ ناقلُ عقيدةِ ابنِ حنبلٍ إلى المغربِ من شيوخِ ابنِ أبي زَيْدٍ
٢٦	القَيْرَوَانِيَّ
٢٣	- كانَ السلفُ يسمُّونَ القيرَوَان: إفریقیَّة
٣٠	- كانَ المَغَارِبَةُ يسمُّونَ داودَ الظاهريَّ: القِيَّاسِيَّ
٢٨	- كثيرٌ من أُمراءِ الأَعَالِيَةِ كانوا على الفكرِ الاعتزاليِّ
٢٧	- لا يُوجَدُ مالِكِيٌّ معتزليٌّ إلا أبا إسحاقَ إبراهيمَ الغافقيَّ
٢٦	- لابنِ سُحْنُونٍ كتابٌ في أدبِ المتناظرين
٢٣٩	- لماذا سُمِّيَتْ حياةُ البرِّخِ بهذا الاسمِ
١٤٠	- همَّ المَغَارِبَةُ بِقَتْلِ سُلَيْمَانَ الفَرَّاءِ حينما قالَ بخُلُقِ القرآنِ

## ١٢ - فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
المُقَدِّمَةُ الْعَقْدِيَّةُ، لِلرَّسَالَةِ الْفَقْهِيَّةِ.....	٥
فضلُ العلمِ وأفضله.....	١٩
حفظُ العقلِ والنقل.....	٢٠
فضلُ قُرْبِ الزمانِ والمكانِ الأوَّلِ.....	٢١
المَغْرِبُ في زمنِ الصحابةِ والتابعين.....	٢٢
السُّنَّةُ والأثرُ وعلمُ الكلامِ في المَغْرِبِ.....	٢٤
أثرُ المَشْرِيقِ على المَغْرِبِ.....	٢٥
فلسفةُ اليونانِ وأثرها على المتكلمين.....	٢٥
اعتقاد أهلِ المغرب.....	٢٦
وجودُ الاعتزالِ في المَغْرِبِ، وموقفُ العلماءِ منه.....	٢٧
بدايةُ رَدِّ المغاربةِ على المشاركةِ في الفروعِ لا في الأصول.....	٢٩
أسبابُ تأخُّرِ ذبوعِ علمِ الكلامِ في المَغْرِبِ.....	٣١
أسبابُ انتشارِ علمِ الكلامِ في المَغْرِبِ.....	٣٣
أثرُ الاعتزالِ في قبولِ علمِ الكلامِ على طريقةِ الأشاعرةِ.....	٣٧
مراتبُ المخالفينَ تقتضي مدحَ الأقربِ واللينَ معه.....	٣٧
كتابةُ أهلِ المَغْرِبِ في العقائد.....	٣٩
أصولُ مالكٍ وفروعهُ، وأحوالُ أصحابه في المَغْرِبِ.....	٤٠
الحديثُ والكلامُ، وأثرهما في الخلاف.....	٤٢
ثباتُ أهلِ المَغْرِبِ، وامتحانهم بعلمِ الكلام.....	٤٣
التأويلُ والتفويضُ في كلامِ بعضِ أهلِ السُّنَّةِ.....	٤٦
علمُ الكلامِ والإمامُ مالكُ بنُ أنس.....	٥٣
الرأيُ وعلمُ الكلام.....	٥٤
نهيُ مالكٍ عن علمِ الكلامِ، ومراذه.....	٥٥



٥٩	الاسترسال في علم الكلام وأثره
٦٠	التعريف على الله بعلم الكلام يورث الوحشة
٦١	اعتقاد السلف في الصفات
٦٢	اللغة وعلم الكلام، وأسباب انتشار البدعة
٦٤	خطأ المتكلمين في استعمال اللغة
٦٩	الشرح
٧٣	سعة الحلال، وضيق الحرام
٧٤	بيان المؤلف لموجب التأليف
٨١	فضل الصلاة على النبي، ومواضعه
٨٤	حكم الصلاة على غير النبي
٨٥	مُجمل اعتقاد أهل السنة في الله تعالى
٨٦	حكم التفكير في ذات الله
٨٨	أنواع ظاهر الصفات
٩٠	معرفة الله بآياته الكونية
٩٠	سبب الوقوع في الشرك
٩٢	عقيدة التفويض
٩٣	تاريخ مذهب التفويض
٩٥	نسبة التفويض للسلف
٩٨	توهم التعظيم يؤدي إلى التفويض والتعطيل
١٠٠	رواية الأئمة لأحاديث الصفات، واحترازهم من سوء فهمها
١٠٥	توهم اللوازم الباطلة يقضي إلى التفويض والتأويل والتعطيل
١٠٥	علو الله
١٠٧	العلو والمعية
١١١	نفى بعض الصفات لأجل توهم إحاطة المخلوقات بالخالق
١١٣	الاستواء على العرش
١١٨	الكريسي
١٢٠	إحاطة علم الله بكل شيء
١٢١	عودة إلى الكلام على استواء الله على العرش
	الحذر من التشبيه، وحكم التعبير عن الصفات بما لم يرد في الشريعة من
١٢٢	الإشارة والكلام

الموضوع	الصفحة
الأسماء والصفات	١٢٩
ما وَرَدَ مِنَ الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ عَنِ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ	١٣٠
أَسْمَاءُ اللَّهِ	١٣٢
حَقِيقَةُ الصِّفَاتِ	١٣٣
الإقرار بإثبات الصفة يُبطل التفويض	١٣٥
كَلَامُ اللَّهِ	١٣٧
شِدَّةُ مَالِكٍ وَأَصْحَابِهِ عَلَى الْقَوْلِ بِخَلْقِ الْقُرْآنِ	١٣٨
ظُهُورُ الْقَوْلِ بِخَلْقِ الْقُرْآنِ فِي الْمَغْرِبِ	١٤٠
أَصْلُ فِتْنَةِ خَلْقِ الْقُرْآنِ، وَالْكَلَامُ النَّفْسِي	١٤١
الْحَرْفُ وَالصَّوْتُ	١٤٣
مِنْ حُجَجِ نَفَاةِ الصَّوْتِ وَالْحَرْفِ لِلَّهِ	١٤٤
الوَاقِفَةُ فِي خَلْقِ الْقُرْآنِ، وَسَبَبُ التَّشْدِيدِ عَلَيْهِمْ	١٤٨
مِنْ أَدْلَةِ الْقَائِلِينَ بِخَلْقِ الْقُرْآنِ	١٤٩
صِفَةُ التَّجَلِّيِّ لِلَّهِ تَعَالَى	١٥٢
صِفَةُ نُزُولِ اللَّهِ تَعَالَى	١٥٣
الْقُرْآنُ كَلَامُ اللَّهِ غَيْرُ مَخْلُوقٍ	١٥٥
الْإِيمَانُ بِالْقَدَرِ	١٥٦
تَقْدِيرُ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ	١٥٨
لَا يُنْسَبُ الشَّرُّ إِلَى اللَّهِ	١٦٠
الْجِدَالُ فِي الْقَدَرِ	١٦١
أَفْعَالُ الْعِبَادِ وَخَلْقُهَا	١٦٢
أَمْرُ اللَّهِ وَنَهْيُهُ وَقُدْرَتُهُ، وَتَوْهُمُ بَعْضِ النَفُوسِ الظُّلَمِ	١٦٣
الْعِلْمُ بِالْأَسْبَابِ لَا يُخْرِجُ صَاحِبَهُ مِنَ قَدَرِ اللَّهِ	١٦٥
عِلْمُ اللَّهِ بِكُلِّ شَيْءٍ	١٦٦
مَشِئَةُ اللَّهِ وَقُدْرَتُهُ عَلَى خَلْقِ أَفْعَالِ الْعِبَادِ	١٦٧
الْمُخَالِفُونَ فِي الْقَدَرِ	١٦٨
الْحَتْمِيَّةُ السَّيِّيَّةُ	١٧٣
نَفْيُ الْقَدَرِ يُلْزِمُ مِنَ الْعَجْزِ	١٧٤

١٧٦	رسالة النبي، وكتابه
١٧٧	ختم رسالة النبي ﷺ للرسالات
١٧٩	حكم اتباع دين غير الإسلام
١٧٩	والكفر حينئذ جاء من جهات أعظمها
١٨١	الإسلام وحرية الدين
١٨٢	شبهات في حرية ترك الإسلام
١٨٥	الإيمان بالكتب السماوية، والحكمة من إرسال الرسل
١٨٦	مصدر تفسير القرآن
١٨٨	الإيمان بالقيامة وما فيها
١٨٩	التفخ في الصور
١٩٠	واختلفت في التفخات
١٩٠	بعث الأجساد وجزاؤها
١٩١	أشراط الساعة
١٩١	تنزيل أشراط الساعة على الواقع
١٩٢	الحساب والعقاب
١٩٤	حكم من مات ولم يثب من دينه
١٩٥	مصير من دخل النار من عصاة المسلمين
١٩٦	وخالف في هذا الخوارج والمعتزلة، والمرجئة
١٩٦	الشفاعة وأحكامها
١٩٩	رؤية الله في الآخرة
٢٠٣	الجنة والنار، ولمن أعدهما الله
٢٠٤	خلق الجنة والنار
٢٠٥	خلود الجنة والنار
٢٠٦	صفة المجيء لله
٢٠٩	الميزان والوزن
٢١١	صحائف الأعمال، وكيفية استلامها يوم القيامة
٢١٢	الصراط وأحوال الناس فيه
٢١٤	الحوض المورود
٢١٥	حقيقة الإيمان

## الصفحة

## الموضوع

٢١٦	..... والطوائف المخالفة في هذا الباب على سبيل الإجمال طائفتان
٢١٩	..... أسباب الافتتان برأي الخوارج
٢٢٠	..... الصفة الجامعة للخوارج
٢٢٢	..... الموقف عند اجتماع الضلالات
٢٢٣	..... الموازنة بين المرجئة والخوارج
٢٢٣	..... زيادة الإيمان ونقصانه
٢٢٦	..... زوال الإيمان وكماله
٢٢٦	..... نقصان الإيمان عند مالك
٢٢٧	..... الاستثناء في الإيمان
٢٢٨	..... الإيمان قول وعمل
٢٢٩	..... حكم تارك العمل كله
٢٣١	..... أثر إخراج العمل من الإيمان
٢٣٣	..... التكفير بالذنوب، وأحوال الطوائف
٢٣٥	..... أرواح الموتى وأحوالها
٢٣٨	..... القبر وفتنه
٢٤١	..... كتابة الأعمال على المكلفين
٢٤٣	..... الأرواح وقبضها
٢٤٥	..... فضل خير القرون
٢٤٦	..... معنى القرن
٢٤٧	..... فضل الصحابة، وتفاضلهم
٢٤٨	..... الوقوع في الصحابة
٢٥٠	..... التفاضل بين الصحابة
٢٥٢	..... التوسع في التفضيل بين الصحابة
٢٥٣	..... ظهور الطعن في الصحابة في المغرب
٢٥٤	..... ما شجر بين الصحابة
٢٥٦	..... امتحان أهل المغرب بالصحابة
٢٥٧	..... فتنة الرافضة إذا تمكّنوا
٢٥٨	..... الطاعة لأئمة المسلمين بالمعروف
٢٥٩	..... الخروج على الأئمة وأحواله

الصفحة

الموضوع

٢٦٢	نُصَحُ الْأَئِمَّةِ
٢٦٢	وَجُورُ أُمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَظُلْمُهُمْ وَأَخْطَاؤُهُمْ عَلَى نَوْعَيْنِ
٢٦٤	الْخَطَأُ فِي نُصُوصِ السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ
٢٦٨	إِبْتِلَاءُ الْمُصْلِحِ
٢٦٨	تَجَرُّدُ الْمُصْلِحِ
٢٦٩	فَضْلُ السَّلَفِ وَاتِّبَاعُهُمْ
٢٧٠	سَبَبُ تَفْضِيلِ السَّلَفِ
٢٧١	تَعْظِيمُ فَقْهِ الصَّحَابَةِ
٢٧٢	الِاسْتِدْلَالُ بِحَدِيثِ يَخَالِفُ الصَّحَابَةَ
٢٧٣	حَقِيقَةُ الْعَمَلِ الَّذِي يَقْدَمُ عَلَى الْحَدِيثِ
٢٧٦	تَرْكُ الْمِرَاءِ وَالْجِدَالِ
٢٧٦	طُرُقُ مَعْرِفَةِ حَقِّ اللَّهِ
٢٧٧	الْمُجْتَهِدُ بِيَذْعَةٍ
٢٧٨	التَّحْذِيرُ مِنَ الْجِدَالِ وَالْمِرَاءِ فِي الدِّينِ
٢٧٩	حَسَنُ الْقَصْدِ وَسُوْءُهُ، وَآثَرُهُ عَلَى فَهْمِ الْقُرْآنِ
٢٨٠	هَنْجَرُ الْجِدَالِ وَالْمِرَاءِ وَأَهْلِهِ
٢٨٣	الْفَهَارِسُ الْعَامَّةُ
٢٨٥	١ - فَهْرَسُ الْآيَاتِ
٣٠٤	٢ - فَهْرَسُ الْأَحَادِيثِ
٣١٠	٣ - فَهْرَسُ الْآثَارِ وَأَقْوَالِ الْأَئِمَّةِ وَالْعُلَمَاءِ
٣٢٣	٤ - فَهْرَسُ الْأَشْعَارِ وَالْأَرْجَازِ وَأَنْصَافِ الْآيَاتِ
٣٢٤	٥ - فَهْرَسُ الْمَصْطَلَحَاتِ
٣٢٥	٦ - فَهْرَسُ الْقَوَاعِدِ وَالْكَلِّيَّاتِ
٣٣١	٧ - مَعْجَمُ الْمَوْضُوعَاتِ وَرُؤُوسِ الْمَسَائِلِ
٣٥٥	٨ - فَهْرَسُ الْمَذَاهِبِ وَالْأَقْوَالِ
٣٧٥	٩ - فَهْرَسُ حِكْمَةِ التَّشْرِيعِ وَمَقَاصِدِ الشَّرِيعَةِ
٣٧٦	١٠ - فَهْرَسُ الْحُكْمِ وَالْأَمْثَالِ وَمَأْثُورِ الْأَقْوَالِ
٣٧٨	١١ - فَهْرَسُ الْفَوَائِدِ
٣٧٩	١٢ - فَهْرَسُ الْمَوْضُوعَاتِ

# المَغْرِبِيَّةُ

## شَرْحُ الْعَفِيكَةِ الْفَرَوَانِيَّةِ

(وَهُوَ مَا نَقَلَهُ الْفَرَوَانِيُّ مِنْ قَوْلِ مَالِكٍ، وَالْمَعْلُومُ مِنْ مَذْهَبِهِ، وَمَا

عَلَّمَهُ أَهْلُ السَّنَةِ وَأَيْمَةُ النَّاسِ فِي الْعَفِيَّةِ وَالْعَفَايَةِ)

تَأْلِيفُ

عبد العزيز بن مرزوق الصريعي

مكتبة دار المنهاج بالرياض